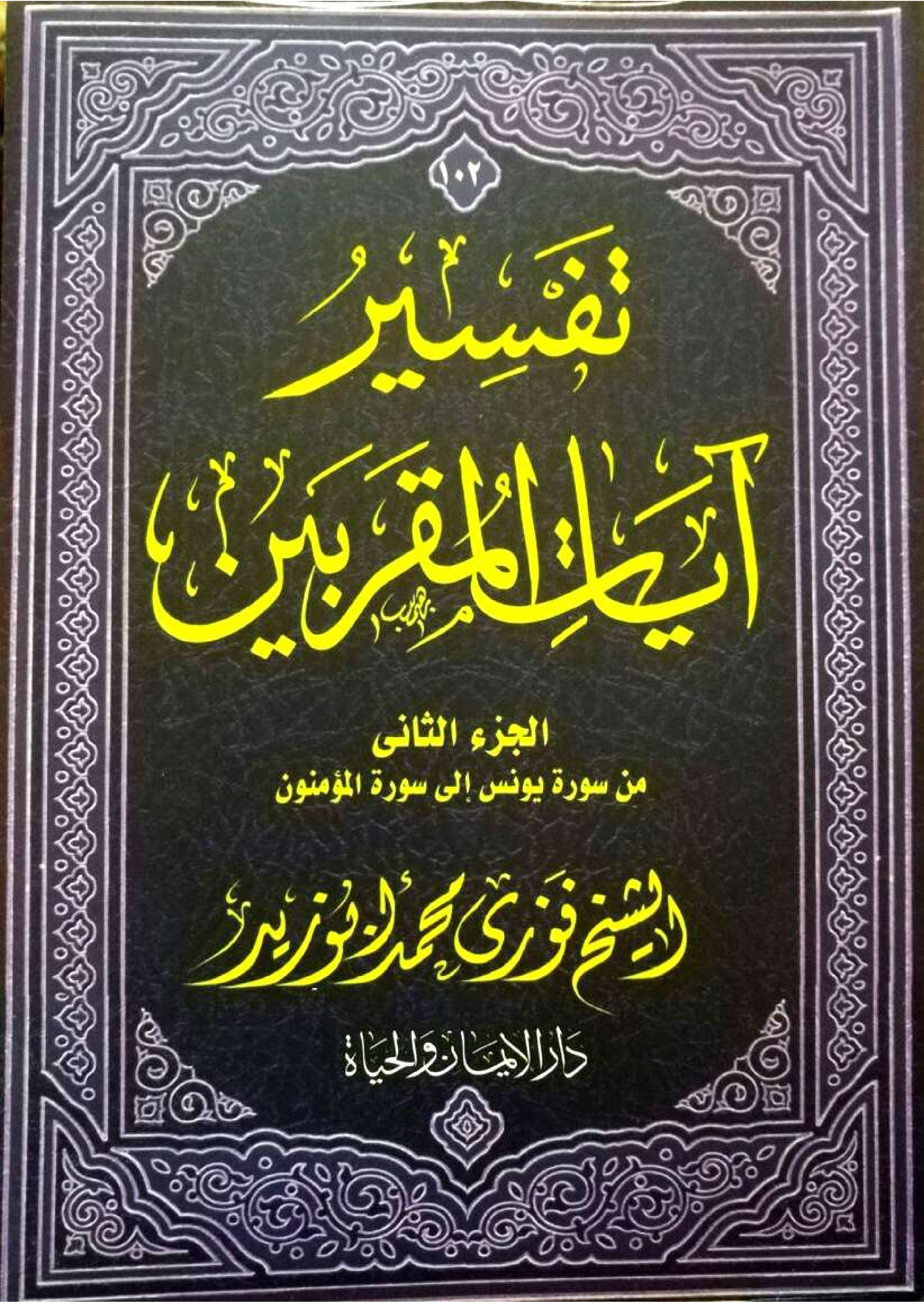

١٠٢
تفسير
آيات المقربين
الجزء الثاني
من سورة يونس إلى سورة المؤمنون
الشيخ فوزي محمد أبو زيد
دار الإيمان والحياة

(102)



الجزء الثاني

من سورة يونس إلى سورة المؤمنون

الشيخ فوزي محمد أبوزيد

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ

Again on Us (devolves) the explaining of it.
[75:19]

الكتاب	تفسير آ ت المقربيز - جز 2
المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الأولى	غرا رجب 143 هـ 29 مارس 201 م
كتاب رقم	102
سلسلة	تفسير القرآن الكريد ، الكتاب السابع
الداخلى	8 ص 0 جم 7 24 1 لون
الغلاف	كوشيه مد جم 4 لون، سلوفار مط
إشراف	دار الإيمان والحياة، 14 ش 105 ، المعادى، القاهرة، ،
إيداع محلى	201 343
ترقيم دولى	978 77 0 24
	07343 9 789779 047249
طباعة	مطابع النوبار بالعبور

مقدمة

بسم الله الرحمن لرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين ..

والصلاة والسلام على نور البيان الذي أشرق على قلبه القرآن فشاهد أنواره بالقلب والجنان ورتله مع ربه وتلاه لأمته باللسان سيدنا محمد وآله من خصهم الله بالفقه في القرآن وأصحابه أولي الهمم لعوالي في العمل بالقرآن وكل من تبعهم ، لمى هذا الهدى إلى يوم الدين آمين .... وبعد،

القرآن الكريم مأدبة الله ﷻ في الأرض يأخذ منها كل مؤمن ويتناول منها كل مسلم ما يحتاج إليه في حياته الكونية وفي عمله لإرضاء رب البرية ﷻ فيأخذ منه فقهاء الأصول ، أصول الفقه القو عد الشرعية التى يأصلون بها الأحكام الفقهية ويرجع إليه الفقهاء ليأسسوا فقههم على الأحكام التشريعية القرآنية، ويعده المؤرخون هو المرجع الصادق الا صيل الوحيد للفترة الزمنية من بدء الخلق إلى البعثة المحمدية ، واستنبط منه النحويون قواعد النحو فأصبح هو الميزان ا قواعد النحوية للغة العربية ، وأسس عليه علماء البلاغة علومها المتنوعة من بيان وبديع وصور بلاغية، وأخذ منه علماء المنطق والفلاسفة قواعد الحجاج والمجادلة في النقاشات العلمية، واستضاءوا به في الرد على حجج الجاحدين والمنكرين والطبيعيين والدهريين والملاحدة وغير م من الفئات الضالة التى تنكر الألوهية وتكذب النبوات والرسالات.

وهكذا نجد أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي لكل العلوم الشرعية والعربية والفلسفية والبلاغية وغيرها ولا يتم ذلك إلا بالدراسة الموضوعية لآيات القرآن الكريم التى تدرس الظاهرة وتستعرضها في كل صور القرآنية لتصل إلى النتيجة العلمية السديدة التى يدعوا إليها القرآن ، وهذا ما حدانا إلى هذه الدراسة الموضوعية القرآنية ، فالقرآن الكريم يخاطب المسلمين والمؤمنين وغيرهم من الناس كافة ، وفي خطابه للمؤمنين نجد خطاباً لعامة المؤمنين وخطاباً لخاصتهم وهم الذين بلغوا مقام الإحسان ووصلوا إلى درجة الإيقان ، ويبين لكل مترلة خصائصها والأعمال والأوصاف الكريمة التى يطالبهم الله ﷻ بها ويوضح بعد ذلك أصناف النعيم وألوان التكريم التى أعدها الله ﷻ لهم.

وقد اختصصنا كتابنا هذا سواء الجزء الأول منه الذي سبق اصداره ويبدأ من سورة الفاتحة إلى آخر سورة التوبة ، أو هذا الجزء الثاني ويبدأ من سورة يونس إلى آخر سورة المؤمنون وكذا الأجزاء التالية له بتفسير الآيات الخاصة بالمقربين حيث أهم لعلو شأنهم ورفعة منازلهم عند الله ﷻ اختصهم الله تعالى بخطاب خاص في ثنايا كتابه بين فيه فضلهم ووضح فيه أخلاقهم وبين لهم الأعمال التى توصلهم إلى ذلك الفضل ، وبشرهم بما أعده لهم من منازل الأنس وأصناف التكريم في الدار الآخرة وألوان النعيم في جنة الخلد وما تقر به أعينهم من المؤانسات الإلهية والملاطفات القدسية والعطايا الصمدانية.

وكان سر اهتمامنا بتلكم الآيات شحذا لهمم الأفراد المطلوبين وتقوية لعزائم الصادقين وتبشيراً لأرواح الناهضين من السالكين.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا منهم ومعهم في الدنيا ويوم الدين وأن يدخلنا في قوله ﷻ : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ (الواقعة) ، وأن ينظمنا في معية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إنه ولي ذلك وهو على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مساء الجمعة **20** من جماد الأولى **438** هـ

الموافق **17** من فبراير **2017** م



البريد : الجميزة ــ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية

موقع الإنترنت **WWW.Fawzyabuzeid.com**

البريد الإليكتروني **fawzy@Fawzyabuzeid.com**

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ ﴾ (يونس)

1 أهل التح 1

dddddddddddddddd

رسائل الله للمؤمنين

الله ﷻ أرسل رسائل لمؤمنين في كتابه المبين، وجملتها إثنان وثمانون رسال .

وكل رسالة من هذه الرسائل نحن مُطالبون أن نقرأها ونتدبرها ونفهمها ثم نعمل بها، لننال بها رضا الله ﷻ ، ولا عُذر لنا ولو في ترك رسالة واحدة، لأن الله قال لنا: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (43 النحل) .

وهذه الرسائل خاصَّةٌ بنا، فهي خطابٌ من الحبيب للأحباب، ومن القريب لمن قرَّبهم وفتح لهم الباب، ومن الله ﷻ لمن كتب الله لهم في قلوبهم الإيمان، ورفع عنهم الغطاء والحُجب وجعلهم في الأولى والا خرة إن شاء الله من أهل ا شاهدة والعيان، قال لهم جميعاً: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ .... وهناك خطابات أُخرى مثلها حكى الله فيها عن أحوال المؤمنين، فالخطابات التي تبدأ بـــ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فيها أوامر وفيها نواهي، ننتبه لها ونُنفذ الا وامر ، وننتهي عن النواهي.

---

1 الأقصر – أرمنت – الرزيقات قبلي 29 من جمادي الآخر 1437 هـــ 7/4/2016 م

الخطابات التي يتحدث فيها الله عن المؤمنين كالخطاب الذي معنا اليوم، يُشوّقنا الله إلى أحوالهم، ويُعرفنا منازلهم ، فعندما يحكي الله عن المؤمنين يبين منازلهم ودرجاتهم وهيئاتهم وسرُورهم ونورهم لنشتاق إلى هذه الأحوال.

والآيتان اللتان نحن بصددهما الآن يحتاج تفسيرهما كما ينبغي منا إلى سنين طوال، لكن سنأخذ منها كلاماً يسيراً قصيراً مُشيراً إلى هذه العبارات القرآنيات.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ :

ودائماً نلاحظ في القرآن عندما نقرأه ونتدبره أن الله ﷻ إذا حكى مناصب عالية ودرجاتٌ راقية ، وجنات المأوى وجنات النعيم ، ومقامات الإكرام والتكريم للمؤمنين دائماً يجعل فيها العمل قرين الإيمان.

من ولم يُقرن الإيمان بعمل، سيكون له إكرام، وله عند الله ﷻ مقام، لكن لم يصل إلى المقام الذي وصل إليه المصطفون الكرام؛ الذين آمنوا وعملوا الصالحات رغبةً في رضاء رفيع الدرجات ﷻ ، لا يستوي هذا مع هذا.

عمل الصالحات

وكلمة ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ معناه :

أنهم تعلموا أولاً الصالحات من كتاب الله ومن سنة رسول الله، وتيقنوا من البيان العملي لأداء هذه الصالحات على سنة حبيب الله ومصطفاه ؛ ليكون العمل مقبولاً لأن هذا هو ميزان الأعمال.

وزيادة في التأكيد اجتمعوا على رجال قوَّاهم الله بنور ، وأعانهم الله بمدده، عملوا في الدنيا متشبهين بالحبيب، ليكون عملهم طيب ومصيب.

بيان القرآن بيانٌ نظري، وأنا أريد أن أرى التطبيق العملي في حال حضرة النبي ، وأريد أن أرى التطبيق العملي في حياتي، فيكون في حال رجلٍ وليٍّ يمشي على قدم النبي، حتى أعرف التطبيق العملي الصحيح لكتاب الله ولسنة حبيب الله ومصطفاه ﷺ .

من يمشي على هذه الأطوار هل يحتار؟ لا، ولمن تأتي الحيرة؟ للذي بعُد عن هذا المنهج الصحيح، فيقرأ في كتاب الله ولم يتضلَّع في كيفية تنفيذ هذه الأوامر والنواهي على سيدنا رسول الله، فيقول: هل أفعل هذا؟! أم أفعل ذاك ! فيحتار ، ولكن لو ذهب إلى الأولياء العاملين ، والأولياء المقربين فسيجد الهداية الصحيحة المُقربة إلى سبيل الله .

ولذلك يقول لنا الله : ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ (15لقمان) :

أنظر إلى سبيل هؤلاء القوم الذي أنابوا إليَّ وامشي خلفهم، لأنهم عرفوا الطريق، ووصلوا واتصلو ، لأختصر على نفسي الأمد ، بدلاً من أن أتوه في الكتب والمطولات والمختصرات ، وحتى ستتبدد ولن أصل في النهاية إلى ما أبغيه ، فأختصر الطريق على الفور، خذ الرفيق قبل الطريق، والرفيق رجلٌ من أهل التحقيق ، مشى على هدي النبي الشفيق حتى كشف الله ﷻ له الطريق ، فاستبان سبيل أهل التحقيق ، ووضع قدمه على قدم الصديق فهداه الله ﷻ إلى طريق المقرَّبين والمُكمين الذين ذكرهم في كتابه ، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

هداية الإيمان

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ﴾ لم يقل: يهديهم ربهم بعملهم، لكن بماذا يهديهم؟ بالإيمان، والإيمان أغلى نعمة أعطاها لنا الله جل في علاه، ومن فضل الله ﷻ علينا أنه أعطاها لنا قبل إيجاد الأكوان، وقبل إيجاد الأفلاك، وقبل سجود الأملاك لأبينا آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام ... هذا الإيمان أعطاه لنا الله قبل القبل هدية منه، حتى أن الله ﷻ لم يترك وضع الإيمان في قلوبنا لأحدٍ سواه، ولو كان من أكرم الملائكة عند الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ (22 المجادلة) هو الذي كتب، وأين كتب؟ في القلوب في أعزّ موضعٍ يحفظ الله ﷻ فيه كنوز أسراره وبره وخيره من جميع الشر والأشرار، وهو خزينة القلب والفؤاد، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ } [2]

2 جامع الترمذي ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ (40 النور) فهذا النور هداية من الله ﷻ لنا من

قبل القبل، هذا النور الذي ستودعه الله ﷻ في قلوبنا هو الذي به نستضيء في حياتنا الدنيا، وهو الذي يهدينا إلى القرآن، وهو الذي يجذبنا إلى حب النبي العدنان، وهو الذي يشُدنا في كل وقتٍ وحينٍ لى الحرص على طاعة الرحمن، وهو الذي يُنفِّرنا ويُكرِّهنا في المعاصي التي تباعدنا عن حضرة الرحمن، وهو الذي يُقرِّب بيننا وبين المؤمنين، ويجعل بيننا مودة ومحبة على الدوام، وهو الذي يُنفِّرنا من العصاة والمنافقين والمذنبين ويجعلنا نفرُّ منهم في كل وقتٍ وحين .. كل هذا بالنور الذي وضعه الله في صدورنا وهو نور الإيمان، والذي علينا في الدنيا الآن أننا لا نستر هذا النور ونقوِّيه، فلو سترناه سيضِّلُ سعينا في الحياة الدنيا، وكيف نستره؟ قال ﷺ :

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿ كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ }[3]

فنحن نحتاج أولاً أن لا نستر هذا النور، فنبتعد عن المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن، ونُقوِّي هذا النور، بتقوى الله، والإقبال الدائم على طاعة الله، والمواصلة في تنفيذ سنة حبيب الله ومصطفاه ﷺ .

3 سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

فإذا تقينا الله ، ومشينا على هدي رسول الله بعد أن نبتعد عن المعاصي ، فسيُعطينا الله في قلوبنا كشَّافاً نورانياً نستنير به ، ونمشي على ضوئه في حياتنا، وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه حال المؤمنين أجمعين، فلا يستطيع حدٌ خداعه، ولا يضحك عليه، لأنه معه كشَّاف بداخله : ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ (29الأنفال) .

وفرقان يعني نور تُفرِّق به بين الحق والباطل، وبين الطيب والخبيث ، وبين السيئ والأسوأ، فلا تضحك عليك نفسك ، ولا الشيطان أن يُوسوس لك، ولا حتى شياطين الإنس يستطيعون أن يلمُّوا بك ويُبعدوك عن طريق الله ﷻ . مع قول بعض الصالحين : (شيطان الإنس أشدُ على الإنسان من ثمانين شيطاناً من شياطين الجن) .

فشيطان الإنس صاحبي الذي أُجالسه وأمشي معه ، أما شيطان الجن فعندما تقول: أعوذ بالله، يهرب على الفور، لكن شيطان الإنس يظل يُلِّح، وكما قيل: الدِّيُّ على الودان يقلب الكيان.

فيظل ورائي يُزين لي ويوسوس لي ويُقرِّب لي المعصية، ولذلك عندما تكلم الله عنهم في القرآن قال : ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا ﴾ (112الأنعام) من الذي ورد أولاً؟

الإنس لأنه الأخطر، لكن شيطان الجن يحاول الوسوسة، فعندما تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يهرب ويفر وينتهي الأمر.

لكن صاحبك جالس معك، ويدور حولك، فإن لم يستطع اليوم يبيت لك لليوم التالي، فإن لم يستطع في اليوم التالي يبيت لك آخر النهار ويُفكِّر ويُقدِّر ويُدبر، ويصنع الحيل ليُوقعك في شرك المعاصي، فيكون شيطان الإنس أشد وأخطر من شيطان الجن.

وكيف يتخلَّص المؤمن من هذه الفتن؟ لا بد أن يستخدم نور الله الذي كتبه ووضعه في قلبه، ويمشي به في الناس، ويدخل في الرجال الذين قال فيهم رب العزة: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (122الأنعام) ليس في الآخرة ولكن في الدنيا، وهذا الذي قال لنا فيه حضرة النبي:

{ احْذَرُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، وَيَنْطِقُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ } [4]

فيجب على كل واحدٍ منا أن لا يخرج من مركز التدريب الرباني إلا إذا كان معه هذا السلاح، يعرف كيف يستخدمه، فإذا لم يعرف بعدُ إمساك هذا السلاح واستخدامه فلا يترك مركز التدريب. ولا يجعل نفسه شاويش أو عرِّيف ويريد أن يُعلم غيره، كيف تعلم غيرك؟! أفلا تتعلم أولاً كيف تمسك بالسلاح!!.

4 جامع البيان للطبري عن ثوبان رضي الله عنه

فلابد أولاً أن يكون معه النور الكاشف ، وهو نور الله ﷻ ؛ نور الإيمان، ولكن يُعرض عليَّ الأمر فلا أعرف إن كان هذا الصحيح أم ذاك، وأحتار في هذا وذاك، فأكون لا زلت في حيرة لا بد لي أن أدخل مركز التدريب الرباني، حتى أتمرَّن على استخدام النور الإ ي الذي وضعه الله ﷻ في صدري.

إذاً يهديهم ربهم بإيمانهم في الدنيا أولاً إلى الطريق القوي ، وإلى المنهج المستقيم ، وإلى الرأي السديد ، وإلى العمل الرشيد. وإلى الأمر الذي فيه النجاح كيد، فيهديهم ربهم ببركة الإيمان، فعندما يمشي في أي أمرٍ لا بد وأن ينجح، ولا بد أن يُفلِح ولا بد أن يصلُح، لماذا؟ لأنه ماشي بنور الإيمان.

لكن نحن بماذا نمشي ؟

أحياناً نمشي بالنفس، وأحياناً نمشي بالهوى، وأحياناً نمشي بوساوس الشيطان، وأحياناً نمشي وراء الرغبات الدنية الدنيوية، ونضع عليها كسوة دينية !!!

لأن الناس كلهم يعرفون أن من يُرد أن يضحك على الناس ماذا يفعل؟ المصلحة الدنيوية يضع عليها كسوة دينية. لأن الناس مساكين ينخدعون له ويمشون وراءه لأن هذا الرجل ماشي بشعار ديني، ولكن وراءه أمرٌ دنيوي والعياذ بالله ﷻ .

فالمؤمن يهديه ربه بإيمانه في الحياة الدنيا من البداية، يهديه ربه بإيمانه إلى طريق رضوانه، فيختصر عليه الطريق.

وهناك أُناس ليسلك طريق الله تجد يسير فترة مع هذا الشيخ، فترة مع هذه الطريقة، فترة في هذه الساحة، فماذا بقي من العمر حتى تضيِّع عمرك شاهد ! متى ستشتري تسافر !.

هناك أُناس يكرمهم الله من أول قدم يدُلُّه على أهل الصدق والتصديق بدون تعب ولا نَصَب ولا عناء ولا بلاء ولا ابتلاء، وهذا دليلٌ عناية الله ﷻ ، فيهديهم ربهم لصدق الإيمان إلى أقرب طريق يوصلهم إلى مراقي حضرة الرحمن ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الذي يريد هذه الطريق يقول له الله : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ إذا اتقيت الله: ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (119التوبة) حتى لا تتعب ولا تحتار .

ما دام هناك تقوى الله هناك نور الله، يدُلك فوراً على الصادقين ، ويُبعدك عن الدجالين والنصابين والمخادعين وقُطَّاع الطريق على عباد الله ، وما أكثرهم في هذا الزمان وفي كل عصرٍ وأوان، لا يريدون الدنيا بالدين ، والذين يقول فيهم حضرة النبي:

{ مَنْ طَلَبَ عَمَلَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ فَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ } [5]

وفي رواية أخرى:

5 مسند الشهاب عن أبي بن كعب رضي الله عنه

{ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ ، طُمِسَ وَجْهُهُ ، وَمُحِقَ ذِكْرُهُ ، وَأُثْبِتَ اسْمُهُ فِي النَّارِ } [6]

فيهديه الله إلى الطريق الأقوم والأسد : ﴿ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٨ الحجرات)

يهديه الله ﷻ بإيمانه إلى العمل الخاص الذي يصير به من الخواص، لأن شُعب الإيمان كثيرة، ولا يوجد أحدٌ منا يستطيع القيام بشُعب الإيمان كله ، ونحن نريد عملاً يسير : كالرجل الذي ذهب إلى حضرة النبي وقال له:

{ يا رسول الله إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَنْبِئْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ ، فَقَالَ : لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ } [7]

فيهديني الله للعمل الأمثل لي، والرافع في الدرجات عند الله لي، والذي يوصلني إلى رضوان الله ﷻ الأكبر بخيرٍ وسلامٍ وتمامٍ إن شاء الله رب العالمين، كل هذا بسِّر الإيمان: ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾ .

و عندما يخرج من الدنيا يهديه الله ﷻ إلى الثبات على كلمة الإسلام: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (27 ابراهيم) .

---

6 معجم الطبراني عن الجارود بن العلاء رضي الله عنه
7 جامع الترمذي والحاكم عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه

وما أول الآخرة؟

لحظة خروج الروح !

ا التثبيت من الله، كم من صاحب عقلٍ قويمٍ احتار وتاه عند وت ، ولم س طع أن ينطق سم الله العظي ! ، وقد قال ﷺ :

{ مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ } [8] وقال :

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا } [9]

من منا معه هذه الضمانة؟

لا أحد ، إلا الذين اختارهم الله !!

وأنا واثق و لحمد لله أننا كلنا جميعاً منهم إن شاء الله .... ، فأبشروا بهذا الفضل جميعاً إن شاء الله .

عندما يدخل ؤمن عالم البرز . بمجرد أن نضع جسده في التراب، وإذا برجلٍ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ :

---

8 صحيح مسلم ومسند أحمد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه
9 صحيح البخاري ومسند أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه

{ أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ وَجْهٌ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ } [10]

من المؤنس الذي يؤنسك في القبر ؟

هو ذاك: يهديهم ربهم بإيمانهم في القبور بالأنيس والونيس .

يأتي يوم النشور : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ (51 يس)

يقوم الناس بعد نفخة البعث والقيامة، وهم على صنفين: صنف يركب عمله ، وصنف يركبه عمله .

الصنف الأول: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ (85 مريم) ووفداً يعني ركوباً بمعناها اللغوي، وأنت على حسب عملك تكون ركوبتك، قد تكون نفاثة ، وقد تكون سفينة أسرع من سفينة الفضاء، قد تكون ركوبة دنية دنيوية ، على حسب عملك تكون ركوبتك.

الصنف الثاني: ﴿ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (31 الأنعام) فيحمل عمله على ظهره ، وهذا العمل كله أثقال وأوزار والعياذ بالله ﷻ .

إذاً الذي يهدي الإنسان في الدنيا ويوم القيامة إلى الخير وإلى البر وإلى الهُدى والرشاد كله العمل الصالح.

10 مسند أحمد والحاكم عن البراء بن عازب رضي الله عنه

جريان الأنهار

﴿ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ :

فمنهم من تجري تحته الأنهار في الدنيا، أنهار العلم الإلهي ، وأنهار الحكمة المقدسة القرآنية، وأنهار المواهب الإلهية العلية، فهذه أنهار من العلم والبيان والحكمة يجريها الله ﷻ على يديه إلى من حوله من المحبين والمشتاقين والطالبين لرضوان ب العالمين ﷻ .

وفي نفس الوقت أيضاً تجري الأنهار من تحته في جنات النعيم في الآخرة، والأنهار التي في الآخرة التي وردت في القرآن أو في السُ ة هي مُثُلٌ لتقريب الحقيقة وليست هي الحقيقة، فحقيقة النعيم الذي في الآخرة كما قال حضرة النبي:

{ فِيهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ } [11]

ولذلك عندما تكَ م الله ﷻ عن الجنة لم يقل الجنة ولكن قال: ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ هو مثلٌ فقط لتقريب الحقيقة: ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٍ وَأَنۡهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٌ مِّنۡ خَمۡرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٌ مِّنۡ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ (5. محمد)

11 صحيح مسلم ومسند أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه

فإذا إنتبهت لهذه الآية تجدنا - السين الآن في الجنة، لأننا من أهل العناية، وهي كذلك، فالجنة التي قال حضرة النبي فيها:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ الْعِلْمِ }[12]، وفي رواية: **{ مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحِلَقُ الْقُرْآنِ }**[13]

ونحن استمعنا للقرآن، ونحن الآن في مجلس العلم والذكر، وهذه هي الجنة: ﴿ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ (15 محمد) هي العلوم الشرعية التي لا بد منها لكل إنسانٍ لكي يمشي على هدي الله ﷻ وهدي حبيبه ومصطفاه ﷺ.

﴿ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ ﴾ (15 محمد) وهي علوم الحقيقة التي ترقّق القلوب، وترطب النفوس، وتخلع عنها كل عناءٍ ووبا، وتُقرِّبها إلى حضرة المليك القدوس، وهذه هي الأساس في خلع الوسواس الخناس، والقرب من رب الناس ﷻ.

فعلوم الشريعة للأعمال الظاهرة، وعلوم الحقيقة للقلوب الباطنة. والقرب إلى الله ﷻ بأعمال القلوب إذا وافقت أعمال الأجسام.

12 المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
13 الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس رضي الله عنه

لكن إذا كانت أعمال الأجسام لا يوافقها عمل، فإن حال هذا العمل يُرد .

لكن عمل القلب إذا كان وافق عمل الأجسام فهو العمل المقرِّب إلى حضرة القريب ﷻ ، يعني الجسم يؤدي الركوع والسجود والوقوف والألفاظ في التلاوة والذكر، والقلب فيه الخشوع والحضور والإخلاص والصدق واليقين عند أدائه هذه العبادة لرب العالمين، وفيه قبل ذلك النية، والأعمال بالنيات ، والنية محلها القلب .

العلوم الإلهية

﴿وَأَنْهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ (15 محمد) هي العلوم الإلهية الذاتية التي تمد كل حقائق الإنسان إلى حضرة الرحمن، تجذبه إلى حضرة الرحمن ﷻ ، وليس الجذب الذي نتكلم عنه في ظاهر الناس الذي يجعل الإنسان يغيب عن الدنيا وما فيها ، ولكن جعله يغيب عن الدنيا وهو فيها، فيغيب عن الدنيا يعني يراها بعينية ولكنها لا تصل إلى قلبه وفؤاده، فالقلب والفؤاد لله ، والدنيا مشاغلها كلها في يديه وما حوله ، ولا ينشغل بها عن مولاه ﷻ طرفة عين.

وهي علوم موجودة في رحاب الصالحين، ويسمونها علوم التجليات ، وعلوم المكاشفات ، وعلوم المطالعات ، وهي علومٌ لها أهله ، ولها وارداة ، وكلها تأتي في رياض الصالحين والمتقين.

علم ليقين

﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (15محمد) ي علوم أهل اليقين ....

من؟ الذين تمكنوا في طريق الله ﷻ ، إما علم اليقين ، وإما عين اليقين ، وإما حق اليقين، وكلها علوم يقول الله فيها ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ (5التكاثر) فعلم اليقين هذا علم، ومن يعلمه ماذا يرى؟ ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ (التكاثر) .

ولذلك ورد في الأثر : (لا تجعلوا آخر زادكم ماء) يعني لا تقف عند الشريعة وتقول هي فقط، فبذلك لن يكون هناك رُقيّ ولا نهوض لا جِدّ ولا اجتهاد ولا قرب ولا اقتراب من حضرة الودود ﷻ .

فهذه أمثلة جعلها الله ﷻ للجنة، والجنة إن كانت في الدنيا أو في الآخرة فهي لأهلها، فأهل الجنة في الدنيا هم كما سمعنا عن أهل الجنة في الآخرة.

فأهل الجنة في الآخرة الواحد منهم لا يخطر شيء على قلبه إلا وتأتيه به الملائكة في الحال بدون طلب، لأن كل ما في الجنة غير الجمادات التي حولنا الآن، فلها عقلٌ تعقل به ، وفهمٌ تفهم به ، ونورٌ تكشف به عن أفئدة الساكنين فيها، فبمجرد أن يخطر على بال أحدهم شيء يجد هذا الشيء بجواره على الفور.

جنة المعرفة

والجنة العالية، وهي جنة المعر ة، والتي يقول فيها ؛ ض العارفين: (إن لله جنة عاجلة من دخلها لا يحتاج إلى جنة آجلة، قيل: ، ما هي؟ قال: المعرفة بالله تعالى) .

وهؤلاء يقول الله فيهم: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (34 الزمر :

ما يريدونه يأتي به لهم الا ، وهم في هذا الوقت لا يريدون الدنيا ولا أهلها، ول زينتها ولا زخرفها، فلا يرجون من الله إلا الله، ولا يطلبون منه غير رضاه، ولا يطلبون من الحبيب المصطفى ﷺ إلا مشاهدة وجهه ، واكتحال العين بالنظر إلى جميل محيَّاه ..!!

ليس عندهم شيء غير هذا، فعندما يطلبون شيئ لهم في هذا السبيل فعلى الفور يكون لهم ما يشاءون عند ربهم.

الدعاء المستجاب

وع منا الله ﷻ سبيل أهل لجنة، إن كان في لدنيا أو في الآخر :

عندما يريدون شيئاً في الجنة أو يطلبون شيئاً في الدنيا، فماذا يفعلون؟

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ :

عندما يحتاج الواحد منهم إلى شيء فلا بد أن يبدأ أ لاً بالثناء والتتريه والحمد لله ﷻ ، فأي دعاءٍ ري د أن يتحقق فلا بد أن بدأ بذلك !!

ولذلك حضرة النبي ﷺ ع منا ذلك، فأدعية القنوت الوار ة عن النبي ﷺ كلها تبدأ بالثناء على الل : والشكر لل ، والحمد لله، وبعد ذلك ذكر الدعا .

فهم في الدنيا أو في الآخرة بمجرد أن يُثني على الله يُحقق الله ﷻ له مناه، لأنه أثنى على الله، وقدَّم الشكر لله جل وعلا على ما أولاه.

تحية المؤمن

﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ أيضاً التحية هنا وهناك، فإذا كانت هنا ، تتنزَّل الملائكة:

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (0 فصلت)

وفي الليلة المقدّر له فيها الفتح من الله، والقرب من الله، وتحقيق مناه: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ (4 الأحزاب .

فالتحية في الدنيا تكون إما من الملائكة ، وإما من الله ، وإما من سيدنا رسول الله ﷺ الذي أمره الله ﷻ أن يُبشِّر المؤمنين أبد الآبدين.

أيضاً عندما يدخلون الجنة: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد) أيضاً ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ (4 الأحزاب) والسلام هنا من السلام غير السلام من الملائكة غير السلام من رسول الله ﷺ .

– فالسلام من الملائكة يعني :

البُشرى الطيبة .

- والسلام من رسـ ل الله يعنِ :

السكينة والطمأنينة: ﴿ وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ ﴾ (103التوبة) .

- والسلام من الله ﷻ يعنِ :

التجليات الإلهي ، والعطاءات الرباني ، والملاطفات القدسي ، التي لا تستطيع حتى الأرواح بكامل قربها أن تصفها لمن دونهُ ، وإنما يقول شأن أصحابها:

فكان ماكان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

﴿ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ :

دائماً المؤمن ناظر لعطاءات الله في كل وقتٍ وحينٍ :

فكلما رأى عطاءاً يحمد الله ﷻ على ما أعطاه، ويحمد الله ﷻ على ما أرضاه، ويحمد الله ﷻ على ما حقق به مناه.

تعقيب

رجال الله

رجال الله ذكرهم الله ﷻ في القرآن في مواضع عدة، وأجلى بيانهم، ولكننا نحتاج أجمعين إلى من تحققوا بأحوالهم لنحذوا حذوهم ونكون مثالاً لهم.

وخاصَّةً ونحن في هذا العصر الذي سرت فيه الظلمات والأدعياء والمدَّعين، فكثيرٌ من الناس يدَّعي الولاية، ويدَّعي أنه بلغ رُتبة الرشاد والإرشاد والبعض منهم يجعل له ساحة ويدعو الناس إليها ويدَّعي أنه سيوصلهم إلى الله ﷻ .

الوارث المحمدي

فنحن إلى من نذهب؟ ولمن نسلم روحنا؟

وهل نحتار وبين أيدينا كتاب رب العالمين؟

كتاب الله جلَّى لنا الأمر ووضحه بأجلى بيان، فالرجل الذي سنسلِّم روحنا إليه لا بد وأن يكون وارثاً لسيدنا رسول الله ﷺ .

وما الميراث الذي سيرثه من رسول الله، والذي نحتاجه لنمشي معه ويُكرمنا الله ﷻ كما أكرمه من عطاءات سيدنا رسول الله ﷺ ؟ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (107الأنبياء) رحمة لكل كائنات الله العُلوية والسُفلية ، عبَّر عنها ﷺ فقال:

{ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ } [14]

يا هناه من يأخذ نصيبه من رحمة حبيب الله ومصطفاه ﷺ ، سيدنا رسول الله ترك أقوالا ، وترك أعمالا ، وترك أحوالا ، فَمَن الوارث الذي نمشي وراءه؟ وارث الرحمة، لأن الله ﷻ عندما أمر كليمه ونبيه ورسوله موسى أن يطلب العبد الذي يقربه قرب القرابة من مولاه، ويجعله يتحقق ويكون من أهل التحقيق، بعد أن كمُل في مقام التشريع، ما أوصاف هذا العبد؟

14 الحاكم في المستدرك والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال: ﴿ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ وبعد الرحمة: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾

(65 الكهف) فلا بد أن يكون عبداً، وأخذ نصيباً من الرحمة، فهذه صفات الولي المرشد .... وعبد يعني جاهد نفسه، ومنعها من كل ما حرَّمه الله، ونهاها عن كل ما نهى عنه حضرة الله، وجمَّلها بأضداد الصفات التي يحبها الله جل في علاه، وهذا جهاد النفس: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

(69 العنكبوت) .

حول نفسه من البخل إلى الكرم، ومن الغضب إلى الحِلم، ومن الشدة إلى اللين، ومن الجهالة إلى العلم، ومن الكذب إلى الصدق، وهكذا.

جمال العبودية

فالجهاد أولاً، وبعد أن يجاهد نفسه ويتصف بصفات الحبيب الأعظم ﷺ ، يبدأ بعد ذلك يلبس لمولاه ثياب العبودية: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (4المدثر) يطُهِّر ثيابه القلبية من الأوصاف التي تتنافى مع العبودية لرب البرية، فلا يجوز لصاحب هذا المقام أن يكون متكبراً على الخلق، ولا يجوز أن يكون متعالياً، ولا يجوز أن يكون متغطرساً، ولا يجوز أن يرى نفسه خيرٌ من غيره، بل لا يرى لنفسه حالٌ ولا مقام، ويرى نفسه لا شيء في مواجهة ذي الجلال والإكرام ﷻ ، لأنه عبد لله.

سيدنا أبو اليزيد البسطامي رضي الله عنه يقول: قلتُ: يا رب بم يتقرَّب المتقربون إليك؟

قال: بما ليس فيَّ، قلت: وما الذي ليس فيك؟

قال: الذل والسكنة والخضوع والتواضع.

فهذه صفات العبيد والتي كان عليها النبي الرشيد ﷺ ، وكان يقول:

{ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ } [15] وفي رواية : **{ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدَ }** [16]

15 مسند البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما
16 الطبقات الكبرى لابن سعد وشرح السنة عن عائشة رضي الله عنها

لا صولجان ولا هيلمان، حتى كان الناس يأتون إليه من البادية فلا يعرفون الرسول من بين صحبه، فيسألون عنه: أين الرسول؟ فلما رأى أصحابه رضوان الله تبارك وتعالى عليهم ذلك طلبوا من رسول الله أن يجعلوا له مكاناً مميزا، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَيْ أَصْحَابِهِ، فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ، فَلا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ، فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ، قَالَ: فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ وَكُنَّا نَجْلِسُ بِجَنْبَتَيْهِ } [17]

هو لا يريد أن يتميز عليهم، وهنا مقام العبودية: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ (1 الإسراء) ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ (1 الفرقان) ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ (1 الكهف)

لا بد أن يكون عبداً:

فكن عبداً لنا والعبد يرضى	بما تقضي الموالي من مرادِ

لكن الذي يريد أن يقف له الناس ويعظموه ويبجلوه ويكبروه، ويأتوه بالزاد، ويذهبوا له بالمقتنيات، هذا ما له وما للعبودية؟!! إنه يعيش في الربوبية والعياذ بالله ﷻ .

17 سنن أبي داود عن أبي ذر رضي الله عنه

ميراث الرحمة

لكن العبد وما ملكت يداه لسيده ومولاه، إذا جُمِّل العبد بجمال العبودية وصدق في ذلك نال إرثه من الحضرة المحمدية؛ الرحمة، فكان قلبه يفيض بالرحمة على جميع الخلق .

ولذلك هذه الأوصاف أنتم تلاحظوها، فانظر ماذا يقول الله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (159 آل عمران) وهل يوجد عبدٌ وارث لرسول الله يتعامل بالفظاظة والغلظة والقسوة والنهر والسب والشتم؟!! لا يجوز.

إذا كان هناك بعض المجاذيب حصل له هذا الحال في حال الجذب فلا يكون مُربياً في هذا الوقت، لأن المجذوب في هذا الوقت لا يؤاخذ بما فعل، لأنه ربما يكون مغلوبٌ على أمره، لكن لا يُقتدى به، فلا أعترض عليه ولا أقتدي به.

لكن الذي أتبعه لا بد أن يكون صورة من الرجل القرآني:

﴿ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ (65 الكهف) وهذه الأشياء عطاءات وهبات وتفضلات، لا بالعلم، ولا بالجدِّ، ولا بالإجتهاد، ولا بالعمل، يقول فيها إمامنا أبو العزائم ﷺ :

علم غيبٍ عن شهود	لا بعلمي أو بعملي
بل بفضل الله ربي	وبطه خيرُ رسلي
وأنا عبدٌ ظلومٌ	أعلموني بعد جهلي
كشفوا لي الحجب حتى	أشهدوني نور أصلي

وهذا فضل الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٤ الجمعة) وماذا نفعل؟ نتعرَّض فقط، فنُجهِّز أنفسنا ونتعرض لفضل الله جل في علاه.

توجّه العبد

هذا العبد لا يبغي من الكونين سوى مولاه، لا يبغي من وراء الخلق دنيا ولا رياسة ولا مشيخة ولا أي شيء، وككُمَّل الصالحين السابقين يكتسب رزقه من كدِّه ومن عمله.

ولا يُسخِّر المريدين في عملٍ خاص له أبداً، حتى يُطعم أولاده من حلال زلال وعلى منهاج الصالحين والعبيد الصادقين، رضوان الله ﷻ عليهم أجمعين.

وجمَّله الله بجمال الرحمة والشفقة والعطف والحنان والمودة للخلق أجمعين، ولا ينتظر من أحدٍ من الخلق أسدى له معروفاً، أو صنع له جميلاً حتى كلمة شكر، وإنما يمتثل لقول الله: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ نطعمكم العلم والحقائق والأسرار والأنوار لوجه الله : ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان)، ولا يتزيًا بزيٍّ مثل أهل المظاهر التي يراها المشايخ، كأن يعمل لنفسه ساحة، لأنه يريد أن يكون من المعروفين بين أهل السماء المجهولين بين أهل الأرض، وهؤلاء هم العبيد الحقيقيون.

موسى الكليم والعبد

سيدنا موسى عندما سأل ربه ودلَّه على العبد، هل كان هناك أحد يعرف هذا العبد؟ لا، هل كان أحدٌ يعرف مكانه؟ لا، هل كان أحدٌ يعرف علاماته؟ لا، لأنها صفة العبيد الذين ورثوا النبي ﷺ.

أين يا رب هذا الرجل؟ فأخبره أنه عند مجمع البحرين، وسيدنا موسى كانت بلدته جنوب الجيزة بقا ل، ومجمع البحرين عند مدينة دمياط في آخر نهر النيل عند إلتقاء النيل مع البحر الأبيض المتوسط، وأعطاه العلامة، عندما يشعر بالجوع فسيجد هذا العبد هناك.

أخذ معه تلميذاً واحداً إسمه سيدنا يوشع بن نون عليه السلام، وأتى بسمكة وشواها ووضعها في مقطف وقال له: هذه السمكة تحملها حتى إذا جُعنا نأكل، ثم مشيا وبعد أن مرَّ بدمياط بقليل شعر بالجوع، وشعر أنه مُتعب ومُجهد فقال له: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴾ (62 الكهف) وهذه هي العلامات، أنه شعر بالتعب والجوع، فسأل الغلام: أين السمكة التي معك؟ فقال له: ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴾ (63 الكهف).

قال له ما الذي حدث؟ قال له: عندما كنا عند البحر كان هناك رجل يتوضأ فتناثر منه بعض رذاذ من ماء وضوئه على السمكة فاحتيت ونزلت البحر مرةً واحد، وقد نسيت أن أخبرك بذلك، فقال له موسى: هذا هو الرجل الذي نريده.

وهذا الرجل لا يلمس شيئاً إلا احتيا، لا يلمس قلباً ميتاً إلا وأحياه الله بالغرام في حبيب الله ومصطفاه، وبالإقبال بالكلية على حضرة الله جل في عُلاه.

فرجعا فوجد الرجل نائماً على كوم من الرمل ومُغطَّي، فلا ساحة ولا حُجَّاب ولا عبيد ولا سكرتارية ولا شيء من ذلك، وهؤلاء هم العبيد:

عبيدٌ ولكن الملوك عبيدهم	وعبدهم أضحى له الكون خادما

فذهب وأيقظ الرجل من النوم وقال له: السلام عليكم، فقال الرجل: وعليك السلام يا موسى بن عمران، قال: كيف عرفتني؟ قال: عرَّفني بك الذي أرسلك إليَّ، فقال له: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ (66 الكهف) والرشد هو علم الحقائق وعلم الباطن الذي يريده موسى ليتكمَّل، لأن معه علم الشريعة، فقال له: يا موسى نت على علمٍ علَّمكه الله لا أعلمه أنا، وأنا على علمٍ علَّمنيه الله لا تعلمه أنت.

وأثناء حديثهم نزلت عُصفورة شربت من الماء، والصالحين دائماً يُرسل الله لهم الأمثال التي تعينهم على بلاغ المقال لأنهم يبلغون عن الله ﷻ ، فقال له: وما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العُصفور من هذا البحر، أي أن ما معي وما معك لا يساوي شيئاً بالنسبة لعلم الله.

العلوم الوهبية

قد يقول البعض: وكيف تَعلَّم هذا العبد؟

قال الله: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (65 الكهف) علم الأحكام لصلاح الأجسام، وعلم القلوب هو الذي به صا ح القلوب، لكن علم الأحكام هل هو الذي سيُصلح القلوب لله ﷻ؟ لا، فأنا أحتاج للإثنين معاً، أحتاج إلى علم الأجسام من أهل الأحكام، وعلم القلوب من أهل القلوب، ليصل الإنسان إلى وراثة الحبيب المحبوب ﷺ .

وكيف تتأتى هذه العلوم؟ هي نفحاتٌ إلهية، يفيضها الله ﷻ بجوده و ضله على من بلغوا في مواجهته مقام العجز، فيشعر بأنه عاجز أمام مولاه، سيدنا موسى سأل ربه: أين أجدك؟ قال:

{ أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي } [18]

ابحث عن أهل الإنكسار تجدني عندهم :

لأن هؤلاء هم الذين معهم الأواني التي فيها جمالات المعاني، و· ضرات القرب والتداني، وكنوز الله ﷻ التي غيَّبها عن جميع السماوات والأرض، وكل الكائنات، موجودة في قلوب هؤلاء الأقوام:

---

18 ذكره الغز لي في البداية

قد أكرم الله أهل العجز علَّمهم	أسرار توحيده بالحالِ والقالِ
خلِّ الملام فإن الله مقتدرٌ	يُعطي الولاية للساري وللقال

هؤلاء القوم يصلـ ن إلى حال إسمه حال الفناء ....

فنوا عن الدنيا، وعن الأهواء ...

وعن الشهوات، وعن الحظوظ، وعن الملذات ....

ولم يعد لهم إلا هوى واحد في حضرة الواحد ﷻ !!

وهؤلاء يقول فيهم الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ ﴾ (22ا الأنعام) ماتوا وهم أحياء، ولسيت موتة ، زرائيل، ولكنهم ماتوا الموتة الإختيارية في هذه الدار الدنية، فأحياهم الحياة القرآنية، والحياة الكشفية، والحياة العيانية، والحياة الشهودية فأصبحوا كما قال رب البرية:

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (22ا الأنعا، :

يسعى بنور الله إلى إ شاد الخلق إلى الطريق الصحيح الموصِّل إلى رضوان الله رغبةً فيما عند الله لا رغبةُ في شيء سواه.

والحقيقة هذه الأشياء كلنا نحتاجه :

لأنني أرى كثير من الأحبة كل واحد منهم يجمع عليه ثلاثة أو أربعة من الأحباب، ويريد أن يكون شيخاً عليهم، فيُصدر أوامر وتعليمات و: بيهات وهم يسارعون إلى تنفيذ ما يطلب، وإن كان ما يطلبه لحظِّه وهواه، ويغضب على من لا يقضي له طلب أو لا يسعى لقضاء مصلحة له.

لكن نريد أن نكون على الطريق القويم:

طريق هؤلاء الرجال الذي نمشي على آثارهم وعلى منوالهم، لعل الله ﷻ أن يجعلنا منهم أو معهم .

نريد ش ئاً من إثنين، إما منهم وإما معهم، لنُكرم بهذا الإكرام الإلهي العظيم، الذي خصَّ الله ﷻ به أهل فضله وأهل كرمه أجمعين.

نسأل الله ﷻ أن يوفقنا أجمعين لطريق الصادقين، ومنهج الصالحين، وأن يجعلنا أجمعين من خيار المتبعين لسيد الأولين والآخرين، وأن يرزقنا أرزاقاً حلا لاً مباركة ظاهرة، وأرزاقاً باطنيةً وافرة، وأن يرزقنا علماً بغير تعلم، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾

۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ

! أهل الحسنى والزياد[19]

dddddddddddddddd

بسم الله الرحمن الرحيـ – الحمد لله الذي أنزل لنا في كتاب الله ما قال فيه سيدنا رسول الله ﷺ :

{ كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ } [20]

والقرآن الكريم لم يدع شاردة ولا واردة من حياة الأولير ، ولا ما سيحدث للمعاصرين والآخرين إلا وذكرها في بيانٍ حكيم من العلي العظيم ﷻ .

والآيات التي بين أيدينا الآن هي آيات هذا العصر، فإن النبي ﷺ عند بعثته قال لأصحابه:

{ مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَهَاتَيْنِ } وَفَرَّقَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ [21]

وهو من علامات الساعة، ظهوره دليلٌ على اقتراب الساء ، نحن الآن على مقربةٍ شديدةٍ جداً من الساعة التي حدَّدها الله في كتاب الله أخفاها حتى لا يعلمها إلا من علَّمه الله جل في عُلا .

---

19 المنـ – مغاغ – عزبة أبو اسماعيل - 23 من رجـ 437 هـ 30 4 2016م
20 سنن الدارمي والترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
21 مسند أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه

مثل الدنيا

ضرب الله ﷻ مثلاً لنا لمدنيا في عصرنا، ﻹ ن القرآن نزل لنا كما نزل لمن قبلن ، وبدأه بتأكيد من الحميد المجيد: ﴿ إِنَّمَا ﴾ وإ، حرف تأكيد، أي تأكيد لكلام الله .

وضرب ،ا مثلاً لأن ما لا يستطيع لمرء أن يفقهه في المقال نضرب له لفقهه الأمثال، ضرب الله مثلاً للحياة الدنيا التي نحن فيها الآن فقال: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ لن ولأمم ولكل الخلق مثل: عمري وعمرك ، وحياتي وحياتك وحياة الكل ، مثل ماذا؟

﴿ كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ والماء منه ماءٌ ينزل من السماء وهو ماء الغيث والمطر، وماءٌ جعله الله ﷻ في الأرض ، إن كان في باطن الأرض، أو في ظاهر الأرض كالأنهار وفروعها، ولماذا قال ﴿ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ ؟ لأن الماء النازل من السماء لا يحتاج إلى عمل منا ولا جهدٍ منا، وإنما ينزل من السماء بمحض فضل الله جل في علاه.

لكن الماء الذي في الأرض إن كان في باطن الأرض يحتاج إلى مجهودٍ لاستخراجه، وإن كان في ظاهر الأرض يحتاج إلى مجهودٍ لتخزينه والانتفاع به.

﴿ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ والنبات قسمين: نبات للإنسان كالمأكولات التي نأكلها

مثل البقوليات والقمح والذرة والنباتات الخاصة بالإنسان ، نباتات خاصة بالأنعام ولذلك قال الله

تعالى: ﴿ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ ﴾ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ ﴾ وهذه الآية

لنا فيها ملمحٌ غيبيٌ أشار إليه العارفون الصادقون: إن كلمة الأرض هنا تعني المكان الذي ليس فيه

روح، والأرض التي ليس فيها روح ، ولم يُبعث فيها نبي ، ولم يُبعث فيها رجلٌ صالح ؛ وهي أرض

أوروبا وأمريكا .

لكن أرضنا هي مهبط الأنبياء ، ومهبط الوحي ، وموضع الصالحين والعارفين والمتقين، لكن لم

ظهر في أوروبا أو أمريكا إلا الأدعياء والكذابين ، وليس لنا شأنٌ بهم، لأن النبي من عند الله.

فالأرض كل همُّه ، والدنيا مبلغ علمهم ، الشهوات جُلُ أمرهم، ولا يسمحون بالمسٍ لمقلب

والروح لأنهما متعلقان برب العباد ﷺ ، غيرنا نحن هما نهائياً.

فالأرض أخذت زُخرفها وتزيَّنت كما نراها هناك عندهم بكل أنواع الزخارف والمباهج والزينات الدنيوية، حتى أن أولادنا الذين عندهم طيش عندما يذهبون إلى هناك يُغرر بهم ويعودون إلينا يقولون: العيشة هناك، تعالوا وانظروا للحياة في أوربا إن كان في ألمانيا أو في فرنسا أو في غيرها، لماذا؟

لأن كل أمور الحياة سُخرِّت لهم، والأرزاق الدنيوية كثَّرها الله ﷻ لهم، وقال رسول الله ﷺ في شأنهم:

{ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [22]

يخرج من هنا وليس له شيء عند الله ﷻ ، كل الطيبات يأخذها من الدنيا، فليس له حسنةً واحدةً يطالب بها الله ﷻ ، يقول الله تعالى فيما ورد في الأثر : **{ إذا أحببتُ عبدي أسقمتُ جسمه وضيَّقتُ عليه في معيشته وأُحاسبه على ذلك بمثاقيل الذر حتى لا يبقى عليه سيئةً واحدةً أُطالبه بها ، فإذا بقي عليه شيئ شدَّدت عليه سكرات الموت حتى يخرج من الدنيا وليس عليه سيئةٌ واحدةٌ أُطالبه بها ، وإذا أبغضتُ عبدي وسَّعتُ عليه في معيشته وأصححتُ له جسمه وأحاسبه على ذلك بمثاقيل الذر حتى لا يبقى له حسنةً واحدةً أُطالبه بها ، فإذا بقي له شيء خففت عليه سكرات الموت حتى يخرج من الدنيا وليس له حسنةٌ واحدة يطالبني بها }**

22 صحيح البخاري والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما

ولذلك دخل سيدنا عمر بن ﷺ يوماً على سيدنا رسول الله : { **فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ كَانَ رَاقِدًا تَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوَّةٌ لِيفًا ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَرْضِ إِلا الْحَصِيرُ ، قَالَتْ : وَأَثَّرَ الْحَصِيرُ فِي جَنْبِهِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ ذَرِفَتْ عَيْنَاهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا يُبْكِيكَ يَا عُمَرُ؟ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كِسْرَى وَقَيْصَرُ عَدُوَّا اللَّهِ يَفْتَرِشَانِ الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ وَأَنْتَ نَبِيُّهُ وَصَفِيُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الأَرْضِ إِلا الْحَصِيرُ وَوِسَادَةٌ مَحْشُوَّةٌ لِيفًا ! وَعِنْدَ رَأْسِهِ أُهْبَةٌ فِيهَا رِيحٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : أُولَئِكَ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** } ، وقال ﷺ : { **كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ ، يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ** } [24]

وأين نحن الآن ! وهذا بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وسيدنا رسول الله يريد بهذا الكلام أن يُعرفنا أن الإنسان:

ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها	يُبدِّل الله من حالٍ إلى حال

فأرضهم أخذت زُخرفها وزينتها وانتهى الأمر، وأصبح كل شيء بالريموت كنترول ، ووصلوا في الرُقي الدنيوي إلى درجة لم تُسبق من قبل.

23 الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها
24 مسند أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

على سبيل المثال أنت تريد مصلحةً تذهب للسوق وتشتريها، لكن هم ليس عندهم هذا الشيء، فالثلاجة عندهم مبرمجة تعمل بالنت فإذا نقص منها شيء تُرسل رسالة صاحبها على المحمول وتقول له: أنا أريد كذا وكذا.

أو تتصل بالسوبر ماركت على الفور وتقول له: أنا أريد كذا وكذ، وهذا برسالة، فالسوبر ماركت يُرسل عليها على الفور ما تريد وتصل إليهم في الحال، هناك أمثلة لا حد لها ولا عد لها من الرفاهية التي يعيشونها.

أخذت الأرض زُخرفها هناك، لكن هل أرضنا فيها هذا الكلام ! لا، فالمقصود بهذه الأرض التي هناك.

ظلم أهل الغرب لغيرهم

﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ ﴾ فأصابهم الطغيان والغرور، فماذا يحدث بعد ذلك؟

كما ترون حالياً طغوا وبغوا وتفرغوا لظُلم أهل لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) وليس الآن فقط، بل من فترة كبيرة منذ زمن، فدخلوا بلادن ، واستولوا عليه ، ونهبوا خيراتها وكل ما فيه ؛ وهي التي قامت عليها حضاراتهم الآن.

والآن رأوا أن الله قد أخرج لنا بعض الخيرات المباركات من باطن الأرض، ا الغل عندهم شديا ؛ وهمهم كله أن لا يتفق هؤلاء القوم أو يتحدو ، ا همهم كله الآن القضاء على الأمم الناهضة من المسلمين ، والشعوب المتقدمة من المؤمنين، وهذا الظلم الذي وقعوا فيه، ونتيجة هذا الظُلم فإن الله ﷻ سيُسلِّط بعضهم على بعض، إنتقاماً للمؤمنين المستضعفين وا مسلمين المد لِّمين.

هم يكونون كما هم الآن ، ويظنون أن العالم كله بين أيديهم كما ترون، وهم الذين يسيِّرونه كيف يريدون ، وسياستُهم لابد أن تسير، وأمورهم لابد من تنفيذها، ظهر فيهم الجبروت ، لدرجة أن الواحد منهم إن كان وزير خارجية أو رئيس أو غيره يقول: أنا أريد كذا وكأنه رئيسك، إما ذلك وإما يُعلن عليك الحرب، وأنت لن تقدر على حربه لأن معه أوروبا كلها ، ومعه المال ، ومعه الإقتصاد، فيريدون أن يَمْلُوا علينا ما يريدون.

لكن سيُسلِّطهم الله ﷻ على بعضهم، وهذا على وشك أن يحدث إن شاء الله:

﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ لأن الليل إذا كان في أوربا، فيكون النهار في أمريكا، والنهار في أوربا يكون الليل في أمريكا، ولذلك قال: ﴿ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ فعند هؤلاء في الليل وعند هؤلاء في النهار، والأمر لن يستغرق غير لحظة، فكل الأجهزة الجهنمِّية والأسلحة الشيطانية التي اخترعوها ستكون للقضاء عليهم، يَردُّ سيف الباغي عليه.

انتقام الله

الصواريخ العابرة للقارات ، والقنابل الذرية ، والأسلحة الجرثومية ، والأسلحة التي لا نعرفها ولا نُدركها، كل هذه الأسلحة سيوجهونها على بعضهم، وسيبيدون بعضهم ، ولذلك قال الله فيها؟ ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ ستُدمر أوربا وأمريكا تدميراً كلياً بأمر من يقول للشيء: كن فيكون ، فليس معنا أجهزة ولا معدات ولا تكنولوجيا ولا أسلحة تستطيع أن تواجههم، لكن القوي المتين معه الأجهزة التي ستدمرهم.

وعلى سبيل المثال: سيُسلِّط على أمريكا الزلازل، فما الذي عندهم يقاوم الزلازل ! ليس عندهم أسلحة مع استشعار الزلازل تستطيع مقاومتها أو منعها .

سيُسلِّط عليهم العواصف التي تَهُبُّ عليهم من هذا الخليج ومن هذا الخليج، والعواصف تُغرق كل شيء ... أوروبا عندهم جبال من الثلج في المنطقة الشمالية، فيُسلِّط عليها الشمس فتُذيب هذه الثلوج فتنزل سيولاً، فما الذي يمنع هذه السيول ! ومن الذي يستطيع الوقوف أمام هذه السيول ! هناك ثلوج لا تُعد ولا تُحد، فماذا تفعل هذه السيول؟ .. ستُغرق المدن والبلاد والعباد، لماذا؟ لهذا الظلم الذي ارتكبوه في حق من قال: لا إله الله محمدٌ رسول الله).

فأنت عندما تبحث حالياً في العالم كله، فهل يُوجد أحدٌ يُظلم في الكون كله إلا أهل لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ؟ هل يوجد نصيب من هذا الظلم للبوذيين الذين يعبدون البقر؟ لا ، واليهود يساعدونهم بكل قوة، وعُباد الأوثان يتركوهم، وهمُّهم كله فيمن قال: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ (28غافر) .

هذا الذي يفعلونه الآن، هم الذين يُدمرون في بلاد الإسلام، فهذه سوريا وما يحدث من دمارٍ فيها، وهذه الصومال ، وهذه السودان وتقسيمها، ومن الذي يقف أمامهم؟ مصر ، فهي الثغرة الباقية ، ويعرفون أنها إذا دُمرت فقد دُمِّر العالم الإسلامي كله، ولذلك يستجمعون قواهم كلها على مصر، وأهل مصر كلهم لا يفهمون أن هؤلاء هم أعوان الشياطين، وكلهم مكرٌ ودهاء وكيدٌ وحقدٌ على الإسلام والمسلمين، فلا بد أن ننتبه لأن الله ﷻ وعدنا : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ ... من يراها فكأنها لم يكن فيها بشر من قبل، فترجع مرةً ثانية للعصور الأولى، فترجع أمريكا إلى حالها قبل أن يكتشفها الأوروبيون ، وليس فيها شيء نهائياً .

بعد ذلك ماذا يحدث؟ ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ تفصيل الله لأحداث آخر الزمان التي نتكلم فيها ونحن جالسين مع بعضنا ، وسنذكِّر بعضنا بهذا الكلام الذي قلناه كله إن شاء الله رب العالمين، لأن هذا كلام الله جل في عُلاه.

عموم دعوة الإسلام

وبعد ذلك: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ سيظهر الإسلام ويملأ الوجود كله بعد إنتهاء هؤلاء القوم، وتفنى جميع الملل والنحل ولا يبق إلا الإسلام.

من الذي يدعو؟ الله، وإلى من؟ دار السلام، والسلام هنا يعني السلامة من الآفات، والسلامة من العاهات، إلى الجنة لأن الجنة دار السلامة، فعندما يدخلها الواحد منا يقول: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ ﴾ (34 فاطر).

والجنة هي دار السلام لأن: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد).

والحق ﷻ يحييهم: ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ ﴾ (44 الأحزاب).

فيدعو ربنا إلى الجنة، وكيف يدعو ربنا؟ يُعين الدعاة أهل الإيقان الذين شرأبت قلوبهم بالحب الصادق لحضرة الرحمن، ولم تغرهم الدنيا ولا زُخرفها ولا زهرتها ولا زينتها، لأن الدنيا مملوءة الآن بالدعاة، ولكن من يدعو لتحصيل الأموال، ومن يدعو لحب الظهور، ومن يدعو للرياء والسُمعة، كل هؤلاء لا يصلحوا في طريق الله.

من الذي يدعو في طريق الله؟ الذي مات حظه وهواه، وليس له غاية ولا مرام إلا في إرضاء مولاه جل في عُلاه، فتكون هذه هي الدعوة الحقيقية إلى دار السلام:

﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ما يريده من الباقين، فيهديهم إلى المنهج القويم، والدين القويم، والشرع الحكيم، فكل هذا اسمه الصراط المستقيم.

أيام الملاحم

فهؤلاء سيهتدون إلى هذا الأمر، وهذه الأيام يتكلم عنها سيدنا رسول الله فماذا يقول فيها؟

في أبواب الملاحم، والملاحم يعني الأحداث التي تسبق الساعة:

{ وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ } [25]

يعني الأشياء السامَّة كالثعابين والحيَّات فلن يكون لها سمٌ في هذا الوقت، والسمُّ الذي فيها الآن لإيذاء الكافرين، أو تنبيه الغافلين عن رب العالمين، فالكافرين قد قتلوا بعضهم، والغافلين تنبهوا، فينزع الله من كل ذي حُمِّةٍ حمتها.

فكل الأشياء المؤذية ستنتهي، حتى البرغوث، وحتى حشرات الفراش كلها ستنتهي، ولماذا تؤذيك! هو الآن يُوقظك لتقوم لصلاة الفجر، أو تقوم الليل، لكنك استقمت، لذلك كل هذه الأمور ستنتهي بأمر من الله جلَّ في عُلا، وقد ورد في الحديث:

25 سنن ابن ماجة عن أبي إمامة رضي الله عنه

{ طُوبَىٰ لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ يُؤْذَنُ لِلسَّمَاءِ فِي الْقَطْرِ، وَيُؤْذَنُ لِلأَرْضِ فِي النَّبَاتِ حَتَّى لَوْ بَذَرْتَ حَبَّكَ عَلَى الصَّفَا لَنَبَتَ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الأَسَدِ فَلاَ يَضُرُّهُ، وَيَطَأَ عَلَى الْحَيَّةِ فَلاَ تَضُرُّهُ، وَلاَ تَشَاحَّ وَلاَ تَحَاسُدَ وَلاَ تَبَاغُضَ } [26]

ويؤتى بالصدقات فلا يأخذها أحد، من كثرة المال والخيرات، التي قال فيها ﷺ :

{ وَيَجْتَمِعُ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعُهُمْ } [27]

يعني الجماعة أمثالنا يجتمعون ليأكلوا قطف العنب فلا يستطيعون إنهاءه من الحلاوة التي فيه، والبركة التي فيه والنازلة من عند الله ﷻ .

هم يقولون أنه بعد الحرب الذريّة القادمة فإن الأرض لن تُنبت ولن تُخرج نباتاً ولا زرعاً ولا غيره، نعم، إنها أرضهم هم، لأن أرضنا محروسة بأمر الله: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾ وهناك: ﴿ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ (58الأعراف) لأنها أرض كلها خبث،

---

26 أبو سعد النَّقَّاش في فوائد العراقيين عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، جامع المسانيد والمراسيل
27 سنن ابن ماجة عن أبي إمامة رضي الله عنه

وكلها زا ، وكلها معاصي وفجور ... لكن ا نا أرضٌ يُصلى عليها لله، ويُطعم عليها المسكين، وعليها يُواسى الفقير، وتُقام عليها شعائر الله، وأهلها متمسِّ ، ن بالقيم التي جاء بها سيدنا رسول الله ﷺ ، فيكون:

وفضلاً عن ذلك، فإن الذين يُحسن ن في هذه الأيام، ا يتمسَّ ون بالدين في هذا العصر، فلن يدخلوا في دائرة المنافقي ، ولا المخادعي ، ولا النصابي ، ولا المحتالين للمؤمنين، هؤلاء لهم ما لا نستطيع حصره من المنازل الإلهي ، ويكفيه قول حضرة النبي ﷺ :

{ مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي فَلَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ } [28]

فمن يمنع نفسه الآن عن أكل الحر ، وعن الغش وعن الكذب ، وعن الخداع فيكون له أجر مائة شهي ، وهذا في الدنيا.

28 الزهد الكبير للبيهقي ن ابن عباس رضي الله عنهما

الحسنى والزيادة

وعند رجوعه إلى الله ﷻ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ من يُحسن العمل في هذه الحياة الدنيا ، ويعمل بهدي الله ، وبشرع الله ، وبكتاب الله، وبسنة سيدنا رسول الله ﷺ فله هناك الحُسنى ، يعني الجنة العالية الراقية في جوار الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ولهم زيادة على ذلك، فما هذه الزيادة؟ قال فيها ﷺ :

{ الْحَسَنَةُ الْجَنَّةُ وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ } [29]

كيف يحدث هذا ؟ كما قال ﷺ :

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ : فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ } [30]

فيكشف الله ﷻ لهم، بعد أن يُعطيهم من عنده طاقةً إلهية يرون بها وجه الله ﷻ بلا كيفية، وإنما بأمورٍ إلهية غيبية لا تظهر إلا في الدار الجنانية

---

29 حلية الأولياء لأبي نعيم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه
30 صحيح مسم والترمذي عن صهيب رضي الله عنه

فهؤلاء القوم منهم من يرى الله ﷻ مرةً كل أسبوع كأسا يعنا، ومنهم من يراه قدر كل شهر مرة، ومنهم من يراه قدر كل سنة مرة، ومنهم من لا يُحرم عن رؤيته نفساً بالمرة، قال بعض العارفين: ((إن لله رجالٌ في الجنة لو حُرموا من رؤية الله ﷻ نفساً لفرُّوا من الجنة كما يفرُّ أهل النار من النار)) لأن نعيمهم الأكمل هو النظر إلى وجه الله ﷻ .

وهؤلاء القوم في الموقف العظيم كيف تكون هيئتهم؟

﴿ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ وجوههم نضرة، لا عليها - يعني سواد - ولا غبر ، ولا ذلة ولا صغار ولا مسكنة ، من هؤلاء؟ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

فهنيئاً لمن يتمسَّك بهدي الله وسنة رسول الله في هذا الزمن، فله الفضل العظيم ، وله الكرم الإلهي العميم !!!

وما الصبر إلا لحظة، وبعد اللحظة سنفرح جميعاً بفضل الله وبإكرام الله، ولكن لا نتعجَّل الأمور بل نكبح جماح النفس عن هواها، ونستمسك بشرع الله.

نسأل الله ﷻ أن يُجملّنا بجمال أهل هذا المقام ، وأن يُكرمنا بهذا النعيم، وأن يجعلنا جميعاً من أهل المقام العظيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (يونس)

3 أولياء الله [31]

dddddddddddddddd

أكرم الله ﷻ هذه الأُمَّة، وجعلهم أعيان الموجودات، وأخيار المخلوقات ...

فإذا نظرت إلى المُهتدين من عباد الله قبلاً، تجد الصورة المشرقة النورانية في العوالم العلوية: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (29الفتح) .

والمعية ممتدة إلى يوم الدين، فإن الله ﷻ لم يقل معه في زمانه، ولا في عصره، ولا في أوانه، ربما يمن الله ﷻ على أحدكم فيكشف عن بصيرته النورانية فيرى صورته في هذه الثلة المباركة النورانية، وهذه الحضرة البهية المحمدية، يفرح بفضل الله، ويقول كما قال الله: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ (58يونس) .

فإذا ذُكر الأولياء فحيهل بحزب الله المفلحين، وأنصار الله الصالحين الهداة المهديين الذين هم أمَّة سيدنا محمد ﷺ الغر الميامين، ونحن والحمد لله منهم أجمعين.

---

31 بورسعيد – مسجد الغفران – الخميس 20/3/2015م

مقام المراقبة

وقرَّب الله ﷻ لنا هذه الحقيقة .. وجعل أصل الأصول الذي به صار الفحول في طريق الله فحول، هو الآية الأولى التي قدَّمها على وصفه لأولياء الله :

مراقبة الله في السر والنجوى، في الظاهر والباطن، حتى يصل العبد إلى حال لا يغيب الله ﷻ منه على البال طرفة عين ولا أقل، فإذا تحرك يرى نفسه يتحرك بالله، وإذا سكن يُسلِّم لأمر الله، وإذا توجَّه يعلم أن الذي وجَّهه هو مولاه، وإذا نظر إلى أي كائن نظر إلى غريب صنع الله جل في علاه .... هذا الحال لمن أراد أن يكون من أهل العطاء والنوال، اجعل هذا الحال قصدك ومناك، أن تصل إلى هذا الحال في تعاملك مع مولاك، يُلخِّصه قول الله ﷻ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (4الحديد) فيعلم الإنسان علم اليقين أن الله ﷻ معه ويطلع عليه ويراه في كل أنفاسه .

إذا آنست من نفسك هذا الحال، ورأيت أنك بفضل الله لا تغش نفسك قد أكرمت بهذا المقام فأبشر، واعلم أن الله اصطفاك وحباك ورقاك، ولكل كنوز العناية الإلهية والأنوار الربانية ﷻ سوَّاك، فأصبحت مؤهلاً لكل شأن: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ﴾ أي شأن كان، إن كان في أكل، أو شرب، أو لهو، أو مزاح، أو لعب، أو عمل إلا ومعك في قلبك ما يوافقه من آيات القرآن، لتعمل فيه على هدي النبي العدنان ﷺ .

كان الإمام الجنيد ﷺ يقول في ذلك: ((بقى لي ثلاثون عاماً أخاطب الحق في الخلق والخلق يظنون أني أتحدث معهم)) بينما هو لا يرى إلا وجه مولاه، أو نوره الذي بثَه في خلقه جل في علا ، ولا يحرك أحداً ولا يُسكِّنه في الحقيقة إلا الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ (22يونس) مَن الذي يُسيِّر الكل؟ الله ﷻ .

ولذلك قال بعض القوم للسيدة رابعة العدوية ﷺ : هل لو تبت يتوب الله ﷻ عليَّ؟ قالت لا، بل لو تاب الله ﷻ عليك تبت ، قال: من أين لك هذا؟ قالت: من كلام الله: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ (117التوبة) إذاً التوبة تبدأ من عند الله ﷻ .

يُلهم العبد بمعاني التوبة، ويجعل العبد يشعر بالإثم وفداحة الذنب، فيشعر بالخجل من مولاه، ويندم على ماجنت جوارحه ويداه، فيتوب إلى الله للمعاني الإلهامية التي ألهمه بها الله جل في علاه.

ومن أين الحب؟ ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِى ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (54المائدة) إذاً الحب أولاً من الله، ولذلك كان يقول سيدي مصطفى البكري ﷺ في حزب السَحَر: ((اللهم إنا نسألك بحبك السابق في يحبهم " وحبنا اللاحق في يحبونه)) فحب الله ﷻ هو السابق، لو نظرت إلى عين الحقيقة ترى الله ﷻ هو الفعَّال لما يريد، وتردد قول الشيخ الصالح الجيلي ﷺ :

أنا آلة والله جلَّ الفاعل	أنا قلمٌ والإقتدار أصابع

هذا حال أهل الكمال، الذين يريدون أن يذوقوا لذة الوصال، ويتمتعوا بنعيم الحبيب المصطفى ﷺ والآل، لا بد أن يرتقي باطناً إلى هذا الحال.

﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ لا يستطيع العبد أن يمنع نفسه من الوقوع في الذنب إلا إذا وصل إلى هذا الحال، ولذلك حتى صغار العارفين في بداياتهم كان أهل الصلاح والتُقى يلقنونهم ذلك.

الشيخ سهل التستري ﷺ وكان من أكابر الصالحين، وكان خاله محمد بن سوار من الصالحين، فيحكي أن خاله كان يقوم الليل، فكان يقف بجواره ليُصلِّي قيام الليل، فلما رأى خاله هذا الجهد منه، وعلم أن له مكانة عند الله، وجَّهه إلى هذا الحال مع الصالحين من عباد الله، فقال له: يا بُني قل كل يوم ثلاث مرات ((**الله معي ، الله ناظر إليَّ ، الله شاهد عليَّ**)) قال: فكررها، وبعد أيام قال: يا سهل أحفظت ما قلت لك، قلت: - :((**الله معي ، الله ناظر إليَّ ، الله شاهد عليَّ**)) قال: كررها كل يوم إحدى عشرة مرة، قال: فكررها، وبعد فترة قال: يا بُني لا تغفل عن هذه الكلمات عمرك، واعلم أن من كان الله معه كيف يعصاه؟! ومن كان الله ناظر إليه كيف يخالفه ويتبع هواه؟! ومن كان الله شاهد عليه كيف يراه على معصية قبيحة فيسخط عليه مولاه؟!.

وهذه بداية الصالحين، وهي مقام المراقبة، لو كان الإنسان على عبادة الثقلين، وليله قيام ونهاره صيام ولسانه لا يكل ولا يمل من الذكر وتلاوة القرآن والعبادات اللسانية، ولم يصل إلى هذا المقام في مراقبة رب البرية، إن هذا يُقال له يوم الدين، وهذا ما يُخوّف العارفين: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (23 الفرقان).

أساس العمل مراقبة الله ﷻ ، لأن مراقبة الله تُنتج الخشية، وتُنتج الخوف، وتُنتج الوجل، وقد قال النبي ﷺ مبيناً مقامه عند ربه:

{ أَنَا أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمُكُمْ بِحُدُودِ اللَّهِ } [32]

ليست التقوى في الأعمال، لكن التقوى في الأحوال التي يتجمل بها القلب في مواجهة ذي الجلال والإكرام ﷻ .

ويعلم علم اليقين أنه لا يغيب عن معرفة الله ﷻ شيئاً صغر أو كبر : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ ويعزب أي يغيب، فلا يغيب عنه شيء: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (5 آل عمران) ما الذي سيغيب عن الله ﷻ طرفة عين ولا أقل ؟!! لا يوجد.

---

32 مسند أحمد

إذاً يرى أن الله ﷻ يطلع على خفاياه، ويا لمع على سره ونجواه، ويرى حركات جوارحه وما تفعله يداه، حتى يعلم ﷻ خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، إذا غمز بعينه، إذا همز بجسمه، إذا لمز بلسانه .. يعلم أن الله ﷻ يطلع على كل أحوال ، والله ﷻ هو الذي يتولى جميع شئونه وجميع أمره.

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ لم يقل الله (ذرة) ولكن (مثقال ذرة) أي بعض الذرة: ﴿ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ هذه عدَّة العارفين، وأساس الصالحين لمن أراد أن يكون مع الواصلين، ومع الذين أنعم الله ﷻ عليهم من المتقين، في الدنيا ويوم الدين.

مقام الاصطفاء

إذا وصل إلى هذا المقام يدخل في منشور الولاية الربانية ...

فإن لله ﷻ مناشير تُشرق في اللوح المحفوظ، وتُفَك عنها الطلاسم والرموز، ويقرؤها أهل السماء، ويوضع لها القبول في أهل الأرض من الصالحين و لعارفين وأئمة المتقين والوارثين، ويُنَوِّه الله ﷻ عنهم ويقول:﴿ أَلَآ ﴾ أي:

يا أهل الأرض والسماء تنبهوا وانتبهوا أن هذا الرجل أصبح من أولياء الله ﷻ :

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾.

الأنبياء وكمَّل الوارثين وا عار ، ن من الأولياء اختارهم الله ﷻ من الأزل:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (33 آل عمران) ، ومن رحمته ﷻ بنا جعل قانون الاصطفاء خصوصية لأُمَّة نبيد محمد ﷺ إلى يوم الدين: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي ﴾ لم ينته الاصطفاء، ولكن باستمرار ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ (75 الحج) من هؤلاء؟

الذين وصلوا إلى هذا الحال: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (76 الحج) نفس المقام، يعلمون أن الله ﷻ مطلع عليهم ويراهم، ويراقبون هذا، ويعلمون أنه ﷻ بيده الأمر كله، ففوضوا له كل الأمور.

سر الولاية

هؤلاء الأولياء بم نالوا هذه المترلة؟ وبم وصلوا إلى هذه الدرجة؟ وما المدرسة التي أوصلتهم إلى هذا الحال؟

حضرة النبي ﷺ سهَّل علينا الأمر، فوضحه لنا في بيان يجعلنا لو خررنا ساجدين إلى يوم الدين لما استطعنا أن نوفي شكر الله ﷻ على هذه النعمة طرفة عين ولا أقل، فقال ﷺ في حديثه الصحيح:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ ﷻ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمْ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، نَاسٌ مِنَ النَّاسِ ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمْ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ! انْعَتْهُمْ لَنَا يَعْنِي : صِفْهُمْ لَنَا ، فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِسُؤَالِ الأَعْرَابِيِّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا ، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا وَثِيَابَهُمْ نُورًا ، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يَفْزَعُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ }[33] وفي رواية أخرى قال ﷺ :

[33] مسند أحمد عن أبي مالك الأشعري ﷺ

{ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ، وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: " أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ }[34]

ويغبطهم أي يتمنوا منزلتهم ومكانتهم، فهم قوم من أُمَّة النبي ﷺ، من بلدان مختلفة، المودة بينهم لله، ليس بينهم قرابة دنيوية، ولا شراكة تجارية، ولا بينهم منافع فانية دنيوية، وإنما الحب لله، قال ﷺ :

{ أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ، الْحَبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ }[35]

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ مَن الذي فسَّر الآية لأهل العناية؟ سيدنا رسول الله ﷺ ،

34 سنن أبي داود والبيهقي عن عمر بن الخطاب ﵁
35 مصنف بن أبي شيبة ومسند أبي داود الطيالسي عن البراء بن عازب ﵁

وجعل لها شرط واحد بعد مراقبة الواحد ﷻ وهو أن يكون التعامل لله، الزيارة لله، والإنفاق لله، والتواصل لله، والعمل لله، وأي معروف يقدمه لأي مسلم لا ىرجو منه عطاءاً ولا نوالاً، وإنما يرجو العطاء والنوال من حضرة الله جل في علاه، لا يريد من الخلق جميعاً إلا أن يكون الأمر بينه وبين مولاه: (تَحَابوا بروح الله) هذه هي المودة التي بيَّن سيدنا رسول الله ﷺ أنها سر الولاية.

إذا كانت المودة لدنيا أو لمصالح أو ىافع وليست لله فتكون كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ (25 العنكبوت) إذا كانت المودة للدنيا فهي كعبادة الأوثان.

إذاً هؤلاء القوم أحبوا الله، وأحبوا رسول الله، وأحبوا المؤمنين لله، وأحبوا الخلق جميعاً طلباً لمرضاة الله، ولذلك وصفهم الله ﷻ بأنهم أهل ولاية الله، وكلمة (ولاية) تعني القرب، ولي الله أي قريب من الله، والله ﷻ لا يحده حد، ولا جهة، ولا زمان، ولا مكان، لكن قريب من عنايته، قريب من عطاءاته، قريب من هباته، قريب من منحه، قريب من كل شيء يتفضل به الله ﷻ على عباده المقربين، فالقرب هنا معنى وليس قرب حسي، قرب معنوي تحسه القلوب في حالة الوصل مع حضرة علام الغيوب ﷻ، كما قال الإمام علي رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه في حقيقةا لإيمان: ((لا تراه العينان، ولا تسمعه الأذنان، وإنما تشعر به القلوب)) فاا لموب تشعر بمعنى القرب من الله ﷻ.

خوف المقربين

هؤلاء القوم الذين قربوا من الله ﷻ قرب القرابة: ﴿ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾

لا يخافون من الصد، ولا يخافون من الهجر، ولا يخافون من البعد، ولا يخافون من الحرمان من عطاءات حضرة الرحمن، وهذا هو لخوف الذي يشغل العارفين والصالحين في كل وقت وآن، سيدنا رسول الله ﷺ عندما قرأ سورة هود شاب في شعره حوالي سبع عشرة شعرة، فقيل له: شاب شعرك يا رسول الله، فقال:

{ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا } [36]

فسألوا الصالحين: ما الذي شيَّب رسول الله ﷺ عند قراءته لسورة هود؟ والصالحون لهم وجهات نظر يلهمهم ويعلمهم بها الله ﷻ ، بعض الصالحين قال: عندما قال له الله ﷻ : ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ (112 هود) حدثت رجة لرسول الله ﷺ ، فشاب الشعر، والإمام أبو العزائم ؓ كان له وجهة نظر أخرى،

36 الأحاديث المختارة ومسند البزار عن ابن عباس ؓ

فقال: عندما كان يقرأ سيدنا رسول الله ﷺ في سورة هود سيرة الأنبياء والمرسلين مع أممهم، كان يقرأ: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ (60 هود) ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ (68 هود) ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ (95 هود) فكان عندما يقرأ كلمة البعد يخاف، فتـ تعش أطرافه ويبيض شعره:

خوف بعدي في القرب نار جحيمي	شيَّب الرأس سِرُّه أعياني

أهل القرب في حالة القرب كل ما يُخوفهم أن يبعد عن هذا المقام الكريم، وأن يُصد، وأن يحصل له هجر، وكان الإمام أبو العزائم ﷺ يقول:

أنا لا أخاف وحقه من ناره	كلا ولا أبغي الجنان لطيبها
فالقرب منه جنتي ومحاسني	والبعد عنه ناره ولهيبها

كل ما يخاف منه أن يبعد، وهذا لمن ذاق وطاب له الوصال، وجلس على بساط الدلال، وتناول من كئوس الواحد الأحد المتعال، واختلط بالحبيب ومن معه وألبسوه خلعة الوصال، فيخاف أن يبعد عن هذا المقام طرفة عين، فطمـ ـهم الله ﷻ وقال:

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ويقول في ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ :

لا خوف يعروه إذ مولاه قرَّبه	وليس يحزن مَن في روض جلوات

الذي يترقى في رياض المشاهدات والمعاينات والمكافحات على أي شيء يحزن؟!

هؤلاء الأقوام ما وصلوا إلى هذا المقام إلا بعد أن جعلوا الدنيا خلف ظهورهم، والأهواء كلها تحت أقدامهم (جعلت هواى تحت قدمي فسخَّر الله لي الهواء).

تركوا الدنيا خلف ظهورهم فصارت الدنيا تسعى خلفهم تحاول أن تُقدم لهم ما يحتاجون وما يريدون وهم لا يلتفتون عن وجه الله ﷻ طرفة عين ولا أقل.

كل كلام عن الأولياء في القرآن له مقام غير السابق واللاحق، فهم درجات عند الله، معقد عزمهم، ومبلغ شأنهم مراقبة الله ﷻ على الدوام، ولا بد أن يجاهد المرء نفسه في هذا الأمر على منهج الحبيب، وأصحابه المباركين، حتى يصل لفضل الله، إلى مقام يقول فيه الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ (28النحل .

كيف يكون معهم؟ بنصره، وبتأييده،وبإكرامه وبعطاءاته وهباته، وبصيانته وبوقايته، بكل ما يتمناه المرء من ربه ﷻ ، يجد الله تولاه: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (96. الأعراف ، ووجدنا حضرة ا بي ﷺ لم يترك للآخرين تفسير الآية ففسرها في حديثه الكريم:

{ إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ : هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ ، وَلا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ ، وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ : " أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ }[37] وفي رواية أخرى: { يَتَحَابُّونَ بِرُوحِ اللَّهِ ﷻ يَجْعَلُ اللَّهُ وُجُوهَهُمْ نُورًا ، وَيَجْعَلُ لَهُمْ مَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ قُدَّامَ الرَّحْمَنِ ، يَفْزَعُ النَّاسُ وَلا يَفْزَعُونَ ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَلا يَخَافُونَ }[38]

إذاً من هم الأولياء؟ كما وضَّحهم الحديث، ولنا ملاحظات لطيفة في الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ :

---

37 سنن أبي داود والبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
38 الأسماء والصفات للبيهقي عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه

الملاحظة الأولى:

في قوله ﷺ : { إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ }

كيف يتمنى الأنبياء والشهداء منزلة هؤلاء القوم؟ أذكر في هذا المجال مولانا الشيخ محمد علي سلامة رضوان الله تبارك وتعالى عليه وضَّح لنا وجلَّى لنا هذا السر فقال: الأنبء والمرسلون يوم القيامة في شُغل تام بأممهم، ولذلك يقول سيدنا أنس ﷺ :

{ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: أَنَا فَاعِلٌ فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ، قَالَ: اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلاثَ مَوَاطِنَ } [39]

فالأنبياء والمرسلين سيِّ ونون مشغولين بأممهم، لكن هؤلاء القوم يقومون من قبورهم إلى المنابر التي جهَزها الله ﷻ لهم في مواجهة العرش، لذلك يتمنى الأنبياء منزلتهم بسبب الراحة والهناء الذي هم فيه، لكن الأنبياء مشغولون بعيالهم وأولادهم وأتباعهم إلى أن يطمئنوا عليهم.

---

39 جامع الترمذي ومسند أحمد

الملاحظة الثانية:

نجد كل الناس تتمنى أن تكون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، ويحاول أن يحجز له مكان ليكون تحت ظل العرش، وحضرة النبي ﷺ جعل لنا حوالي تسعة وسبعين خصلة ذكرها في مختلف أحاديثه ﷺ ، كل خصلة لو عملها صاحبها فإنه سيحجز مكاناً له تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله.

كن هؤلاء القوم ليسوا تحت الظل، ولكن قُدام عرش الرحمن في المواجهة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة) هل يستويان؟! المقام الذي يظلل من يوم القيامة وحرارته وظلماته وأهواله تحت ظل العرش هل يستوي مع المقام الذي في المواجهة؟! ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (المطففين) غيرهم يكون عطشاناً، لكن هؤلاء ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾ (المطففين) لأن هؤلاء في مواجهة الله ﷻ ، والله ﷻ بلا كمٍ ولا كيفٍ ولٰكن بأنوار تعالت معنوية، فإياك أن تُحيِّز، فكل ما خطر ببالك فهو هالك، والله تعالى بخلاف ذلك.

الحب في الله

الملاحظة الثالثة:

حضرة النبي ﷺ بيَّن أن أهم شيء عند هؤلاء القوم بعد مراقبة الله هو الحب في الله، والمودة في الله، والتعامل مع الكرام من الأنام في الله ولله :

فلا يتركون المعاملات مع الخلق لكن بشرط أن لا تؤدي إلى قطيعة، ولا تؤدي إلى فراق، لأن الأقوى بيننا الحب لله والمودة لله، ... فلا مانع أن نشتغل في تجارة، لكن يجب توثيق العقود كما قال الله ﷻ في قرآنه الكريم حتى لا نختلف، وإذا اختلفنا فالخلاف لا يفسد للود قضية، ... ولا مانع إن وجدت عند أخي في الله ابنة تصلح أن تكون لإبني زوجة صالحة، أن أطلبها منه، لكن هذا الأمر يحتاج إلى توفيق الله، وتوجيه القلوب بين الطرفين، وهذا بيد الله:

{ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ } [40]

فإذا قال لي أخي في الله أن إبنته استخارت الله ﷻ ولا يوجد نصيب، فيجب أن لا يؤدي هذا الرفض إلى شقاق، ولا يؤدي إلى خصام، ولا يؤدي إلى تباعد، لأن هذا ليس هو أساس المعاملة التي بيننا، فالمعاملة التي بيننا أساسها في الله ولله.

---

40 جامع الترمذي وابن ماجة عن أنس ﷺ

وهذا جانب خطير يؤدي إلى مشاكل لا تُعد ولا تُحد بين صفوف الأحبة في أي زمان ومكان، وهذا دليل على عدم الفقه في دين الله ﷻ ، فنحن معنا " تحابوا بروح الله " وأي شيء آخر بعد ذلك ليس له علاقة بهذا الأمر، ولكن نعملها بشرع الله، حتى تكون أمورنا كلها محفوظة بحفظ الله ﷻ .

أخي يحتاج مني قرض، لا مانع، لكن بشرط أن يتم كتابته، لان الله ﷻ قال:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ ﴾ (282البقرة) هل نقول سمعنا وأطعنا أم سمعنا وعصينا؟! نقول سمعنا وأطعنا، قد يقول أحدهم: هذا مبلغ صغير، لكن الله ﷻ قال: ﴿ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾ (282البقرة) الآجال بيد الله، ولذلك يجب أن نتمم كل أمورنا بالكتابة.

قد يقوم البعض بعمل جمعية ويرتبون من يأخذها الأول والثاني والثالث وهكذا، كذلك لا بد من تسجيل هذه الجم ية في منشور ويوقع عليه الكل ويكون هناك شهود، لأنه قد يقبض هذه الجمعية أحدهم ثم يموت، فما العمل؟! لذلك لا بد من تسجيل كل شيء بيننا لأن هذا هو شرع الله ودين الله جل في علاه.

وهذا الأساس الأول الذي نحن عليه، وهو الحب في الله، حتى نكون مع حبيب الله ومصطفاه ﷺ ، وحتى ندخل في قول الله: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (62يونس) لا نخاف هنا ولا هناك، وأهل هذا المقام يخافون أن يكونوا في الآخرة في مكان والأحبة في مكان آخر، هم في درجة والأحبة في درجة أخرى، لكن الله ﷻ طمأننا على ألسنة أصحاب حضرة النبي ﷺ أهل هذا المقام، قال رجل لرسول الله ﷺ :

{ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ : مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاةٍ وَلا صَوْمٍ وَلا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ }[41]

فلا بد أن نحافظ على جوهر المحبة، وهذا ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله ، قليل الصبر عن فراق ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه، يعرف في وجهه الحزن :

41 البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

{ قَالَ : لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَمَالِي ، وَلَوْلا أَنِّي آتِيكَ فَأَرَاكَ لَخَشِيتُ أَنِّي سَأَمُوتُ ، وَبَكَى الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : مَا أَبْكَاكَ؟ ، قَالَ : ذَكَرْتُ أَنَّكَ سَتَمُوتُ وَنَمُوتُ ، فَتُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ ، وَنَحْنُ إِنْ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ كُنَّا دُونَكَ ، فَلَمْ يُخْبِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ بِشَيْءٍ فنزل قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ (النساء) **فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : أَبْشِرْ}** [42]

يُنزل الحق من أجله ومن أجل أمثاله قرآن يُتلى إلى يوم الدين!! هناك أصحاب الأجر، وأصحاب الإنعام، أصحاب الأجر يعدون لهم الأعمال ويعطوهم حسنات وزيادة من عند الله، لكن أصحاب الإنعام سيأخذون الأوسمة والنياشين، وسيكونون في الدرجات العلا مع المقربين، ومع الانبياء والمرسلين،

---

42 رواه الطبراني في الكبير عن عبدالله بن عباس ﷺ .

ومع الإمام الأعظم للخلق أجمعين سيدنا رسول الله ﷺ : ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النساء) أخذوا هذا المقام بالفضل من صاحب الفضل العظيم: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (105 البقرة) .

إذاً أحرص شيء يجب أن تحرص عليه في حياتك حتى تكون من الذين أنعم الله ﷻ عليهم المحبة في الله ولله، وإياك أن تعكرها بالدنيا، وإياك أن تسمح للهوى أن يديرها أو يغيرها، ولكن كن دائماً حارساً وحريصاً على أن يكون حبك خالصاً لله جل في علاه، وهذا شيء سهل وميسور، ولكن يحتاج من الإنسان أن يكون يقظاً لبدوات النفس، وهفوات ووساوس الشيطان، لأنهم يحاولون أن يكدروا على الإنسان هذا الحب.

ترياق الأغيار

والإنسان إذا أحب الله ورسوله وإخوانه المؤمنين فلا بد أن يُمتحن، فيتعرض للإغراءات، والله ﷻ ذكرها في الآيات: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (24التوبة)

وهذا هو الميزان !

فإياك أن تكون أي و احدة من هذه الأشياء تغلب عندك في باطنك على حب الله ورسوله، لا بد أن يكون حب الله ورسوله هو الأعلى والأرقى والأبهى والأغلى على الدوام، وهذه أحوال الصالحين عندما نطالع سيَرهم، نجدهم على هذه الشاكلة.

الحب لله والرس ل يزيد، فيحرق الأغيار، والقلب مُقلبه لا يريد فيه سواه، وأي شيء يدخل سواه يسبب الحجب لصاحب هذا القلب عن جمالات الله، وكمالات الله، وعن حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

كيف نُخرج من القلب كل شيء من الأغيار؟ لا يحرقه ولا يطرده إلا نار المحبة، إذا أوقدت بدوام صحبة الأ- بة لله، فتُفرِّغ كل ما في القلب، وتجعله صافياً لله جل في علاه:

نار المحبة كم أذابت مهجتي	وأخو المحبة لا يميل لغيرها
يا لائمين محمداً رفقاً به	فهو الذي ذاق الجحيم وحرَّها
قسماً بمن أنا فيه مَيْتٌ مغرم	لو فُتِّحت أبوابها لقفلتها

سألوا أحد العارفين: لو أُطفأت نار جهنم كيف يوقدها الله ﷻ ؟ فقال: يُسلط عليها شرارة من نار محبة أولياءه فتوقد: ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (65 الفرقان) الغرام في الحبيب السامي ﷺ ، وشدته هو الذي يمحو السوى، ويُطهر القلوب، ويجهزها لصافي المشروب، وهي البشريات التي تحدث عنها الله ﷻ في قرآنه المكنون.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ (63 يونس) والتقوى درجات، بدايتها للسالكين التعريف الذي عرَّفه بها الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه: ((الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل)) أربعة مراحل، وهذه بدايتها، وما غايتها؟ ﴿ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ (102 آل عمران) وقال في ذلك ابن مسعود ﷺ وآخرون:

{ أن يُطَا عَ فَلا يُعصى وأن يُشْكَر فلا يكفرَ وأن يذكرَ فلا يُنسىِ } 43

كل هذه التقوى: ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ (3، الحجرات) ليس لتقي، ولكن أتقاكم بصيغة المبالغة، فكلما يزيد في التقى يزيد في رفعة المقام عند الله، وفي المنح والعطاءات الإلهية التي ذكرها الله.

43 رواه الطبراني. مجمع الزوائد

بشريات الصالحين

﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ والبشرى على قدر تقواه، وعلى قدر قربه من مولاه، وعلى قدر نظرات الحبيب المصطفى ﷺ التي تواليه وترعاه، والبشريات لا عدَّ لها ولا حدَّ لها، وأولها كما قال ﷺ :

{ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ، إِلا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ} [44]

بدايتها عندما يطهر القلب فيبدأ يقتبس من الملكوت الأعلى الرؤيا، إذا كان من أهل الصفاء، ولا شأن لنا بالأحلام، فالحلم هو الشيء المشغول به الإنسان في يومه فيراه عند منامه، وهذا من الشيطان، لكن الرؤيا تأتي من الله ﷻ على جناح طائر، وهو مَلَك مُخصص للرؤيا، والرؤيا هي بداية الصالحين .

حضرة النبي ﷺ كانت فترة نبوته ثلاث وعشرين سنة، وقال في الرؤيا:

{ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ } [45]

---

44 صحيح مسلم وسنن أبي داود عن ابن عباس ﷺ
45 صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ

لأنه ﷺ مكث – كما قالت السيدة ء رضي الله عنها – ستة أشهر تأتيه الرؤيا الصالحة، فإذا أراد الإنسان أن يظل في الر يا الصالحة طوال عمره فقد حجب نفسه.

فالرؤيا هي البداية، لكنه بعد ذلك يريد الكشف، ويريد الشهود، ويريد الأُنس، ويريد اللطف، ويريد الأسرار، ويريد الأنوار .. بشريات لا عدَّ لها ولا حدَّ له !

لكن أعظم البشريات للمؤمن في دنياه أن يرزقه الله ﷻ الاستقامة في العمل بشرع الله، وهذا أمر يغفل عنه كثير من الناس، فالرؤيا قد يدخل الشيطان فيها، لكن أكبر بشرى للمرء أن يرزقه الله ﷻ الاستقامة، ويجد نفسه تميل دائماً للمحافظة على شرع الله ﷻ ، والعمل بما يحبه الله ﷻ ويرضاه.

أو أن يرزقه الله ﷻ التوفيق، والتوفيق لم يُذكر في القرآن كله إلا مرة واحدة وعلى لسان نبي: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (88 هود) فلا يُحكم أمر إن كان بلسانه أو بيده أو غير ذلك إلا ويرى الخير فيه، ويرى الخير فيه أيضاً أهله وذويه، فيكون مباركاً، وهذا من توفيق الله، وتوفيق الله ﷻ قال فيه ابو الدرداء ﷺ فيما اشتهر أنه حديث:

{ قَلِيلٌ مِنْ التَّوْفِيقِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ الْعِلْمِ } [46]

---

46 أورده صاحب الإحياء على أنه حديث وقال العراقي لم أقف له على أصل، وقد رواه صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء ﷺ بلفظ الفقه بدلاً من العلم، كما روي عن ابن السماك ﷺ بقوله: قليل من توفيق أحب إلي من كثير من عمل، كذا في (بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس).

كذلك يجد في نفسه ميلاً شديداً إلى التفقه في الدين، وزيادة الاطلاع على ما أتى به سيد الأولين والآخرين لأنه قال ﷺ :

{ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ } [47]

يريد أن يتفقه في الدين ليتكلم، وهذا ليس طريقنا، لكن يتفقه في الدين ليعمل، ويُرضي رب العالمين ﷻ ، يطلب العلم للعمل، ولا يطلب العلم للنشر والإذاعة والظهور وما شاكل ذلك، إذا كان عنده رغبة في العلم النافع فهذا من توفيق الله ﷻ .

إذا وجد في نفسه ميلاً قلبياً إلى الإصلاح بين المؤمنين، فهذا يكون في درجة النبيين: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ (88 هود) يريد أن يُصلح بين فلان وفلانة، وبين فلان وفلان، فهذا على قدم النبيين إذا وجد في نفسه ميلاً شديداً إلى خدمة الفقراء والمساكين والمنقطعين من أُمَّة محمد أجمعين.

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول:

((ذهبت إلى أبواب القرب فوجدت باب العبادات مزدحماً ، فذهبت إلى باب المحبة فلم أجد عليه إلا نفراً قليل)) . باب العبادات نهايته الجنة لو كانت هذه العبادات خالصة ومقبولة، لكن الصالحين عندما تنظر إلى سِيَرهم كيف نجدهم وصلوا إلى الله؟

47 البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ

وصلوا بخدمة الفقراء والمساكين وبالصلح بين المتخاصمين، وبنشر المحبة بين المبغضين والكارهين، وهذه رسالات الأنبياء والمرسلين، وهم القائمين بها في الدنيا بهذه الكيفية.

لكن العبادة رسالة الملائكة، منهم القائم أبداً، ومنهم الراكع أبداً، ومنهم ا ساجد أبداً، ويأتي يوم القيامة ويقول: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك.

هذا طريق، وهذا طريق، فطريق الأنبياء والمرسلين مع الآخرين، فيجب أن يكون لك دور مع الآخرين، وهذا حال الصالحين أجمعين في كل زمان ومكان، منذ عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا.

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ﴾ وأول الآخرة عند خروجه من الدنيا، تأتيه المبشرات الصالحات، يرى مقعده من الجنة، أو تأتيه ملائكة الرحمة، أو يأتيه حبيب الله ومصطفاه ليحضر خروج روحه ويُصلي عليه كما أمره الله: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (103التوبة) .

مات رجل من الصالحين، وبعد أن غسلوه، وذهبوا به ليدفنوه، وكان من عادتهم في هذا الزمان أنهم يكشفون وجه الميت في قبره ويضعون تحت صدغه قالباً من الطوب بدون ساتر تذللاً لله ﷻ ، يحكي صديق له أنه بعد أن وضع قالب الطوب تحت صدغه إذا به لمس

ويقول: أتُذلّلني بين يَدي من دلَّلني؟! فقال: أحياة بعد الموت؟! فقال: أنا حي، وكل محب لله ﷻ حي!! فأحباب الله ﷻ أحياء، قال فيهم ﷺ :

{ إِنَّ أَكْثَرَ شُهَدَاءِ أُمَّتِي أَصْحَابُ الْفُرُشِ ، وَرُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ } [48]

لكن هؤلاء ماتوا بسيف المحبة، غير الذي مات بسيف الأعداء، فهؤلاء القوم أحياء عند ربهم يُرزقون، أرزاق معنوية إلهية لا نستطيع أن نبينها في الحياة الدنيوية، وإنما هم في مُتع وهناء إلى يوم اللقاء إن شاء الله رب العالمين.

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ ناهيك بشيء يقول عنه الله: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ ماذا تريد بعد ذاك يا أخا الإسلام؟! بعد أن يُخبرك الله ﷻ أن هذا هو المقام العظيم، ومن دخل فيه فهو الذي فاز فوزاً عظيماً، لأنه سيعظمه العظيم ﷻ يوم لقاءه، سيكون من المعظمين، ومن المكرمين، ومن الأحبة، ومن المتقين: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

48 مسند أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وراثة النبي

ثم أعلم الله ﷻ أصحاب هذا المقام لأنهم ورثة النبي، أو ورثة الأنبياء فلا بد أن يكون لهم نصيب من معاداة الخلق لهم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (31 الفرقان) لا يوجد ولي صادق إلا وله أعداء، كالأنبياء والرسل، من يستهزأ به،ومن يسخر منه، ومن يشتكيه، ومن يحاول أن يؤذيه، لكن في النهاية: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ (95 الحجر) .

لذلك لا بد أن يوطن نفسه على ذلك، ولكن إذا ضعف وقال في نفسه كيف أكون قريباً من الله ويترك فلان يؤذيني، وفلان يفعل بي كذا وكذا؟! وتأخذه الحمية، فيريد أن يدمر هذا، ويريد أن يهلك هذا، ويريد أن يصيب بسوء هذا!! هذا لا يصلح في ولاية الله ﷻ ، لأن الله ﷻ عاتب سيدنا إبراهيم الخليل عندما جاءه ضيف وقدَّم له الطعام، وطلب منه أن يُسمِّ الله، فرفض الضيف، فقال له: ما دينك؟ فأخبره بدينه، فقال: لن تأكل حتى تؤمن أولاً، فرفض الطعام وتركه، فعاتب الله ﷻ إبراهيم، وقال له:

{ يَا خَلِيلِي حَسِّنْ خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الْكُفَّارِ، تَدْخُلْ مَدَاخِلَ الأَبْرَارِ } [49]

49 الطبراني والأمالي المطلقة لابن حجر عن أبي هريرة ﷺ

الله ﷻ يرزقه طول عمره ولم يسأله، وأنت من أجل لقمة تريده أن يؤمن!!

فأحوال الصالحين عن هذا، فكما يرثون بشريات سيد الأولين والآخرين لا بد أن يرثوا توصيات الله له في كتاب رب العالمين: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (99. الأعراف) ... !!!

أنت تريد أن ترث الأنوار من غير أن تأخذ قسط من متاعب الأشرار والفُجَّار!!

لا بد من ذلك.

إذاً يجب أن تؤهل نفسك لهذا الأمر، كيف؟

أن تثق في الله، وتعلم أن الله ﷻ إذا لم تلتفت إلى غيره سيكفيك كل هؤلاء !!

كما قال تعالى لحضرة النبي ﷺ: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ (95 الحجر) ..

يقول لنا أجمعين: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (38 الحج) :

- إذا أراد أحد أن يؤذيهم بالقول وما شابه !

- وإذا كان بالفعل فكما في القراءة الأخرى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يدافعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يدفع عنهم كل سوء وكل شر وكل ضر:

{ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ جَفَّتِ الأَقْلامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ } [50]

- وسينقلب هذا الضر إلى خير !

- وتراه حقيقة جلية، كما رآه الصالحون في كل زمان ومكان.

- معنى ذلك أن الإنسان الذي يُقربه مولاه، ويؤنسه ﷻ ببشرياته التي أشار إليها في كتاب الله؛ لا يظن يوماً أنه سيسلم من خلق الله، وفى الأثر قال موسى ﵇ :

{ يا رب، أسألك أن لا يذكرني أحد إلا بخير. قال: ما فعلت ذلك لنفسي }،

وروى أنه قال: { يا رب، احبس عني كلام الناس. فقال الله ﷻ: لو فعلت هذا بأحد لفعلته بي، و روي: يا موسى هذا شيء لم أصطفه نفسي فكيف أفعله بك؟} [51]

---

50 مسند أحمد والترمذي عن ابن عباس ﵁

51 أخرجها أبو نعيم عن وهب فى الدر المنثور

كيف يذكرونك بخير أم كيف يرضيهم عنك؟ أو يرضون عنك؟

لكن الذي يرضى عنك المـ د ! ... هؤلاء هم الناس في نظر رب الناس ﷻ : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (4: النساء) ، سيدنا جعفر صادق ﷺ قرأ الآية وقال لمن حوله :{ نحن الناس المذكورون في هذه الآية ، لأننا المخصوصون بفضل الله ، لم يقل الله: (على ما أتاهم من رزقه) ولكن (من فضله) ... مَن الذي معه الفضل؟

هؤلاء القوم! ... والذي معه فضل هل لا يُحسد؟! قال ﷺ :

{ كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ } [52]

والحسود لا بد أن يحاول أن يشوهه، ويحاول أن يؤذيه، ويحاول أن يُسيء إليه، لكن إذا أوكل أمره وفوَّض أمره إلى الله، وقال كما قال الله: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (44 غافر) تأتيه وقاية الله في قول الله: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾ (45 غافر) .... إذاً لا يجب أن نشتكي ! في الإحياء قيل للحسر :

---

52 معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ﷺ

{ يا أبا سعيد إن قوماً يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعنيتك بالسؤال!؛ فتبسم وقال للقائل: هوّن على نفسك فإني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت، وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لأني قد علمت أن خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم.}

إذاً كيف أعبد الله، وفلان يضربني ولا يأتيه ضرر، وأنا أدعو عليه؟

لماذا تدعو عليه؟!! لقد قال ﷺ :

{ مَنْ دَعَا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ فَقَدِ انْتَصَرَ } [53]

فلا يقام لك قضية يوم القيامة لأنك دعوت علي !

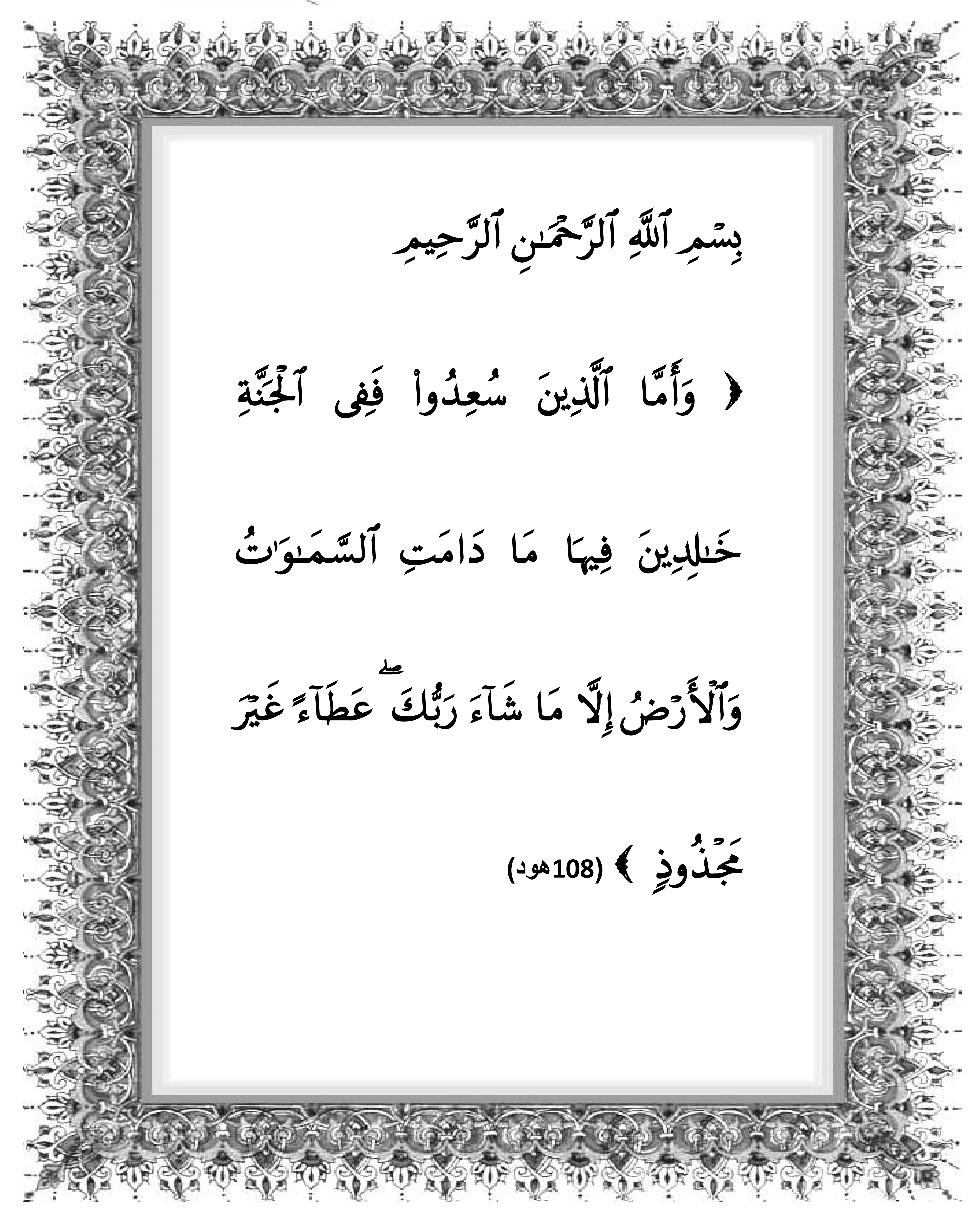
لكن عليك أن تقول:﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ (44 غافر) .

نسأل الله ﷻ أن يجملنا بجمال هذه الآيات ... وأن يُكرمنا بهذه العنايات ..

وأن يجعلنا على هذا لمقام الكريم في البدايات والنهايات ، وأن يُفرحنا أجمعين بمعية سيد السادات، وأن يكتبنا في عداد عباده الصالحين، وأن يجعلنا من الذين يجلسون على أرائك المحبة ولوجهه ﷻ ناظرين، وأن يتفضل علينا دوماً بتوفيقه ورعايته وصيانته وحفظه في كل وقت وحين ....

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم□

53 جامع الترمذي ومسند الشهاب عن عائشة رضي الله عنها



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٍ ﴾ (108هود)

4 : أهل السعادة[54]

ddddddddddddddddd

كلام الله ﷻ يحتاج إلى التدبر والإدّكار لكي نفقه مراد الله ﷻ في كلامه ...

هذه الآية – نسأل الله أن نكون من أهلها أجمعين – فيها ملاحظات لا تبدو من أول وهلة لمن يقف عند ظاهر الآيات ، ولا يتدبر ما فيها.

أول ملحظ بها: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾ :

والسعادة من الله، وليست منا نحن ، لا بعمل ولا بأمل ولا بعلل:

إن مولانا تنزَّه عن علل	إنه الرب المنزَّه والكبير

والحبيب وضَّح هذه الأمر ....

فأول ما خلق الله الخلق أين كنا؟ قال ﷺ :

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷺ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الأُخْرَى ، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ : هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَلا أُبَالِي ، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الأُخْرَى : هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالِي ، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ فَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الآنَ } [55]

54 المنيا – مغاغة – عزبة عثمان – 24 من رجب 1437 هـ 1/5/2016م
55 مسند البزار والطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه

وليست يمين الله كيميننا هذه، نزّه الله، فكل ما خطر ببالك فهو هالك، الله ﷻ بخلاف ذلك، لكنه يأتيك بما هو على قدر فهمك .

فمن قدر الله له الجنة، وهل كنا نعرف شيئاً وقتها؟ وهل كنا عملنا شيئاً؟ وهل كنا صلينا ركعة؟ وهل سبحنا تسبيحة؟ أبد ، لكنه كان عرف أن هذا سيأتي فيما بعد.

فاختارنا الله ﷻ لسعادة ، وجعلنا في الدنيا والآخرة من أهل جنته.

أهل الشقاوة

وأما من قدر لهم الله النار، ما ذنبهم؟

يقول لنا في القرآن: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ (17 فصلت) هم من اختاروا طريق العمى، لكن ما من مولودٍ إلا ويُولد على الفطرة.

أهل الغرب - أهل الكرب - لا يأتي شيء من عندهم يسُّرُ القلب، قد يسر النفس الخسيسة الإبليسية الشيطانية، لكن ما يسر القلب لا يأتي إلا من عند حبيب الله ومصطفاه وأحباب الصالحين.

وهؤلاء يعملون الآن أفعال لا ترضاها الحيوانات لنفسها، تخلُّوا حتى عن الفطرة؛ الفطرة الإلهية التي فطر الله الناس عليها، والمصيبة العُظمى أنهم يريدون أن يجبرونا نحن على هذا، يريدون من أهل الإسلام إباحة الشذوذ ويقولون: كيف تعادون الشذوذ، وهذا الشذوذ حق، هل هذه فطرة الله! وهل يوجد صاحب فطرة سليمة يقبل هذا الوضع! فهؤلاء كما قال الله فيهم: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (179 الأعراف).

لأن الأنعام تسير على المنهج الذي علَّمه لهم الله، لكن هؤلاء لا يجد شيء أتي به الله إلا ويريدون أن يغيروه ويبدِّلوه.

فنجد رجلاً خلقه الله رجلاً فيذهب للطبيب ويحوِّل نفسه إلى أُنثى، أو أُنثى تتحوَّل إلى رجل، لماذا تخالف الفطرة !! لكن الله يعرفنا أنهم متخلفين في الفطر ، والفكر ، وإن كانوا أعلى منا في العلم .

أين الفطر السليمة المستقيمة !! يريدون الشيوعية التي ليس فيها زواج ولا خصوصية، وهل الحيوانات ترضى بذلك؟ أبداً.

الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه عندما ذهب إلى باريس، قالوا له: تعالى معنا لنريك مزارع الخنازير، فذهب معهم فوجد المزارع في غاية الفخامة والنظافة والمباني والأكل والعناية البيطرية، فقالوا: هذه هي الخنازير عندنا كما ترى، وأنتم تقولون: أننا نطعمها قاذورات، وأنت كما ترى أكلها نظيفٌ جداً؟ فلِمَ حرَّم الإسلام أكلها؟

فقال لهم: الأمر غير ذلك، ائتوني بخنزيرة أُنثى وذكرين ، وتكون الأُنثى تشتهي الوقاع، فأتوا له بما طلب، فوجد الذكرين يعاونا بعضهما وهذا يساعد الآخر. ثم قال: لهم: ائتوني بديكين ودجاجة، فوجدوا أن الديكين كادا يقتلان بعضهما البعض،

فقال لهم: من أجل ذلك حرَّم الله أكل الخنزير لأنه يقتل الغيرة عند الإنسان ، والإنسان يتأثر وتصيبه عدوى من اللحم الذي يأكله، فمن أكل لحم الخنزير لا يكون عنده غيرة، ولذلك هم ليس عندهم غيرة لابين الرجال ولا بين النساء.

هم يريدون أن يصدِّروا لنا هذا الأمر ، وكل القبائح التي تصيب الفرد والإنسان يريدون تصديرها لنا باسم المدنية والحضارة، هؤلاء كما قال حضرة النبي ﷺ عن الله ﷻ :

{ هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالِي } [56]

56 مسند البزار والطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه

الجنة العاجلة

لكن بالنسبة لنا: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ ﴾ هل قال: سيدخلون الجنة؟

لا، لكن هم الآن في الجنة: ﴿ فَفِى ٱلْجَنَّةِ ﴾ وما الدليل؟ ﴿ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ (08. هود .

وهل يوجد سماوات وأرض في اليوم الآخر؟ لا، لكن تُطوى السماوات وتُطوى ا ض ، وكل شي ، فما معنى الآية، يقولون: إذا كنتَ قد كتب الله لك الهداية، وتريد أن تكون من أهل العناية، فاجعل أحوالك كلها وأنت هنا في الدنيا في الجنة، وكيف ذلك؟

جلس دائماً في الجن ! ... وهل يوجد جنة في الدنيا؟ .... نعم، قال ﷺ :

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحِلَقُ الْقُرْآنِ } ، وفي رواية أخرى: { إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ الْعِلْمِ }[57]

57 الأول: المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس (رقم 2!)، والثانى المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

فإذا أردت أن أكون من أهل العناية ، أكون دائماً في مجلس من هذه المجالس، إما أن أكون جالساً في ذكر ، أو في تلاوة قرآن ، أو في تحصيل علم ، حتى ولو كنتُ وحدي، فهل وأنا وحدي يكون مجلساً؟ نعم ، قال ﷺ :

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ : فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا } [58]

فإذا جلست وحدك تذكر الله فالملائكة التي في الكون ، يأتون إليك ويجلسون حولك و يقيمون حلقة الذكر معك ، ولكنك لا تنتبه لذلك، فأنت قد أصبحتَ في روضة من رياض الجنة ..... أو مع كتاب الله، فإذا كنتُ أعمل في الحقل ومشغول، أسمع ، وهل السمع يمنعني من العمل؟ لا ، بل يُشجعني على العمل ، ويعطيني قوةً وعزيمة ، فالسامع والقارئ لهما من الأجر مثل بعضهما تماماً ، قال ﷺ :

{ الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الأَجْرِ } [59]

---

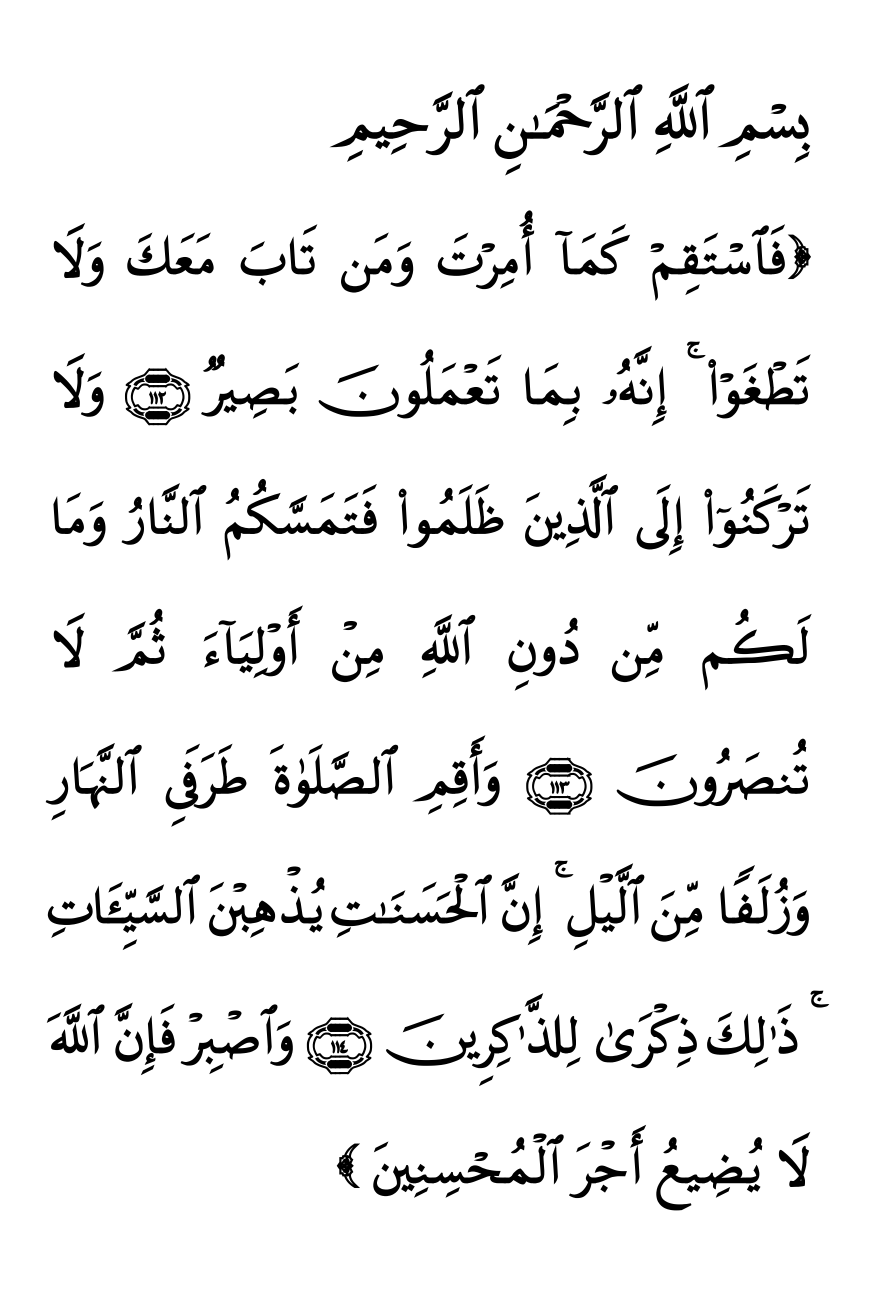
58 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
59 سنن ابن ماجة والطبراني عن أبي إمامة رضي الله عنه

إذاً دائماً يكون إما في مجلس علم، وإما في مجلس قرآن، وإما في مجلس ذكر لله، فأكون في هذه المجالس المباركة على الدوام، وبذلك أكون دائماً في الجنة العاجلة. وهي التي يقول فيها بعض الصالحين: **((إن لله جنةٌ عاجلة من دخلها لا يحتاج إلى الجنة الآجلة، قيل: وما هي؟ قال: معرفة الله تعالى))**.. وكان بعضهم يقولون له: أنت دخلت الجنة أو رأيت الجنة؟ قال: **((جنتي في صدري حيثما مشيتُ فهي معي))**!

وما الجنة التي في صدره؟ ذكر الله: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ (24، الكهف) طوال سيره يذكر الله في نفسه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (191، آل عمران).

فمجالس الخير، ومجالس البر، ومجالس الرحمة، ومجالس الهداية، ومجالس القرآن .. كل هذه المجالس تكون روضة من رياض الجنة، والمسلم عليه أن يتقلب في رياض الجنة في حياته الدنيا من روضة إلى روضة، فإذا أنهى روضة يذهب لروضة أُخرى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾

ذ : أهل الاستقام[60]

dddddddddddddddddd

كثيرٌ من الأحباب يسألني ويقول لي: أُريد أن أكون من أصحاب المقامات العالية، والأحوال الراقية؛ مثل الصحابة الأولين، والأولياء والصالحين، وآخذ مدداً مباشراً من سيد الأولين والآخرين !!!

ونحن كلنا نريد ذلك، وكلنا طُلاَّب هذه ا نازل العالية، والدرجات الراقية، من منا لا يريد أن يكون مع ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (29 الفتح) فما الخُطة التي تُوصلنا لذلك؟ وما الروشتة القرآنية الإلهية والتي إذا مشينا عليها وصلنا إلى ذلك؟ الآيات التي بين أيدينا من كلمات حضرة الر- ن ﷻ ، فاسمعوها وعوها، وحاولوا بعد ذلك أن تعيشوا فيها لِيُكرمكم الله ﷻ بالأسرار والأنوار والمقامات العالية التي فيها.

60 المنيا – مغاغة – نزلة بلهاسا – 24 من رجب 1437 هـ 1/5/2016م

روشتة الاستقامة

ماذا في هذه الروشتة؟

أولاً: القيام بأوامر الله

﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ :

وهل سيدنا رسول الله – حاشا لله – لم يكن مستقيماً ! لا، لكن جرت عادة الملوك أن يخاطبوا العامة في قائدهم وإمامهم، فالخطاب يكون لقائد الجماعة وهو موجَّه لكل الجماعة التي تسير معه وتهتدي بهديه وتنتهج بنهجه.

سيدنا رسول الله ﷺ ضرب الله لنا المثل في شأنه، فإن الله كلفَّه بتكليفات إ ية ربانية غير ما كلف به جميع الأمة الإسلامية المحمدية، فمثلاً كلفنا الله بالصلوات خمس، لكنه كلَّفه بفريضة سادسة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (المزمل) ..

هل هذا التكليف لنا؟

لا، بل له ﷺ ، وهو تكليف زائد من الله ﷻ .

وهو كفّ ذاته بصيام الوصال، ونهى أصحابه عن صيام الوصال، والوصال يعني الصوم أيام متتالية بدون فطور ولا سحور، ولما أراد أصحابه أن يتابعوه في ذلك قال لهم :

{ إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، قَالُوا : فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي ، إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي ، فَتَكَلَّفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ } [61]

فلا يبيت عندهم في المدينة ، ولكن يبيت عند الله ﷻ .

وكلّفه الله ﷻ بالرسالة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ (67 المائدة) مهما تمادى الكافرين ، ومهما اشتدَّت عداوة المشركين ، حتى ولو كان بمفرده، لكن لا يستطيع أن يتهاون بهذا التكليف الإلهي، ولذلك عندما عرضوا عليه المال والملك والطب رفض ذلك كله، لأنه تكليف من الله. وقال لعمه :

{ يا عماه ، لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي ، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ } [62]

---

61 بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
62 تاريخ الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما

فهذا تكليف من الله ﷺ أن يبلّغ رسالة الله ، والخلق جميعاً لو كانوا ضده لكنه لا يتأخر ولا يتباطأ عن دعوة الله وإبلاغ رس لة الله.

تكليفاتٌ كثيرة لا نستطيع ذكرها الآن ، ومن يُرد الزيادة يرجع لكتاب الخصائص لسيدي جلال الدين السيوطي رضوان الله تبارك وتعالى عليه، وكتاب الخصائص أربع أجزاء في مجلدين ، إثنين جمع فيهما الخصائص التي خصَّ بها الله حضرة النبي وحده، غير الأمة وكلها خصائص إلهية وتكليفاتٌ ربانية كلفه بها الله ﷺ .

﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾ :

كل الأوامر التي جاءتك من الله إياك أن تتوانى عن أمر منها، ومن يُرد أن يكون معه – وهذا بيت القصيد – يستقيم على تنفيذ كل ما جاءنا به حبيب الله ومصطفاه من عبادات ، ومن معاملات ، ومن أخلاق ، ومن سلوكيات، لا يفاضل بين هذه وتلك، لكن يعمل بالكل ليكون من أهل الإستقامة، سيدنا سفيان الثقفي ﷺ قال :

{ يا رسول الله قُلْ لِي قَوْلا لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ ، قَالَ : قُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ } [63]

الإستقامة هي رأس المال التي كلفنا بها الله ﷺ في كل المجالات الدينية ، وفي الآيات القرآنية ، وفي سنن الحبيب النبوية صلوات ربي وتسليماته عليه .

63 مسند أحمد وابن حبان ومسلم

فالإستقامة جامعة لكل برامج الإصلاح: إصلاح المجتمعات والأفراد وإصلاح البلاد والعباد، جمع الله ﷻ الإصلاح كله في الإستقامة ولذلك كان كثير من الصالحين في تربيتهم للمريدين الصادقين يقولون: (كن طالباً للإستقامة لا طالباً للكرامة)).

فإن ربَّك يريد منك الإستقامة، ونفسك تريد منك الكرامة، وأنت ماذا تريد؟ طلب النفس؟ أم طلب الله؟.

فهذا المطبُّ الذي يقع فيه كثيرٌ من المريدين والسالكين المبتدئين، بمجرد ما يسلك طريق الله، ويفتح الله عليه بشيء من الطاعات والعبادات، ويفتح الله عليه بشيء من النوافل والقربات، قد يُمدُّه الله ﷻ بشيء من العلوم الإلهية والإلهامات، يريد أن تظهر الكرامات على يديه ليقول الناس: الشيخ فلان تظهر على يديه كرامات، والشيخ فلان راح، والشيخ فلان جاء، وهذه هي الماحقة التي تمحق السالكين، وتُبعدهم بُعداً كلياً عن الطريق السديد الذي كان عليه سيد الأولين والآخرين ﷺ.

كن طالباً للإستقامة لا طالباً للكرامة، وماذا أفعل بهذه الكرامة؟ فالكرامة قد تظهر على أيدي الدجالين والسحرة وما يُشبههم، وقد تظهر على يدي الهنود الذين يمارسون اليوجا، فماذا أفعل بها!.

ما منهج الحبيب؟

الإستقامة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ ﴾ (٣٠ فصلت) لا شأن لهم بالناس ، ولا يريد ون الناس ، ولا يلتفتوا إلى الناس، لكن تنزل لهم بشريات من رب الناس: ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠ فصلت) .

إذا رأى رؤيات ، أو مشاهدات ، وبدأ يحكيها للسامعين والحاضرين ، فتكون نفسه لا زالت حيَّة ، وتحتاج إلى جهاد شديد ليتابع سيد الأولين والآخرين. ولذلك جعل الصالحون لذلك موازين ، فقالوا: (إذا رأيتَ الرجل يُكثر الحديث عن خصوصيته، فاعلم أن ذلك نقصٌ في مقام عبوديته) .

لكن نتكلم عن الله، ونتكلم عن رسول الله، ونتكلم عن الصالحين الصادقين من عباد الله، فلو قبلوني خادماً تحت أعتابهم فيا هنائي، ولكن دخل نفسي بينهم ، أجعل نفسي من الصالحين ، أجعل لها كرامات ودواوين لكي يتبعني الناس ! .

وماذا يفعل لي الناس ! هب أن الخلق جميعاً اتبعوك، فهل ينفعوك بشيء؟ أو هل يدفعوا عنك ضُرَّاً؟!، لكن أهل اليقين منتبهون لهذا الأمر ، لأنهم يريدون أن يكونوا في معية سيد الأولين والآخرين ﷺ .

آفات السلوك

ثانياً: الإنتهاء عن جميع ما نهى عنه الله

﴿ وَلَا تَطۡغَوۡاْ ﴾ :

والطغيان يعني مجاوزة الحد، إياك أن تتجاوز الحدود التي حدِّدها الله ﷻ ، فالله ﷻ كلفنا بتكليفات ونهانا عن معاصي ومخالفات. ، تمام الإستقامة أنني أقوم بما ينبغي عليَّ قدر سعي وطاقتي من التكليفات، وأحفظ نفسي قدر وُسعي وطاقتي عن جميع المعاصي والذنوب والسيئات .

وأكبر ذنبٍ عند السالكين هو الغفلة عن ذكر الله طرفة عينٍ أو أقل، وأنا أذكر ذلك لأن كثيرٍ من الأحباب لا ينتبه إلى أن الغفلة في ذاتها أعظم ذنبٍ، فكيف تغُفل عن الله وهو لا غفل عنك ولا يسهو عنك ولا ينساك طرفة عينٍ ولا أقل ؟!

﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ ﴾ (. الطلاق) من يتعدَّى الحدود التي رسمها الله ﷻ

والتي قال فيها: ﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا ﴾ (229البقرة) إياكم أن تتجاوزوها، أو أن تقعوا يها، فهذ، حاد عن طريق الإستقام ، وليس له نصيبٌ في هذا الفتح وهذه الكرامة.

فالمؤمن يسير على شقين، يسير على المحافظة على الأوامر الربانية والتكليفات الإلهية، والبُعد بالكلية عن كل النواهي التي نهى عنها رب العباد في آياته القرآنية، وزاد في إيضاحها وبيانها الحبيب ﷺ في سننه النبوية ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ (187 البقرة) .

مرة يقول: " فَلَا تَعْتَدُوهَا " ومرةً يقول: " فَلَا تَقْرَبُوهَا " يعني إياك أن تُقترب منها، لأنك لو طمأننت على نفسك وتقربت ، فربما تقع في المعصية ولا تدري:

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ (32 الإسراء) كيف أقرب الزنا؟ أي إياك والنظرة والبسمة ثم اللقاء، ثم كذا ثم كذا، وهذه المقدمات التي تقود لما بعدها.

أريد أن أقي نفسي من الوقوع في المعصية، فأبدأ على الفور: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ (30 النور) فأكون قد سددتُ الباب حتى أتجمَّل بجمال الأحباب، وأكون من الذين ﷺ وجعلهم مع الحبيب ﷺ في هذا الباب.

وغضِّ العين ليس للسائرات في الطريق فقط ، لكن أصبح غضِّ العين كذلك في الموبايلات ، وفي النت ، وفي الكمبيوترات وهي ألعن وأشد وأسوأ، لأنهن في الطريق قد يكن مستورات ، لكن هؤلاء هناك أشياء على النت لا ينبغي لمسلم أن يراها بالعين ، وهي تورِّث القلب الظلمة والعياذ بالله. فكيف يسير وهو ينظر هنا وهناك إلى ما حرمه الله ﷻ .

ثالثاً: التجمل بخشية الله ومراقبته

أعلمنا الله ﷻ المقام الذي ينبغي أن نكون جميعاً فيه على الدوام:

﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ :

ما الذي يُنجي الإنسان ويجعله يُحافظ على هذه الأركان؟ إذا وصل إلى مقام خشية الله ومراقبته، وأن الله يطلع عليه في كل أنفاسه ويراه، وأن الله لا يخفى عليه خافيةٌ حتى ولو كان شيء في صدره أو في حشاشة قلبه، لأنه ﷻ قال:

﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (19غافر) .

رابعاً: للمحافظة على تلك النعم والعطايا ...

: لمني الله ﷻ بهذا الجمال ، وك لمني بهذا الكمال، وأنا أريد أن أحافظ على هذه النعم من الزوال، فماذا أفعل؟

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ :

لا أُجالس أهل المعاصِ ، ولا أهل الظُل ، ولا أهل البُعا ، ولا أهل الفسق ، ولا أهل الفجور، بل أجالس الأخيار والأبرار والصالحين والأطهار، لأن الجليس الصالح والجليس السوء كما أخبر النبي ﷺ :

{ إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ } [64]

يجالسه الإنسا ، ولا يستطيع أي إنسان أن يحفظ نفسه إلا إذا حفظه الحفيظ ﷻ . وعدوى الطباع أكثر من عدوى الأمراض، لأنك إذا جالست امرؤٌ فيه طباع سوء تنتقل إليك دون أن تشعر، وبعد ﯩ رة تجد نفسك تُقلد هذا الرجل وتُ فّذ أشياء مثله بالض ط، لماذا؟ لأن النفس تسرق الطباع أكثر من عدوى الأمراض .

---

64 البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه

ولذلك الأساس الأول الذي قال لنا فيه الله في هذا المجال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (119 التوبة) لكن تجلس في مجلس فيه غيبة ونميمة وتقول: أنا أحفظ نفسي ! ، لكنك ستسمع، وكما ورد عن عبد الله بن عمر ﷺ يقول:

{ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّمِيمَةِ، وَنَهَى عَنِ الْغِيبَةِ، وَالاسْتِمَاعِ إِلَى الْغِيبَةِ }[65]

إذا لم تخُض معه ، فبعد قليل ستغفل عن نفسك وتجد لسانك وقد نزلق وخاض . ! نك جلست مع هؤلاء القوم الذين نهى الله ﷻ عن الإقتراب منهم، أو مجالستهم، والله ﷻ لم يقل ولا تجلسو) وإنما قال: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ ﴾ الجلوس يقول فيه الله : ﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (68 الأنعام) ، !!

والركون يعني ميل القلب، فبعد أن تتركهم إياك أن يميل قلبك لهم مرةً ثانية، وتقول لك نفسك : أنا أريد أن أجلس مع هؤلاء ولو مرةً واحدةً لتهديهم ، أو لكي تأخذ بأيديهم، هذا الكلام لو أذن لك به الله ، وأعانك سيدنا رسول الله ، وأمرك بإبلاغ الرسالة ، فتكون مُعان ، وإذا أقامك أعانك لكنك ستُقيم نفسك، فلا تحاول أن تُقرِّب مبعداً فيُبعدك معه ، إذاً حتى الركون وهو ميل القلب نهى عنه الله ﷻ .

---

65 حلية الأولياء لأبي نعيم

﴿ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ :

ما ها ه النار؟ نار الذنوب التي يرتكبو ا، ونار المعاصي التي يخوضون فيها، ونار البُعد عن الله ﷻ التي أوقعهم الله ﷻ فيا .. كل ه ه نيران أمرك الله ﷻ أن تبتعد عنه ، كيف؟ أن لا تميل إلى الذين ظلموا أنفسهـ ، كذلك من يميل للظالمين لمعباد فـ و نفس الأمر

يعني ظلم نفسه تتجاوز حدود الله، أو ظلم العباد ظُلماً بين ، وهذا لا نناصره ولا نؤيد د ولا نسانده ولا نميل إليه، وإنما نميل دائماً وأبداً ع الحق، كما قيل: ((دوروا مع الحق حيث دار)) فنحن مع الحق على الدوام.

وإذا مسَّتك النار: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ تحذير إلهي، ولذلك ذهب رجل للإمام أبي العزائم ﷺ وأرضاه، قال له: أنا أريد أن أكون مع الصالحين أو من لصالحين، قال أ : عليك ثلاثة أشياء: مفارقة الأشرا ، ومجالسة الأخيا ، والسير على السُنن والآثا .

أهم شيء مفارقة الأشرار، ونحن نعرف الرجل الذي حكى لنا عنه سيدنا رسول الله ﷺ ، وكان الرجل من بني إسرا ل وأراد أن يتوب فذهب لرجلٍ عابد، والعابد قليل العلم، العبا ة تحتاج إلى الفق ، لا خير في عبادةٍ لا فقه فيها، فقال له أعرض عني حتى لا ينزل عليَّ الغضب وعليك، قتله وأكمل به المائ ،

ثم ذهب لرجلٍ من العلماء العرفاء الحكما ، فقال له: هل لي توبة؟ فقال له: ومن يمنع أحداً من التوبة ؟! ولكني أرى أن من تعيش بينهم لن يُهيئوا لك سبيل التوبة، ذهب إلى بلدة كذا فإن فيهم أُناسٌ صالحين عسى الله ﷻ أن يتوب عليك.

فمن أجالسهم لو كانوا بطالين فكيف أرتقي ؟! لأن الشيطان يأتي بهم أعواناً له، والشيطان أمره سهلٌ عندما يوسوس للإنسان فيستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

لكن الشيطان الإنسي الذي يجلس معي، آتيه من هذه الناحية فيأتني من الناحية الأُخرى، لم يستطع اصطيادي من هذه الناحية يأتي بحيلة أخرى ، ويظل يوسوس ، وكما يقولون: (الزنّ على الودان يقلب الكيان).

ولذلك قال الله لنا في القرآن: ﴿ شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ (112الأنعام) من الأخطر؟ الذي جاء به الله أولاً، فشياطين الإنس أخطر من شياطين الجن، لأنه جالس معي ، ويُزيِّن لي ، فإذا لم أفعلها، يأتني بأُخرى ، ويظل حتى يُنفِّذ مراد الشيطان عن طريق هذا الإنسان، لكن الشيطان كما قال الله: ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (98 النحل) ينتهي أمره: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (99 النحل) ليس له سلطان عليهم بعد ذلك .

وعندما يستعذ بالله فأين يذهب الشيطان؟ ليس له صاحب، ولذلك حذَّرنا الله ا يراً شديداً من حتى الركون – ميل القلب – بمجالسة الظالمين والبطالين والغارقين بالكلية في المعاصي التي تباعد بينهم وبين رب العالمين ﷻ .

فهؤلاء لا نجالسهم أبداً حذراً من قول الله: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾

خامساً: المحافظة على الصلوات الخمس في وقتها في جماعة

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ :

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا ﴾ (103النساء) لا أحد منا له عُذرٌ في عدم أداء الصلاة في وقتها في جماعة في بيت الله، إلا إذا كان عُذراً شرعياً ذكره أئمة العلم والفقه في دين الله، لكننا وصلنا في هذا العصر إلى أن كل واحد يلتمس لنفسه الأعذار، والأعذار سيُقال له فيها: ﴿ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴾ (36المرسلات) .

ما العُذر الذي يمنعني من صلاة الجماعة؟

لا شيء إلا إذا كنتُ في سفرٍ ضروري، والسفر لنفع، يعني لو أنا مسافر لأحضر مباراة كرة، فهذا ليس سفراً ضرورياً وليس عُذراً شرعياً، أو مسافر لأُصيِّف، فليس هذا عُذراً شرعياً، ولذلك قال العلماء: الجمع والقصر لا يجوز في هذه الأسفار، ولكن يجوز إذا كنتُ مسافراً لطلب العلم، أو لصلة الرحم، أو مسافر لأي مصلحة أو لأي منفعة.

وكذلك صلاة الجماعة فلو أنا مسافرٌ لسفرٍ شرعي ويستغرق وقتاً طويلاً والوقت سيُؤذن وأنا في السفر وأنا لا أستطيع أن أنزل ولا أوقف المركبة لأُصلي، أو إذا كان الإنسان مريضاً مرضاً شديداً والطبيب المسلم التقي النقي أمره بعدم الحركة لأن الحركة تزيد من ضرره وداؤه.

غير ذلك ، فالحبيب ﷺ ضرب لنا المثل ، قال الله لنا فيه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (21 الأحزاب) كان مسافراً في غزوة، ووجب وقت الظهر، فطلب ماءاً ليتوضأ، قالوا: لا يوجد ماء، ، سيدنا رسول الله كان دقيق التنظيم فكان يُ لمف جماعة دائماً يسيرون أمام الجيش يبحثون عن مواطن الماء، حتى إذا نزل الجيش يترل في مكان فيه ماء، و بحثوا عن الأماكن المستوية فلا يترل على جبلٍ، وجماعة يتأخرون بعد أن يمشي الجيش ثلاثة أو أربعة كيلو ليبحثوا في معسكرهم ربما يكون أحدٌ قد نسي شيئاً خلفه.

فالجماعة الذين يبحثون عن الماء رجعوا فقالوا: يا رسول الله بيننا وبين الماء ميل واحد، ننتظر حتى نصل إلى هناك ، نطلب الماء، قال:

{ وَمَا يُدْرِينِي لَعَلِّي لا أَبْلُغُهُ } [66]

ما الذي يضمن لي أن أعيش حتى أصل إلى الماء؟ ولو جاء الموت فأكون مديناً بفرضٍ لله ﷻ ، لأنه حضر وقت الصلاة ولم أُؤدي الصلاة، يعني عندما أكون في سفر والظهر قد أذَّن فهل يصِّح أن أقول أؤجل الصلاة لحين عودتي، ومن يضمن لي أن أرجع؟ ركبتُ سيارة وحدثت حادثة، أو حدثت سكتة قلبية أو أي أمرٍ إلهي، فلا أؤخر الصلاة عن وقتها إلا لضرورة شرعية.

66 مسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

وإذا كنت في العمل ، وأستطيع أن أستقطع منه وقت الصلاة فقط ، بحيث لا يؤثر على العملاء ولا على العمل، فأُصلي الفريضة في وقتها في جماعة، ولا أظل قبلها نصف ساعة للوضوء ، ولا بعدها نصف ساعة لأختم الصلاة ، لأنني في العمل، فأُصلي الفريضة وأؤجل النوافل! ... ولو كنت قائماً على مصالح الناس ، والناس يقفون في طابور ، فهل أقول لهم: انتظروا حتى أُصلي الظهر ، وأرجع لكم ؟ ، لأن وقت الظهر إلى قبل العصر، فبعد أن أُنهي حاجات الناس أصلي الفريضة لأن رسول الله ﷺ نهى عن التنطع في الدين.

لكنني لو كنت أعمل في عملي الخاص، كزراعتي. وأذَّن الظهر ، يمكنني أن أُؤجل هذا العمل وآخذ راحة ربع ساعة أُصلي فيها ثم أعود لإكمال العمل، بل سيعينني الله على إكمال العمل وعلى أداء الصلاة في وقتها في جماعة، فلا عُذر لترك صلاة الجماعة أبداً.

وسيدنا رسول الله ﷺ كان في آخر حياته وفي آخر أنفاسه مريضاً وجاءته الحُمَّى وكان يضع الماء على رأسه فينزل ساخناً من شدة الحُمى، سمع الأذان، فربط رأسه ونادى على الإمام علي ونادى على سيدنا العباس، واستند إلى الإمام علي من اليمين وعلى العباس من اليسار لأنه لم يستطع المشي، إلى أن وصل إلى المسجد ليُصلي مع جماعة المسلمين، وآخر كلمات خرجت منه كانت:

{ الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ }[67]

---

67 سنن ابن ماجة عن أنس رضي الله عنه

فلا يوجد مرضٍ يمنعني من الجماع ، إلا ما يقوله الطبيب المسلم التقي ، كأن يقول لي: إياك أن تتحرك لئلا يزيد المرض، لكن لو كان بين بيتي وبين المسجد خمس دقائق ، وخطاه في نصف ساعة؛ فلا بأس لأنال الأجر والثواب؛ حتى أكسب صلاة الجماعة.

{ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ ، فَرَخَّصَ لَهُ ، فَلَمَّا وَلَّى ، دَعَاهُ ، فَقَالَ : هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاةِ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَجِبْ } [68]

وأعتقد أنه في هذا العصر قد أقام الله علينا الحجة كلها !!!

فهل أحدٌ منا لا يسمع الأذان حالياً؟ لا، فالميكروفونات جعلت الكل يسمع الآذان ، ومن الذي ينادي؟ الله ﷻ : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ماذا يريد منا ؟ ﴿ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ (10ابراهيم) تعالى لأغفر لك ذنوبك، وليس لمنفعةٍ أو مصلحةٍ منك، حاشا لله ﷻ ، ولذلك قال ﷺ :

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلا فَيَؤُمَّ النَّاسَ ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ } [69]

---

68 صحيح مسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه
69 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

لِيُعرفنا أنها جريمة كبير ، وإن كان المسلمون الآن لا يعتبرونها جريمة ، وكنا قديماً في القُرى لا يوجد أحدٌ منا يُصلي في البيت، لكن الآن يقول لك: الماء في البيت فأُصلي في البيت ، وماذا عن الجامع والجماعة الأولى !! كان أصحاب رسول الله ﷺ من فاتته التكبيرة الأولى وهي تكبيرة الإحرام يعزُّوه ثلاثة أيام، من فاتته الجماعة الأولى يُعزُّوه أسبوعاً على الفضل الذي فاته من الله ﷻ .

حاتم الأصَّم مات ابنه، فراح عددٌ كبير يزيد عن عشرة آلاف من بلدته خراسان يُعزَّون ، وفاتته صلاة عصر، فلم يُعزِّه أحدٌ على ذلك ، فقال: يموت إبني فيُعزِّيني عشرة آلاف ، وتفوتني صلاة العصر في جماعة فلا يُعزيني أحد، فوالله لموت إبني أهون عليَّ من صلاة جماعة .

لأن هذه التي أمرنا بها الله، حتى أنزل لنا آياتها جماعة !!!

هل فينا من يقُل: إياك أعبد وإياك أستعين؟ لا، ولكن نقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ بلسان الجماعة، ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ كلنا، حتى إذا قرأ الإمام تكون القراءة للمأمومين من خلفه بلسان الجماعة، ولو كان الإنسان حتى من كبار أولياء الله، وأصبح فذّاً في القُرب من الله، حضرة النبي يقول:

{ صَلاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً } [70]

---

70 البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

والفذ أي الذي لا مثيل له في طاعة الله وقرب الله !!!

لكننا على قدرنا، و لمشاكل التي تشغلنا هي التي تأتينا في الصلاة، وأنا أُريد الصلاة أن تنال القبول، فتكون في الجماعة !

لأن الجماعة لو كان فيها رجل واحد تقبل الله صلاته فيقبل الله صلاة الكل من أجله، فصلاة الجماعة هي التي فيها الضمان إن شاء الله:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ :

طرفي النهار قال فيها بعض الأئمة: الصبح والمغرب، وبعضهم قال: الصبح والظهر والعصر، وزُلفاً من الليل يعني المغرب والعشاء، والآية أصلاً كانت قبل نزول الصلوات الخمس، فلما نزلت الصلوات الخمس نؤديها في أوقاتها في جماعة .

لماذا قال الله ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ولم يقل أدِّ الصلاة؟ أقمها بحضور قلبٍ وخشوع لله.

﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ :

لا يوجد أحدٌ يمنع نفسه من اللمم من صغار الذنوب، وصغار الذنوب ما دام الإنسان اجتنب الكبائر فيغفرها الله بالصلاة.

ا ن ول هذه الآية له أسبابٌ متعددة، فقد كان رجل من أصح ب رسول الله تمَّاراً يعني يبيع التمر، وجاءته مرأة تشتري تمر ، فأدخلها بستانه. وق لها قُبلة رغماً عنه فخرجت مسرع ، أحسَّ الرجل بالذنب، فجاء إلى النبي ﷺ فقال:

{ إِنِّي أَخَذْتُ امْرَأَةً فِي الْبُسْتَانِ ، فَأَصَبْتُ كُلَّ شَيْءٍ ، غَيْرَ أَنْ لَمْ أَنْكِحْهَا ، فَافْعَلْ بِي مَا شِئْتَ ، فَلَمْ يَقُلْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا ، ثُمَّ دَعَاهُ ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ } [71]

وفي رواية والروايات متعددة فى هذا الشأن : **{ أنّ رَجُلاً أتَى رَسُولَ الله ﷺ فقالَ: يَا رَسُولَ الله إنِّي أصَبْتُ حَدًّا فأَقِمْهُ عَلَيّ. قالَ: تَوَضّأْتَ حِينَ أقْبَلْتَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: هَلْ صَلّيْتَ مَعَنَا حِينَ صَلّيْنَا؟ قالَ : نَعَمْ. قالَ: اذْهَبْ فإنّ الله قَدْ عَفَا عَنْكَ }** [72]وكما قال حضرة النبي: **{ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا : لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ، قَالَ : فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا }** [73]

---

71 سنن النسائي ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
72 سنن أبي داوود عن أبي أمامة رضي الله عنه
73 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

ولذلك قال الله ﷻ : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (31 النساء) قال سيدنا عبد الله بن ع س ﷺ : ((نكفر عنكم سيئاتكم بالصلاة) .

ما دمنا نجتنب الكبائر التي تحتاج لتوبةٍ نصوح مثل القتل والزنا وشهادة الزور والسرقة وعمل قوم لوط وشرب الخمر وغيرها فالصغائر تغفرها الصلوات الخمس.

فمن حافظ على الصلوات في وقتها في جماعة في بيت الله ﷻ ، ولا سمح للنفس أن ت دِّم أعذاراً خوفاً من الواحد القهار دخل في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ فهذه تذكرة وتنبيه من الله ﷻ لعباد الله المتنبهين والفاكرين والحاضرين والذاكرير ، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

سادساً: الصبر

آخر شيءفي الروشتة، لا غني لأي عبدٍ عنه في هذه الحياة: ﴿ وَٱصۡبِرۡ ﴾ فقد روي عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال :

{ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ }

هل يستطيع أحد أن يعيش بجسد بدون أس !

فكذلك الإيمان لا يصمد في قلب الإ نسان شواغل الزماد ، وفتن الأكوان، وما يتعرَّض له الإنسان من أكدا ، وما يتعرض له الإنسان من مضار، إلا إذا كان معه الصبر الجميل الذي أمرنا به الله عز وجل :

﴿ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ :

والمُحسـ ن هم الذين قال فيهم النبي ﷺ :

{ الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ }[74]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

74 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٍ وَهُدًى وَرَحۡمَةً لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (يوسف)

دَ : الدعوة إلى الله على بصيرة[75]

dddddddddddddddddd

القرآن كله معجز، ومعجزات القرآن لا تُعد ولا تُحد ، والآيات التي بين أيدينا توضِّح أمراً جوهرياً وخطيراً يحتاجه جميع المسلمين الآن ، وبعد الآن إلى آخر الزمان ..

إن الله ﷻ أخبر في صريح القرآن، بأن نبينا الخاتم هو خاتم النبيين، وبيَّن ﷺ صريح هذه الآية فقال صلوات ربي وتسليماته عليه :

{ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ }[76] ، وقال: { وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي }[77]

إذاً من يُرشد الخلق ويهديهم إلى الطريق القويم ، ويُبين لهم شرع الله ﷻ الحكيم؟

وشرع الله ﷻ أنزله الله صالحاً لكل زمان ومكان، فيه مرونة وفيه يُسر وتيسير؛ فلا يجوز أن يكون الشرع جامداً، لكن يتغيَّر حسب الزمان وحسب المكان ، وحسب قُوى الأفراد وحسب مناسباتهم وأحوالهم في كل زمانٍ ومكان.

---

75 المنـ – مغاغ – آبا البلا – 24 من رجب 1437 هـ 1/5/2016م

76 مسند أحمد وابن حبان عن العرباض بن سارية رضي الله عنه

77 البخاري مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

ورثة الارشاد

من الذي سيُبين؟ ومن الذي سنأخذ منه الهداية؟ من الذي يُرشدنا إلى الطريق الصحيح لعناية الله ، ولاية ورعاية الله؟

الله ﷻ أمر نبيه ﷺ أن يُطمئن قلوبنا فقال: ﴿ قُلۡ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ ﴾ وسبيل يعني الطريق ، فهذه طريقتي فلا تنشغلوا بطُرقٍ أُخرى ، ولا تلتفتوا إليها ، ولكن انشغلوا بالطريق الذي مشى على هذا النهج القرآني ، والذي كان عليه حضرة النبي ﷺ .

فهذه طريقتي : ﴿ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ :

فليست دعوة لسانية ولكنها دعوة فيها فتوحاتٌ ربانية، لأن الكلام إذا كان من اللسان فلا يتجاوز الآذان، والكلام إذا كان من القلوب يصل إلى القلوب، والقلوب تتلقى من الغيوب ، فينجذب أهلها حباً وعشقاً وهُياماً في الحبيب المحبوب ﷺ .

قالوا كل من يأتي من بعد النبي ﷺ فزنوه بهذا الميزان، من كان معه أنوار البصير ، وصفاء السرير ، وفتح الله ﷻ له عيناً في فؤاده يتلقَّى منها من الله علوم الإلهام، التي هي دليلٌ على الوراثة الأكملية للحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، فهذا الذي تتبعوه ، وتسلكوا سبيله ، وتمشون على نهجه.

﴿ ٱدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ :

طمأننا الله أنه سيأتي من بعده أتباع إلى يوم الدين يمشون على هذا النهج، فلا نخاف، والحمد لله فهناك رجال سيقيمهم الله ويجتبيهم في كل مان ومكان، فمن الجائز أن يكون في نفس الزمن أكثر من رجل، في كل مكان رجل أو أكثر على حسب إرادة الواحد ﷻ .

هؤلاء الرجال على نفس نهج الحبيب المصطفى ﷺ ، فهم لا يدعون لأنفسهم ، لايريدون أن يلتفَّ الناس من حولهم ، ولا حتى للطريقة التي يسيرون فيها. لا يريدون من الناس أن يتركوا طرُقهم ويمشون في طريقتهم لأن الطريق إلى الله كله طريقٌ واحد: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ (153الأنعام) انظر إلى كلام الله : هذ) إسم إشارة، أي أن هذا الرجل هو الصراط المستقيم، ولذلك لم يقُل (فامشوا عليه) ولكن قال: ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ يعني امشوا خلفه، فيكون الصراط المستقيم هنا هو سيدنا رسول الله ﷺ .

وسائل القرب

وما هذه الطرق كلها؟

هذه الطرق كلها وسائل توصِّل السائل إلى لُبِّ الأمر، وهو طريق الله جل في عُلاه، وطريق الله الذي عليه سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك كان السادة الصالحين يقولون:

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ	رشفاً من البحر أو غرفاً من الديم

لماذا يتعصَّب هذا لطريقته والآخر يتعصَّب لطريقته، والثالث يتعصَّب لطريقته؟!! هؤلاء يدخلون في قول الحبيب:

{ لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ } [78]

وهل توجد عصبية في الإسلام؟ لا، ولكن العصبية لحضرة الله، ولسيدنا رسول الله، ولكتاب الله، وماذا نكون نحن كلنا؟ إن كان شاذلي أو رفاعي أو صوفي أو سُني أو غير؟ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠ الحجرات) كلهم على اختلاف ألوانهم إخوة، فمن يدعو إلى عصبية ليس له نصيب في هذه الآية من ميراث الحبيب ﷺ.

78 سنن أبي داود والبيهقي عن جبير بن مطعم رضي الله عنه

ربما يقول البعض: لماذا تمشون خلف الشيخ فلان الشيخ فلان والدين ليس فيه مشايخ؟ فأنا أقول لهم: وهل فيكم رجل يمشي من غير شيخ يوجهه ويمشي خلفه ! فلماذا تُحرِّموا المشايخ عندنا ؟!.

وما معنى شيخ؟ يعني موجِّه، فالرجل كبر في طريق الله ، فأصبح عنده خبر ، وعنده بصير ، وعنده ما يهدي به الحيارى الذين يريدون أن يمشوا خلفه إلى أن يصلوا إلى طريق الله . طريق رسول الله ﷺ .

﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ كما قلنا من يدعو لنفسه فلا شأن لنا به، ومن يرد أن نلتف حوله ونعظمه ونكرّمه ونكبره ونشيِّخه فهذا لا تز ل نفسه تضحك ء يه وهو محتاج لمن يأخذ بيديه فكيف يأخذ بأيدينا ! والدعوة: هناك دعوة إلى سبيل الله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (125 النحل) فهذه دعوة، وهناك دعوة إلى الله ، وهي دعوةٌ أُخرى .... الدعوة إلى سبيل الله هي دعوة غير المسلمين إلى الدخول في هذا الدين، وهي تحتاج أن تكون بالحكمة الموعظة الحسنة.

لكن المسلمين المهتدين أريد أن آخذهم ليتدرجوا في لمراتب العلية، ويرتقوا في الدرجات الإيمانية، إلى أن يدخلوا في قول رب البرية: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ (29الفتح) ، فهناك دعوة خارجية، ، دعوة داخلية .

دعوة ا- ارجية لإدخال الناس في الدين وتحتاج للحكمة والموعظة الحسنة، فلا أسبُّهم ولا أنهرهم ولا أشتمهم ولا أُكرِّه إليهم ما هم فيه، ولكن آخذهم بالتدريج الإلهي الذي ع مه الله لنا على لسان حضرة النبي ﷺ .

البصيرة والدعوة

من دخل ويريد أن يكون له درجة عند الله، ومقامٌ كريمٌ عند مولاه، ويكون من رفقاء الحبيب في الدار الآخرة إن شاء الله، فهذا يحتاج إلى داعٍ آخر على بصيرة، لكي يأخذ بيده إلى أن يُوصله إلى هذه الدرجات الكريمة المنيرة، فهذا شرطه أن يكون داعياً إلى الله على بصيرة.

﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ :

والبصيرة هي تطهير القلوب من العيوب ، واستنارتها بالنور الموهوب الذي يتزل فضلاً وكرماً وعطاءاً محضاً من حضرة علاّم الغيوب ﷻ ، وليس له ثمن يدفع ، وإنما ثمنه الأساسي الإخلاص لله ، والصدق في التعامل مع الله جل في علاه.

إذا جاهد الإنسان نفسه إلى أن زكت، ثم صفَّى قلبه حتى يتطَّهر، وتعرَّض لفضل الله ، أكرمه الله ﷻ بعطاءاته الإلهية، ونفحاته الربانية ، فيُصبح له نوراً كاشفاً يُعينه على تحقيق الأمنية ، لكل فردٍ يريد بلوغ تلك المراتب العلية.

ربما بعضكم يقول لي: أنا رأيت فلاناً فتح الله عليه ولكنه لم يواصل، فأقول له: أن نفسه ضحكت عليه وأراد أن يجمع الناس عليه، لأن المفروض أن يجمع الناس على الله، فإذا ضحكت نفسه عليه وأراد أن يجمع الناس عليه،

فعلى الفور أنواره تخبو، وقمر المشاهدات في قلبه يُخ ف ، ولا يستطيع أن يتبين هذا من ذاك، لماذا؟ لأنه ضلَّ الطريق القويم والمنهج المستقيم الذي بينه الله ﷻ في الذكر الحكيم ، وكان عليه سيدنا محمد الرءوف الرحيم ﷺ .

تريد أن تنجح في هذا المجال، فعليك أن تسوق الخلق إلى الحق ، إياك أن يقف أحدٌ عندك، فلا تكن حجاباً بين الخلق وخالقهم، وإياك أن توقفهم عندك أنت . لأنك ستكون الحجاب، وكيف أفعل بمن يأتني؟ أذهب به إلى الله ، أسوق الخلق إلى الخالق ﷻ ، فأُوجههم وأُرشدهم لكن المحطة ليست عندي، فأنا أقول له: هذا هو الطريق ، فأمشي معه أو أمشي أمامه ، أو أصف له الطريق على حسب مرتبته من عا التحق ق، لكن المهم أن لا يقف عندي أنا، فأوجهه إلى الله ﷻ .

وهذه لأي داع ناجح ، تجد أن سر نجاحه في هذا الأمر، وهذه القضية ؛ أن الخلق كلهم يدفعهم إلى الله ﷻ ، أو أننا ندعو الخلق إلى سيدنا رسول الله، وسيدنا رسول الله يدعو الخلق إلى الله ... ، إذا كنتُ مساعداً في طريق الله فأوجههم للأستاذ، والأستاذ يوجههم لحضرة الحبيب، والحبيب يوجههم إلى الله، لكن لو كل مساعد جمع له ثلاثة أو أربعة حوله ويقف عندهم ، تنتهي الإمدادات الإلهية ، ولم يعد عنده البصيرة النورانية التي ذكرها لنا الله على لسان حبيبه ومصطفاه.

الجهاد المو ل

ولذلك كان السلف الصالح كأصحاب رسول الله تماماً بتمام، كل واحد منهم ينشغل تمام الا نشغال بمجاهدة نفسه وتصفية قلبه.

، المجاهدة والتصفية تحتاج لى مشرف، ومشرف بمعناها اللغوي: منحه الله ﷻ القدرة الإلهية الباطنية أن يُشرف على باطني يرى ما فيه، حتى أستطيع أن أ- لو الفؤاد مما فيه، فيُصبح خالصاً لله ﷻ فتتنزَّل العطايا الإلهية فيه.

فكان ينش ل بتزكية نفسه وتصفية قلبه، إلى أن تُفتح له عينٌ في القلب ، وهذه العين يقول فيها الله : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ (6 الإنسان) ولم يقل: يشربوا منها، ولكن قال: (يشربوا بها) وماذا يشربون بها؟ شراب أهل المودة، وشراب أهل القُرب ، وشراب أهل الحب ، وشراب أهل الشوق والوجد، ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (21 الإنسان) وهذا الشراب هو الذي يُطهِّر القلوب من كل ما يحجبها من أنوار حضرة علام الغيوب ﷻ .

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (6 الإنسان) يفجرونها بديناميت الحب ، على نسق الأحب : محمد ﷺ وحزبه، الحب الذي يُفجر العين في القلب الذي وصل واتّصل بقول الحبيب:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ، وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [79]

وفي رواية أخرى:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [80]

وفي رواية أخرى:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ } [81]

وهذا هو الجهاد، هل تُحب رسول الله؟ كلنا نُحب رسول الله والحمد لله، لكن حب المال أكثر، فهل ستفجّر العين؟ أو حب الزوجة أكبر هل ستتفجر العين؟ لا ، ولذلك هؤلاء قال فيهم سيدنا رسول الله:

---

79 البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

80 صحيح مسلم والنسائي عن أنس رضي الله عنه

81 مسند أحمد والبخاري عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه

{ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ }[82]

دعا عليه أنه إذا أُصيب بشوكة فلا يجد ملقط يلتقط به هذه الشوكة، لأنه شغل نفسه بالفاني، والفاني مضمون ومأمون وتكفَّل به الحي القيوم الذي لا تخذه سنةٌ ولا نوم.

هل كلفك الله جل في عُلاه برزق أولادك؟ لا، ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ ﴾ (22الذاريات) وهل كلفك الله ﷻ بأن تجعل أكثر شُعبةٍ في قلبك نحو زوجك؟ ! ، ﴿ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡ ﴾ (14التغابن) ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ (15التغابن) .

فإياك أن تقع في هذه الفتن ، فتنشغل بهم عن لحب الصحيح لله ورسوله، فأعلى شيء يكون عندي هو حب الله وحب رسول الله.

فإذا استطعت أن أصل لهذا الحب فعلى الفور يكون كالديناميت الذي ينسف الجبال، فينسف من قلبي جبال الأغيار ، وجبال الوهم ، وجبال الخيال ، وجبال الظلال ، وتُشرق في القلب على الفور: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ (69الزمر) وتأتيني علوم الكتاب ، ومشاهد النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ويكون هذا القلب عامراً بكل ما أشرنا إليه ، وذكره الله ﷻ في كتابه الكريم.

82 البخاري وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

بشارة الإذن

ثم بعد ذلك ينتظر الإذن، فلا يتكلم من نفسه: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ (46 الأحزاب) وهذه سنة الصالحين.

سنأخذ بعض الأمثلة البسيطة على ذلك: سيدنا الإمام الجُنيد ﷺ كان يتربَّى على يد شيخه السرِّي السقطي ﷺ ، وظل يجاهد نفسه ويُصفِّ قلبه، إلى أن وُهب العلوم الإلهية: ﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (65 الكهف) .

الأحباب كانوا يسمعون منه شذرات، فاستطعموا هذه العبارات ، ودائماً الشراب من عند الله يكون له طعماً شهياً في القلوب، إذا كان الكلام من النور حصل لسامعيه السرور، فيكون الإنسان سعيداً وهو يسمع هذا الكلام.

فقالوا للشيخ السري السقطي : نريد من الجنيد أن يُحدثنا بما فتح الله ﷻ به عليه، وهذه كانت العلامة، فلا تُحدثنا من نقولات السابقين، ولا من كتب المؤلفين، لأن كل واحد كتب على حسب ما وهبه الله لمن حوله في عصره وزمانه، وكل عصر وزمان يحتاج إلى شراب جديد يتزل من عند الحميد المجيد ﷻ ،

وهل الخزائن الإلهية وقفت عند السابقين؟ حاشا لله ﷻ ، عطاء الله واسع لا يُعد ولا يُحد: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ (54 ص) لا ينتهي أبداً:﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾.

إن رزق الدنيا، أو رزق العلوم والإلهامات والحقائق والمكاشفات والأسرار والتنزلات، كل هذا الرزق ما له من نفاد؛ لأنه يتنزل من عند حضرة الله ﷻ .

فقال له الشيخ: يا جنيد حدِّث إخوانك بما فتح الله ﷻ به عليك، فقال في نفسه: لا أتحدَّث إلا بعد الإذن من رسول الله ﷺ ، والشيخ يظل مع المريد إلى أن يُوصله لرسول الله، وبعد أن يوصِّله لرسول الله يقول له: أصبحنا إخوة مع بعضنا في الحضرة المحمدية، ولكن الشيخ له السبق لا قدمية وللخصوصية التي قدمها لي.

وفي نفس الليلة رأى سيدنا رسول الله ﷺ ، لنعرف أن هؤلاء الرجال لهم ما يشاءون عند ربهم، وما يريدونه لا بد أن يحققه لهم، لأنهم لا يريدون أموال ولا دولارات، ولكنهم يريدون ملاطفات ومؤانسات وعلومٌ وهبية ومكاشفات وفيوضات وتجليات، فهذا مطلبهم، لكن الدولارات مع الكفار والفجار فماذا يصنعون بها !

فرأى سيدنا رسول الله ﷺ في المنام وقال له: يا جنيد حدّث إخو نك بما فتح الله ﷻ به عليك، . ام من الرؤيا قبل النسمة الفجرية؛ وقت السحر، فطابور الصالحين يكون صفاءه وانتباهه في وقت السحر بين يدي رب العالمي – صفاء يعني صفا وانتبا – ثم يقول: جمِ ، فيُجم ع على الله: ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ الذاريات .

هل يجوز لعسكري عندما يقولون له: ا ي ، أن ينا ! هذا ليس له في الغنا م، والغنائم تتوزَّع في وقت السحر على الصالحين والمقربين من الله ﷻ ، وهو الذي يوزِّعها وينادي من يريد كذا ومن يريد كذ ، قال ﷺ :

{ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفُ اللَّيْلِ ، نَزَلَ الله ﷻ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ } [83]

فاستيقظ الجنيد في وقت النسمة الفجري ، وذهب إلى شيخه الشيخ السري السقطي ، وطرق عليه الباب ليُبشره بالرؤيا التي رآها، وهو على الباب قال له: أن عرفت ، ونحن الذين أرسلناه إليك، فأنت تريد إذناً من رسول الله فلا مانع إن شاء الله.

83 مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

جاءه الإذن ، ومادام جاء الإذن يجيء العون – إذا أقاموك أعانوك – فذهب ليُصلي صلاة الظهر بالمسجد ، وصلاة الظهر، غالباً الناس تكون في مشاغل ، من يكون في مزرعته، ومن يكون في السوق ، ومن يكون في العمل ، لكنه وجد المسجد مُمتلئاً عن آخره، وها هي الإعانة من الله، بمجرد أن صلُّوا الظهر أحضروا كرسي وقالوا له: يا جنيد تعالَ حدِّثنا بما فتح الله به عليك ... إذا أقامك أعانك، يذهب لمكان فيجد الملائكة السياحين جمعوا الصالحين والذين لهم نصيبٌ لهذا الكلام الإلهي من كل مكان ليسمعوه، والآخر يُصلي العشاء أو يُصلي الجمعة ويقول لهم: أنا أريد منكم خمس دقائق فقط نجلس سوياً لدرس العلم، فلا يجد أحد، لأنه أقام نفسه، لكن الآخر أقامه الله ﷻ ، وإذا أقامه أعانه.

بدأ الجُنيد في الكلام، وكان في هذا الوقت العرب متمسكين بالعمل بحديث رسول الله ﷺ والذي يقول فيه: { **الْعَمَائِمُ تِيجَانُ الْعَرَبِ** }[84] ، وكان على ذلك أن يلتزموا لا بد أن يتعمَّموا لهذا الحديث، ومن لا يتعمم كان يتعمم يوم الجمعة عملاً بالحديث، وغير المسلمين كانوا معروفين لأنهم يمشون بغير عمامة، فتعرف المسلم من غير المسلم بذلك !

فدخل المسجد أحدهم متعمم ، فقال للجنيد: لي سؤال، فقال سل، فقال: ما معنى قول رسول الله ﷺ : { **اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ** }[85] ؟

---

84 مسند الشهاب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
85 جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

، لما كان الرجل لابساً عمامة فهذا يعني أنه مسلم. فأطرق الشيخ إلى الأرض وهي من علامات الصالحين المكاشفين ، ينظر في الأرض ويُرسل عيون الروح تجول في السرائر والضمائر وتجول في الملكوت وهي كذلك ، وبعد ذلك رفع رأسه وقال: معناه أنه آن الآن أوان إسلامك يا نصراني![86] ، من أين عرف؟ ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ ﴾ (122الأنعام) قال له: صدقت يا تاج العارفين ، فقد متحنتُ قبلك جمًّا غفيراً من العلماء والصالحين فلم يعرفني أحدٌ من . .

نأخذ نموذجاً آخر:

سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ ، مكث في بغداد يُزكِّي نفسه ويُصفِّ قلبه ، لأنه نزلت عليه العطايا التي لا تُعد في قلبه من الله ﷻ ، وقلب المؤمن وعاء الغيوب الإلهية ، والعلوم الربانية والأسرار الذاتية .. كلها تُوضع في قلب المؤمن بأمر من يقول للشيء كن فيكون .... فجاءه سيدنا رسول الله في المنام بعد أن تأهل وقال له: يا عبد القادر تحدَّث للخلق بما فتح الله ﷻ عليك، قال: فقلت يا سيدي أنا رجلٌ أعجمي - لأنه كان تربَّى في بلاد فارس وإن كان أصلُه عربي - و لا أُجيد النطق بالعربية، فقال: فتح فاك وتفل فيه ﷺ سبع مرات ... فذهب إلى المسجد في صلاة الظهر فوجد المسجد مليئاً، وبعد الصلاة أتوا له بكرسي وقالوا: أسمعنا شيئاً مما أفاض الله به عليك، قال: فنظرتُ إلى المسجد فوجدته غاصًّا بأهله فارتُجَّ علي - حدث عنده دهشة -

86 روح البيان إسماعيل حقي بروسوى بتصرف.

فرأيتُ الإمام علي ﷺ يقظةً فقال: يا بني حدِّث الناس بما فتح الله عليك، قال: قُلتُ يا سيدي أنا رجلٌ أعجمي وقد لا يفهموني، قال: افتح فاك ، فتفل فيه ستُ مرات، قال: فقلتُ يا سيدي لَم لَمْ تُكمل السابعة؟ قال: أدباً مع رسول الله ﷺ ... فانطلق ، وأعطاه الله ﷻ من قوته الإلهية أن صوته كان يُسمع في كل القُرى المحيطة ببغداد ، وهو في مسجده ببغداد، بدون ميكروفونات ولا استريوهات ولا سمَّاعات ولا شيء، لكن ملك الملوك إذا وهب لا تسألنَّ عن السبب.

ولو تتبعنا حياة الصالحين والعارفين وأئمة المتقين فتجدهم كلهم على نفس هذه الهيئة وعلى نفس الكيفية.

ومن يتعجَّل فيكون كالفاكهة التي لم تنضج بعد، لا يستطيع أحدٌ أن يتذوقها، وهي نفس الأمر، فالداعي الذي أقام نفسه ولم ينتظر حتى زكت نفسه وطهَّر قلبه وأخذ الإذن من رسول الله ﷺ ، فهذا كالذي يأكل العنب الذي لم يطب ويُسمَّى بالحُصرم ، والحصرم الذي يأكله يتقزز، ولا يريد أن يسمع ولا يريد أن يأكل.

سر الإخلاص

لكن ما الطريق ؟

﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ :

تخلَّص من الشرك الأصغر والشرك الأكبر والشرك الخفي والشرك الأخفى، وأصبح خالصاً لله، صادقاً مع مولاه ...

لأن الإخلاص هو سرُّ الإمدادات الإلهية لمن يُريد المدد من الله ﷻ ... والإخلاص يعني أن ترجو من عملك، ومن وراء عملك وجه الله، فلا تريد شُهرةً ولا رياءً ولا سُمعة، ولا حتى كلمة ثناء ولا مدح ولا دعا، ولا أي من أمور الدنيا الفاني، وإنما تتأسى بالرسل والأنبياء وتقول كما قال عنهم الله ﷻ في كتاب الله: ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (72 يونس).

العمل الذي ستؤديه لأي قومٍ، فتقتدي فيه بإمام الدعاة بعد سيدنا رسول الله الإمام عليّ، كان يقول كما أخبر القرآن: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (9 الإنسان).

الذي ضيَّع المسلمين كلهم أو معظمهم في هذا الزمان أن من عمل شيئاً للخلق يُريد الأجر من الخلق، وماذا مع الخلق ليُعطوه لك ! إذا كنت أنت ستحمل بضاعة الحق، ف ن من الخلق حتى ولو اجتمعوا جميعاً يستطيع أن يكافئك على كلمة احدة من بضاعة الله وبضاعة حبيب الله ومصطفاه !.

فنفسك ستضحك عليك إذا طلبت نظير ذلك أن يُعظمول ، أو يكرّمول ، أو يقبلوا يديك ، أو يقضون لك مصلحة أو منفعة، فمن يُرد مصلحة أو منفعة يعملها لله ليأخذ الأجر من الله، فيُدرِّب الإنسان نفسا على الإخلاص لله ﷻ في السر ، العلانية.

ثم ن الله ﷻ لنا حقيقة قرآنية إلهية: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم ﴾ أن النبو ، ووراثة النبوة لا تكون في ملائكة . ولا في جر : ولا في نساء، لا يصلح أن تكون المرأة داعية إلى الله إلا إذا كانت تدعو النساء من حولها ، لكن داعية إلى الله وتدعو الر- ال ليجتمعوا عليها فلا يجوز ذلك.

سيدي أحمد البدوي ﷺ كان قد أخذ الطريق من الشيخ برِّي : من خلفاء سيدي أحمد الرفا ي،

فلما سمع أن امرأة من إخوانه كانت وصلت لمقام الكشف في العراق وأعلنت الدعو ، وأصبح

الناس يذهبون ليتبُّوا على ي يها، خرج خصيصاً من خلوته من غار حراء، وحضرة النبي هو الذي

أرسله، وظلَّ يمشي حتى وصل عنده ، ولم يتركها حتى تابت من هذا الأمر، لماذا؟ لأن الله حكم

وحُكمه حقٌ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيۡهِم ﴾ .

لا بد وأن يكون رجا ، فلا تصلح النسا ، ولا الجنٌ لأن الجن غير ، ولا الملائكة لأننا لن

نراهم ولن نكلمهم، فلا بد وأن يكونوا رجالاً وصلوا إلى مقام الرجولية الكاملة، والوحي بالنسبة

للأنبياء السابقين، والإلهام بمثابة الوحي بالنسبة لورثة النبي المصطفى القائمين مقامه إلى يوم الدين.

﴿ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ :

لا بد أن يكونوا من أهل القُرى ، يعني في مدينة عامر ، ليعرف أخلاق المدن والحضار ،

وأخلاق أهل البداوة، ولذلك لم يرسل الله ﷻ نبياً أبداً من بادية، فلا بد وأن يكون من مدينة

ليعرف أخلاق المُدن والمدنية والحضارة ويُحيط بكل هذه الأمور.

وراجعوا تاريخ الأنبياء هل يوجد نبيٍ بُعث من صحراء؟ لا، وكذلك الأولياء، لكنه قد يخلو فترة في الصحراء ليُجرِّد نفسه، لكنه أصلاً من المدينة، ويرجع للمدينة، قال الله : ﴿ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾.. ثم يخاطب الله ﷻ المكذِّبين إن كانوا في أيام حضرة النبي، أو في أيامنا هذه: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ لماذا الإنسان لا ينظر نظر عبر ؟! وله من التاريخ مدرسة يعلم منها علم الأولين وحكم الآخرين، وفي قصص الأنبياء ما يُغني الإنسان عن البعد عن الله ﷻ، ولإعتراض عن المقامين من الله ﷻ في كل وقتٍ وحين.

أعمال الآخرة

﴿ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ :

أنبأنا الله ﷻ أن الدار الآخرة هي في الدنيا هنا، فإذا كنت في ع لٍ من أعمال الآخرة، فأنت وإن كنت في الدنيا تكون في اا خرة.

نحن الآن في مجلس علم، إذاً نحن في الآخرة، لأن المجلس الذي نحن فيه مجلسٌ من مجالس الآخرة، فنكون ج لسين في الآخرة، أين هذا الكلام في القرآ ؟

﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ ﴾ (153 آل عمران) عندما يبلغكم الرسول دعوة فتكونوا في الآخرة في هذا الوقت والحين وليس في الدنيا.

إذا كان الإنسان بين يدي الله يناجي الله في الصلاة فأين يكون؟ في الآخرة، لأنه يناجي الله، وإذا كان ممسكاً بكتاب الله يناجي الله بكلامه فأين يكون؟ في الآخرة.

فالإنسان إذا كان في أي عملٍ من أعمال الآ رة فيكون في الآخرة وإن كان ا لق يظنون أنه في الدنيا.

ولذلك ينبغي على المؤمن أن يكون دوماً يتنقل في هذه الدنيا في أعمال الآخر ، من ذكر ، إلى فكر، إلى مجلس علم، إلى تلاوة القرآن ، إلى مجلس صُلح ، إلى صلة رحم ، إلى زيارة مريض ، إلى تشييع جنازة .. فيكون دوماً في أعمال الآخرة لأن الله قال لنا : ﴿ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

شدائد الدعاة إلى الله

النبيون والمرسلون الذين اصطفاهم الله واجتباهم، ومن بعدهم من الوارثين، والعلماء العاملين، والحكماء الربانيين، والصالحين، والعارفين .. هم أكثر الناس تعرضاً للشدائد في حياتهم الدنيا، بسبب إبلاغهم لرسالة الله ﷻ .

لذلك لا بد لهم من معرفة ذلك، وأن يوطنوا أنفسهم على ذلك، لماذا؟ قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (31 الفرقان) هذا العدو من المجرمين وليس من الناس الطيبين ولا المتساهلين، ولذلك قال النبي ﷺ في أبي جهل: { **فرعوني أشدُ عليَّ من فرعون أخي موسى عليه** }[87] .

87 تفسير الرازى وروح البيان وتفسير حقى وغيرها فى قصة قتل ابن مسعود لأبى جهل.

كان أشد عليه من فرعون موسى على موسى ، وكان جباراً من جبابرة الله ﷻ في الأرض، بل كان معه مجموعة من الجبابرة، وهؤلاء هم الذين ينفقون أموالهم وكل ما يملكون ليصـ وا عن سبيل الله، وسبحان الله فهي موجودة في كل زمانٍ ومكان.

ولذلك سيدنا موسى عندما أوحى الله ﷻ إليه قال: يارب تتركني إلى خلقك هذا يُطعمني وهذا يحرمني؟ فقال الله تعالى: يا موسى ألا ترضى أن نعتق من أجلك كل يومٍ رجلاً من النار؟.

لأن شرط النبوة أن يتفرغ لله عند ما يُكلَّف بالرسالة، فلا تكون له مصلحة، ولا أي عملٍ دنيوي، وتكون وظيفته عند الله ﷻ .

وكذلك نفس الأمر للوارثين، سيدنا أبو الحسن الشاذلي عندما كان يتعبَّد لله ﷻ في جبل شاذُلة، والعبادة تكون أصفى وأنقى وأتقى، ليس فيها حرب من المجادلين، ولا من الغيورين، ولا من الحاقدين، ولا من الحاسدين، ولا من المتشددين، وليس له شأنٌ بذلك لأنه جالس في الصفاء مع ملك الملوك ﷻ ...

فقيل له: يا علي انزل اهدي الناس إلينا، فقال: يا رب تتركني إلى خلقك هذا يُطعمني وهذا يحرمني؟ فقال: يا علي أنفق وأنا الملي ... إن شئت من الجيب .... وإن ش ت من الغيب.

نحن لن نرسلك ونتخلَّى عنك ونتركك، لكن لا بد أن يتعرَّضوا للشدائد، وما هذه الشدائد؟ النفوس العنادية، وهي موجودة في كل البشرية، وهذه النفوس الإبليسية العنادية رغبتها وشهوتها في عناد النفوس المخلصة الزكية القوية.

حتى بيَّن الله ﷻ أن هذا حال المرسلين مع أممهم، وهذا حدث مع الكل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ ﴾ :

الرسل الذين هم على ثقة تامة بالله، ويعرفون تمام المعرفة أن الله ﷻ سينصرهم إن آجلاً أو عاجلاً فهل يحدث عندهم يأس من هذا النصر؟! لا، هذا اليأس له وجهات: إما أنهم يئسوا من هؤلاء القوم من قبول دعوة الله، ولذلك لا يوجد نبيٌّ دعا على قومه إلا بعد أن اطلع على اللوح المحفوظ فوجد أن هذه النفوس لَقِسة وليس لها في طريق الهداية نصيب، فنوح عليه السلام عندما اطَّلع عليهم ولم يجد في اللوح المحفوظ حتى واحداً منهم مكتوب له الهداية، فماذا قال؟: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح) على حسب ما رآه بعين الكشف في اللوح المحفوظ، لأن النبي لا يقول إلا عن رؤيا حيَّة بصيرية في الألواح الإلهية العلية.

سيدنا رسول الله ﷺ لما اطَّلع ورأى أن هذا الجيل كافرين وجاحدين، ولكن رأى أنه سيخرج موحدين من ظهورهم، لم يدعو عليهم، ويأتيه ملك الجبال ويقول له: إن شئت أُطبق عليهم الأخشبين؟ قال له: { **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا** }[88]

من هو فرعونه؟ كما ذكرنا أبو جهل، ومَن كان من كبار فرسان الإسلام؟ عِكرمة بن أبي جهل، وقس على ذلك، ولذلك رسول الله ﷺ لم يدعو عليهم لأنه رأى هذا الأمر.

﴿ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ ﴾ :

وهناك قراءة أخرى: " قَدْ كُذِّبوا " أي أن من حوله كذَّبوه ولن يؤمنوا بهذه الرسالة، أو القوم المُرسلُ إليهم، لأن المرسلين كانوا يوعدونهم: إذا آمنتم فسيحدث لكم كذا وكذا، وإذا لم تؤمنوا فسيحيق بكم من عذاب الله كذا وكذا، فإذا طالت المدة يظن هؤلاء الأقوام أن هؤلاء الأنبياء – حاشا لله – كذبوا عليهم، لأنه لم يأتهم وعد الله مع تكذيبهم ومحاددتهم لدين الله.

أو حتى لو أوَّلناها التأويل البشري:

فإن كل رسول وكل نبي وكل ولي وكل صديق لا يأمن مكر الله ﷻ ، فلمَّا يحدث له تكذيب ولم يأت موعود الله له، فماذا يفعل؟

88 البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

وهذا ما يجب أن نفعله كلنا، يُفتِّش في نفسه، ماذا قصَّرت ولذلك كذَّبوني؟ أو في أي شيء أخطاتُ ولذلك لم ينقادوا إليَّ؟ وما الذي أهملته في سبيل الدعوة الإلهية لأنه لم يحدث المطلوب؟.

وهي السنة التي وضعها لنا الله، بأننا نراجع أنفسنا دوماً عند أي طلب يتأخر قضاؤه، بعد الإلحاح في الطلب من حضرة الله ﷻ .

وكان على ذلك ولا يزال الصالحون :

فنحن نُعلقها في الآخرين ولكن الصالحون غير ذلك، أصحاب رسول الله والصالحون من عباد الله دوماً يلوم نفسه فيراجع نفسه، فإذا لم يتحقق المراد، وإذا لم ينل القصد، وإذا تأخرت الإجابة، فيلوم نفسه ويحاسبها على هذا الأمر، لماذا؟

لأن هذا الذي قاله سبحانه وتعالى لنبيه:

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ (79النساء) ومن نفسك بالنسبة للمؤمنين هي تطهير، إذا كان عليه ذنوبٌ، أو أوزار، وإما رفعة للدرجات. يعني المؤمن على كلتا الحالات له درجات عند رفيع الدرجات ﷻ .

فإذا ظنَّ هؤلاء أن الرسل كذبوهم جاء نصر الله ﷻ ، وإذا ظنَّ المرسلين أن الله ﷻ عاتبهم على تقصيرهم وأخَّر عنهم الفرج، فيأتي أيضاً نصر الله ﷻ :

﴿ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ﴾ :

فيأتي نصر الله ﷻ دائماً في وقت الشدة.

ولذلك اليأس كبيرة من كبائر القلوب، فإذا يئس الإنسان في أي أمرٍ من أموره الدنيوية أو الإيمانية فقد ارتكب كبيرة من الكبائر:

﴿ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (7: يوسف) :

وحتى لا يصاب المؤمن باليأس قط في أي أمرٍ من أموره، فدائماً يكون مُنتظراً لفرج الله، وطامعاً في نصر الله، لا يتعلق بغير نصر مولاه طرفة عين ولا أقل، مهما انتابته الشدائد، ومهما أحاط به الأعداء، ومهما حاول أن يُثنيه عن طريقه الألدَّاء، فليعلم علم اليقين أن نهج الصالحين والنبيين والمرسلين أن نصر الله ﷻ يأتيهم، ولكن بعد حين، وهذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ وبأس الله ﷻ إذا جاء عن المجرمين لا يستطيع أحدٌ أن يردَّه عنه، وكما بيَّنا قبل ذلك سيأتي بأس الله ﷻ لأهل أوربا وأهل أمريكا، وكما قال الإمام أبو العزائم ﷺ ، واسمعوا وعوا:

يوم لا مدفع يدافع عنهم	ولا ذرٌ ولا دارعات الحصون

لا المدافع التي معهم، ولا حتى راجمات الصواريخ ستدفع عنهم، ولا الذرَّ - وأبو العزائم قالها قبل اختراع الذرَّ - ولا المدرعات المحصنَّة، وهي الدُشم المحصَّنة ضد القنابل الذرية، وهذه الأشياء كلها لن تنفعهم، لأنه عندما يأتي أمر الله ﷻ فلا مردَّ لقضاءه، وقال في أمريكا ليُبيِّن مراد الله كيف يأتي؟ فقال:

وبأمريكا زلازلٌ ومخازي	انتقاماً لفتنة الصهيون

وما السلاح الفعَّال الإلهي الذي سيُدمِّر أمريكا؟

الزا زل والعواصف، لماذا؟

إنتقاماً لما يفعلو ه بالعرب والمسلمين من أجل اليهود، كل الإضمار الذي يضمروه فينا، وكل المؤامرات، وكل الحروب التي يُنشئوها في كل وقتٍ وحين، من حروب إقتصادية وحروب صحية وحروب جرثومية وحروب كذا وكذا وكذا، وكلها من أجل اليهود .... وماذا يف لمون ضد هذه الزلازل؟!

وما التكنولوجيا التي عندهم وتستطيع أن تمنع هذه الزلازل؟! لا شيء:

﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ .

الحكمة في دراسة قصص السابقين

ثم توجَّه الله ﷻ بالخطاب لنا جماعة المؤمنين الصادقين أننا ينبغي علينا دراسة سي ة الأنبياء والمرسلين والتابعين والأولياء والصالحين، لماذا؟

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ :

قصص هؤلاء الأقوام تُعين الإنسان على جهاد النفس وعلى تص فية القلب وعلى تحمُّل أذى الخلق .... فمن تعرَّض لطريق الله فلا بد أن يكون له نص يبٌ من أذى الخلق كما قلنا، وما لذي يُعينه على ذلك؟ عندما يقرأ ما حدث للسابقين ويجد أن نصر الله جاءهم بعد حين، فيعرف ويتأكد أنه سيكون في النهاية من المنصورين: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (73. الصافات) .

من هؤلاء الجُند؟ الأو . ن والمعاص ن والآ ن، ونحن إن شاء الله داخلون في هذه الآية: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (73. الصافات) ... ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾ (0 الحج) لا بد أن يأتي نصر الله، وللذلك كان الإمام الجنيد ﷺ يقول: حكايات الصالحين جُندٌ من جُند الله، تُعلي همم ا ريدين، وتُعينهم على تزكية النفس، وصفاء القلب، وسلوك طريق الله ﷻ ، فقالوا له: وما دليلك؟ قال في الآية:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾.

يعني ليست أحاديث نتناقلها على سبيل التسلية، أو نختلقها أو نؤلفها، ولكنها قصصٌ واقعية:

﴿ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من أول الدنيا إلى هذا اليوم الذي نحن فيه ... وفيها كذلك: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

نسأل الله ﷻ أن يجعل لنا أجمعين عبرةً وأُسوة في سير الأنبياء والمرسلين، وفي أحوال الصحابة والتابعين، وفي قصص الأولياء والصالحين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ (سورة الرعد)

7 صفات أهل الاستجابة[89]

dddddddddddddddddd

السعداء والأشقياء

القرآن الكريم يكشف الله ﷻ في بيانه الحكيم ما كان وما هو كائن وما سيكون إلى يوم الدين، وما سيحدث لنا وللخلق أجمعين في يوم الدين، حتى نصير فريقاً إلى الجنة جعلنا الله منهم ... وفريقاً إلى السعير أعاذنا الله أن نكون منهم ..

وبين الله ﷻ هذا البيان، بياناً شافياً لا يحتاج إلى جلاء ووضوح، فبين الله ﷻ أن الخلق طائفتين، كما قال النبي ﷺ في حديثه الشريف:

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷺ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَلا أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الأُخْرَى: هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالِي، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ فَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الآنَ }[90]

---

89 المن – العدوه – مسجد الفتح – 25 من رجب 437 هـ 2/5/2016م
90 مسند البزار والطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه

مع تنزيه الله ﷻ عن المشابهة بالآدميين ، وعن المحسوسات والملموسات ، لأن الله ﷻ تعالى وتنزَّه عن جميع الإدراكات بجميع الآلات التي في الإنسان ، والتي اخترعها ، والتي في جميع الكائنات.

وسيدنا موسى عليه السلام كان دائماً يناجي مولاه ويسأله أن يكشف له عن الأسرار الإلهية حتى ترتاح نفسه ويطمئن قلبه إلى الله جل في علاه، فذات مرة قال له:

{ يَا رَبِّ ، خَلَقْتَ خَلْقًا فَجَعَلْتَهُمْ فِي النَّارِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : أَنْ يَا مُوسَى ، ازْرَعْ زَرْعًا ، فَزَرَعَهُ ، وَسَقَاهُ ، وَقَامَ عَلَيْهِ حَتَّى حَصَدَهُ ، وَدَاسَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ زَرْعُكَ يَا مُوسَى؟ قَالَ : رَفَعْتُهُ ، قَالَ : فَمَا تَرَكْتَ مِنْهُ؟ قَالَ : مَا لا خَيْرَ فِيهِ ، قَالَ : فَإِنِّي لا أُدْخِلُ النَّارَ إِلا مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ }[91]

والذي لا خير فيه هو الذي لا يقول: لا إله إلا الله !

وربما هذا السؤال يجيش في صدور كثيرٍ من الأحباب ، وسيدنا موسى عرف ردَّ الكريم الوهاب لنستريح لهذا الجواب إن شاء الله.

من الذي يدخل النار؟

الذي يكابر ويجادل ، ولا يريد أن يعترف بالألوهية ، ولا يُقر بالربوبية، ويتكبَّر أن يقول حتى بلسانه: (لا إله إلا الله)، فماذا ترى بعد ذلك في هذا الإنسان الذي خلقه الرحمن وأمدَّه بما تشتهيه من الكائنات وأنواع المصنوعات والمخلوقات ليربيه على عينه ؟!.

91 الزهد والرقائق لابن المبارك عن عمار بن ياسر رضي الله عنه

فجاءنا الله بالقول الفصل في هذه القضية في الآيات القرآنية: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ و لحُسنى فسَّرها النبي ﷺ بنفسه لما نزل قول الله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (26 يونس) قيل: يا رسول الله ما الحسنى وما الزيادة؟ قال:

{ الْحُسَنَى الْجَنَّةُ وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ } [92]

فمن استجاب وتاب وأناب مشى في رحاب أهل الإيمان فيكون له الجنة ، والذين لم يستجيبوا لله ﷻ ولقرآنه وكتابه ولأنبيائه ورُسله:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓ ﴾

يريدون أن يفدوا أنفسهم به ولن يحدث هذا أبداً، لن يُغنيهم بكل ما يملكون عن الجزاء الذي قدَّره من يقول للشيء: كن فيكون .

لأنهم كذَّبوا بالله ، وحاربوا رُسل الله ، وأعلنوا على الملأ العام أنهم كافرين بأنعم ، جاحدين بخيره وبرِّه سبحانه وتعالى ، فكان جزاؤهم:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ ﴾

92 - حلية الأولياء لأبي نعيم عن كعب بن عجرة رضي الله عنه

أصناف الناس عند الحساب

والحساب أنواع:

- من الناس من يُحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير حساباً عسيراً.

- ومن الناس من يُحاسب حساباً يسيراً، و م المؤ ن المتـ ن من أهل يمين، كيف يُحاسب حساباً يسيراً؟ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾ (6، الأحقاف) يتقبَّل الله منهم الأعمال الصالحة مع ما فيها من سهو ، ومن نسيان ، ومن غفلة ، ومن ما شابه ذلك .. يقبلها ﷻ على عِلَّاتها إكراماً لهم، ويتجاوز عن ذنوبهم وعن سيئاتهم ، ويجعل هذا الحساب بينه وبينـ ، فلا يطلع على هـ ا الحساب غيرهم، وهي خاصية الأمة المحمدية، سيدنا رسول الله يقول له الله في الحديث القدسي :

{ أَبْلِغْ أُمَّتَكَ عَنِّي السَّلامَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنْ جَعَلْتُهُمْ آخِرَ الأُمَمِ لأَفْضَحَ الأُمَمَ عِنْدَهُمْ ، وَلا أَفْضَحُهُمْ عِنْدَ الأُمَمِ } [93]

93 تاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن أنس رضي الله عنه

ونحن عرفنا ما حدث مع الأمم السابقة كلها، لكن من سيأتي بعدنا؟ لا أحد لأننا الختام، فلن يطلع على ذنوبنا وهفواتنا وسيئاتنا إلا الله جل في عُلاه، ويأتي يوم القيامة ونحن أول من يُبدأ بهم الحساب، قال ﷺ :

{ نَحْنُ الآخِرُونَ ، الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [94]

يعني الآخرون في الخروج من الدنيا، والأولون في الحساب يوم القيامة. وكيف يكون حسابنا؟ سيكون كما وضَّح الحبيب ﷺ وقال:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ ، فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ، فَيَقُولُ : نَعَمْ ، أَيْ رَبِّ ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ ، قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ } [95]

وهذا ما نُسميه الحساب بالفضل، لكن حساب الكافرين بالعدل، ولا يستطيع أحدٌ منا تحمل الحساب بالعدل، ولكننا طامعين في الفضل ونقول: اللهم لا تحاسبنا بعدلك، فإنك لو حاسبتنا بعدلك على أرجى عملٍ عملناه لك لهلكنا جميعاً، وحاسبنا بفضلك)

وما معنى الفضل؟ يعني التجاوز والتسامح والعفو ، وهذا ماعلَّمه لنا الحبيب أن نقول دائماً:

---

94 صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
95 البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

{ اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي }[96]

وماذا عن المقربين؟ المقربين ليس لهم شأنٌ بذلك، لا بأرض الموقف ، ولا بالحساب ، ولا بأهوال الموقف ، ولا بكربات، و نما يطيرون من القبور إلى القصور: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ (الأنبياء)

وحسيس جهنَّم يعني صوتها، قد ورد بالأثر أن حسيس جهنَّم يسمع على مسيرة خمسمائة عام ... سير خمسمائة عام ، ومن يستطع السفر لخمسمائة عام ! فالأرض كلها لو مشيناها لن نأخذ هذه المدة، فكيف بمن يمشي هذه المسافة ويسمع ! لكن هؤلاء قوم ليس لهم شأنٌ بهذه الجزئية، وما يحدث في الموقف العظيم من الفزع والجزع والهلع ليس لهم شأنٌ به : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ (103الأنبياء) هؤلاء استثناهم الله وخصَّهم على الفور بالجنة ، فضلاً من الله ومنّ ، فلا يتعرضون لسؤال ولا لحساب ولا لعذاب ، ويُدخلهم الله ﷻ الجنة بغير حساب: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (10الزمر) .

96 جامع الترمذي وابن ماجة

ويُبين الله ﷻ الفارق بين الطائفتين: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ ونوَّر الله بصيرته ، وأنار الله سريرته، ولما استمع إلى القرآن وللإيمان هتزَّ قلبه ، وأجاب وأناب ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ كمن هو أعمى البصيرة؛ لأن العمى عمى البصيرة: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (46 الحج) .

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ من يتذكَّر ، ومن يظلُّ على ذكره ، ومن يأخذ من الذكرى عبره ، ومن يمشي في الطريق القويم والمنهج المستقيم هم أُولوا الألباب، وأُولوا الألباب هم أهل الجنة ، الذين نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

أبواب النار وأبواب الجنة

النار ذَكَرَ الله ﷻ شأنها في القرآن ، وقال في أبوابها: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (44 الحجر) كل باب يدخل منه مجموعة من أصحاب الجرائم الخاصة بهذا العذاب الذي يدخلون منه ومن هذا الباب إلي ، فمنهم من يدخل سقر ، ومنهم من يدخل الحُطمة ، ومنهم من يدخل القارعة ، ومنهم من يدخل لظى ، ومنهم من يدخل جهنَّم.

وهذه الأشياء لو وصفناها لمكثنا في مقرنا هذا طويلاً، ولن يكفنا تفصيلها ، وأنتم والحمد لله لا تحتاجون لشيء منها ... لكن نحن نريد أبواب الجنة. أبواب الجنة لم تُذكر في كتاب الله، ولكنها ذُكرت في أحاديث رسول الله ﷺ ، قال فيها سيدنا رسول الله ﷺ :

{ مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ ، فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ } [97]

97 جامع الترمذي النسائي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فأبواب الجنة ثمانية، ومن الذي ذكرهم؟ الذي لا ينطق عن الهوى، هذا الباب ما شكله؟ حبيبنا أعطانا ملمحاً بسيطاً على قدر عقولنا، قال ﷺ: **{ إِنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيِ الْجَنَّةِ مِقْدَارَ أَرْبَعِينَ عَامًا ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ يُزَاحَمُ عَلَيْهِ كَازْدِحَامِ الإِبِلِ وَرَدَتْ بِخَمْسٍ ظِمَاءً }**[98]

هؤلاء الذين سيدخلون بعد الحساب، لكن نحن لا نريد ذلك، نحن نريد سفينة فضاء تُدخلنا إلى القصر مباشرةً، وهذا الذي نطمع فيه، لأنه حتى من يدخل بعد الحساب سيكون زحاماً حتى أن الأكتاف تنخلع من شدة الزحام.

هذه الأبواب الثمانية جعل الله ﷻ لكل بابٍ منها عمل صالح يوصِّل المرء إليه، فما الأعمال الصالحة التي تُدخل الجنة؟ الروشتة التي ذكرها لنا ربنا ﷻ في قرآنه وفي كتابه سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾.

وأُولو الألباب يعني أصحاب العقول السليمة المستقيمة، الذين يفكرون التفكير السديد، ويهتدون إلى الهدي الرشيد، لأن المرء إذا كان مريضاً نفسياً فيكون تفكيره غير سديد، ونحن نشهد ذلك في حياتنا الدنيا.

98 معجم الطبراني عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه

الوفاء بالعهد

أول صفة من صفات هؤلاء القوم الثمانية: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ﴾ :

العهد الذي عاهدنا به الله في يوم الميثاق، لأ ه قبل خلق الدنيا، خلق الله ﷻ أرواحنا أجمعين مرة واحد ، وخلق الأجسام على مراحل ، لكن الأرواح خُلقت مرةً واحد ، وأعطى لكل روحٍ صورتها الخاصة بهِ ، ولا يوجد واحد يُشبه الآخر من الأولين إلى الآخرير ، إعجازاً لنا لنعلم تفُرُّد رب العالمين بالوحدا ية.

فإنه كما أنه واحد ، فكل صُنعه ﷻ واحد ليس له شبيه، حتى أن كل واحد له صوتُ خاصٌّ بهِ ، وبصمات عينيه ، وبصمات أسنانه ، وبصمات يديه ، وبصمات رجليه ، خاصَّة به، عقله خاصٌّ به ، وعواطف قلبه خاصة به، وكل أحواله خاصةً به ، وينفرد بهِ ، حتى نعرف تفُرُّد الذات العلية بهذا الصنيع الذي لا يشبهه أحدٌ في الأولين ولا في الآخرين، فخلقنا كلنا وقال لنا: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَـٰكُمۡ ﴾ كل الكائنات ، ونحن بالذات كل الإنس والبشر: ﴿ ثُمَّ صَوَّرۡنَـٰكُمۡ ﴾ كل واحد أخذ صورته التي أعطاها له الله، متى يا رب؟ قال: ﴿ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ (11 الأعراف) إذاً هذا كان قبل نفخ الروح في آدم، وأمر الله للملائكة للسجود لآدم.

إذاً فقد خلقنا كلنا أرواحاً نورانية حيث لا حيث ، ولا زمان ، ولا مكان ، ولا حيط ، ولا إمكان ، في غيب غيب ، لا يعلمه ولا يطلع عليه إلا حضرة الواحد الأحد الديان ﷻ .

و ا خلقنا أرواحاً جمعنا ول نّا وكلمنا وخاطبنا ونحن رددنا عليه:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ساعة الظهور، عند ما أظهرنا أول مرة في العوالم العالية والدانية، وبعد أن أظهرنا وأصبحنا صوراً نورانية تقية نقية : ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ اشهدوا على أنفسكم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، هذا كان خطاباً في المواجهة: ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ (172 الأعراف) لم يقولوا: سمعنا ، لكن شهدنا ، رأيناه بالقوة التي أعاننا بها الله ، وسمعنا الخطاب ، وفقهنا الجواب ، و ددنا على الله ﷻ بما أعاننا سبحانه وتعالى من علياء قُدسه ، ومن نفخة روحه فينا سبحانه وتعالى.

في هذا اليوم أخذ علينا العهد أننا إذا نزلنا إلى الدنيا نوِّحده ولا نشرك به شيئ ، ونشكره على نعمه ، ولا نكفر بها، ونذكره ولا ننساه ، ونُطيعه ولا نعصاه، وأودع في قلوبنا جميعاً في هذا الوقت هذه الحقائق، كلنا أخذنا العلوم من هناك، وبعد ذلك أرسل النبيين، ليس ليعلمونا،

ولكن ليُذكرونا ويفكرونا، ومن الذي علمك؟ الله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ الرحمن هو من علمنا القرآن، ثم: ﴿ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ (4 الرحمن)، ويأتي النبي، يُذكِّرك ويقول لك: لا تنسى اليوم الذي أخذت فيه على الله العهد، ولذلك قال له: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴾ (21 الغاشية) أنت تُذَّكرهم بما سمعوه قبل ذلك، وما أخذوه من الله سبحانه وتعالى في هذا اليوم، ولذلك أحياناً تسمع من أحدٍ شيئاً اليوم، فتقول: يُهيئُ إليَّ أنني سمعتُ هذا الكلام من قبل، وأنت سمعتها قبل ذلك صحيح ولكنك لا تتذكر، وأحياناً ترى واحداً لأول مرة وتقول: لقد رأيتك قبل الآن، فأين رأيته؟ هناك، قال ﷺ : { **الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ** }[99]

فالتعارف والتآلف من هناك، قالوا للإمام عليٍّ ﷺ وكرم الله وجهه: اتذكر يوم الميثاق؟ قال: ((نعم، وأعلم من كان فيه عن يميني ومن كان فيه عن شمالي)) يعلم من كان عن اليمين ومن كان عن الشمال، حاضرٌ حضوراً كلياً في هذا اليوم.

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يتكلم عن هذا اليوم عن حاله وأمثاله – نسأل الله أن نكون معهم – يقول:

99 صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

من جمال الجميل إذ خاطبنا	من ألستُ لم ننسى ما قد شهدنا
نور سرِّ الأسماء سرُّ المعني	كيف تُنسى يا جميل وأنت

لم ننسى هذا اليو ، ولا هذه اللحظات الجميلة، لا الخطاب الذ هيِّ من الله أبداً.

أول صفة من صفات أهل الجنة أنهم يوفون بعهد الله، وهؤلاء الذين مدحهم الله وقال فيهم:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ ﴾ وليس كل المؤمنين، ما صفتهم؟ ﴿ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (3: الأحزاب)

وفُّوا بالذي عاهدوا به الله ﷻ .

ا- حفاظ على المواثيق الإلهية

الصفة الثانية: ﴿ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَـٰقَ ﴾ :

كيف ينقضونه؟ جاءهم النبي ومعه كتاب الله يُوَّفوا معه هو أيض ، ويُجددوا البيعة لحضرة النبي ، ويجددوا البيعة للعمل بكتاب الله، ويتلذذوا بتلاوة هذا الكلام، ويجدوا ط امة وحلاوة في الـ مل الصالح وخاصَّةً إذا كان فيه مناجاة للملك العلام ﷻ .

لكن من يأتي إلى الدنيا ويُكذِّب ، مع أنه هناك رأء !، قال الله لحضرة النبي: ﴿ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ لأنهم رأوا قبل ذلك: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ (33 الأنعام) فلا تحـ ن عليهم، فهؤلاء معترضين، لماذا؟ حسدٌ منهم، فمنهم من يقول: لماذا نزل الوحي على هذا الرجل؟ و مَ لم يختار أحداً من الجماعة الأغنيا ؟! ﴿ لَوۡلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ (31 الزخرف) .

ومنهم من يقول: أنا كنت مؤهل لماذا لم يخترني أنا ! فهذه كلها اعتراضات الكافرين والجاحدين والملحدين، لكنهم في قرارة أنفسهم كما قال رب العالمين: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (61 العنكبوت) .

فهم يوُّفون ع الله ، ولا ينقضون العهد مع رسول الله ، ولا مع نصوص الشريعة المطهرة في العمل بها في هذه الحياة.

فالشريعة أمرتنا بأوامر يقتضي الوفاء بها أن أُنفِّذ هذه الأوامر، إن كان في البيع ، أو كان في الشراء، وإن كان في التعامل مع الأهل ، وإن كان في التعامل مع الجيران، إن كان في صلة الأرحام .. فهذه كلها أوامر إلهية لا بد للإنسان أن يُوفِّي بها ليدخل في قول الله: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ (37النجم) لا بد وأن يوفي.

أنت تحافظ على الصلاة لكن لا تُوفِّي بالمواثيق التي وضعها لنا الله في كتاب الله ، وبينها رسول الله، فتدخل في قول الحبيب:

{ مَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلاتُهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ لَمْ تَزِدْهُ مِنَ اللَّهِ إِلا بُعْدًا }[100]

100 مسند الشهاب ومسند الربيع

صلة أهل القربى والمودة

الصفة الثالثة : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ يصل الأرحا ، ويصل العلماء لعاملين ليتعلم منهم الدين، ويصل آل بيت النبي الكريم لقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ (3: الشورى .

نفرض أنهم بعدوا قليلاً عن طريق الله. يجب أن نصلهم وننصحهم إكراماً لرسول الله صلوات ربي وتسليماته ع ي ، ولا نعينهم على طريق الغيّ، بل ننبههم و نصحهم حتى أكون قد أديتُ ما عليَّ نحو رسول الله صلوات الله وتسليماته عليه.

كل أعمال البر والخير التي يقوم بها في أي زمان ومكان نحن مأمورين بقول الرحمن أن نصله ونساعده ونعاونه عليها، لأن الله قال لنا في الا مر الجامع : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ (2 المائدة)

لكن الآفة التي جدَّت في هذا الزمان أننا جماعة المسلمين كلما قام أحدنا عمل خير في أي مكان يجد ا بِّطين والمشوهين والمحرضين أكثر ن المعينين والمساعدين والناصرين، ، هذ لا يصِّح بين لمسل ين.

رجل تطوَّع بعمل خيري لأ . ً أن يعمل مسجداً، أو يعمل مكتب تحفيظ ا قرآن، أو يعمل مستشفى خيري، أو يريد أن يعمل مقابر صدقة جارية لمن لا يستطيعون أن يصنعوا مقابر لأنفـ هم، أو أي عملٍ خيري، ماذا أفعل؟ إما أن أساعده بالمال، أو أساعده بالقول، أو أساعده بالعمل، ولكن المهم أن لا بط ، ولا أُوهن عزيمة ، ولا أُحاربه على الملأ وأحاول أن أُنفِّر الناس من حوا ، حتى أصل كل من يقوم بعملٍ برٍ وخيرٍ لنفع المسلمين في أي زمان ومكان.

وأنا وأنت كما قال الله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ (286البقر ، لا تريد أن تن ارك بمالك، فشارك بالكلمة الطيبة وهي صدقه، كأن تقول له: ربنا يعينـ ، أو ربنا يقويـ ، أو ربنا يساعد ، فذلك يُجبر خاطره، ا هذا هو المطلوب منا جماعة المسلمين ... لكننا عندما يبدأ الإنسان في عمل الخير تبدأ قائمة الإتهامات والتشكيك ويقو وا : إنه يعمل ذلك لمصلحته الـ خصية، وأخذ كذ ، وعمل كذا، وهل رأيت ! وهي مصيبة حلَّت في المجتمع الإسلامي في هذا الزمان، والله يريد منا أن نتـ ه ونتبرأ منها في كل وقتٍ وآن. رجل يصنع خيراً إما أن تساعده أو تُشجِّعه أو تتركه، المهم أنك لا بِّط عزيمة ، ولا تُشنِّع عليه، قال الحبيب المصـ فى ﷺ :

{ مَنْ أَشَاعَ عَلَى امْرِئٍ مُسْلِمٍ كَلِمَةَ بَاطِلٍ لِيُشِينَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُذِيبَهُ بِهَا مِنَ النَّارِ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَاذِهَا }[101]

---

101 الجامع في الحديث لابن وهب عن أبي الدرداء رضي الله عنه

وهذا أمرٌ لا يستطع المسلم ن أن ينزِّهوا أنفسهم عنه. فرجل يعمل خير ، يأتيه حاقد أو حاسد فيتحدث عنه: إن فلان هذا كذا وكذا، لماذا هذا ! هل رأيت أو شاهدت؟! حتى ولو سمعت قال لك الله : ﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (6 الحجرات) ... حتى لو رأيت يجب أن تتناقش معه أولا ، لأنه من الجائز أن يظهر لك أمر ، وهو يخفي أمراً آخر، لكن أنت على الفور تُشنِّع عليه ، ومن يفعل ذلك فهو من غضب الله ﷻ عليه أن يُشوه صورته بين المؤمنين ... حتى أن كثيراً من المؤمنين الآن يخافون من الأعمال الخيرية للحروب التي سيتعرضون لها!! فمن أين نأتي بمن يفعل الخير للمسلمين؟ لذلك لا بد أن نصل كل من يعمل خيراً وبراً لنا وللمسلمين أجمعين في كل زمانٍ ومكان.

خشية الله

الصفة الرابعة: ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾:

أهل الجنة ن أهم أوصافهم خشية الله ﷻ ، والخشية هي حالة قلبية تجعل الإنسان يلاحظ دوماً أن الله ﷻ مُطلعٌ عليه ويراه، إذا تحركَّت نفسه لتوسوس له بمعصية فيرد عليها ويقول لها: إن الله يراِ ، وأين أذهب من ؟

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (4الحديد) وإذا وسوس له أحدٌ ويقول له: لا يرانا أحدٌ، يقول له: إذا كان الناس لا يرونا فالله ﷻ يرانا.

فخشية الله هي الحفظ للأمة كلها من الوقوع في معاصي الأ ، فيما يُغضب الله ﷻ ، ولذلك قال ﷺ في طائفةٍ من الناس:

{ مَنْ بَرَّتْ يَمِينُهُ ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ ، وَاسْتَقَامَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ عَفَّ بَطْنَهُ وَفَرْجَهُ فَذَلِكَ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ } [102]

يكون من الراسخين في العلم لأنه حفظ نفسه، وما لذي يحفظه؟ ٠ شية الا ، والخوف من الا ، ومراقبة الله جل في علاه.

102 تفسير ابن أبي حاتم والطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه

الخوف من الحساب

ومع خشية الله دائماً يتذكَّر أنه مسافر، وأنه ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها يجد نفسه قد خرج ن الدنيا وأصبح في الآخرة فيخاف: ﴿ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ خائف من الحساب ، فيُحاسب ، سه هنا، ولذلك الرجال هم الذين عبَّر عنهم سيدنا عمر فقال: ((حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليك)).

عندما نكون شركاء في عمل ، وأنا أرى شريكي يحاسب نفسه أولاً بأول على كل صغيرة وكبيرة، فهل أقول له في يو من الأيام هيا بنا لنتحاسب؟ لا، لأن الرجل يحاسب نفسه ، فكذلك نفس الأ - ولله المثل الأعلى - فمن يُحاسب نفسه أولاً بأول هو الذي سيدخل الجنة بغير حساب .

ولذلك أصحاب رسول الله ﷺ كان كل واحدٍ منهم يجعل لنفسه وقتاً على الأقل كل يومٍ وليلة، وبعضهم كان يُحاسب نفسه قبل النوم، فيجلس وحده ويستعرض ، جلاته لهذا اليوم: ماذا عملت من الخير؟ وماذا عملتُ من الشر؟ وما السقطات التي سقطت فيها؟ وما الأعمال الصالحة التي عملتها؟ فيشكر الله على الصالحات ، ويستغفر الله ﷻ من الذنوب والسيئات .

وإذا كانت الذنوب والسيئات فيها إساءة للغير، لا ينام إلا إذا قال لفلان سا؛ ني، لأن يخاف أن ينام فلا يقوم، ويطالبه بهذه المظلمة يوم القيامة، حتى ولو كانت كلمة قلتها له وبعدها ندمتُ عليها.

فماذا فيها لو قلتُ له: يا فلان سامحنِ ، فلا أدري لماذا قلتُ هذه الكلـ ة؟ فهل هذا يُنقص من قدر الإنسان؟!.

ولكننا في هذا الزمان كبرت الـ سر ، لا يـ يد أحدٌ أن يُقِّر بالخطأ إذا أخطأ، ويجادل ويماحك يميناً وشمالاً ولا يعترف بخطأه، فإذا لم تعترف أنك أخطأت كيف يسامحك ! ا المصيبة كلها في مظالم العباد يوم القيامة.

نفرض أنك أذنبت ، وهذا الذنب بينك وبين الله، فمن الذي يتوب الله عليه؟ من أدرك أنه أذنب واعترف بـ لذنب وسأل الله التوبة، لكن من أذنب وتمادى في الذنب ؛ ويظن أنه على صواب، ولا يعترف بخطأه ولا يناجي التواب ولا يرجع إلى الله، فهل هذا يتوب عليه الله جل في علاه؟ لا.

وهي نفس القضي ، إذا كان الذنب في حق نفسه نحو ربـ ، أو في حق إخوانـ . أو في حق حتى من معي بالمترل إن كانت زوجتي أو أولادي أو جيراني، فما المانع أن أقول: يا فلان سامحني فأنا أخطأت، قال ﷺ :

{ كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ }[103]

ما لذي يجعل الإنسان يُحاسب نفسه على ذلك؟ إذا تذكّر أنه سيموت، بعد الموت هناك حساب، ويُقال له: لا تدخل الجنة حتى تُ ضي خُصماءك، جلس معهم وتفاوض معهم وأحضر محاضر الصُلح، ما لذي يُلجئني لهذ ؟! الأمر سهلٌ في الدنـ ، ولكن هناك الأمر صعبٌ، لأن هناك كل إنسان يبحث عن الأشياء التائهة ليُكثر حسنات ، لكن هنا و نتبه، وقال : سامحني ا فلان، فسيقول له ن إخوة وأهل وأحباب وينتهي الأمر بذلك تأخذ البراءة.

فما الذي يمعني من ذلك؟ الكبر ، والنفس التي تمنع الإنسان من ذلك ، وهناك سيندم ندماً شديداً على ذلك ، ويقول: يا ليتني لم أفعل ذلك، ولكن لا ينفع الندم.

الإمام الشبلي ﷺ وأرضاه كان من كُمَّل الصالحين ، وكان قد عُ ن والياً يعني حاكم، وعندما جاءه الموت وجدوا دموعاً قد طفرت من عينيه أخذ يبكي، فسألوه: لم تبكي فالحمد لله حياتك كلها مع الله ؟ قال: يوجد ذنبٌ فعلته وأنا والي، قد أخذتُ من رجل ديناراً رغماً عن ، وبحثتُ عنه في كل أصقاع الأرض فلم أجده، تصدقتُ عنه لوفٍ، ولكن أخاف أن يُطالبني يوم القيامة ب ! .كل هذا من أجل دينار واح !! فماذا نفعل في أنفس ؟! منا من يأكل حقوق إخوت ، فأين يذهب ! ومن يغشّ المسلمين في الثمن أو في الكيل أو في البيع فأين يذهب ! وغيره وغيره وغيره.

---

103 سنن ابن ماجة والدارمي عن أنس رضي الله عنه

فالمسلم الحكيم هو من يجعل لنفسه وقتاً للحساب . يحاسب نفسه فيه. وليس كل شهر، ولكن كل يومٍ مرة، قبل المغرب، أو قبل النوم لا بد أن يكون لك حساباً مع النفس ... حتى أن بعض الصالحين كان يكتب كل شيء يفعله، خوفاً من النسيان، وطبعاً الإنسان ينسى ما يفعله، ويراجع ما كتبه قبل المغرب ، ينظر ماذا فعل ، وماذا تكلم، لماذا؟ من أجل: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .

الصبر لله

الصفة الخامسة: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ :

أهم ما ينبغي أن يتحلى به المؤمن في دنياه ليدخل الجنة بغير حساب، أو إن قلَّ مجهوده أن يدخل من الأبواب هو أن يُدرِّب نفسه على الصبر، فتجد آيات القرآن تُركِّز على الصبر: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾ (24 السجدة) ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ (35 فصلت) وماذا يُلقَّى؟ الدرجة العُظمى في الجنة: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (10 الزمر) .

والصبر الذي وضَّحه لنا الله في هذه الآية له ميزة، لماذا؟ لأنه ليس من أجل الخلق وتحمُّل أذاهم أو الخوف منهم ولكن: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ الصبر يكون لله، والصبر يكون إما صبر عن المعاصي، إما صبر عن الطاعات.

فالصبر عن المعاصي هو البعد عن المعاصي التي تزينت وتهيأت للإنسان وأصبح سهلاً عليه أن ينزلق فيها، فإذا صبر فله أجر الصابرين.

كيوسف نبي الله، لما غلَّقت زليخة الأبواب وقالت: هُيِّئتُ لك أو هيت لك، على حسب القراءات المتعددة الموجودة فيها: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ (23 يوسف) ولذلك قال ﷺ :

{ عَلِّمُوا أَرِقَّاءَكُمْ سُورَةَ يُوسُفَ فَإِنَّهُ أَيُّمَا مُسْلِمٍ تَلاهَا وَعَلَّمَهَا أَهْلَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَأَعْطَاهُ الْقُوَّةَ أَلا يَحْسُدَ مُسْلِمًا } [104]

وزليخة كانت جميلة من الجميلات، وكانت مشكلتها: أنها كانت متزوجة من ابن عمها العزيز، وكان عِنِّيناً لا يأتي النساء، وهي كانت صابرة على هذا الأمر، ولا تستطيع أن تُفصح عن ذلك.

ولما تكلم النسوة عليها جمعتهم وأعطت كل واحدة منهن سكيناً وطبق فيه تفاح، وقالت لهنَّ: تفضلن، فبدأن في تقطيع التفاح، ثم قالت ليوسف: أُدخل عليهن، فلما دخل نسوا ما في أيديهن وقطَّعن أيديهن، من جمال يُوسف عليه وعلى نبينا الصلاة وأتم السلام.

وهناك صبرٌ على الطاعات، وحتى يؤدي الإنسان الطاعات كما ينبغي لا بد وأن يصبر، يريد أن يصبر ء ى قيام الليل ولو لنصف ساعة ليقف بين يدي الله في جُنح الظلام، أو يريد أن يُصبِّر نفسه بعد أن يُصلي الفجر ليفوز بالغنيمة العظيمة ويظلَّ حتى شروق الشمس يذكر الله، أو يريد أن يصبر في الأيام الحارة ويصوم بعض الأيام لله وقد قال ﷺ :

---

104 الوسيط في تفسير القرآن المجيد عن أبي بن كعب رضي الله عنه

{ مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْعِينَ خَرِيفًا } [105]

لأنه يتحمَّل الحر ويصبر .. كل العبادات لا بد أن يكون فيها الصبر، فقد روي عن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال : { الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ } ، وقال ﷺ :{ الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيمَانِ }[106]

وهناك صبر على الأقدار التي يُجريها الواحد القهار، فلا يتبرَّم بها المرء، ولا تضيق بها نفسه، ولا يتزلزل، ولا يتغيَّر، ولا يقول ولا يفعل ما لا يُرضي الله، أو ما نهى عنه رسول الله، بل يستسلم لقضاء الله ويقول كما علمنا الله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (156 البقرة) .

لا بد للمؤمن أن يُدرِّب نفسه على الصبر على هؤلاء الثلاثة حتى يكون من الصابرين الذي يدخلون الجنة بغير حساب إن شاء الله.

---

105 البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
106 مسند االشهاب والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

إقامة الصلاة

الصفة السادسة: ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وهذا الشرط الأساسي الذي لا غنى لكل مسلمٍ عنه لقوله ﷺ عن الصلاة:

{ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا ، كَانَتْ لَهُ نُورًا ، وَبُرْهَانًا ، وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا ، لَمْ تَكُنْ لَهُ نُورًا ، وَلا نَجَاةً ، وَلا بُرْهَانًا ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ ، وَفِرْعَوْنَ ، وَهَامَانَ ، أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ } [107]

ولِمَ ذكر هؤلاء الأربع؟ لأن فرعون كان يدَّعي أنه إله، وهامان كان وزيره وكان مشغولاً بالوزارة، وقارون كان مشغولاً بجمع الأموال، وأُبي بن خلف كان مشغولاً بمحاداة ومعاداة رسول الله.

فيكون مثله مثل هؤلاء القوم إذا ترك الصلاة، أو تخلى عنها لحظةً من حياته، وكلنا كما قال ﷺ:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ } [108]

---

107 سنن الدارمي ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
108 البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

معك أحدٌ لا يُصلي فأنت شريكٌ معه في المسئولية: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾

(32. طه) ولا تقول أنا مشغولٌ بالرزق، فالرزق شأن الله: ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ

لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (32. طه .

الإنفاق

الصفة السابعة: ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ من أراد الدرجات لعُلى في الجنة، وأن يتهنَّى بفضل الله على الدوام، فلا بد أن يكون له نصيبٌ في باب الإنفاق، لأن الله ﷻ يقول في الحديث القدسي:

{ يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ } [109]

﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ ﴾ وهنا الأمر واسع، فإذا رزقه الله مالاً يُنفق منه على الفقراء، وإذا رزقه الله علماً فلا بد أن يعمل في نشر هذا العلم ابتغاء وجه الله، قد يخطب خطبة الجمعة مقابل مال، لا بأس ولكن اجعل بعدها درساً لله، حتى تكون قد أنفقت من العلم الذي حمَّلك إياه الله جل في عُلاه.

لكن هل لا تقول كلمة العلم إلا بالثمن؟!! كبعض الدعاة الموجودون في هذه الأيام، في الفضائيات وغيرها، الذين يأخذ الواحد منهم في اليلة عشرة آلاف جنيهاً، ومنهم من يأخذ في الليلة خمسة وثلاثين ألفاً، ومنهم من يأخذ في الليلة مائة وخمسين ألفاً!!.

109 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

وماذا تصنع بهذه الآلاف؟! فقد حُرمتَ من الأجر والثواب عند الله ﷻ ، وهذه الآلاف ستجمعها ثم تتركها: ﴿ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (9 التوبة) .

وإن أعطاك الله قوةً فتُعين بها الضعفاء والفقراء المحيطين بك، كامرأةٍ فقيرة ولا تجد من يقضي لها مصالحها، فهي فرصة أن أُنفق من قوتي وأقضي لها ما تريد، وأُطوِّع لها نفسي كما كان يفعل جيل المسلمين الأولين.

لكننا أصبحنا في زمن من يبلغ منا فيه الكِبَر لا يجد حتى إبناً له من أبنائه يرعاه، فالإبن مشغولٌ بزوجته وعياله، أما والديه فلا علاقة له بهما، لماذا؟! وأين ما رزقناهم من القوة؟!

وإن أعطاك الله منصباً فتستطيع أن تنفع به غيرك، فأُوصِّل حاجة من لم يستطع إبلاغ حاجته إلى المسئولين الذين باستطاعتي أن أُحادثهم وأن أُعاملهم لوجه الله ﷻ ، قال ﷺ :

{ مَنْ قَضَى لأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلا شَفَعْتُ لَهُ } [110]

الحبيب بذاته سيشفع له، لأنه يُسهِّل مصالح الناس المستضعفين الذين ليس لهم سند أو عون، وأي مسلم سندٌ لمعاونة إخوانه المسلمين أجمعين، قال ﷺ :

{ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا } [111]

110 حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما
111 البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه

ومنذ أن تفصَّد بنياننا من بعضه، حدثت المشاكل التي ليس لها حد عندنا، فهذا بنيان واحد، فنُعاون بعضنا ونساعد بعضنا في الملمات، قال ﷺ :

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَفْشَى السَّلامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ } [112]

وفي رواية أخرى:

{ لِمَنْ أَلانَ الْكَلامَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ } [113]

وحضرة النبي ﷺ فصَّل بيوت المؤمنين، فقال:

{ فراش للرجل، وفراش للمرأة، وفراش للضيف، والرابع للشيطان } [114]

هذا التقسيم الإسلامي والفراش كناية عن ا غرفة بلغتنا اليوم والمرأة أى للأولادها، ، فيه بيتٌ أى غرفة للضيف، فماذا نصنع للضيف وليس معنا شيئاً؟! قال: ليس لكم شأنٌ بذلك، فقبل أن يدخل الضيف البيت بأربعين يوماً يذهب إلى هناك مندوبٌ من وزارة الأرزاق والتموين الإلهية بتموين هذا الرجل في الفترة التي يأتي يها،وماذا نكسب من ذلك؟ قال الحبيب ﷺ :

---

112 صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن أبي مالك الأشعري
113 مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
114 عن جابر بن عبد الله مكارم الأخلاق الخرائطي)

{ إِذَا دَخَلَ الضَيْفُ عَلَى قَومٍ دَخَلَ بِرِزقِهِ وإِذَا خَرَجَ خرَجَ بِمَغفِرَةِ ذُنُوبِهِم }[115]

وقال في الحديث الآخر الذي يُخيفنا منه:

{ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الدَّارِ بَيْتُ الضِّيَافَةِ }[116]

البيت الذي لا يدخله ضيفٌ كيف يكون بيتاً؟ هل يوجد بيتٌ من بيوت المسلمين لا يدخله ضيفٌ، لا، لأن زكاة الأكل والشرب في البيت الذي نحن فيه أن يدخل فيه ضيفٌ.

فإذا لم يوجد ضيفٌ، أبحث عن فقير وأُطعمه لوجه الله، وأقول كما قيل في حق سيدنا علي:

﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان) .

الحمد لله شبعنا، ووسَّع كل واحدٍ منا على نفسه في الطعام، ونصف ما يطبخونه يلقونه، فبدلاً من ذلك أعطي الفقير باقي هذا الطعام، فلو فعلنا ذلك فهل يبقى فقيرٌ في بلادنا؟! لا، وأنت كُلْ فقط ما يحتاج إليه جسمك، ولا تأكل إلى أن تمتلئ المعدة ثم تبحث عن شيء يهضم وغيره، ولماذا تضع نفسك في هذا المأذق؟! لكن كما قال حضرة النبي:

---

115 رواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه
116 الجامع لأخلاق الراوي أدب السامع للخطيب وتاريخ دمشق لابن عساكر عن أنس رضي الله عنه

{ نحن قومٌ لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع } [117]

إذا فعلنا ذلك،فمن أين يأتينا المرض، لكننا خالفنا هذه التوجيهات وهذه التعليمات، ولذلك ال سيدنا عبد الوهاب الشعراني ﷺ : ((أقبح القبيح صوفي شحيح)).

هل يوجد أحدٌ ينتسب للصوفية ويكون شحيحاً؟! لا، يريد أن يمشي هنا وهناك ويأكل فقط، لا بأس، ولكن يجب أن يكون لك نصيباً في مشاركة الأجر والثواب لتكون قد استفدتَ من هؤلاء الأقوام، وتكون معهم يوم العرض و لجزاء.

فالإنفاق هو الباب الواسع، الذي فيه النور الساطع لمن يدخله فوراً من الله ﷻ .

﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَـٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ سواءٌ في السر أو في العلانية، وكما قال ﷺ :

{ فَضْلُ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلانِيَةِ كَفَضْلِ صَلاةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلاةِ النَّهَارِ } [118]

فإن كان الإنسان قدوة فلا بد أن يكون له شيء ظاهر ليتعلم منه غيره ويقتدي به.

---

117 زاد المعاد والبداية لابن كثير

118 السادس عشر من المشيخ البغدادية لأبي طاهر السلفي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الحسنات يُذهبن السيئات

الصفة الثامنة: ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ :

فهؤلاء يعملون بحديث حضرة النبي:

{ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا } [119]

فإذا فعلتُ ذنباً، فبعده على الفور ماذا أفعل؟

أعمل عملاً طيباً: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ (114 هود) قال ﷺ :

{ مَا قَالَ عَبْدٌ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلا طُمِسَتْ مَا فِي صَحِيفَتِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ } [120]

ممحاة تمسح الذنوب، من كلمة واحدة فقط، فإذا عملتُ ذنباً فماذا أفعل؟

على الفور أُسارع إلى طاعة الله، أو ذكر الله، أو الإستغفار لله، أو أي عملٍ صالحٍ لله، لكي يغفر لي الله سبحانه و تعالى.

---

119 جامع الترمذي وسنن الدارمي عن أبي ذر رضي الله عنه
120 مسند أبي يعلي الموصلي واتحاف الخير المهرة للبوصيري عن أنس رضي الله عنه

جزاء الصادقين

من تخلَّق بهذه الأخلاق الإلهية، وأصبح بهذه الأوصاف القرآنية فما مكافاته عند رب البرية؟

له ثلاث مكافآت:

العاقبة الطيبة

المكافأة الأولى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ :

العاقبة الطيبة في الدار الآخرة، وحسن المآل ....

وهي الدار التي يبين حضرة النبي أمرها فيقول في أول الحساب:

{ يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ: هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟، فَيَقُولُ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ يَا ابْنَ آدَمَ: هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟، فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ }[121]

121 صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

غمسة واحدةٍ في جهنَّم تُنسيه كل أنواع النعيم، وغمسةٍ واحدةٍ في الجنة تُنسيه كل ألوان الشقاء، فالذين يُكرمهم الله ﷻ ويرضى عنهم هم الذين يُكرمهم في العُقبى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ :

لهم الدار الباقية، ولهم العاقبة الطيبة الحسنة عند الله، قال ﷺ :

{ إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ، وَلا يُعْطِي الدِّينَ إِلا مَنْ يُحِبُّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ } [122]

هل نستيطع أن نصل ل هل أوربا وأمريكا في الدنيا؟ لا، لأن هؤلاء هم وقود النار بما اقترفت أيديهم من ظلم العباد : ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (24 البقرة) ...

لكن الله قد أنعم علينا بالإيمان، وخلع علينا خِلعَ الرضوان لأنه دعا لنا في الآخرة بأن جعل لنا ا عاقبة الطيبة ولنا الجنان.

122 شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

الجنة مُقامهم

المكافأة الثانية: ﴿ جَنَّتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ :

وعدن يعني الإقامة، أي يقيمون فيها، وهناك حيٌّ إسمه عدن، ولكن كلمة (جنات عدن) لكل أنواع الجنات التي جعلها الله في الجنة، لأنهم يقيمون فيها خالدين فيها أبدا.

﴿ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ :

وهذا أول إكرام أن يدخلوا الجنة، ولكن زوجتي التي كانت معي، وأولادي، فهل أكون في الجنة سعيداً وأتنعَّم وهم في النار؟ أو هم في درجة غير درجتي؟ فأنا أريد أن نكون مع بعضنا، نعيش في مكان واحد كما كنا نصنع في الدنيا، ولذلك طمأننا الله ﷻ فقال:

﴿ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ ﴾ :

فيكونون كلهم مع بعضهم، هو وآباؤه وأبناؤه وذريته وزوجته.

يخاطبنا الله فيقول:

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ۝٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾ (الزخرف) ..

يدك في يد زوجتك، ما هذا؟ إكراماً من الله لأحباب الله وأصفياء الله، قال ﷺ :

{ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ ، لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ ، ثُمَّ قَرَأَ :

" وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ " } [123]

فلم يستطيعوا أن يعملوا مثل عمله، والدنيا أخذهم قليلا، ولكنهم كانوا يحافظون على الفرائض الأساسية، وهذا هو المهم، أن يحافظوا على الصلاة وعلى الزكاة وعلى الأساسيات الإسلامية، لكن لم يعملوا الأعمال الصالحة التي توصلهم إلى هذه الدرجات العُلى، فيرفعهم الله ﷻ إلى درجته ومكانته في الجنة حتى يجمع شمله، لأنها أرض فرح وسرور، ليس فيها حُزن.

فمجرد أن يدخل الرجل الجنة يجد كما قال الله: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (66 الرحمن) تنضخ يعني تُخرج الماء لك أنت خصيص :

- فيشرب من العين الأولى فيذهب عنه الحُزن، فيقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (34 فاطر) .

123 القضاء والقدر للبيهقي ،ومعالم التنزيل تفسير البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما

- ويشرب من العين الثانية فيظهر عليه نضرة النعيم.

فلا يوجد أحدٌ في الجنة يحزن، فهم في سرورٍ دائمٍ ومتصل !!

ولذلك من حكمة الله ﷻ أن لا يوجد أحدٌ في الجنة يرى من هو أعلى منه، لماذا؟ حتى لا يحزن ويقول: لماذا لم أكن معهم؟ ولكن يرى من هو تحته ليفرح، فالله ﷻ لا يريد أن يكون فيها حُزنٌ ولا دمٌ ولا غمٌّ، وكلنا يريد أن يكون في درجةٍ واحدةٍ مع الحبيب ﷺ ، فهو ﷺ فرَّحنا وقال:

{ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ } [124]

نحن كلنا نحبه، ولكن الحب الذي يقول عليه:

{ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ، وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [125]

فنكون هناك مع رسول الله، في أي مكان: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (69 النساء) وهل كل واحد منهم في مكان؟ لا، كلهم مع بعضهم في حيٍّ الأنبياء والمرسلين ، وقُرةٌ العين مع سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ .

124 البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
125 البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

الملائكة في خدمتهم

المكافأة الثالثة: ﴿ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ :

الملائكة الذين لم يعصوا الله طرفة عين، ولم يتزوجوا، ولم يسعوا للرزق، ولا أكلوا ولا شربوا ولا ناموا، وحياتهم كلها في طاعة الله، يكونوا خُدَّاماً لنا.

أرأيتم إعجاز الله ﷻ ؟

فنحن ننام ونأكل ونلهو ونلعب ونسهو ونُذنب !!!

وهؤلاء لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولا ينامون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوجون من لحظة أن خلقهم الله، وعمرهم طوال الدنيا كلها، وليس ستين أو سبعين مثلنا، ومع ذلك يأمرهم الله ﷻ أن يخدمونا، قال ﷺ :

{ هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمُهَاجِرُونَ ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمْ الثُّغُورُ ، وَيُتَّقَى بِهِمْ الْمَكَارِهُ ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ ، لا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلائِكَتِهِ : ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ ، فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ : نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي ، لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَتُسَدُّ بِهِمْ الثُّغُورُ ، وَيُتَّقَى بِهِمْ الْمَكَارِهُ ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ ، لا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً ، قَالَ : فَتَأْتِيهِمُ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ " سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ " }[126]

وبعد تحية الملائكة تأتي تحية الله: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ (44 الأحزاب)

فالملائكة ستحييهم، والله ﷻ سيُحييهم ويسلم عليهم، لماذا؟ لأن هؤلاء اتصفوا بصفات المؤمنين.

مثل هذه الآيات لا تحتاج لدرس كالذي عملناه، ولكن تحتاج أن الا احد منا يضعها أمام عينيه ويبدأ لينفِّذ شروطها شرطا شرطا، والشرط الذي ينفذه ينتقل للشرط الذي بعده، كما كان أصحاب رسول الله يفعلون، فإذا استوفى الشروط فيا بشراه ويا هناه لأنه فاز بهذا الأجر الكريم الذي وعد به الله ﷻ من طبق الآيات، وانطبقت عليه المواصفات!

126 مسند أحمد وابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

نسأل الله ﷻ أن نكون من أهلها، من الذين يفوزون بالجزاء الكريم الذي أعدَّه الله لمن اتصف بصفاتها، و ن يوفقنا أجمعين فعل الخيرات، وأن يحفظنا بحفظه من المعاصي والمنكرات، وأن يجعلنا في هذا الزمان مؤيدين بحضرة الرحمن، ولا يجعل للشيطان ولا للأشرار علينا سلطا ، ويحفظ علينا وعلى أبنائنا وبناتنا وزوجاتنا الإيمان، حتى نفِّر من الدنيا إلى حضرته ونحن مسلمين، ويُلحقنا بالصالحير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الرعد)

3 : طمأنينة القلب [127]

ddddddddddddddddd

القرآن الكريم أرسله الله ﷻ لنا جماعة المؤمنين رحمة من الله، وهدا ةً من الله، وشفاءاً من الله، فإذا سرنا على هُداه كنا في الدنيا موفقين ونلنا رضا الله، وكنا بعد ذلك في الآخرة مع الذين أنعم عليهم الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا.

فتن الغافلين

ولذلك قدم القرآن لنا جماعة المؤمنين نصائح غالية حت لا ننجرف في ها ه الدنيا مع الغافلين عن الله، والساهين عن ذكر الله، والبعيدين عن كتاب الله، بل نكون دائماً وأبداً مع محمد رسول الله والذين معه.

كلمة الناس من النسيان، ولذلك عندما يخاطب الله في القرآن ويقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ أي الناسين لله، والناسين لذكر الله، والناسين لكتاب الله، والناسين لدعوة سيدنا رسول الله ﷺ ، لكن خطابه لنا:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وآمنوا يعني صدَّقوا وتابعوا.

127 لمنيا – بلهاسة – 26 من رجب 437 هـ 3/5/2016م

فإذا نظرنا إلى من حولنا في عالم الدنيا نجد أن أغلب الناس في هذا الزمان وما قبله من الأزمان تطمئن قلوبهم لمدنيا وزينتها وزُخرفها وما فيها من صنوف النعم وأنواع البر، فمن الناس من لا يطمئن إلا إذا ملك المال؟! وإذا لم يأت المال و قلّ عنده المال تتغيَّر منه الأحوال، لأنه لا يطمئن إلا بالمال، مع أن المال سُميَّ مالاً لأنه يميل بالمرء.

فإما أن يميل به إلى جنة مولاه إذا وفقه مولاه لاستخدامه فيما يُحب الله ويرضاه، وإما أن يميل به إلى جهنَّم والعياذ بالله لو استخدم هذا لمال في ما يُغضب الله من المخدرات والمسكرات والخمور والربا والزنا وما شابه ذلك، لكن الناس أغلبهم يميل إلى لمال.

- ومن الناس من يطمئن إلى المنصب والجاه الـ ي فيه، ويظن أنه سيُخلَّد في هذا المنصب ولن يتخلَّى عنه، أو لن يخرج منه.
- ومنهم من يطمئن إلى الأولاد الذين رزقه الله ﷻ بهم، ويرى أن حوله عُصبة سيعينو ه ويقوُّو ه فيكونون شُغله الشاغل.

هؤلاء وهؤلاء ماذا قال لهم ربهم؟ ﴿ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ (28 الأنفال) هم فتنة لكم إذا كانوا بهذه الكيفية.

ونحن نريد أن يكونوا نعمة فماذا نفعل؟

نجعلهم وسائل مُعينة لنا على طاعة الله، وعلى بلوغ الرضا الذي نتمناه مع حبيب الله ومصطفاه، والصحابة المباركين الذين كانوا معه، ولذلك قال ﷺ :

{ نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ } [128]

لماذا؟ لأنه سيستخدم المال فيما يُحبه الله، وفيما يُبيحه له كتاب الله، ولن يُنفقه في مصرفٍ نهى عنه شرع الله، ولذلك أثنى عليه حضرة الحبيب ﷺ . والذين اطمأنوا للمال وللأولاد وللمناصب، قال لهم الله وقال لنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (9 المنافقون) ومن يقع في هذا المطب وينشغل فماذا عنه؟ ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ (9 المنافقون) .

128 صحيح ابن حبان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه

طمأنينة المؤمنين

وبماذا يطمئن المؤمنون؟ كما قال لنا الله في الآيات التي بين أيدينا:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ :

لا تطمئن قلوبهم لا بالمال ولا بالأولاد ولا بمنصب ولا بأي شيء في الدنيا، لأن هذا كله زائل ... وبماذا تطمئن قلوبهم؟ ... إذا وفقهم الله ﷻ لذكره جل وعلا، فكانوا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، ولماذ يطمئن؟

لأن الله معه، وأن الله لن يخذُله في أي أمرٍ، وأن الله سيُفرِّج عنه كل كرب، وأن الله سينصُره على من عاداه، وأن الله يتولَّى جميع أموره في الدنيا، وفوق ذلك فإنه من أهل النجاة والجنة العالية يوم يلقى الله جل في عُلاه.

وما الشيء الذي نريد أن نطمئن إليه؟ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ :

ذكر الله الذي تنصُّ عليه هذه الآية ليس ذكر اللسان فقط، فذكر اللسان ذكره الله في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (41 الأحزاب) التسبيح والتحميد والصلاة على حضرة النبي والاستغفار وقراءة القرآن ... كل هذا ذكرٌ لله، فمن يُرد أن يذكر الله ذكراً كثيراً كما قال حضرة النبي: { **لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِن ذِكْرِ اللَّهِ**

فيكون لسانه ذاكراً على الدوام، ويتنقَّل من ذكر إلى ذكر، والله ﷻ كثَّر الذكر حتى لا يمل الإنسان، فلو ذكر بحالة واحدة فربما يملُّ ويكلُّ، لكنك تستغفر، فإذا مللت من الاستغفار تدخل على الصلاة على النبي المختار، ولو شعرت بالتراخي تذكر الله بتلاوة ا قرآن، أو تُسبِّح الله وتحمد الله وتُكبِّر الله .. ذكر باللسان، وهذا ما قال الله لنا فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴾ (41 الأحزاب) فلا مل، لأنه لا ينفع الملل من ذكر الله، لقول حبيب الله ومصطفا :

{ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا }[129]

129 البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

ذكر الجوارح

لكن الذكر الذي يُطمئن القلب : هو ذكر الله ﷻ بجميع الجوارح التي أوجدها الله ﷻ للإنسان.

أولاً: ذكر العين

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (01. يونس :

تنظر في الكائنات ، وتتدبر فيها لكي يطمئن القلب إلى بديع إبداع صنُع الله، وإلى إتقان الله ﷻ في كل ما كوَّنه لنا في هذه الحياة بالتفكُّر والتدبُّر.

إذا فكَّر العبد وتدبَّ ، أصابت القلب الخشية، وإذا أُصيب القلب من خشية الله طفرت الدموع من العين، والدموع إذا نزلت من العين لخشية الله فهذا أكبر ذكر ا عين يُثيبها عليه الله جل في علاه، قال ﷺ :

{ عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [130] }

130 جامع الترمذي والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

ثانياً: ذكر الأذن:

يكون بالإصغاء إلى كلمات الله، والإصغاء لدروس العلم التي تذكّرنا بالله ، وتفقهنا في دين الله، والإصغاء إلى النُصحاء الحكماء الذين يرشدون إلى الطرق السديدة التي توصلنا إلى الله.

فأنا على حالةٍ من هذه الحالات، أستمع إلى القرآن ، وأنصت وأستمع إلى مجلس علم ، وأخشع وأستمع إلى النصيحة وأتقبلها بقبول حسن، وأقول كما قال سيدنا عمر: **((رحم الله امرأً أهدى إليّ عيوب نفسي))** فالأذن أصبحت هنا ذاكرة لله جل في علاه.

ثالثاً: ذكر اللسان

ذكر اللسان في كل كلمة يقولها المرء للتخفيف عن إخوانه المؤمنين أو إسعادهم ، أو مناجاةً لحضرة الله ﷻ ، وليس قاصراً على ماذكرناه من قبل.

إنسانٌ مريض أرفع روحه المعنوية فكلماتي هذه ذكر لله ﷻ ، أو إنسان عنده مصاب فأقول له كلمات لأُخفف عنه وقع هذا المصاب وأجعله يُسلّم ويرضى بقضاء الله ، فتكون كلماتي هذه ذكر لله ﷻ ،

أو جلست في مجلس صُلح وأخذت أُق ب وجهات النظر بين هذا وذاك ليصطلحا ويصيرا خوة، فكلماتي هذه كلها ذكر لله ، حتى ولو كانت ليلة كاملة فكأنها قامة تامة بين يدي من يقول للشيء كن فيكون.

أو أحارب شائعة من الشائعات نشرها عداء الإسلام ليفتّتوا شمل المسلمين ، وأحاول أرد من اقتنعوا للشائ ة بالحجة وا، طق والبرهان ليظلّ المؤمنين و قين في رب العالمين وفي سيد ا، ولين والآخرين ﷺ .

كل هذا ذكرٌ للسان، فليس الذكر قاصراً فقط على المسبح ، ولكن كل الكلام لإخواني المؤمنين ، و كبره و عظمه إذا كان أمرٌ بمعروفٍ أو نهيٌ عن منكر ، ولكن بالطريقة السديدة الرشيدة التي كان عليها النبي ﷺ ، وصحابته المباركين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

رابعاً: ذكر اليد:

بأن لا أقبضها على ما معي من مال ، بل أبسطها ويكون ما معي منه نصيب للفقراء والمساكين والمحتاجين، أي أنه ذكر عطا ، فتُعطي للمحتاجين والفقراء والمساكين ، وتساعد الضعفا ، وتأخذ بأيدي المسنين والعجزة والمرضى بين المسلمين ، حتى يعم التكافل والتراحم فيما بين مجتمع المسلمين أجمعين.

فيكون كل عُضو من جوارحنا له ذكر ، وهذا الذكر الذي أشار إليه الله في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ :

هذا الذكر هو الذي يأتي بالطمأنينة في القلب، وهو ذكر الجوارح والأركان، كالعينين والأذنين واللسان واليدين والرجلين والفرج والبطن.

حقيقة الطمأنينة

وماذا يعني أن يطمئن القلب؟

أن يثق في الله ، ويطمئن إلى أقدار الله ، ويعلم علم اليقين أن الله ﷻ مطلع عليه ويراه، سيكون عنده في داخله يقين أن الله ﷻ لا يختار إلا الأفضل والأحسن له في الدنيا ، ليكون من السعداء يوم لقاء الله، فيدخل في قول الله ﷻ :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (65 النساء)

والطمأنينة عندنا صنفان:

- طمأنينة لأهل الإيمان، وهي الثقة في الله ، والرضا بقضاء الله ، وحُسن التوكل على الله، وتسليم كل الأمور ظاهراً وباطناً لحضرة الله، وعدم المنازعة فيما يقضي به الله ، وعدم شكاية الله على أمرٍ قضاه إلى خلق الله ، حتى يصل إلى اليقين بأن كل ما يجريه له فيه الخير الحتمي الذي لا مناص منه ، لأنه من الله جل في علاه: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (68 القصص) .

أي أن الذي لم يصل لهذا اليقين عنده شيء من الشرك ، ونسميه الشرك الخفي، وليس الشرك الظاهر، لأن الشرك الظاهر يعني عدم النطق بـ لا إله إلا الله محمد رسول الله) والتوجه بالعبادة لغير الله، لكن الشرك الخفي يعني – ومعذرةً في العبارة – عدم الثقة في أقدار الله ، وعدم الوثوق في قبول الدعاء وقضائه إذا دعونا الله جل في علاه، أو اتهام الله ﷻ فيما يصنعه معي والشكاية لغير الله كأن يقول: لماذا اختصني الله بالمرض ؟ أو لماذا ابتلاني؟ فهذا هو الشرك الخفي الذي ينبغي على المؤمن أن يُطهر نفسه منه ، وأن يكون على يقين تامٍّ بمن لا يغفُل ولا ينام ولا تأخذه سنةٌ ولا نوم، وهو ﷻ أعلم بنا منا ، وأعلم بمصالحنا من أنفسنا ، وأرحم بنا من آبائنا وأُمهاتنا تبارك وتعالى.

– وهناك طمأنينة أهل مقام الإحسان، وأهل مقام الإيقان، وهي أعلى، لأنها طمأنينة في مقام العيان: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (260 البقرة) .

وهذا كلام سيدنا إبراهيم ، فهذه طمأنينة في مقام العيان :

مقام العيان يزيد من طمأنينة القلب، والقلب لا يطمئن تمام الطمأنينة إلا إذا عاين وكاشف الله ﷻ صاحب هذا القلب بهذه الحقائق الإلهية التي جعلها تُسيِّر هذه الأكوان الدنية والعلية:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (53 فصلت) ، هذا المقام قال فيه الله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (75 الأنعام)

ولكي يصل الإنسان إلى الطمأنينة في مقام الإيقان فلا بد أن يجاهد نفسه حتى يتفضل الله ﷻ عليه بعد صفاء قلبه بسياحة روحه في مقام العيان فيرى ما لا يراه الناظرون فيزيد اليقين في قلبه برب العالمين سبحانه وتعالى.

بين الجمال والجلال والكمال

البعض يسأل فيقول:

يقول الله في سورة الرعد: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ ويقول في أول سورة الأنفال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ (2الأنفال) هل هناك تضاد بين هاتين الآيتين؟ ونجيب على ذلك فنقول: إذا كان الإنسان في حالة جلال وخوفٍ من الله وخشية من البعد عن حضرة الله فإنه إذا ذكر الله يزيد الوجل في قلبه.

وإذا كان المرء في حالة جمال، ويشعر بالبسط مع مولاه وكمال الأُنس مع حضرة الله، فإذا ذكر الله يطمئن قلبه، فلا يوجد تعارض،

فآية الأنفال في حالة الجلال وفي حالة الخوف وفي حالة الوجل وفي حالة الخشية. وآية سورة الرعد في حالة الطمأنينة والهدوء والسكينة واليقين في الله ﷻ وهي ما نسميها حالة الجمال.

أما الذكر في حالة الكمال فهذا ذكر أهل الوصال، وهو لا يكون إلا للحبيب المصطفى والسادة الأبدال، وهذا الذي قال الله فيه: ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ (91الأنعام)

ولّي وجهك نحو الله، وظهرك للجميع، فهذه حالة الكمال ، لأنه يذكر الله وليس في البال إلا الله ، وليس في البال شيء من الكائنات سواه، وهو الذكر الأعظ ؛ ذكر أهل الكمال: سيدنا رسول الله ﷺ والأبدال الذين ورثوا مقام حضرته في هذا المقام، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٍ ﴾ وكما تفقنا أننا نأتي بآيات البُشريات لنُبشِّر أنفسنا وإخواننا على الدوام لأن الحبيب قال لنا:

{ يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا }[131]

فاخترن جانب التبشير وليس لنا شأنٌ بجانب التنفير الذي نهى عنه الله ، ونهى عنه البشير النذير ﷺ بالنسبة للمؤمنين .

131 البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

حفظ الله للمؤمنين

من آمن بهذا الإيمان الكامل بالله ، وأصبح على ثقةٍ تامةٍ في مولاه ؛ فيجد الجوارح كلها تسوقه إلى طاعة الله، ولا تنقاد له إذا أرادت النفس أن تسوقه إلى مخالفة الله و معصية الله.

حتى لو همَّت النفس يجد حفظ الله له ، ما دام مشى في هذا الأمر الذي ذكرنا ، فيدخل في حفظ الله: ﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (64 يوسف) .

الله ﷻ جعل العصمة في الأنبياء والمرسلين، والعصمة هي أن النبي لا يُفكِّر في ذنب، ولا يخطر في باله عيب ، ولا يقع في أي شيء يخالف الرب ﷻ .

وإياك أن تظن في وقتٍ من الأوقات أن المعصية تمر على خاطر نبيٍّ من الأنبياء، لأن الله اختاره واصطفاه وطهَّره وحصَّنه من خطور حتى المعصية على القلب.

فكيف نقول: ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ (24 يوسف) ؟ همَّ بدفعها ليمنعها عن نفسه ولم يهمّ بالمعصية حاشا لله، لأنه قال: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾ (23 يوسف) لكنه همَّ بدفعها وخاف عليه أبوه سيدنا يعقوب، فأصبحت كوكزة موسى تثبت الجريمة عليه، فسيدنا موسى دفع الرجل المصري دفعةً خفيفة أي يمنعه فقط: ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ ﴾ (15 القصص) لم يضربه ولم يفعل به شيء غير دفعة خفيفة لكنها صادفت القضاء.

فسيدنا يوسف همَّ بدفعها عنه لأنها كانت متش ثا بملابسه وأمسكت به من الخلف لأنه كان يفر من أمامها، فهمَّ بدفعها ولم يهمُّ بالمعصية ، لأن المعصية لا تخطر على قلوب الأنبياء.

لكن بالنسبة للمؤمنين فقد تخطر المعصية من وسوسة النفس أو تسويل الشيطان على الصدر، لكن الله ﷻ يحفظه ويحفظ الجوارح من تنفيذ ذلك ، وهذا ما يسمى بالحفظ الإلهي، كما قالوا : ((إِنَّ مِنَ الْعِصْمَةِ أَن لا تَجِد)).

فإذا فكَّرت نفسه في المعصية، فعند التنفيذ يجد الله ﷻ قد خذل النفس والهوى وحفظه من الوقوع في المعصية لأي سببٍ من الأسباب يسببه مسبب الأسباب ﷻ .

حلاوة الطاعة

المؤ . ن الذين وصلوا إلى هذا اليقين يجدون الجو ارح من نفسها مُسخَّرة ومُذلَّلة وهينة ولينة في طاعة رب العالمين: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (23 الزمر) ا لمين هذه الأعضاء إلى طاعة الله ، وتجدها هينة سهلة، بل تجد هذه الأعضاء في طاعة الله لذَّة وحا ، ة لا يجدها غيرهم، وعبَّر عنها نبينا فقال:

{ ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا رَسُولا } [132]

وقال ﷺ : **{ ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ }** [133]

يجد للعمل الصالح حلاوة في داخل ، ومذاقاً في داخل تجاويف قلبه، فيفرح به ويستزيد منه.

132 صحيح مسلم ومسند أحمد عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه
133 البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

الحياة الطيبة

هؤلاء لقوم الذين عملوا هذه الأعمال الصالحة بمحبة وبرغبة وبشوقٍ وبلذّة عظيمة يذيقها لهم الله، ماذا لهم؟ ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ ﴾ وتعني كلمة طوبى لهم) يعني الدعاء لهم بأن الله سيجعل حياقم طيبة يوم القيامه ، وستكون حياقم أيضاً طيبة في حياقم الدنيا، ففي الدنيا قال لنا الله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (97 النحل) ما الحياة الطيبة؟ قال رسول الله ﷺ :

{ مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَقَدْ حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا }[134]

فهذا ملخص الحياة الطيبة، أن يغنيه الله بخيره وبره فلا يمد يده إلى سواه إلا بالعطاء ، ولا يمدها ليأخذ شيئ من أحد، وليس شرطاً أن يكون عنده ألوف من الأموال، ولكن يدخل في قول الحبيب:

134 صحيح ابن حبان والبيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه

{ اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ كَفَافًا }[135]

رزق يوم بيوم ، ولا يحتاج شيئاً من أحد. ويمتعه الله ﷻ بالهناءة في قلبه نحو نفسه ومن يعولهم ومن يمونهم، ويمتعه الله ﷻ بالأمن ، فليس له أعداء ، وإن كان هناك حُسَّاد فهذا أمرٌ لا بد منه، ولكن الحساد يتولاهم رب العباد ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ (38 الحج) أو في القراءة الأُخرى: " إِنَّ اللهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ".

أما في الآخرة فتكون لهم الحياة الطيبة الهانئة في النعيم المقيم في جوار الرءوف الرحيم ﷻ ، وورد أن سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ قال في معنى طوبى: طوبى شجرة في الجنة في منزل النبي ﷺ ، وفروعها في كل قصور الجنة .

وقد يكون إليها الإشارة بقول النبي صلوات ربي وتسليماته عليه :

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لا يَقْطَعُهَا }[136]

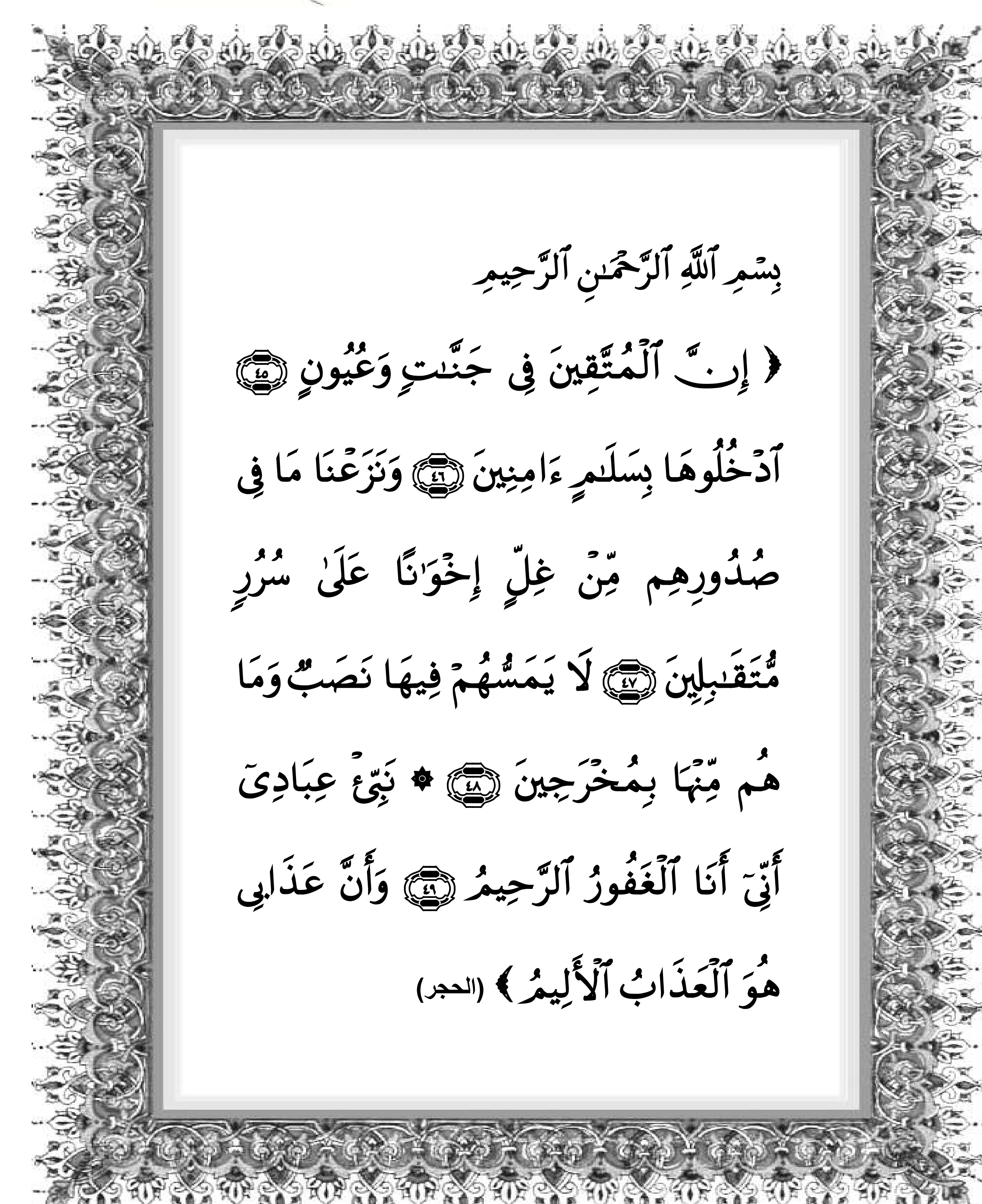
يمشي في ظل هذه الشجرة ولا يستطيع أن يصل إلى نهاية ظلها، فلهم الحياة الطيبة ، ومن نعيمهم المقدر لهم من شجرة طوبى في الجنة ، تدلى في قصورهم ، وتأتي لهم بما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين، ولهم عند الله حُسن مآب : يعني حُسن المرجع والمصير ...

135 صحيح ابن حبان والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه
136 البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

يكفيهم أن الله ﷻ سيُباهي بهم الخلائق يوم القيامة، وسيجعلهم يوم العرض الأكبر على من الوجهاء والعظماء في الدار الآخرة.

نسأل الله ﷻ أن نكون من أهل هذه الآية، وأن يكرمنا بهذه العناية، وأن تكون حياتنا طيبةً في الدنيا، وأن يرزقنا جوار حبيبه في الدار الآخرة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾ (الحجر)

﴿ : نعيم المتقين[137]

dddddddddddddddd

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله رب العالمين الذي اختارنا أزلاً من أهل جنته، فخصَّنا بهدايته ، وكتب الإيمان في قلوبنا بقلم قدرته، وقال عن ذلك في خير كتابٍ أنزله إلى بريته: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ (22 المجادلة) الصلاة والسلام على مفتاح دار الجنان الذي يقول عن نفسه صلوات ربي وتسليماته عليه :

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ، لا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ } [138]

صلى الله وسلَّم وبارك على هذا الحبيب الشفيع الذي وصفته بأنه أشفق بنا من أنفسنا وأرحم علينا من آبائنا وأمهاتنا وقلتَ لنا في شانه: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (128 التوبة) صلِّ وسلِّم اللهم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وعلى صحابته الأبرار وكل من تبعهم من الأخيار إلى يوم القرار، واجعلنا من جملتهم ومعهم بمنِّك وفضلك وجودك يا عزيز يا غفار.

---

137 المن – مان – 26 من رجب 437 هـ 3/5/2016م
138 صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

ذكر الله ﷻ ما نحن مُقبلون عليه من الفضل الإلهي لنشتاق إلى لقاء الله وتَحِنُّ قلوبنا ونفوسنا إلى الجنة التي جهَّزها لنا الله، ولذلك كانت طريقة رسول الله ووصيته للدعاة:

{ يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا }[139]

أنت تجلس مع أهل الجنة ، فعرِّفهم بالجنة ، واشرح لهم النعيم الذي يتهنون به في الجنة ليزيد شوقهم إلى لقاء الله ﷻ إلى الجنة.

إذا أردت أن تتكلم عن النار إذا جالستَ الأشرار وإذا جالستَ الفجار وتريد أن تُخيفهم ليرجعوا إلى الله ويسلكون الطريق القويم والمنهج المستقيم.

لكن هؤلاء القوم كما قال الله في القرآن: ﴿ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾ (6محمد) لا بد وأن يعرفوها وهم في الدنيا، هل يوجد أحدٌ يحجز سكن في أي مدينة من المدن الجديدة ولا يعرف عنه شيئاً؟ لا، لا بد أن يتحرَّى عن موقعه وعن مساحته وعن محتوياته وعن مواصلاته ليعرف كيفية الوصول إليه.

فنحن كلنا ذاهبين إلى الجنة إن شاء الله، فلا يوجد أحدٌ يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) إلا ويدخل الجنة، لكن الأهل الإستقامة الذين هم مثلنا إن شاء الله ، فهؤلاء سيدخلون على الفور.

139 البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

أما من كان عليه شيء وسيتعرَّض إلى الحساب، قد تحكم عليه الحكمة الإلهية بشيء فيتعرَّض للعذاب، ولكن بعد فترة يخرج من العذاب ويدخل الجنة، قال ﷺ :

{ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ }[140]

فكل أهل (لا إله إلا الله) لا أستطيع أن أحرم أحداً منهم من الجنة أبد ؛ لأن هذا أمر الله جل في علاه، لكن الدرجات في الجنة والمنازل في الجنة فهذه بالعمل الذي يتقبله الله ﷻ ، لكن العمل وحده لا يُدخل الجنة، قال ﷺ :

{ لا يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ، قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : وَلا أَنَا ، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَفَضْلٍ }[141]

فنحن سندخل الجنة بفضل الله، وبرحمة الله ، بإكرام الله، لكن من عدل الله جل في علاه سيجعل المنازل في الجنة على حسب العمل الذي عملناه، وننال به القبول من الله جل في علاه، لأنه ليس كل عمل سينال القبول.

---

140 سنن أبي داود والحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه
141 مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

نعيم الجنة

والجنة جنانٌ لا عدَّ لها ولا حدَّ لها. والله يُعرفنا بعض منازلهم وبعض هناءهم في الجنة فيقول:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ .

فلكي أدخل الجنة فلا بد أن أُدخل نفسي في عداد المتقين، فيكون معي شيءٌ من تقوى الله جل في علا، وتقوى الله كما قال الإمام على ﷺ وكرَّم الله وجهه عندما سُئل عن التقوى : (التقوى العمل بالتنزيل – يعني بالقرآن الكريم – والرضا بالقليل، والإستعداد ليوم الرحيل. والخوف من الجليل ﷻ)) فهذه صفات المتقين .

والتقوى باختصار شديد أن يبتعد الإنسان عما نهى عنه الله، وأن يُسارع في تنفيذ ما طلبه منه مولاه

من يعمل بالأوامر ، ويتقي المعاصي والفتن ، ويكون معه وقاية من هذه الأمور ، يسارع في الطاعات والقربات وعمل الصالحات، سيكونوا يوم القيامة من أهل الجنة العالية.

منهم جماعة سيخرجون من القبور إلى القصور في الجنة، يقول فيهم الحبيب ﷺ :

{ إذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَنْبَتَ اللّه تَعَالَى لِطَائِفَةٍ مِنْ أُمّتي أَجْنِحَةً فَيَطِيرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الجِنَانِ يَسْرَحُونَ فِيها وَيَتَنَعَمُونَ فِيها كَيْفَ شَاؤُوا ، فَتَقُولُ لَهُمُ المَلائِكَةَ : هَلْ رَأَيْتُمُ الحِسَابَ؟ فَيَقُولُون : ما رَأَيْنَا حِسَاباً ، فَتَقُولُ لَهُمْ : هَلْ جُزْتُمُ الصِّرَاطَ؟ فَيَقُولُونَ : ما رَأَيْنَا صِرَاطاً ، فَتَقُولُ لَهُمْ : هَلْ رَأَيْتُم جهَنّمَ؟ فَيَقُولُونَ : ما رَأَيْنَا ، فَتَقُولُ المَلائِكَة : مِنْ أُمّةِ مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ : مِنْ أُمّةِ مُحَمّدٍ ، فَتَقُولُ : نَاشَدْنَاكُمْ اللّهَ حَدّثُونا ما كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي الدُّنْيَا ، فَيَقُولُونَ : خَصْلَتَانِ كَانَتَا فِينا فَبَلَغْنَا هذهِ المَنْزِلَةَ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللّهِ ، فَيَقُولُونَ : وَما هُمَا؟ فَيَقُولُونَ : كُنّا إذا خَلَوْنَا نَسْتَحِي أَنْ نَعْصِيه ، وَنَرْضَى بِاليَسِيرِ مِمّا قُسِمَ لَنَا ، فَتَقُولَ المَلائِكَةُ : يَحِقُّ لَكُمْ هذا } [142]

من فضل الله ﷻ علينا – مع أننا آخر الأمم – إلا أننا أول الأمم في الحساب ، وأول الأمم في دخول الجنة، قال ﷺ :

{ نَحْنُ الآخِرُونَ ، الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [143]

---

142 أخرجه الحافظ العراقي في الاحياء عن ابن حبان وأبو عبد الرحمن السلمي عن أنس رضي الله عنه
143 صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

هؤلاء القوم يقومون من القبور إلى القصور ، اومنهم الذي تعرَّض لأمرٍ من الأمور الشداد في الدنيا وصبر ولم يتبرَّم ولم يتسَّخط ولم يشكُ الله ﷻ إلى عباده، إن كان مرض ، أو كان موت ، أو كان ضيقٌ في الرزق ، أو كان أي أمرٍ من الأمور وصبر، فهؤلاء يقول فيهم الله : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (10 الزمر) .

ولذلك بشرنا حضرة النبي ﷺ بأننا كلنا أو أغلبنا إلا القليل سنكون من أهل هذه الآية، قال ﷺ :

{ الْحُمَّى كِيرٌ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ ، وَهِيَ نَصِيبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ }[144]

إذا أُصيب الإنسان ذات مرة بالحُمَّى وصبر على أمر الله – مع العلاج طبعاً – ولم يشكُ ولم يتبرَّم بقضاء الله فله على الفور الجنة.

إذا أُصيب بوجعٍ في عينيه وأخذ الله بصره، يقول ﷺ :

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ : مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ ، لَمْ أَرْضَ لَهُ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ }[145]

---

144 شعب الايمان للبيهقي وابن عساكر عن شمعون بن زيد رضي الله عنه
145. مسند أحمد ومعجم الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

لماذا؟ لأنه صبر على أمر الله ﷻ ، ولذلك قال ﷺ في هذه الأمة:

{ أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلازِلُ وَالْقَتْلُ }[146]

من هؤلا ؟ أهل الإستقامة المقيمين للصلا ، والصائمين لشهر رمضان ، والمخرجين للزكا ، وا بتعدين عن المعاصي والمناهي لتي حرمها علينا الله جل في علاه.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ :

منهم من له جنةٌ واحدة، ومنهم من له جنان متعددة: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (46 الرحمن) ثم ذكر بعدها: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (62 الرحمن) فمن خاف مقام الله له أربع جنان، قال فيهم ﷺ :

{ جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا }[147]

إذاً هناك من له جنةٌ واحدة، ومن له جنان متعددة، كلٌّ على حسب تقواه وعمله الصالح الذي تقبله منه مولاه جل وعلا.

---

146 سنن أبي داود والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه
147 البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه

وسيكون لهم في الجنان كمال النعيم ، من القصور التي تجري من تحتها الأنهار، وماذا في هذه الأنهار؟ ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (15 محمد) هو نهر واحد ولكن فيه لبنٍ لم يتغير طعمه ، فيه ماءٍ غير آسن، وفيه خمر لذَّةٍ للشاربين ، وفيه عسلٍ مُصفًّى، وكلها تجري في النهر ، ولا تختلط ببعضها ، لأنها محفوظةٍ بأمر ربها ﷻ .

هؤلاء القوم عندما يدخلون الجنة ينادي منادٍ الله ﷻ :

{ يُنَادِي مُنَادٍ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَدًا } [148]

لايوجد هناك مرضٌ، لا يوجد هناك حُزنٌ، لا يوجد هناك هم ، وستتغير صورة الإنسان لكي يدخل الجنان ، ويكون كل واحدٍ منا من أهل الجنة في صورة أبينا آدم، يعني سبعة وستين ذراعاً تقريباً ، كما كان طول سيدنا آدم عندما نزل من الجنة ، وتكون أجهزتهم مجهَّزة بحيث لا يتبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون، قال ﷺ :

148 صحيح مسلم والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ ، وَلا يَتْفُلُونَ ، وَلا يَبُولُونَ ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلا يَمْتَخِطُونَ ، قَالُوا : فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ ، قَالَ : جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ } [149]

والله ﷻ أرانا مثالاً لذلك في حياتنا الدنيا، فمن كان هذا المثال؟

كان هو سيدنا رسول الله ﷺ ، كان ﷺ غزير العرق ، وكانت رائحة عرقه أشدُّ من رائحة المسك، وورد أنه ﷺ كان يقيل في الصيف بعد صلاة الظهر عند السيدة أم سليم أم أنس بن مالك ﷺ ، وكانت من الصالحات، فاستيقظ ذات مرة فوجد معها مناديل تُجفف بها عرقه، فقال لها:

{ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ ، قَالَتْ : هَذَا عَرَقُكَ ، نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا ، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ } [150]

الطيب الذي عندنا رائحته ليست زكية فنضع فيه قطرات من عرق الحبيب فيكون طيباً ليس له شبيهٌ ولا مثيل.

أرانا الله ﷻ صورة من صور الجنة لكي نوقن ، لأن سيدنا رسول الله ﷺ كان كما قال في شأن نفسه:

{ إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي ، فَتَكَلَّفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ } [151]

---

149 صحيح ومسند أحمد عن جابر رضي الله عنه
150 البيهقي والطبراني عن أنس رضي الله عنه
151 بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

وعن السيدة ع رضي الله عنها قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْغَوَائِطَ دَخَلْتُ عَلَى أَثَرِهِ فَلا أَرَى شَيْئًا فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ :

{ يَا عَائِشَةَ أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ أَجْسَادَنَا نَبَتَتْ عَلَى أَرْوَاحِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَا خَرَجَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ ابْتَلَعَتْهُ الأَرْضُ } [152]

لماذا؟ لأنه وهو في الدنيا أخذ صفة أهل الجنة، التي بينها لنا ووضحها لنا سيدنا رسول الله ، وإن شاء الله سنكون فيها كلنا.

وعند ا ندخلها تقول لنا الملائكة: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ ادخلوها وأنتم سالمين من كل أذى، وسالمين من كل شر وسالمين من كل حجاب ، وسالمين من كل صد وهجران، لأن الجنة هي الدار التي نتمتَّع فيها برؤية وجه الحنان المنان ﷻ .

وليس معنى ذلك أن الجنة فيها الله – حاشا لله – لكن هي المكان الذي نتجهَّز فيه لنحظى بوجه الله ، وبرؤية الله ، وبالكيفية التي يُجهَّزنا فيها الله جل في علاه.

لكن الله سبحانه وتعالى تعالى عن الجهات . وتسامى عن الأماكن والحيطات ، فلا تُحُدُّه الحدو ، ولا تُحيط به الأرجا ، وإنما كما قال عن نفسه في كتابه الكريم: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (11 الشورى .

152 شعب الإيمان للبيهقي وتاريخ بغداد

سلامة الصدور مفتاح دخول الجنة

ما الذي نحتاجه من الدنيا لندخل الجنة على الفور؟ ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ من يُرد أن يضمن الجنة يجاهد نفسه إلى أن ينزع، وهذا النزع بشد ، يعمل عمليات جهادية ليُخرج من قلبه الغل والكُره والحقد والحسد والشُح والطمع والحرص .. وكل هذه الأشياء التي بينه بين إخوانه المسلمين .

ما الذي بينه وبين إخوانه المسلمين؟ ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ عندما يرى أحداً من إخوانه المسلمين فكما قال ﷺ :

{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ }[153] وكما قال: { الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ }[154]

فالسرور بيننا على الدوام في كل أحوالنا، حتى لو كان عندك مشكلة أو معضلة ، فهذا لا يمنع من أن تبتسم لي لتربح تأخذ صدقة من هذه البسمة، وعندما تُسلِّم على أخيك يقول في ذلك حضرة النبي ﷺ :

153 جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه
154 مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا صَافَحَ أَخَاهُ تَحَاتَتْ خَطَايَاهُمَا كَمَا يَتَحَاتُّ الشَّجَرِ }[155]

وقال في الرواية الأُخرى:

{ إِنَّمَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا الْتَقَيَا مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى }[156]

يعني كوْنك تسلم على أخيك المؤمن فذنوبك ستنزل ، وهو ذنوبه ستنزل، فلماذا لا تمد يدك تسلم عليه ! أنت الكاسب ... ولذلك ضرب حضرة النبي ﷺ لأصحابه مثلاً عملياً في حياته، يقول أنس بن مالك ﵁ :

155 كشف الأستار والبيهقي عن أبي هريرة ﵁
156 آداب الصحابة للسلمي عن أنس ﵁

{ كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رسول الله ﷺ فقال : يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الأُولَى ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الأُولَى ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ : إِنِّي لاحَيْتُ أَبِي ، فَأَقْسَمْتُ أَنْ لا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلاثًا ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ ، فَعَلْتَ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَنَسٌ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاثَ ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ ﷻ وَكَبَّرَ ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلاةِ الْفَجْرِ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلا خَيْرًا ، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلاثُ لَيَالٍ ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ ، قُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلا هَجْرٌ ثَمَّ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلاثَ مِرَارٍ : يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلاثَ مِرَارٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ ، لأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ : مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ ، قَالَ : فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي ، فَقَالَ : مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ ، غَيْرَ أَنِّي لا أَجِدُ فِي نَفْسِي لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا ، وَلا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ ، وَهِيَ الَّتِي لا نُطِيقُ } [157]

---

157 مسند أحمد والنسائي

لأن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ كان شاباً نشأ في طاعة الله ، وكان من العُبَّاد يقوم الليل كله ويصوم الدهر كله، ويختم القرآن في بدايته كل يومٍ وليلة إلى أن زوَّجه أبوه، فكلما ذهب أبوه ليسأل زوجته عنه تقول له: إنه مشغولٌ بالعباد ، ولا يهتمُّ بي، فذهب ليشكوه إلى رسول الله، فاستدعاه النبي وقال له:

{ لَكِنِّي أَنَامُ وَأُصَلِّي ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ ، فَصُمْ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ، قَالَ : إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى قَالَ : فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا ، وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ، قَالَ : إِنِّي أَقْوَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : إِلَى أَنْ ، قَالَ : خَمْسَةَ عَشَرَ ، قَالَ : قُلْتُ : إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : أَقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ثَلاثٍ }[158]

فمشى على هذا النهج سيدنا عبد الله بن عمرو ، عندما سمع أن هذا الرجل من أهل الجنة وهو سيدنا عبد الله بن سلام ﷺ ، قال في نفسه : ماذا يزيد هذا الرجل عني في العبادة؟ وكانوا كما قال الله فيهم: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (26المطففين) يتنافسون في الصدقات ، وفي العبادات ، وفي طاعة الله ، وفي عمل الخير والبر لخلق الله، .. كان هذا تنافسهم، وليس كما يتنافس أهل الدنيا الفانية مثل أهل هذا الزمان .

فذهب للرجل وطرق الباب وكان ما كان كما أوردنا بالحديث الشريف بالصفحة السابقة ... حتى قال له في النهاية :

158 شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لا أَجِدُ فِي نَفْسِي لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ:فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لا نُطِيقُ } ... أي هذه التي أعجزتنا.

فمن يُرد أن يكون من أهل الجنة فماذا يفعل؟

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ :

الدنيا كلنا سنتركها نسافر، فلماذا تزيد الخلافات بيننا !

ولماذا المشاكل تجعل الواحد منا يقابل أخاه فيلتفت عنه بوجهه للناحية الأُخرى !

ولا يريد حتى أن يقول له: السلام عليكم، مع أن السلام لله، وإذا قال له: السلام عليكم يقولها وشفتاه لا تُريدان إظهار الكلام ! وعندما يراه يعبس في وجهه، لماذا تعبس ! وهل سيأخذ أحدٌ منا رزق الآخر ! ... أبداً، فالرزق على الرزاق! قال ﷻ : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (32 الزخرف) لنعرف أنها قسمة إلهي !!!

ومن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط، قال ﷺ ليُعرفنا من أغني الناس :

{ ارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ } [159]

أغنى الناس من يرضى بما قضاه مولاه جل وعلا، فمن يمشي على هذا المنوال فإن شاء الله سيخرجون من القبور إلى القصور.

من لا يقدر على قهر نفسه ، قد يظلُّ حتى لحظة الموت ويقول: إياكم أن يدخل عليَّ فلان، أو يحضر جنازتي أو عزائي فلان ، وقد يكون أخوه من أمه وأبيه ، لماذا !!

من فضل الله ﷻ علينا جماعة المؤمنين ما قاله ﷺ في الحديث الصحيح :

{ إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ } [160]

سيوضع لهم جزء بين النار والجنة، والذي يقول فيه الله ﷻ : ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ﴾ (46 الأعراف) .

159 جامع الترمذي، ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
160 البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ

يعني لو هناك شخص يكرهني ، ويحقد عليَّ ، ويسبب لي مشاكل ، وأنا لا أعرفه في الدنيا، فسأعرفه هناك ، لأن المؤمنين كلهم قبل أن يدخلوا الجنة لا بد أن تكون القلوب كلها مستريحة وصحيحة وسليمة لأن الله قال في قرآنه:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (89 الشعراء)

سليم من الكُره ومن الحقد والحسد كل هذه الصفات.

بشريات سلامة الصدر

فإذا تمكن لإنسان المؤمن وهو في الدنيا من نزع هذه الأشياء من صدره فله بشريات لا تُعد لا تُحد.

البشرى الأولى: أن الله ﷻ يجعل حبيبه ومصطفاه يزوره مناماً ويُبشِّره بأنه من أهل كمال الإيمان بالله، لأن الله قال له ذلك: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (47 الأحزاب) وهل هذا ن كان في زمانه أم البُشرى إلى يوم القيامة؟ على الدوام، بماذا يبشره ؟ ﴿ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴾ (47 الأحزاب).

البُشرى الثانية: يريه الله ﷻ وهو في الدنيا إذا كان من أهل الدرجات العُلا ، و وهو خارج من الدنيا إلى الآخرة، يريه مكانه في الجن ، وقصوره في الجن ، ونعيمه في الجن ، حتى يخرج من هنا وهو يعرف إلى أين يذهب ، وهل يوجد أحدٌ منا يأتي يوم القيامة ويسأل عن عنوانه ويبحث عن قصوره؟ لا، بل لا بد أن يعرفها من هنا، قال ﷺ :

{ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلا يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ } [161]

161 الزهد لهناد بن السري عن ابن عمر رضي الله عنهما

لكن أهل الإيمان الأرقى :

يرى منزلته وهو لا يزال هنا في الدنيا ، ليستبشر بفضل الله ، ويفرح بكرم الله جل في علاه ، ويُحب لقاء الله، ومن أحب لقاء الله ﷻ أحب الله لقاءه.

وفي الآخرة :

يخرج من غير حساب ولا ميزان ولا صراط ولا كُتب، وإنما يدخل في قول الله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾ (الأنبياء)

والحسيس صوت جهنَّم، وهو يسمع على مسيرة خمس مائة عام كما ورد بالأثر.

وأين هم من الأهوال التي في الموقف ، والكرب والهم والغم الذي في الموقف؟

ليس لهم شأنٌ بذلك:

﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ (103الأنبياء) فهؤلاء سيدخلون الجنة التي لا تُسمع فيها لاغية لأنهم طابوا!

- فمن طاب من هنا تقول له الملائكة ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ (73 الزمر)

...

- والذي لم يطب ينتظر على القنطرة (ا- سر) حتى يتراضى مع القوم الذين بينه وبينهم شيء في الدنيا، وبعد أن ينتهوا يدخلون الجنة.

- أما من يدخل الجنة مباشر : ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٌ﴾ :

ليس فيها تعب ولا عمل ولا عنا !!

وما عملنا هناك؟

نجلس مع بعضنا ونتذكَّر فضل الله ﷻ علينا ، ونعبد الله ﷻ ...

ولكن هذه العبادة ليست تكليفية :

لأن عبادة الدنيا تكليف يعني من يتركها فعليه عقاب.، لكن عبادة أهل الجنة كما ورد في الأثر : (يذكرون الله تفكُهاً وتلذذاً) .

يتلذذون بذكر الله، وفاكهتم دوام التسبيح والتحميد والتكبير لله ﷻ :

﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴾ (55 يس) أي يتفكهون بهذه العبادات ، وليس فيها نصبٌ، قال ﷺ :

{ قَالَ لِي جِبْرِيلُ : بَشِّرْ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، لا صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ }[162]

ليس فيه ضوضاء ولا أصوات مزعجة ولا تعب ، ولا عناء !!!

لأنه بمجرد أن يدخل الواحد منا الجنة يقول :

﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ ﴾ (34 فاطر) .

وأثناء دخوله هناك عين على باب الجنة: ﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (66 الرحمن)

– فيشرب من العين الأولى شربة تخرج بأمر حضرة الرحمن ﷻ ، فيذهب عنه الهم والغم والتعب والشقاء والعناء والمرض والسقم، فيقول: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ ﴾ .

162 معجم الطبراني والبزار عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه

- ويشرب من العين الأُخرى فيظهر عليه نضرة النعيـ ، وهو الشباب والفتو ، أهل الجنة يظلون شباباً على الدوام في سن الثلاثة والثلاثين، فيظلون خالدين فيـا أبداً في سن الشبابـ ، فلا هرِ ، ولا شيْخوخة، ولا ينحني ظهر ، ولا عينيه تقل الرؤية فيهم ، ولا أضراسه تنخلع، فيظل في سن الشباب وفي متعة الشباب.

والنساء في الجنة ليس يأتيهن حيض ولا نفاس ، لأن هناك ما كنَّا نشكو منه في الدنيا نتهى في الجنة إن شاء الله: ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٌ﴾ .

سيخافون من شي واحدٍ فقط وهو أن هذه المتعة لا تدو ، وقد يخرجوا من الجنة، فطمأنهم الله وقال : ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ طمئنوا فأنتم خالدين فيها أبداً.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل هذا المقام ...

وأن يُطِّهر قلوبـ ، ويُـ في نفوسـ ، ويُهيِّم فيه أرواحنا ....

ويحفظ جوارحنا من المعاصي والفتن ما ظهر وما بطن ....

وأن يحفظ بطوننا من الأرزاق الحرام ....

ويُجملنا بطاعة الله ، وذكره وشكره على الدوام .....

ويجعلنا في الدنيا والآخرة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين و لشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

لطائف الاشارات

هناك بعض الملاطفات ا- فيفة في هذه الآيات لنتبين فضل الله ﷻ علينا جماعة المؤمنين ...

عندنا كلمة:

﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ :

هذا كلام الملائكة، .... وهناك قراءة أُخرى: ﴿ أُدْخِلُوها ﴾ : يعني ليس هم الذين دخلوا، ولكن الذي أدخلهم هو الله ﷻ ، وهذا يتماشى مع الحديث الذي ذكرناه والذي قال فيه ﷺ :

{ لا يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ، قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : وَلا أَنَا ، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَفَضْلٍ } [163]

وروى لنا سيدنا رسول الله ﷺ عن رجلٍ من السابقين جعله الله ﷻ في جزيرةٍ في البحر عرضها وطولها ثلاثين ذراع ، وبينها وبين البر أربعة آلاف فرسخاً، وجعل الله ﷻ له عين ماء يشرب منها ويتوضأ منها، وجعل له شجرة رمان تُنتج طوال العام كل يومٍ رمانة، يصوم ويُفطر على الرمان ، وفيها كل المواد الغذائية التي يحتاج لها جسم الإنسان فلا يحتاج إلى أكلٍ سواها.

163 مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

ودعا الله أن يُطيل عمره فأقامه في هذه الطاعة والعبادة .. مائة عام، ودعا الله ﷻ أن يقبضه وهو ساجد فتوفَّاه وهو ساجد.

سيدنا جبريل ي ص أمر هذا الرجل لسيدنا ر، ول الله ﷺ فيقول:

{ يَا مُحَمَّدُ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنَّ لِلَّهِ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ ، عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ ، عَرْضُهُ وَطُولُهُ ثَلاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلاثِينَ ذِرَاعًا ، وَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةَ آلافِ فَرْسَخٍ ، مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَأَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً بِعَرْضِ الأُصْبُعِ ، تَبَضُّ بِمَاءٍ عَذْبٍ ، فَتَسْتَنْقِعُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ ، وَشَجَرَةَ رُمَّانٍ تُخْرِجُ لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَّانَةً ، فَتُغَذِّيهِ يَوْمَهُ ، فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ ، فَأَصَابَ مِنَ الْوضُوءِ ، وَأَخَذَ تِلْكَ الرُّمَّانَةَ فَأَكَلَهَا ، ثُمَّ قَامَ لِصَلاتِهِ ، فَسَأَلَ رَبَّهُ ﷻ عِنْدَ وَقْتِ الأَجَلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا ، وَأَنْ لا يَجْعَلَ لِلأَرْضِ وَلا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلا ، حَتَّى بَعَثَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ ، قَالَ : فَفَعَلَ ، فَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا ، وَإِذَا عَرَجْنَا ، فَنَجِدُ لَهُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ﷻ فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ : أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي ، فَيَقُولُ : رَبِّ ، بَلْ بِعَمَلِي ، فَيَقُولُ الرَّبُّ : أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ ، بِرَحْمَتِي ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، بَلْ بِعَمَلِي ، فَيَقُولُ الرَّبُّ : أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ ، بِرَحْمَتِي ، فَيَقُولُ : رَبِّ بَلْ بِعَمَلِي ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِلْمَلائِكَةِ : قَايِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ ، فَتُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلا عَلَيْهِ } [164]

164 الحاكم في المستدرك والبيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

كلنا في هـ ه الأيام نشتكي من دفع الفواتير ، فما بالك عندما تدفع فاتورة لضوء العين ! كم تدفع !! كلنا نستغيث من شحن الموبايلات ، فكم ثمن فاتورة هذا السمع؟!! اللسان الذي ظل يتكلم ولا يكلُّ ولا يملُّ كم فاتورته؟!! م الله فينا كما قال الله في شأنها: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ (18 النحل) .

لم يقل: وإن تعدوا نعم الله، ولكن نعمة واحدة، فنعمة واحدة من هذه النعم عندما تعد فيها من فضل الله كرم الله لا يستطيع أحد من الأولين ولا من الآخرين أن يحصيها.

عناية الله بالمؤمنين

العبادة التي نؤديها لله ، هل فينا أحدٌ يقوم بها بغير معونة من الله وتوفيق من الله ! لا، فلو وقف العبد بين يدي الله ، وأمر الله ﷻ الأعضاء أن لا تخضع له، ولا تلين له، فكيف يركع ؟ وكيف يسجد ؟! وكيف يحرك يديه وأعضاءه !

ولذلك المنافقين الذين يظنون أنهم يضحكون على الله وعلى المؤمنين قال فيهم الله : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ (9 البقرة) .

أول شيء سيحدث في الموقف العظيم ستكون صلاة جماعة ، يُصلي فيها رسول الله ﷺ بكل المؤمنين من الأنبياء والمرسلين ومن كافة الأمم، وهؤلاء المنافقون يقفون في الصفوف، ولكن الأمر هناك بخلاف هنا: ﴿ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾ (42 القلم) فالأعضاء هناك طوع أمر من يقول للشيء فيكون، فيحاول السجود فلا تطاوعه أعضاؤه، فينكشف وينفضح لأنها القيامة وستفضح الكل.

بين لنا ربنا ﷻ أيضاً في هذه الآيات بياناً آخر ، أن الإنسان لا يستطيع تطهير قلبه ولا تزكية نفسه إلا إذا لجأ واستغاث بربه ، وطلب منه ﷻ إتمام هذا الأمر بفضله وجوده وكرمه؛ لأن من الذي ينزع ؟ لستُ أنا ولا أنت : ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾ من الذي نزع هنا؟ الله.

ولذلك الغافلين ا ا ن يعترضون على الأولياء والصالحين ، هؤلاء لولا أن لهم عناية عند رب العالمين فهل كان قد طهَّر قلوبهم مما ذكرنا ، وملأها بالحب والوُد والشفقة والرحمة والمحبة لكل خلق الله ! عناية الله بهم.

لكن هل يوجد أحدٌ منا يستطيع عمل هذه الأشياء بنفسه؟ لا، لكن أستطيع عم ها بربي، وكان الرجل الصالح يقول: (عرفتُ ربي بربي ولولا ربي ما عرفتُ ربي)) من الذي سيعرفني بالله ؟ ومن الذي سيُعينني على جهاد النفس؟ الله ﷻ ، قول أحد الصالحين وهو يناجي الله:

مولاي إني عاجزٌ عن كبحها	هب لي اعتصاماً منك بالشرع الأمين

أعنِّي حتى أجاهد النفس، وهل فينا أحدٌ يستطيع أن يجاهد نفسه؟ لا، والله قال لنا : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ (32النجم) يعني لا تعتمد على نفسك بالكلية، ولكن ستعن بالله ، و طلب المعونة من الله ، و طلب التوفيق من الله ، و طلب الحول والطول والقوة من الله، ولذلك حضرة النبي يقول لسيدنا أبو هرير :

{ أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ } [165]

وهذا ذكر الصالحين ، فدائماً على ألسنتهم: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) لأنه يرى أن الحول والطول والقوة كلها من الله ﷻ .

165 جامع الترمذي ومسند أحمد

فضل الله علينا

نأخذ قطرة واحدة - على قدرنا - من فضل الله ﷻ علينا جماعة المؤمنين: سيدنا رسول الله ﷺ كان ماشياً بجوار الكعبة، فوجد بعض شباب المؤمنين يضحكون أي يتكلمون ويتسامرون ويتناقشون ويضحكون، فحضرة النبي أخذته الحميَّة وقال لهم:

{ اذْكُرُوا الجَنَّةَ، واذْكُرُوا النَّارَ، فَنَزَلَتْ: " نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ " } [166]

﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ عليك أن تبشرهم، ونبئ يعني: خبِّر، من هؤلاء؟ عبادي، وانظر إلى رحمة الله، فقد قال: (عبادي) فنسبهم إلى ذاته، وأكَّد الكلام فقال: (أنِّي) ثم قال: (أنا) وأتى بكلمة (الغفور) بالألف واللام، فهذه ثلاث تأكيدات متتاليات.

وما ذكر العذاب لم يأتِ بذكر هذه التأكيدات، ولكنه قال: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾ بدون أي تأكيد لنعرف مدى رحمة الله ﷻ وخاصة بالعُصاة والمذنبين.

166 تفسير بن أبي حاتم والطبراني بصيغة: {أَتَضْحَكُونَ وَذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ! فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ}

سيدنا داود كان من العُ ا ، وكان يناجي الله ، وكان صوته شجيٌّ، فعندما كـ ن يناجي الله بصوته العذب الشجي كانت الطيور والأشجار والجبال والوحوش كلهم يُرددون معه: ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ (10سبأ) وأوبي يعني:

رددي معه، فهم يرددون وراء ، ومع ذلك قال له الله كما ورد في الأثر :

{ يا داود أنين المذنبين أحب إليَّ من زجل المسبحين } [167]

هؤلاء المذنبون عندما يرجعون إلى الله، فإنه يفرح بهم، أما المشغو ن بالطاعات من الجائز أن ينتابهم الغرور فيحتاجون لمن ينبههم، لكن هؤلاء يحتاجون لفرط رحمة الله ﷺ ، وهذا ما قال عنه الشيخ ابن عطاء الله السكندري في حِكَمه: ((رُبَّ معصيةٍ أورثت ذُلاًّ وانكسارا، خيرٌ من طاعة أورثت عزّاً واستكبارا))، لماذا نجد دائماً بين الصالحين و تباع الص لحين أحوالاً عليه، فمنهم من يرى رؤيات منامية عالية، ومن يُلهمه الله ، ومنهم من يكاشفه لله ، ومنهم من يكرمه الله برؤية حضرة النبي مناماً أو يقظةً، أو من يكرمه الله بالفراسة ؟ لأنهم دائماً يضعُون أنفسهم فيرفعهم الله ، قال ﷺ :

{ وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلا رَفَعَهُ اللَّهُ } [168]

167 مجموع فتاوى ابن تيمية والكتب من مراجع التفسير، وفي شعب الإيمان: أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام أنين المذنبين أحب إلي من صراخ الصديقين

168 صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

الذين يشددون في العبادات الظاهرية ، ويُصاًّ ن يطيلوا، يطيلوا القراء ، ويطيلوا السجود والركوع، وتقول له: أنا رأيتُ رؤ؛ ، يقول لك: كيف رأيت ! فلو أحدٌ رأى فيكون أنا، لأنه يري أنه عمل شيئاً، مع أنك لو ر ت أنك عملتَ شيئاً فلن ترى شياً، لكن الآخر يرى أنه إذا عمل شيئاً فذلك بتوفيق الل ، وبحول الل ، وبمعونة الل ، وبطول الله جل في علاه، دائماً واقفاً على أعتاب الذُل والتواضع لمولاه كما كان رسول الله ﷺ .

وفي غزوة بدر ضرب الله لنا مثلاً بصحب سيدنا رسول الله الكرا ، وكانوا ثلاث مائة وإحدى شر أو وثلاث عشر رجلاً على اختلاف الروايات ، والكفار كانوا ألفاً. ومع ذلك نصرهم الله، لماذا؟ ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ ﴾ (23، آل عمران) لأنهم رأو أنفسهم ضعافاً ومساكين ، فلجأوا إلى القوي المتين ، فجاء نصر الله ﷻ : ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ ﴾ فعلى الفور: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم ﴾ (الأنفال) .

فلما ذهبوا إلى الطائف وكان الجيش إثنا عشر ألفاً، فقالو : لن نُهزم اليوم من قلة لأن عددنا كبير، و كافرين تربصوا م من جهات مختلفة وفي وسطهم طريق، فبمجرد ما دخلوا وجدوا ا بال تأتيهم من غير حساب، ففرو : ﴿ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴾ (25، التوبة) .

من الذي ثبت؟ لا أحد غير سيدنا رسول الله ﷺ ، ومعه نفر قليل حوالي سبعين رجلاً فقط، والعجب العُجاب أن سيدنا النبي على بغلة والبغلة بطيئة غير الفرس، وأخذ يقول:

{ أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ } [169]

لأنه على ما هو عليه مع الله، ولذلك جاء نصر الله بسبب سيدنا رسول الله ﷺ .

169 البخاري ومسلم عن الراء بن عازب رضي الله عنه

مقام التوبة

الله فتح التوبة للمؤمنين ، بل قال لنا كلمة تتقطَّع منها أعناق الموحدين: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (222البقرة) فهل يترك الإنسان التوبة لحظ ! لا، ولذلك لا بد للإنسان أن يظل دائماً في مقام التوبة والإنابة إلى الله على الدوا .

نفرض أنني عبدتُ الله، فلا يوجد أحد يعبد الله كأصحاب رسول الله ، كانوا يقومون الليل كله وفي آخر الليل يستغفرون الله : ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات) مم يستغفرون؟ من لتقصير، يرون أ م مقصرون في عبادهم، ومفرطين في طا ة الله، يرون أنهم ن يستطيعوا أن يعبد ا الله ﷻ ولو عاشوا لآخر الزمان على نعمة واحدة من النعم التي أسداها إ هم حضرة الرحمن، فما بالك بنعم الآخر ، ونعمة الجن ، ونعمة الشفاعة العُظمى التي يشفعها لنا الحبيب العدنان ﷺ !.

فدا ماً هذ حال الصالحين كيف تعرف الصالحين؟ من يرى نفسه أنه مقصر، ويرى نفسه أن يحتاج إلى التوبة والأوبة والرجوع إلى الله، ويرى نفسه أنه لم يقدم ما ينبغي أن يقدمه لمولا .

لكن من يرى نفسه أنه أحسن وأنه أفضل ممن حوله لأنه يزيد في الركوع أو في السجود أو في العباد ، هل أنت يا مسكين تصل إلى إبليس اللعين في العبادة ! إبليس عبد الله إثنتين وسبعين ألف سنة حتى أنه – كما ورد – ليس في السماء موضع أربع أصابع إلا ولإبليس فيه سجدة لله تعالى . لكن في لحظة قال له الله : ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ ﴾ (18 الأعراف) لماذا؟ لأن العبادة تحتاج للأدب، وإبليس كان عابداً ولكن فقد الأدب، فكانت النتيجة أنه طُرد وكل من يمشي وراءه إلى يوم القيامة.

وأدب العبادة أن الإنسان لا يرى ما قدم ، ولكن يرى معونة الله له، وتوفيق الله ﷻ له ، وإكرام الله سبحانه له، لا تفرح بالعبادة إلا إذا نظرت إلى توفيق الله لك في هذه العباد ، لتعرف أن الأمر كله من الله جل في علاه: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ (58 يونس) ، إذا كان محل نظره فضل الله ورحمة الله ، ومعونة الله ، فهذا فضل مما يجمعه من العبادات ومن العُمرات ومن الأعمال الصالحة كلها ، لأن فضل الله هو الذي سننال به المنى يوم لقاء الله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (21 الحديد) ، ﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (105 البقرة) هذا كله اختصاص وفضل من الله ﷻ .

ولذلك المؤمن دائماً يقف على باب مولاه يناجيه دوماً، ويلزم الأعتاب ، ويضرع إلى الكريم الوهاب ، يرى ذنوبه أمام عينيه ، ويرفع عمله إلى الله ﷻ ولا يعيد النظر إليه، ويتضرع إلى الله ﷻ أن يتقبل هذا العمل بقبولٍ حسن، لأننا نعمل والعبرة بالقبول.

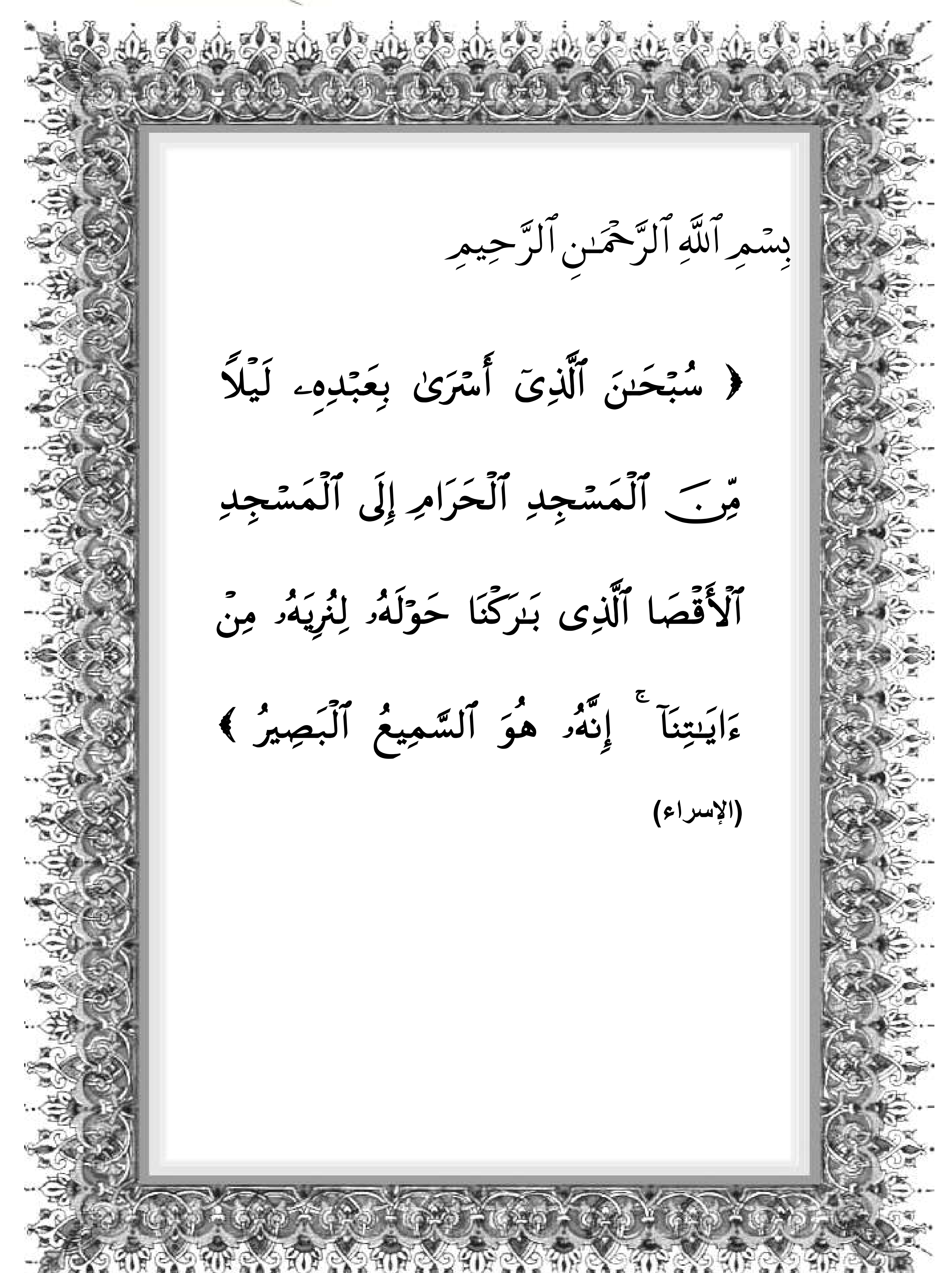
فأكرمنا الله ﷻ في هذه الآية ، وفتح لنا العناية ، وعرفنا أنه غفور ، وأنه رحيم ، وأنه تواب ، وأنه كريم ، وأن عذابه للكافرين والمنكرين والجاحدين هو العذاب الأليم، لكن ليس هناك نصيب للمسلمين في عذاب جهنَّم جمعين، لأن المسلمين جعل الله لهم لجنة، فأصحاب الجنة هم المؤمنون: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ (المؤمنون) وهذا فضل الله علينا .

علينا أن نتدبر كلام الله عند تلاوته أو عند سماعه حتى نعرف منازل الفضل الإلهي، فمنا جماعة ستبشرهم الملائكة بالجنة: ﴿ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (30 فصلت) ومنا جماعة سيبشرهم رسول الله ﷺ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴾ (47 الأحزاب)

ومن جماعة سيبن رهم حضرة الله ﷻ : ﴿ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴾ (21 التوبة) ، فهل الناس كلهم مثل بعضهم؟ لا: ﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (163 آل عمران) .

اللهم بلغنا جميعاً أعلى الدرجات، واجعلنا نحظى بكل هذه لبشريات، ويكون لنا في الجنة الهناءة والمسرات بالنظر إلى وجه الله وبالقرب من حبيبه ومصطفا .

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾

(الإسراء)

10 : الإسراء [170]

dddddddddddddddddd

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي وسعنا بإكرامه ، وشملنا بإنعامه ، وجملنا بخير الخلال التي خص بها الأنبياء والمرسلين في كلامه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام النبيين ، وخاتم المرسلين ، والرحمة العظمي للخلق أجمعين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، وصحابته المباركين ، وكل من اهتدى بهديه إلي يوم الدين ، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين .

إعجاز القرآن البلاغي في خبر الإسراء

إن آية الإسراء فيها من الإعجاز الإلهي ، والبيان البلاغي الرباني ما يحير العقول والقلوب والألباب ، فإن الله ﷻ ذكر في هذه الآية الكريمة كل ما يتعلق بهذه القصة الكريمة من البداية إلى النهاية ، بل إن الله ﷻ ردَّ فيها على تساؤلات المنكرين وعلى شكوك المشككين ، وعلى دعاوى المعترضين.

170 مسجد قاسم المصري – مغاغة – المنيا 27 من رجب 1437 هـ 4/5/2016م

الرد على المعترضين

أول عتراض كان من الناس ه : كيف يذهب النبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس – وكانوا يقطعون هذا السفر في مدة أربعين يو – ثم يصلى بالأنبيا ، ثم يصعد السماوات سماءاً تلو سما ، وهو الذي يبين ﷺ عظمة السماوات وما بينها من مسافات فيقول صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ } [171]

عرج به حتى تجاوز هذه السم وات ، ثم دخل الجنة وشاهد ما أعد الله ﷻ للصالحين والمتقين فيه ، و ى النار وما جهز الله ﷻ للكافرين والمشركين والمجرمين فيه ، ثم إلى سدرة المنت ى، ثم إلى قاب قوسين أو أدنى ورجع وفراشه الذي كان نائماً عليه لم يبرد بعد ، أي أن الرحلة ستغرقت دقائق معدودات .

بدأ الله ﷻ الآية بردٍ بالغٍ على هؤلاء المعترضين والمعارضين والمكذبين والمجادلين أجمعين . فقال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ ﴾ من الذي قام بالإسرا ؟ الله ﷻ ، وهل عجز الله ﷻ شي ؟! لو كان الإسراء من ذات الحبيب كان من الجائز أن نتكلم أو نخوض ،

171 مسند أحمد عن العباس رضي الله ع ه

لكن إذا كان الأمر متعلق بالقدرة الإلهية فإن الله كما قال في قـ ـن : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (44 فاطر) بل إن أمره بين السماء والأرض ، وكل ما بينهما وما بعدهم : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (82 يس) كم تستغرق ـن هذ ؟ أقل من لمح البصـ .

فبما أن الأمر أسنده الله إلى ذاته ، فيجب على المؤمنين أجمعين التسليم له ، والتصديق برحلة رسول الله ﷺ في الإسراء والمعراج ، ولا ينبغي لمؤمن أن يعترض على ذلك .

ولذلك فنحن عندنا جماعة المسـ ـين أن كل من كذب بالإسراء فهو كافر لأنه كذب يات الله ﷻ ، والآ ـة صريحة ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ .

الإسراء بالروح والجسم

مرة أخرى عاد المنكر ن فقالو : ليس من المعقول أن يكون قد ذهب لهذه الرحلة بالجسم ؟

كيف يذهب بالجسم في هذه الرحلة المقدسة الطويلة الأمد؟ فرد الله عليهم وقال : ﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ والعبد يعني الجسد والروح :

لفظ عبد يقتضي الجسم الذي	فيه روح بل وعقل والخيال

لم يقل أسرى بروح عبده وإلا كانت رؤيا منامية ، فما الداعي للإعتراض إذ ؟! لأن الرؤيا المنامية جائزة لكل إنسان في أي زمان ومكان ، فكل إنسان وهو نائم من الممكن أن يرى نفسه يطوف بالبيت الحرام ، أو يرى نفسه واقف على جبل عرفات ، أو يرى نفسه في الجنة ، هل هذا مستبعد على أي إنسان ؟ أبد .

لكن الخصوصية لا تكون خصوصية لسيدنا رسول الله إلا إذا كانت بالجسم والروح . فكانت معجزة الإسراء والمعراج لرسول الله ﷺ بروحه وجسمه معاً صلوات ربي وتسليماته عليه .

وحد د الله ﷻ الإسراء بأن وقته في الليل وقال : ﴿ لَيْلاً ﴾ وكلمة (ليلا) في قواعد اللغة العربية منكر ، والمعرفة منها تكون بلفظ (الليل) ولو قال الله سبحانه وتعالى (الليل) لـ تعني الليلة كلها من أولها لآخره ، لكن (ليلا) تعني في جزء من الليل ، وليس الليلة كلها ، حيث ذهب به الله وعاد في جزء من الليل صلوات ربي وتسليماته علي .

مشاهد الإسراء

﴿ مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ لماذا ؟ جاءت

الآية الكريمة : ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ فهناك آيات رآها في الإسراء من مكة إلى بيت المقدس ، وآيات

رآها في المعراج في السموات ، وآيات رآها عند سدرة المنتهى ، وآيات رآها في قاب قوسين أو

أدنى .. كل هذه الآيات أجملها الله ﷻ في قوله : ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ .

وحتى لا يكذب أحد بما سنستمع إليه من آيات ، قال الله نحن الذين أرينا : ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾

فإذا كان الله هو الذي أراه وكشف له عن هذه الآيات ، فهل يصح أو يجوز لمسلم أن يعترض أو

ينكر بعض هذه المشاهدات ! بالقطع لا ، لأن الذي أراه هو الله ، وهو الذي كاشفه بهذه الآيات ،

وهو الذي متعه بهذه المشاهدات : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

هذه الرحلة بها كنوز لا تعد ولا تحد من العلوم والمعارف الإلهية الخاصة بالحضرة المحمدية ،

وبها كثير من العطايا والمنح الربانية الخاصة بالأمة المحمدية ، وهذا ما نريد أن نحكي بعضاً منه .

رحلة الإسراء والمعراج

فما نصيبنا في هذه الرحل ؟ فإنه ﷺ كما وصفه ربه ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (128التوبة) كان في هذه الليلة يبيت عند ابنة عمه السيدة أم هانئ بنت أبي طالب ، وبيتها بجوار المسجد الحرا ، والاسراء كان قبل الهجر ، قيل بعا ، وقيل بعامين ، وقيل بثلاثة أعوا . ولكن أصح الآراء أنه كان قبل الهجرة بعا .

واستيقظ في الليل فذهب إلى حجر سيدنا إسماعيل وهو الجزء الذي بجوار الكعب ، فعندما اشتكي سيدنا إسماعيل لربه حر مك ، فأوحى إليه ربه بأن جلس في الحجر ، فإنا سنفتح لك فيه باب من الجنة يأتيك فيه الروح والريحا ، وأوصى أنه عندما يموت يدفن في هذا الحجر ، وعندما ماتت أمه هاجر دفنه بالحجر ، فسيدنا إسماعيل وأمه هاجر مدفونان في هذا الموضع .

فسيدنا رسول الله ﷺ مضطجع في الحجر ما بين النوم واليقظ ، وإذا بالأمين جبريل يتزل من السماء في نفر من الملائكة ومعه البراق الذي جاء به ليركبه الحبيب ﷺ إلى بيت المقدس ، فقال له جبريل : قم يا نائم فقد هيئت لك الغنائم قال: يا جبريل إلى أين ؟ قال جبريل : يا محمد الكريم يدعوك إليه ، قال : فما يفعل بي ؟ قال جبريل : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : وماذا يفعل بأمتي ؟ حيث كان رسول الله ﷺ حريص علينا في كل أحوال ،

وكان أنبياء الله السابقين يقول كل نبي ، هم نفسي نفسي لا أسألك غيره ، ولكن سيدنا رسول الله كلمه يقول أمتي أمتي ، يبحث عن الأمة لأنه ﷺ كاشف الغمه ، وهو الحريص علينا والأولى بنا من نفسنا صلوات ربي وتسليماته علي .

ثم حكى ﷺ أن الملائكة أخذوه إلى جوار ماء زمزم ، وأضجعو ، ومرر أحد الملائكة يده على رسول الله ﷺ من بداية صدره إلى منتهى عانته ، فشق ، وجاء أحدهم بطست من ذهب ، وأخرجوا قلبه ووضعوه في هذا الطست ، وأخذو منه قطعة وألقوها وقالو : هذا حظ الشيطان ، وجاء ملك خر ومعه طست مملوء إيماناً وحكمه ، وحشو قلب رسول الله ﷺ إيماناً وحكمه ، ثم مرر الملك الأول يده مرة أخرى فعاد الأمر كما كان علي ، وقال ﷺ : لم أشعر بأ لأن هؤلاء هم ملائكة الله جل وعلا .

اجتماعه بالأنبياء ببيت المقدس

ما هذا الذي حدث ؟ هذا الذي حدث هو التجهيز لرحلة الإسراء والمعراج ، ثم ذهب إلى بيت المقدس ، و جتمع بالأنبيا ، وصعد إلى السماوات ، وقابل فيها الملائكة ، حتى يعلمه الله نعمه عليه وتكريم الله ﷻ له ، لأنه في هذا الوقت الشديد كان قد ك به قومه في الطائف ، فكان في حالة شديد ، فأراه الله ﷻ منازل الأنبيا ، وقدمه جبريل ليصلى بالأنبياء ليعلم أن له مكانة عظيمة عند الله ، فهو إمام الأنبياء و المرسلين صلوات ربي وتسليماته علي .

والأنبياء والمرسلين عاهدهم الله ﷻ وهم أرواح نورانية لحضرته البهية ، فعندما خلق الله أرواح النبيين جمعهم حيث لا مكان ولا زمان ولا أفلاك ولا أكوان : غيب غيب لا يعلمه إلا حضرة الرحمن ، وأخذ عليهم العهد والميثاق : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (81 آل عمران) ، كل النبيين ، ولماذا قال النبيين ؟ لأنهم كانو ارواحاً لم يكلف أحد منهم بالرسالة بعد ، فالتكليف بالرسالة يكون عندما يأتي للحياة الدنيا بعد أن تلبس الروح في الجسد : ﴿ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ ﴾ لم يقل نبي بل قال رسول ﴿ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ ﴾ ماذا نفعل يا رب ؟ ﴿ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ فيجب على كل الأنبياء أن يؤمنوا برسول الله ،

ولكن كيف ينصرونه وقد أتو قبله ؟ كل منهم يوضح لأمته ملامحه وأوصافه ودعوته ، ويوصيهم بأن يتبعوه ويؤمنوا به إذا أدركوه في زمانه ويناصروه في دعوة الله ﷻ ويعينوه على تبليغ دعوته : ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (81 آل عمران) .

العهد والميثاق الذي أخذه الله علي الأنبياء والمرسلين كما أوضحت الأيات لا يكتمل إلا إذا بايعوه بعد بعثته بالرسالة ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ لذلك أحياهم الله وجمعهم له في بيت المقدس حتى يجددوا البيعة له بعد بعثته وتكليفه بالرسالة حتى يكونوا من أمة محمد ﷺ :

صُفُّوا وراءك إذ أنت الإمام لهم	قد بايعوك على صدق المتابعة
أبوهمُ أنت يا سر الوجود ولا	فخر وسرهم قبل المعاينة

وبعدما اجتمع الأنبياء وقد كان عددهم كما ورد في حديث أبو ذر حين سأل رسول الله ﷺ :

{ كَمِ الأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ : مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَمِ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ : ثَلاثُ مِائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ جَمٌّ غَفِيرٌ } [172]

172 الأربعين حديثاً للآجري

والذين ذكروا في ال ر ن منهم خمس وعشرون ، والعظماء منـ م خمسة وهم أولوا العزم من الرسل .

فكل الأنبياء والرسل عددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ور ول جمعهم الله سبحانه وتعالى للحبيب ﷺ في بيت المقدس ، وبعد ما ألقى كل منهم كلمة ترحيب بالحبيب جاء جبريل وأخذه من يده وقال لـ : تقدم صلِّ بهم يا رسول الله .

لكن ما كيفية هذه الصلا ؟ ليس لنا شأن ـ ذ ، لأن هذا أمر غيبي لا يعلمه إلا الله ، فربما تكون الصلاة بمعنى لدعا ، أو هي صلاة على شريعة إبراهيـ ، لا يهـ ، المهم أنه كان لهم الإمام صلوات ربي وتسليماته عليـ .

وكانوا ورائه في سبعة صفوف من الأنبياء والمرسلين . تقدمهم رسول الله ﷺ ، حتى يعلم مكانته عند الله ، ويفرح بالمنزلة التي خرها له مولا ، فيزيد شوقه إلى الله ، ولا ـمد عزيـ ه في الدعوة إلى الله جل في علا .

بعد هذا صعد الى السماوات وفيها ما فيها على المعراج ، وعند سدرة المنتهى تدلى له الرفرف الأخضر ، وزجه جبريل في النور إلى حيث قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى.

قاب قوسين

ما أود أن أوضحه هنا هو ما مقدار نصيبنا في هذه الرحلة ؟

سيدنا رسول الله ﷺ في هذه الرحلة عاد محملاً بهدايا لا تعد لا تحد ، هدايا من الله ، وهدايا من ملائكة الله ، وهدايا من أنبياء الله ورسل الله .

ووصوله إلى قاب قوسين أو أدنى معناه :

أنه وصل إلى مقام لم يصل إليها أحد سواه من خلق الله ، وليس معناه أن الله هناك حاشا لله ﷻ ، فالله سبحانه وتعالى قربه من العرش كقربه من الفرش ، لا يخلو منه زمان ولا مكان ، لكن هذا تبيان للمنزلة العلية التي وصلها النبي .

لماذا لم يستطع جبريل أن يتقدم ... ، وقال له : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (64، الصافات) ؟

حتى نعرف أن هذا النبي الكريم أعلى الله شأنه ، ورفع قدره وجعله في مقام لم يصل إليه أحد من الملائكة الكرام ، ولا أهل عالين ، ولا أهل عليين ، ولا الكروبيين ، ولا الأنبياء والمرسلين .

فالأنبياء كانوا في السماوات :

منهم من كان في الأولى ، ومنهم من كان في الثانية ، وأعلاهم سيدنا إبراهيم وقد كان في السماء السابعة .

وكذلك الملائكة ، وأعلاهم جبريل ، وقد وقف عند سدرة المنتهى ، حتى نعلم أن هذا مقام خاص برسول الله ﷺ :

وحكمة إسراء الحبيب إغاثة	لعالمه الأعلى ورحمة حنان
ولم يك رب العرش فوق سمائه	تنزه عن كيف وعن برهان
ولكن لإظهار الجمال لأهله	من العالم الأعلى ونيل أمان

سيدنا رسول الله هو الوحيد الذي أرسل للناس كافة :

فكل نبي كان يرسل لقومه ، لكن سيدنا رسول الله رسل للجن والإنس والملائكة :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ (28سبأ) .

فالملائكة كانوا يريدون نصيبهم من رسالة رسول الله :

فصعد حتى يعطيهم نصيبهم من الرسالة الإلهية ، لأنه نبي جميع الكائنات الذي جعله الله ﷻ نبي للكافة على الإطلاق .

بعدما كان قاب قوسين أو أدنى ووصل إلى مقام يقول عنه : { ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ صَرِيفَ الأَقْلامِ}[173] وهي أقلام القدرة الإلهية التي تكتب الأقدار وينفذها الملائكة في اختلاف الأدوار ، قال : قلت : التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله ، فقال له الله : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فقال ﷺ حتى يدخلنا معه : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . ولذلك قال ﷺ :

{ أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ }[174]

أدخلنا معه صلوات ربي وتسليماته عليه ، فقالت الملائكة : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله .

وأمره ربه أن يعرض عليه ما يريد ، فقال يا رب إنك عذبت الأمم بلي بعضهم بالخسف ، وبعضهم بالمسخ ، وبعضهم بالقذف ، وبعضهم بالحجار ، فما أنت فاعل بأمتي ؟ لم يطلب لنفسه ، ولكن كانت كل طلباته لأمته .

173 البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه
174 البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

وانظروا إلى بشارة الله ، واشكروا الله على عطايا ، وصَ وا على الحبيب الذي استجلب لنا هذا الخير من الله ، فقال الله تعالى :

{ أنا لهم إذا عاشوا ، وأنا لهم إذا ماتوا ، وأنا لهم في القبور ، وأنا لهم في النشور ، وفي الدنيا أستر على العصاة ، وفي الآخرة أشفعك فيهم ، من توكل منهم عليَّ كفيته ، ومن أقرضني منهم جزيته ، ومن دعاني منهم لبيته ، أنا الله رب العالمين لا أخلف الميعاد }[175] .

نظروا إلى إكرامِ الله للأمة علي يد سيد الأمة ﷺ . ، المكرمات بتفص ها يحتاجِ إلى وقت كثير ، لكن ملخصها أن الله ﷻ جعل لهذه الأمة من الإكرامات ما لا يستطيع أحد من الأولين أو الآخرين عده أو إحص ، :

﴿ فَضۡلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (ا الحجرات .

175 المواهب اللدنية ، وقد ورد فى بعض أخبار الإسراء مما ذكره العلامة ابن مرزوق فى شرحه ببردة المديح.

هدية الله للأمة الإسلامية

وبعد ذلك أعطاه الله هدية لأمته، فمن يقع منهم في شد ، أو يصيبه هلِ ، أو حزن ، و فز ، أو تنتابه المشاكل ، أو تكثر عليه المشاغل ؛ يستخدم هذه الهدي ، فيحل الله ﷻ بفضله له كل ما يشغله من أي قضي ، ما هذه الهدي ؟ إنها الصلاة التي فرضها الله علينا في هذه الليل .

لا يوجد من يستطيع أن يحسب قدر نعم الله ﷻ علينا في الصلاة أبد ، وقد فرضها الله في أول الأمر خمسين صلا ، وكان سيدنا موسي يقف في طريق رسول الله يرجعه مرة تلو الأخرى يسأل الله التخفيف للأم حتى قال ﷺ :

﴿ سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ ﴾ [176]

فقال رب العزة في فضل الصلوات الخمس:

﴿ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي، وَأَجْزِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا ﴾ [177]

أي أصبحت خمس صلوات في العمل خمسون في الأجر والثواب ، هذه أول فضيل ، فالصلوات الخمس التي نصليها في اليوم والليلة يكتب لنا بها أجر خمسون صلا ، ولذلك قال سيد الأولين والآخرين :

176 صحيح البخاري، ومسند أحمد
177 صحيح البخاري و مسند أحمد

{ مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي جَمَاعَةٍ، فَقَدْ مَلأَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ عِبَادَةً }[178]

ولكننا لا ننتبه لهذ ، فالله سبحانه يريد أن يغنينا ونصبح من العابدير . و نظر كيف يعاملن الله ﷻ ؟ ا لصلاة بعشر ، وذلك في الأيام العادي ، أما في رمضان فالفريضة فيه بسبعين فريضة فيما سوا .

فجعل الله ﷻ في الصلاة غناءاً للعبد المؤمر :

فلوا قتصر على الصلاة فقط يكون يوم القيامة من العابدين لله ﷻ ، ويكون من الوجهاء الأغنياء الذين عن هم عبادات عظيمة عند الله ﷻ .

ا ماذا بعد ذلل ؟ قال أريد أن يكونوا مغسولير . وليس عليهم ذنوب . ولا لهم عيوب . حتى عندما أطلب الواحد منهم في أي وقت يأتي عندي خالي من الذنوب والعيوب ، فكيف يغسل ؟ يغسلنا في الصلا : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ ﴾ من الذي يدعونا للصلا ؟ إنه الل ، ولماذا دعونا يا رب ؟ ﴿ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ (10 إبراهيم) كيف يتم هذا الأمر يا رسول الل ؟ قال :

{ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ – أوساخه – شَيْءٌ؟ قَالُوا : لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ : فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا }[179]

---

178 حلية الأولياء لأبي نعيم عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه
179 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

كما أنه لا يقف العبد بين يد الله ويناجي الله إلا ويحقق له الله ﷻ له منا ، في أي أم ، مالم يدعو بإثم أو بقطيعة رحـ ا ن الله يقول في الحديث القدسي :

{ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" ، قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" ، قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ" ، قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ } [180]

ولذلك ورد عن النبي ﷺ :

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَزِبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلاةِ } [181]

فعندما يصلي ويدعو لله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ (الطلاق) وعـلم حضرة النبي أصحابه هذا الأم ، فكانوا جميعاً على هذه الشاكلة .

أحدهم كان تاجر ، وكان من ثقته بالله كان يخرج بتجارته في الصحراء الجرداء وحيداً بلا رفيق لا حـ س، متوكلاً على الله ، ومعتمداً على حضرة الله جل في علاه :

180 صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه
181 معجم الصحابة وجامع البيان عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

وهو في طريقه للطائف وجد رجلاً قاطع طريق يقف وبجانبه فتحة بين جبلين ، وقال له : ماذا تريد ؟ قال : أريد المال ، قال: خذه، قال: لا بد من قتلك ، حاول معه ولم يجد سبيلا ، فطلب منه أن يتركه يصلى ركعتين لله ﷻ ، وهو في الصلاة سمع صوت يقول : دعه يا عدو الله ، لكنه واصل الصلاة ثم في ركوعه سمع صوت يقول : دعه يا عدو الله ، والواحد منهم عندما يصلي كان لا يشغله شاغل عن الصلاة وفي السجود سمع صوت يقول : دعه يا عدو الله ، وعندما انتهى من الصلاة نظر فإذ رجل بيده سيف ، وقطع عنق هذا الرجل ، وما زال الدم بالسيف ، فسأله من أنت ؟ ومن الذي أرسلك إلي ؟

قال أنا ملك من السماء الرابع ، عندما استغثت بالله ﷻ قال من يغيث عبدي فلان بأرض كذا فقلت : أنا يا رب ، وأنا في السماء الرابعة همَّ بقتلك فقلت : دعه يا عدو الله ، وأنا في السماء الأولي همَّ بقتلك مرة ثانية فقلت له : دعه يا عدو الله ، ثم عندما كنت عند شفير هذا الوادي همَّ بقتلك فقلت : دعه يا عدو الله ، ثم قتلته .

هذا هو نهج وحال المسلمين المؤمنين الصادقين الأولين ، الذين صاروا على نهج سيد الأولين والآخرين ﷺ ...

ولكن لماذا لم نصل إلى هذه الأحوال !.

الصلاة إسراء ومعراج

إن رحلة الصلاة جعلها الله سبحانه وتعالى إسراءً ومعراجً لكل مسلد :

فإذا كان حضرة النبي أسرى به الله ﷺ وعرج به إلى السماوات ....

فأنت يسري الله ويعرج بك في اليوم خمس مرات على اا قا .

كيف ؟

الرحلة كانت ثلاث مراحا :

- من البيت الحرام الي المسجد الأقصى .
- من المسجد الأقصى لى سدرة المنـ ء .
- ومن سدرة المنتهى إلى قاب قوسين أو أدو .

والصلا ثلاث مراحا ؟

- وقوف .
- ور - و .
- و ـــ جو .

ونبين فنقول:

- الوقوف كرحلة الإ ـ ـرا .

- والركوع كرحلة ا ــــ ـراج .

- وال ـــ ـجود كقاب قوسين أو أدن ..

ولذلك أوصانا حضرة النبي بالسجو ، لأن الله قال فيه : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ (19العلق) :

لأنك في السجود تكون بين يدي من يقول للشيء كن فيكون ، فقال ﷺ :

{ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ }[182]

أي كأنه في قاب قوسين أو أدنى ، لذلك قال له :

{ إِذَا سَجَدْتُمْ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ قَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ }[183]

فالصلاة هي رحلة إسراء ومعراج للعبد :

يكون فيها في السجود ليس بينه وبين الله بين ولا غين ولا رين ، كأنه يعاين جمال الواحد الأحد ، يناجيه فيستجيب له .

---

182 صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

183 سنن النسائي وابن خزيمة عن ابن عباس رضي الله عنهما

التجهز للعطاءات الإلهية

ولكن ما الذي نحتاجه لكي نصل إلى هذا الحال ؟ نحتاج إلى الطهارة القلبية التي فُعلت للحبيب ﷺ في بداية الرحل ، فقد أمرنا الله بالطهارة الظاهرية بالما ، ولكن ما الذي ينظر إليه الله فيه ؟

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ ، وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ ، وَأَعْمَالِكُمْ } [184]

فالأولى بالطهارة مع الماء هو القلب ، لأنه محل نظر الله ، فأنا سأقف بين يدي الله فيجب أن أطهر القلب لحضرة الله جل في علاه ، مم أطهر القلب ؟ ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ (47 الحجر) انظر إلى وصية سيدنا رسول الله ﷺ لخادمه الخاص سيدنا أنس بن مالك ﷺ ، يقول أنس ﷺ : قال : قال لي رسول الله ﷺ :

{ يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافْعَلْ ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي ، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ } [185]

سأقف بين يدي الله لكي أناجيه، فهل يجوز أن أكون بين يدي الله وأنا مشغول – مثلا – بالتدبير في كيفية أن أضر فلان من خلق الله ؟ أو كيف ألفق قضية مزورة ضد فلان ؟ كيف هذا ؟ .

184 صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه
185 جامع الترمذي

حظ الشيطان

لكن ما الذي يجب عليَّ فعله ؟

لا بد ليَّ من أن أنزع من قلبي حظ الشيطان ، وحظ الشيطان هو الرياء والإعجاب بالنفس والفرقة بين المسلمين والكره والبغض والحقد للناس أجمعين ، لأن المؤمن يعلم علم اليقين أن الأمور كلها بيد الله وليس لأحد في الكونين سواه تصرف في أي شيء في هذه الحياة ، فلماذا أحقد على فلان أو علان ! فالأمور كلها من الله وإلى الله وبالله.

ويغسل قلبه بدوام الإستغفار للواحد القهار ، أمر واحد طلبه الله منا لو سرنا عليه سيرفع الله به كل بلاء وعذاب عنا جماعة المسلمين ، ما هذا الأمر؟ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ (33 الأنفال) لو داومت الأمة على الإستغفار للواحد القهار : ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (10 نوح) .

سننال كل ما نريد بشرط المداومة على الإستغفار ، لكن العجب أننا نجد كثير في هذا الزمان يبخل على نفسه بالإستغفار لله ﷺ ، لماذا يا أخي ؟ إذا كان الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول :

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ } [186]

فيجب ألا نقل عن هذ ، بل يجب أن نزيد ، لكن أين من المسلمين الذي يستغفر في اليوم سبعين مرة ؟ لا يوجد إلا ما قل وندر .

186 مسند أحمد والنسائي

بضاعة الإيمان

لكن يجب أن أطهر القلب بالإستغفا ، وأملأه بهد ي النبي المختار ببضاعة الإ ا ، فسيدنا رسول الله ﷺ أتته الملائكة بطست مملوء بالإيمان والحكمة ووضعوه في قلبه الشريف ، فيجب عليَّ أن أضع في قلبي بضاعة الإيما .

وما بضاعة الإيما ؟

الحب للناس أجمعين وتمني الخير لجميع خلق الا ، شكر الله ﷻ على عطايا ، ا الرغبة في عمل المعروف طلباً لمرضات لا ، ولا أقول بأن فلان يستحق وفلان لا يستحق ، فأنا أعمل العمل لله والله يقول : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (0 الكهف .

فعلي أن أملأ القلب كله ببضاعة الإيمان التي حببنا فيها النبي العدنا ، والتي نزل بها صريح يات القر ، والتي ينبغي ن يك ن عليها أهل الإيمان أجمعين .

إذا طهر القلب من الخطايا التي ذكر ه ، وأكثرنا من الاستغفا ، ووضعنا به بضاعة الإيما ، وجملناه بالإخلاص والصدق في التعامل مع الله ﷻ ...

دخلنا في قول الا : ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرا .

زينة الإيمان في القلب

وما زينة الإيمان ؟

زينة الإيمان إخلاص العمل لله :

ألا يرجو الأجر إلا من الله ، ولا ينتظر شيء من خلق الله ، وأن يعمل العمل بصدق مع مولاه ، وأن يتابع فيه حبيب الله ومصطفاه ﷺ .

إذا سرنا على هذه الوتيرة ندخل في الحديث الذي يقول فيه الله ﷻ :

{ إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِي ، وَلَمْ يَتَعَاظَمْ عَلَى خَلْقِي ، وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ، فَقَطَعَ نَهَارَهُ بِذِكْرِي ، وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى خَطِيئَتِهِ ، يُطْعِمُ الْجَائِعَ ، وَيَكْسُو الْعَارِي ، يَرْحَمُ الضَّعِيفَ ، وَيُؤْوِي الْغَرِيبَ ، فَذَلِكَ الَّذِي يُضِيءُ وَجْهُهُ كَمَا يُضِيءُ نُورُ الشَّمْسِ ، يَدْعُونِي فَأُلَبِّي ، وَيَسْأَلُنِي فَأُعْطِي ، وَيُقْسِمُ عَلَيَّ فَأُبَرُّ قَسَمَهُ ، أَجْعَلُ لَهُ فِي الْجَهَالَةِ عِلْمًا ، وَفِي الظُّلْمَةِ نُورًا ، أَكْلَؤُهُ بِقُوَّتِي ، وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلائِكَتِي ، فَمَثَلُهُ عِنْدِي كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْجِنَانِ ، لا تَيْبَسُ ثِمَارُهَا ، وَلا يَتَغَيَّرُ حَالُهَا } [187]

187 حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما

فإن الله سبحانه وتعالى يريد ...

أن يصلي أمامه الخاش . ن الخاض . ن ... الذين يشعرون بالحاجة الشديدة إلى رب العالمين ، ولا يتع .ون على خلق الله ، .... ولا يتكب .ون على الفقراء والمساكين من عباد الله ، ولكن ينظ .ون إليهم بعين رحمة وحنان .. فإذ . ر .رنا على هذه الوتيرة .... فإن الله ﷻ يكرمنا غاية الإكرا. .

هدية الخليل إبراهيم

فالصلاة هدية من الله، وهناك هدايا أخرى أحضرها لنا سيدنا رسول الله من الأنبياء والمرسلين، فعندما ذهب عند أبينا إبراهيم: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (78الحج) يقول ﷺ:

{ رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ } [188]

ولذلك أمرنا رسول الله أن نذكره في كل صلاة، وهو الذي طلب من الله ذلك حين قال: ﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾ (84الشعراء) أي جعل الأمة الآخرة يذكروني، قال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، فقال له:

{ يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَغِرَاسُهَا قَوْلُ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ } [189]

---

188 معجم الطبراني والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
189 معجم الطبراني والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

لما نزل قول الله ﷻ : ﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ (46 الكهف)

قال رسول الله ﷺ :

{ اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، قِيلَ : وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : التَّكْبِيرُ ، وَالتَّهْلِيلُ ، وَالتَّسْبِيحُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ } [190]

هذا الكلام نقوله باللسان لكن ما قيمته عند حضرة الرحمن ، حضرة النبي يقول :

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآَنِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } [191]

هذه الكلمات لا نلقي لها بالاً ، فالكلمة الواحدة فيها عدة لا تساويها عبادة من العبادات الأخري للأمم الأخرى ولو اجتمعوا أجمعين ولكن هذا فضل من الله ﷻ لأمة سيدنا محمد ﷺ ، فإذا قال الإنسان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم قال في ذلك حضرة النبي ﷺ :

{ مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ } [192]

---

190 صحيح ابن حبان ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
191 صحيح مسلم والترمذي عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه
192 جامع الترمذي وابن حبان عن جابر رضي الله عنه

متى طرح هذه النخل ؟ فالنخل عندنا يخرج ثمره بعد غرسها ب مس سنوات تقريباً، لكن هذه قال الله فيه : ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَا ﴾ (25 إبراهيم) فعندم تطرح ثمرها، تحصا د الملائك ، فيخرج مكانه في ا- ا ، وهذا إلى يوم القيام ، ويكون في رصيدك ، وهذا ما قال الله في : ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ ﴾ (96 النحل) .

ذكر الله

ولذلك العبد المؤمن الذي يسير أو يجلس أو ينام ولسانه ساكت ولا ينطق بذكر الله هو الذي سيأتي بعد الموت ، يت ـ ـر ويندم على ما فاته في هذه الحيا . حتى ، لو دخل الجن ، قال رسول الله ﷺ :

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا }[193]

فأثناء سيري لماذا لا أحرك اللسان بذكر الرحم ؟!

يكفيك أنك حين تذكره سيذكرك : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ (152 البقرة)

كيف يذكرك ؟

- إذا ذكرته في حالة شدة سيذكرك ويفرج الشدة ...
- إذا ذكرته في حالة فقر سيذكرك ويأتيك بالغنى ....
- إذا ذكرته وأنت في حالة مرض سيذكرك ويأتي لك بالشفا ، ويشفيك من هذا الوجع ..

193 معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

- فيكون ذكر الله لك أن يقضي لك الحاجة ، على بالك وأنت تذكره ﷻ .

فالإنسان المؤمن الحكيم يدخل و دخل نفسه في قول الله ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (91. آل عمران) :

وهذا خاصة أن الله جعل الذكر بلا شروط :

- فلو ذكرت وأنت على غير وضوء لا حرج في ذلك ..
- ولو ذكرت وأنت خارج المسجد لا مانع من ذلك ...
- لو ذكرت وأنت لست متجهاً إلى القبلة لا ما نع من ذلك ...
- ولو ذكرت وأنت على جنابة لا مانع في كل ذلك .. ، فالمانع من الجنابة يكون من مس المصحف ، أو قراءة القرآن ، أو الصلاة ..
- لذا ليس لمسلم حجة يعتذر بها إلى الله عن الأنفاس التي قطعها في الدنيا في غفلة عن ذكر الله ﷻ .

ما عذرك ؟

وقد سمح لك بالذكر على كل الحالات ؟!

وقد يسره الله لك : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ (17 مرة) .

فعندما تبدأ بذكر الله أول الأمر يكون الأمر ثقيلاً عليك ، ثم تجد بعد ذلك الذكر قد خف عليك ، وتتنعم به ، وتتلذذ به . ويقضي الله ﷻ لك كل الحاجات به ، إلى جانب أنك تبلغ أعلى مقام في مقامات المؤمنين .

فالمقامات التي ذكرها الله للمؤمنين في سورة الأحزاب عشر مقامات أولها :

﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ (35 الأحزاب)

وأعلاها ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ (35 الأحزاب) .

فالذي يريد أن يفوز بأعلى مقام عند الله :

كم يحتاج من أموال ؟ كم يحتاج من أعمال ينشئها ؟

لا يحتاج لشيء سوى أن يحرك اللسان بذكر حضرة الرحمن ﷻ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

{ قالَ مُوسَى: يَا رَب وَدَدْتُ أني أَعْلَمُ مَنْ تُحِبُّ مِنْ عِبَادِكَ فَأُحِبُّهُ، قالَ: إذَا رَأَيْتَ عَبْدِي يُكْثِرُ ذِكْري فَأَنَا أَذِنْتُ لَهُ فِي ذلِكَ وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَإذَا رَأَيْتَ عَبْدِي لاَ يَذْكُرُنِي فَأَنَا حَجَبْتُهُ عَنْ ذلِكَ وَأَنَا أُبْغِضُهُ }[194]

ما الدليل على حب الله للإنسان ؟

دليل حب الله للعبد أن يلهمه ذكره على الدوا !

وربما يسأل سائل ويقول ، قد يذكر الإنسان الله ويعصا ، نقول ل :

سيأتي يوم وينهاه الذكر عن المعصية :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ (01! الأع ف .

نسأل الله ﷻ أن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يُعلمنا ما ينفعنا ....

وأن يزيدنا فقهاً في الدين ...

194 جامع المسانيد والمراسيل، (قط) في الأفراد (كر) عن عُمَرَ رضيَ اللّهُ عنهُ

وأن يجعلنا من الصادقين في الاتباع لسيد الأنبياء والمرسلين، وأن يرزقنا الإخلاص لحضرته في قلوبنا، والصدق في التعامل مع حضرته في كل حركاتنا وسكناتنا، وأن يجعلنا من الذاكرين الشاكرين الفاكرين الحاضرين بين يديه ﷺ في كل وقت وحين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم□



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ (الكهف)

1 طلاب الوجه العلي[195]

dddddddddddddddddd

خطاب القرآن

القرآن فيه خطاب لكل الفئات ....

ولكل أهل الكمالات وأهل الجمالات ....

والعوام ...

وأهل الوسطية من المسلمين والمسلمات ...

فالمسلم الفطن الذي يأخذ من القرآن ما يناسب المقام ...

والمقام الذي نحن فيه مقام الحديث عن رجلٍ نعي على الله ﷻ ونحن موقنون أنه يتشبَّه على قدره بسيد الأولين والآخرين، فكان خُلقه القرآن وكان حاله القرآن[196].

وهذه فئةٌ خاصة جعلهم الله ﷻ نماذج طيبةً في آيات القرآن، وبين صحابة النبي العدنان ﷺ، ما أحوالهم؟ وما أعمالهم؟ وما وجهتهم؟ وما نتاجهم؟ ذاك ما ذكره الله ﷻ في بيانه في الآيات التي بين أيدينا اليوم.

---

195 بورسعيد – مسجد الغفران 12 من شوال 1437 هـ 17/7/2016 م

196 هذا الدرس كان احتفاءاً بذكرى فضيلة الشيخ محمد على سلامة مدير أوقاف بور سعيد الأسبق.

ونحن نستأنس دوماً أن تكون مجالسنا مُطبقٌ عليها حديث النبي العدنان ﷺ في قوله:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ }[197]

فمجلسنا من مجالس القرآن التي بين أوصافها ومزايا أهلها النبي العدنان ﷺ ، في بيت الله، تلاوة لكلام الله، ثم تدارس لما يُتلى من كتاب الله.

الآيات التي معنا اليوم تُبين الدرجة العُظمى التي رفع الله إليها حبيبه ومصطفاه، والمصطفين الأخيار من أتباعه الأبرار والأطهار.

197 سنن أبي داود عن أبي ريرة رضي الله عنه

وقع القرآن

يقول له ربه : ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ وخطاب الله للنبي في القرآن هو خطابٌ لنا معشر أمة النبي أجمعين، لأن الله يخاطبنا في شخص حضرة النبي ﷺ ، فنحن لا نتحمَّل الخطاب ، لأنه قولٌ ثقيل ، ولكن الله أهَّله وجهَّزه لسماع كلام حضرة الكريم الوهاب ﷺ : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (21 الحشر) .

فالجبال الصُم الرواسي الشامخات لا تتحمَّل نزول كلام الله، فمن الذي يتحمله؟

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ (الشعراء) فقلب رسول الله تحمَّل ما لا تتحمله الجبال الراسيات الشوامخ ، لأنه تحمَّل نزول كلام الله جل في عُلاه.

ولذلك ورد أنه ﷺ عندما كان يتزل عليه أمين الوحي جبريل ببعض آيات من كتاب الله وهو راكبٌ على ناقته ، لا تستطيع الناقة حمله ﷺ أثناء فتنخُّ في مكانها، ولا تقوى على النهوض حتى ينفصم عنه الوحي فتقوم وتتحرك ...

لماذا؟ ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ (5 المزمل) .

ويروي سيدنا أُبيُّ بن كعب أنه كان جالساً بجوار الحبيب المصطفى ﷺ متربعاً، وكانت فخذ الحبيب على فخذه، ونزل الوحي بالقرآن، فقال ﷺ : (فكادت رجلي تنكسر من ثقل رجل رسول الله ﷺ لولا أن نفصم الوحي عن))

هذا الكلام الإلهي ، وهذا النور لرباني أمره الله ﷻ أن يسير على هُداه في كل أحواله: في حياته ، وفي مشيه ، وفي أكله ، وفي شُربه ، وفي زواجه ، وفي معيشته ، وفي معاملته لكل من حوله ، كما قال الله ﷻ له:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (162الأنعام).

وقته كله لله ، وماله كله لله، وكل ما في حقائقه الظاهرة والباطنة لله، وكل حركاته وسكناته لله، ولا ينشغل عن مولاه طرفة عينٍ ولا أقل، حتى أنه كان ينام وقلبه لا ينام ، مشغولٌ بذكر الله الذي لا يغْفل سِنةً عن الأنام لله سبحانه وتعالى.

وكان يمشي على ذكر ، ويجلس على ذكر ، ويقعد على ذكر ، ويقوم على ذكر ، ويخرج ويدخل على ذكر، لا يكُفُّ عن ذكر الله ﷻ طرفة عينٍ ولا أقل.

حقيقة تلاوة القرآن

فقال الله تعالى له: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ :

والتلاوة ليست فقط باللسان، ولكن ترتيلٌ بـ لسان واعتقادٌ بالقلب والجنان وعملٌ بالجوارح والأركان لتلاوة حضرة النبي ، وأتباع حضرة النبي الصادقين.

فلسانه يقر ، والقلب يعتقد ويوقر ، والجوارح تنفذ الإشارات الإلهية العالية التي يخاطبنا بها المولى ﷻ في الآيات القرآنية: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ ﴾ لماذا؟ ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (29 ص) وبعد التدبر التنفيذ والعمل حتى نفوز ونجوز كما كان عليه ﷺ .

فمن أراد أن يكون من أهل القرب والوداد ، وأن يسلك سبيل أهل الفضل والرشاد، وأن يكون في معية الحبيب ﷺ في الدنيا ويوم الميعاد، فعليه أن يعيش بالقرآن ، ويحيا بالقرآن، موتوا به ، وعيشوا به ، وناموا به ، واحيوا به ، وكلوا به ، واشربوا به ، واجعلوه في كل شئونكم فإنه كما قال منزله: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (49 الكهف) .

لا تجد شأناً من شئون الدنيا من أولها إلا وذكره الله ﷻ وحكاه في القرآن ، وما ينبغي للمؤمن أن يفعله إن كان من أهل الإيمان في هذا الأمر، لأن المؤمن لا يكون في الدنيا أبداً حيراناً، وإنما معه الهداية واصلة من حضرة الرحمن ﷻ .

وهذا كان حال حضرة النبي وأصحاب حضرة النبي، ولذلك لما سألوا السيدة عائشة عن خُلق حضرة النبي، فقالت للسائل:

{ كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ الْقُرْآنُ، فَقَرَأَتْ: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ " حَتَّى انْتَهَتْ " وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ " ثم قَالَتْ: هَكَذَا كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ } [198]

فهي أحوال يتجمَّل بها المرء في ظاهره ...

ويجمل الله بأسرارها وأنورها باطنه ...

إذا طبقها كما سمعها من الله ، مقتدياً في ذلك بسيدنا ومولانا وإمامنا وزعيمنا سيدنا رسول الله ﷺ ، ولذلك الإمام أبو العزائم ﷺ الذي ننتسبُ إليه في الطريق إلى الله ﷻ قال:

((القرآن الكريم مورد آل العزائم الروي، وروضهم الجلي، وحوضهم المورود، وكوثرهم المشهود، يستأذنونه قبل العمل، فإن أمر سارعوا، وإن نهى استغفروا وتركوا، فهو الإمام الناطق لهم وإن صمت)).

198 سنن النسائي والأدب المفرد للبخاري

الحياة القرآنية

إذاً من أراد هذا الفضل العظيم، يجعل القرآن مُترجماً في سلوكه وحياته وحركاته وسكناته بين خلق الله ﷻ، كما يقول بعض الصالحين:

((لا تقرأ آية، ولكن كن أنت الآية التي يقرأها خلق الله))

جمّل نفسك بجمال هذه الآية لكي تكون عندما يروك يرون منظراً جميلاً ظهرت فيه المعاني الجميلة التي يقصدها رب العزة في هذه الآية.

فالتلاوة ليست باللسان:

ولكن كما قلت تكون تلاوة بخشوع مع اللسان. مع استحضار عظمة وخشية حضرة الرحمن، وترجمة الأعضاء بعد ذلك بالتنفيذ بين بني الإنسان حتى يظهر القرآن ومعاني القرآن الحسان، فتشد الناس إلى الله وإلى كتاب الله ﷻ.

المسلمون في شهر رمضان – ما شاء الله – لو جئنا بكمبيوتر يعد الختمات التي ختمها المسلمون سيجد أعداداً كثيرة، وحتى لو قسنا من يقرأون في الحرمين فقط فكم يكون عددهم؟ ملايين، ولكن ما تأثير ذلك في غير المسلمين! هذا هو المهم.

رجل بأُمَّة: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ (120النحل) إذا كان هو صورة مجملة لما يقوله الرب

اله ى ﷻ في القرآن، وصورة مصغَّرة على قدره من أخلاق وأحوال وأفعال وأعمال النبي العدنان

ﷺ ، فهذه همتنا وهذه بغيتنا لنوال ما نرجوه من الله ﷻ :

﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ :

إياك أن تسمح لهواك أو لغيرك من أهل البعد عن الله ﷻ أن يغير مبدءاً في حياتك تمشي فيه على هدي كتاب الله، فتتأسى فيه بسيدنا رسول الله، ولا بد أن يكون لك القدوة الكُبرى في سيدنا رسول الله ﷺ الإعتداد بما جاءك من عند الله، وقل الحق ولو كان مُرًّا، وقل الحق ولو كان على نفسك .

﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ :

لن تجد بد ن كتاب الله ﷻ أي شيء سديد، لأن كل شيء غير د فيه عِوج وفيه هوى، لكن كتاب الله هو الحق: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (105الإسراء) هو حق نزل من الحق، على نبيٍ اصطفاه الله ﷻ من بين الخلق، حتى يُظهر الله الحق، ويميز الحق من الباطل.

رجال الله

ثم ضرب الله ﷻ لنا المثل لمن تابعوا حضرة النبي في ذلك، قد يقول البعض أن رسول الله معصومٌ ومؤيدٌ من الله، لكن هؤلاء رجال اختصهم الله بوصال ، ومنَّ عليهم بعواطفه وإفضاله، وجعلهم أهلاً لكل كنوز فتحه وعطائه ونواله، وأمر الحبيب أن يجعلهم على بال ، ولا ي فل عنهم والتردد عليهم في كل الأوقا :

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ .

حتى أن النبي ﷺ عندما كان يتردد على أكابر الكافرين ليدعوهم إل الله، وهذ حدث أكثر من مرة، أحياناً في مكة وأحياناً في المدين ، فكان دائماً أهل الوجاهة في الدنيا يريدون أن تكون لهم خصوصية مع أهل الآخر غير الفقراء والمساكين، وهذا لا يجو ، نفى ذلك رب العزة عن حبيبه ومصطفاه.

ذهب إليه أهل مكة وزعماؤها لأن أتباع النبي كانوا فقراء، كما قال زعيم الروم هرقل عندما تقابل مع أبي سفيان: من الذي يتبعه؟ قال: الفقراء، قال: هكذا نجد عندنا أن أتباعه الفقراء.

فطا وا منه أن يجعل لهم مجلس ، ويجعل للفقراء من المؤمنين الصادقين مجلساً، ف نهاه الله ﷻ عن ذلك وقال له: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ لا تطاوع هؤلاء القو .

، بعد عزِّ الإسلام في المدينة ذهب إليه نفرٌ من وجهاء الجزيرة العربية، وحضرة النبي كان قد لتَّف حوله في المدينة قومٌ من الفقراء في مظاهر الحياة الدنيا، كَ نهم أغنياء في قلوبهم من عطاء حضرة المولى ﷻ ، والناس تغترُّ بالمظاهر، و نبي ضرب لهم الأمثلة فلم يعتبروا، كان جالساً معهم ، مَرَّ رَجُلٌ ذو وجاهة، فَقَالَ لمن مع :

{ مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ قَالُوا : حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ ، ثُمَّ سَكَتَ ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ قَالُوا : حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْتَمَعَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا }[199]

199 صحيح البخاري وابن ماجة عن سهل بن سعد رضي الله عنه

يقول الحبيب ﷺ :

{ كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ } [200]

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (13 الحجرات) **وهل يُوجد من يطلع على التقوى؟**

التقوى في القلب ، فلا يظُن أحد أنه فضل من أحد في الدرجة عند الله ، ولا في تقوى الله ، ولا في القرب من حبيب الله ومصطفاه، فإذا كان لك درجات فهناك قومٌ قال الله في شأنهم: ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ ﴾ (163 آل عمران) **هم أنفسهم درجات ، وكتاب الله مليئٌ بذلك .**

200 جامع الترمذي والحاكم عن أنس رضي الله عنه

أهل الصُفَّة

والله ﷻ له حكمة أزلية، الوجهاء مشغولون بتجاراتهم وبزراعاتهم وبأعمالهم، من الذي سيُبلِّغ هذا الدين وهذا الكلام الإلهي المبين إلى من بعدَهم وغيرَهم من المسلمين؟ لا بد أن يكون هناك جماعة متفرغين، فأرسل الله ﷻ إلى حضرة النبي قوم متفرغين: لا زوجة ولا مال ولا ولد ولا مهنة، كل ما يريدونه هو أن يخدموا رسول الله ويعاونوه، ويستمعوا إلى ما ينزل على قلبه من كلمات الله، وعندما يجلسون مع بعضهم في حالة عدم تواجد رسول الله، فكانوا على الفور يعملون حلقة للذكر، وحلقة لتلاوة القرآن، وحلقة للفكر، وكان هذا شغلهم الشاغل في هذا الوقت والحين.

وحضرة النبي تولى بفضل الله ضيافتهم، كان يتولى إطعامهم، وتحقيق كل طلباتهم مما يفيئ به الله ﷻ عليه، وجعل لهم مكاناً مخصَّصاً في مسجده المبارك، وجعل لهم عريشاً يجلسوا تحته في الظل، ويقيهم من المطر، ويناموا تحته، وكان هذا العريش يسمونه (الصُفَّ) ولذلك سموهم: أهل الُصُفَّة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم.

كانوا لا يقلّون في أي وقتٍ من الأوقات عن سبعين رجلاً، يعني سبعين طالب وأستاذ ومدرس، وجُملتَهم جمعتها بعض كتب السير حوالي سبعمائة رجل، عاشوا في هذا الموضع، وكان همُّهم كله نشر كتاب الله.

وكانوا لا يبالون إذا مكث الرجل منهم يوماً أو يومين أو أكثر من ذلك بغير طعا :

لأنهم كانت وجهتهم كلها للحبيب المصطفى، لا يبحثون عن طعا ، ويستطيعون أن يبحثوا، لكن لله فرَّغهم لهذه المهمة الإلهية، إلى أن يُرسل إليهم رسول الله وكان النبي قد جعل قائداً عليهم وهو سيدنا أبو هريرة الذى خلع عليه ﷺ صفة عرِّيف أهل الصُفة [201] يحكي سيدنا أبو هريرة يقول:

{ أَللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ ، إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ ، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلا لِيُشْبِعَنِي ، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلا لِيُشْبِعَنِي ، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا هِرٍّ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الْحَقْ ، وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ ، فَأَذِنَ لِي ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ : قَالُوا : أَهْدَاهُ لَكَ فُلانٌ أَوْ فُلانَةُ ، قَالَ : أَبَا هِرٍّ : قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ ، فَادْعُهُمْ لِي قَالَ : وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلامِ لا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلا مَالٍ ، وَلا عَلَى أَحَدٍ ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا ، فَسَاءَنِي ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : □

□

201 عمدة القارىء وشرح النووى على صحيح مسلم

وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ؟! كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا ، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ؟! وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ ، فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا ، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ ، قَالَ : يَا أَبَا هِرٍّ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : خُذْ فَأَعْطِهِمْ ، قَالَ : فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ ، فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ ، فَقَالَ : أَبَا هِرٍّ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ ، قُلْتُ : صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : اقْعُدْ فَاشْرَبْ ، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ ، فَقَالَ : اشْرَبْ ، فَشَرِبْتُ فَمَا زَالَ يَقُولُ اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ : لا ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا ، قَالَ : فَأَرِنِي ، فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ }[202]

كانو يسيرون بهذه الآيات الإلهي ، وهذه التأييدات والمعجزات النبوي ، لأنهم فرغُّوا أنفسهم لله ﷺ .

---

202 صحيح البخاري وجامع الترمذي

وهؤلاء قوم كانوا يلبسون الصوف :

والصوف في طبيعته الأولية عندما نأتي به من الغنم ونغزله وننسجه فيكون له رائحة، وهذه الرائحة مع العرق تكون رائحة كريهة، فكانت هذه الملابس التي يلبسوها، على قدر حالهم وليست كملابس المرفهين ولا المترفين، ولذلك جعلوا شعار الصوفية لبس الصوف ، وإن كان الصوف في هذا الزمان غير الصوف الذي نتكلم عنه.

فلما دخل بعض الزعماء على النبي في مجلسه مع هؤلاء القوم وجدوا رائحة الملابس الصوفية التي يلبسونها ورائحة عرق أجسادهم، فقالوا: يا رسول الله إنا نحبك ، ونحن أعيان قومنا ، ونريد أن ننصرك وننشر رسالتك ، فاجعل لنا مجلساً ولهؤلاء مجلساً.

نهاه الله ﷻ عن ذلك، ليُعلمنا رب العزة أجمعين أن لا نُفرِّق بين الناس بميزانٍ إلا ميزان تقوى رب العالمين ﷻ .

إياك أن تغُرُّك الواجهة ، وتغُرك المناصب ، أو يغُرك أصحاب المكاسب، لكن انظر إلى القلوب التي خلت من العيوب ، وعاينت الغيوب ، واخضع لديها تفز بالمطلوب من حضرة علام الغيوب ﷻ ، فقال له الله :

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ﴾ متى؟

في كل أوقاهم: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ في لصباح وفي المساء وفي كل أحوالهم،

ماذا يري ون من هذه العبادات؟

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ .

هؤلاء صنفٌ آخر غير العُ اد ...

- فالعُ اد يريدون الجنة ..

- والزُهاد خائ ن من جهنم ومن عذاب الآخرة ..

- لكن هؤلاء لا يطلبون إلا الله ﷻ ، ولا يدعونه خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، وإنما شوقاً إلى حضرته سبحانه وتع لى.

هناك قوم قال فيهم رب العزة: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (16 السجدة) :

فهؤلاء العُ اد والزُ اد للخوف والطمع ...

لكن هؤلاء لا يريدون إلا وجه الله، ووجه الله يعني رضاء الل . وفضل الل ، وإكرام الله الخاص من الله لعباد الله الذين اصطفاهم الله جل في علاه.

فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا جلس معهم لا يقوم حتى يقولون له: يا رسول الله قد أذنا لك فاخرج، أدباً مع ربه، ومع كلام ربه ﷻ، وكان إذا مدَّ أحدهم يده إليه ليصافحه لم يسحب يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي يسحب يده من يد النبي ﷺ.

وإذا سأله أحدهم مسألة يصبر له، ولا يقطع عنه حديثه، ولا ينتهي معه حتى يكون الرجل هو الذي انتهى من أمره وأخذ ما يريده من الحبيب المصطفى ﷺ.

وهؤلاء الرجال كرجال الله، لهم ورثة في كل زمانٍ ومكان، هناك أُناسٌ في كل زمانٍ ومكان يُقيِّضهم الله ﷻ لنشر دين الله، وإعلاء كلمة الله، لا لدنيا يريدونها، ولا لمناصب يطمعون فيها، ولا لمكاسب دنيوية يرغبون فيها، وإنما يريدون بذلك وجه الله ﷻ.

ولو تصفحَّت صفحات الإسلام المشرقة تجد أن الذين نشروا في الأسقاع والبقاع العالمية هم من هؤلاء القوم، لا يوجد واحد منهم ذهب لإعارة لكي يأتي بالدولارات، فلن يمشوا في طريق الله، ولا دين الله، ولا شرع الله، لأنه مشغول بماله وبنفسه.

لكن هؤلاء تفرغوا لله، والله ﷻ لم يمتنه واحدٌ منهم من الدنيا إلا وجعله أميراً على بلدةٍ من البلدان في المملكة الإسلامية، أو قائداً بارزاً في الجيوش الإسلامية، أو تاجراً فذَّاً يتاجر بأموال لا تُعد ولا تُحد، وإن كان يرى نفسه كنزاً للأمة الإسلامية، فإذا احتاج المسلمون يُخرج كل ما عنده.

كل هؤلاء لو تتبعت سيرهم قديماً وحديثاً خذوا نصيبهم من عزة الله ﷻ : ﴿ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (139 النساء) ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (8 المنافقون) .

ونبَّه النبي ﷺ أعز صحابته المباركين إلى التخوف من الإساءة إلى واحدٍ من هؤلاء، فإياك يا أخي أن تسيء إلى من لا ظهر له إلا مولاه، ولا ملجأ ولا منجى له من الله إلا بالله، فمن يعتمد على عائلته أو على ماله أو على جاهه فهذه ليست مشكلة، فهذا يتخلى عنه ربه، لكن هذا لا.

دار بين سيدنا أبو بكر وبين بعضهم حديثٌ، سيدنا أبو بكر كان جالساً مع سيدنا صُهيب وبلال وسلمان الفارسي وهؤلاء ثلاثة من أهل الصُفة، سفيان بن حرب كان ذاهباً ليمد الهدنة مع رسول الله ﷺ وكان لا يزال على شِركٍ ، فدخل على إبنته وكانت متزوجة من حضرة النبي وهي السيدة أم حبيبة رضي الله عنها ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ طَوَتْهُ دُونَهُ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّةُ، أَرَغِبْتِ بِهَذَا الْفِرَاشِ عَنِّي أَمْ بِي عَنْهُ؟ فَقَالَتْ : بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَنْتَ امْرُؤٌ نَجِسٌ مُشْرِكٌ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّةُ، لَقَدْ أَصَابَكِ بَعْدِي شَرٌّ[203] .

[203] الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه

وأثناء ذهابه لحضرة النبي مرَّ على سيدنا أبو بكر كان جالساً مع سيدنا صُهيب وبلال وسلمان الفا سي وهؤلاء ثلاثة من أهل الصُفة، فقالوا: وَاللَّهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللَّهِ مِنْ عُ قِ عَدُوِّ اللَّهِ مَأْخَذَهَا، فقال سيدنا أبو بك : أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ – هل في هذه الكلمة حرج؟ ا ، ليس بها شي – وبعد ذلك ذهب إلي حضرة النبي ، وحكي له الموقف ، لنعرف الدقة، فالمريد الصادق يعرض كل أموره حتى هذه على حضرة النبي ﷺ حتى يتبين جلية أمره وحقيقة فعل ، فقال له:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ : لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ ، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا : لا ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَخِي ، [204]

ما هذا الأدب العالي ذي علمه حضرة النبي لصحبه الكرام، لا يتكبرون على الإعتذار، فمن تكبَّر عن الإعتذار فيكون الذنب قد وقع عليه حتى يحاسبه عليه الواحد القهار يوم القرار.

وع منا رسول الله أن هؤلاء القوم يجب أن يُبجَّلوا ويُكرَّموا لما في مو عين قلوبهم من عطاء ربهم ﷺ ، ولذلك الصا . ن الصاد . ن من عصر حضرة النبي إلى عصرنا هذا يمشون على هذا النهج.

204 صحيح مسلم ومسند أحمد عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه

الإمام مالك ﷺ انتشر عنه العلم وقيل فيه: (لا يُفتى ومالكٌ في المدين)) جاء هارون الرشيد حاجًّاً إلى بيت الله الحرا ، ودخل المدين ، وأرسل إلى الإمام مالك وقال: ريد أن أقرأ عليك الموط ، وهو الكتاب الذي جمعه من أحاديث رسول الله ﷺ ، ولكن أريد مجلساً وحدي وليس فيه الناس الذين من حولك، فأرسل إليه وقال: يا أمير المؤمنين لا بارك الله في علمٍ يُنتفع به الخواص دون العوام، فأرسل إليه أن ائتنِ - يعني تعالى لي ومعك هؤلا - ف رسل له ثانيةً وقال: يا أمير المؤمنين لا تكن من أَذل العلماء فيُذلُّك الله ويُذل دولتك، أعزز العلماء بالذهاب إليهم ، فراح وأجلسه بجواره على السرير، فقال له: أُريد أن أقرأ عليك الموطأ، فقال له: تعلمنا من شيوخنا أن الطالب إذا أراد أن يتعلم من أُستاذه لا بد و ن يجلس تحت قدميه، أنت جئت ملكاً ولكنك تريد أن تتعلم فلا بد من ذلك، فنزل هارون الر شيد وجلس بين يديه ليقرأ الموطأ.

ما هذا؟

هذه عزة العلماء العاملين الذين مشوا على هذا النهج الكريم إلى يوم الدين، فلا بد أن يكون التكريم لمن كرَّمه الكريم ﷻ .

لكن إذا رأيتَ رجلا يدعي أنه من الصالحين ، ويخُصُّ أهل الظهور في المناصب والمكاسب الدنيوية ، ويمنع الفقراء، ف علم علم اليقين أن هذا ليس على كتاب الله ولا منهج رسول الله ولا منهج الصالحين من عباد الله ﷻ .

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه كان في السودان ، فأمر أهل بيته أن يجهزوا مائدةً للأعياد ، فجهزوا مائدةً عظيمة ، وخرج من صلاة الجمعة وأخذ بعض الفقراء والمساكين المنكسرين بين يدي رب العالمين ﷻ للبيت ، فتهامس أهل البيت فيما بينهم: أين هم الوجهاء والأعيان ؟! كنا نظن أنهم وزراء أو محافظين أو غيره ، ففطن ﷺ إلى ما في قلوبهم، فأمسك برجلٍ ممن أتى بهم وقال: هذا عند الله وجيهاً، وعلى آخر وقال فيه: وهذا وجيهاً في الدنيا والآخرة.

فالوجاهة التي ذكرها الله في كتاب الله هي التي حثَّ عليها حبيبه ومصطفاه ، وأمر أن يكون عليها منهج الدعاة الصادقين من أهل (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) إلى يوم القيامة.

الصبر في صحبة الصالحين

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ ﴾ خُذ هذا الخطاب لنفسك، كل آية من كتاب الله أنت خاطب بها عندما تقرأها أو تسمعها، أصبر مع من يا رب؟ ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ اثبت مع هؤلاء القوم، لأن نيل المراد لا يتحصَّل عليه الأفراد إلا بالصبر العظيم الذي يقول فيها الله في القرآن الكريم: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (127 النحل) ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾ (24 السجدة) .

من يذهب لهؤلاء القوم الصالحين ، ويريد أن يأخذ العطاء كما قرَّر في نفسه، فهل ينفع هذا الأدب مع الله ﷻ ؟! أنت تريد ، وربك يريد ، ولا يكون إلا ما يريد ؛ لأنه هو أدرى وأعرف بمصالح العبيد .

وماذا أفعل؟

لا بد من التسليم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ (65 النساء) تسليماً تاماً .

فنصبر مع هؤلاء القوم الذين لا يريدون إلا وجه الله:

وأصحاب المصالح وأصحاب المنافع لا طاقة لهم بهذا الأمر:

فصاحب المصلحة والمنفعة إذا قُضيت ولَّى مدبراً ولم تره بعد ذلك، لكن الصادقين الذين يريدون وجه الله يبذلون كل غالٍ ورخيص في سبيل نوال فضل الله وإكرام الله الذي وعد به الصالحين من عباد الله.

أريد أن آخذ المراد: ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ :

إياك أن تنشغل عنهم بالمصالح الدنيوية، لأن إرادة الله كما ورد في الأثر أنه قال للدنيا: (من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه).

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه ضرب لنا مثلاً عظيماً فقال: إذا مشى الإنسان وظهره للشمس كان ظله أمامه، وكلما مشى مشى ظله أمامه ولا يستطيع أن يُمسك به، وإذا مشى وكان وجهه للشمس كان ظله خلفه فأينما مشى أو سار مشى ظله وراءه.

قال: هكذا الأمر، من كان ظهره لشمس الشريعة المحمدية، والحضرة النورانية المقدسة النبوية، فتكون الدنيا أمامه، كلما يجري خلفها تجري الدنيا من أمامه، فمتى يلحق بالدنيا؟ لا يستطيع إلى أن تنتهي حياته ولا يحصِّل منها إلا ما كُتب له.

إذا وجَّه كله نحو حبيب الله ومصطفاه، وعاهد نفسه على تنفيذ كتاب الله وشرع الله ،

مشت الدنيا وراءه، وكلما مشى في طريقٍ مشت الدنيا خلفه ، فيُريحه الله من عناء الدنيا ومتاعبه ،

لأن الله ﷻ وعد بذلك عباده الصالحين: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ هذه

فئة مختصَّة: ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ

ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ (55 النور) .

فمن أراد أن يفتح الله عليه كما فتح على العارفين السابقين واللاحقين، فلا بد أن لا تغفُل

عينه عن الصادقين ، ويعمل بقول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

(119 التوبة) .

اجتناب أهل الغفلة والهوى

﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ :

دائماً في كل زمان ومكان أهل الدنيا وأهل المصالح يلومون أهل الإستقامة ويلومون طلاب الكرامة، و ويدون أن يجرُّوهم معهم إلى حيث الندامة يوم القيامة !! يقولون لهم على الدوام ..

لماذا أنت مشغولٌ وتسافر هنا وهنا؟

أو أنت لماذا تترك كذا وكذا ولا تسعى في كذا وكذا !.

هؤلاء جهلوا الحقيقة ، ولم يعرفوا أسرار الله مع أولياء الله وأصفياء الله التي أشرنا إلى بعضها ، لكن من ذاق عرف !!!

والقدوة موجودة في كل زمان ومكان حُجَّة لأهل هذا الزمان !!

كما قلنا :

في كل زمان ومكانٍ يُقيم الله رجالاً يقيم بهم الحُجة و يوضح بهم المحجة، يمشون على هذا المنهاج ، ويوصلهم الله إلى أعلى الرتب الدنيوية، ويُيسر لهم كل الأمور المعيشية بطريقة يتعجب منها كل أهل الدنيا الدنية، لماذا؟

لأهم مع الله ، والله ﷻ يتولّى بذاته رعاية أحوالهم وأولادهم وأموالهم وحبذا برعاية الله جل في علاه.

هؤلاء القوم كما قال سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ عندما سألوه عن سبب صلاح أولاده في الدين وسعادهم في لدنيا، فقال:

((أقبلنا على الله، ورفعنا الأمر إلى الله، فتولّى أمر أولادنا وكفانا كل هذه الأمور))

إذاً سيدنا رسول الله ﷺ :

جعل الله ﷻ أنفاسه وأعماله، وكل شيء ملّكه له لله ﷻ ، فحياته كلها لله .

والصاد . ن الذين مشوا على هديه، ونصبهم الله ﷻ ورثةً لحبيبه، وأمرنا الله ﷻ في هذه الآيات أن نُصبِّر أنفسنا في مصاحبتهم حتى نفوز كفوزهم :

أيضاً هؤلاء علامتهم :

- أن حياهم كلها لله .
- وأموالهم كلها لله .
- وأوقاهم كلها لله .

لا يرجون من وراء ذلك شيئاً من خلق الله، فلا يبغون شُهر ، ولا سُمع ، ولا رياء ، ولا مناصب ولا مكاسب فانية، وإنما كل ما يطلبوه هو وجه الله جل في علاه.

هؤلاء القوم إذا ظفرت بواحدٍ منهم فعُض عليه بالنوا . ، إ نهم كما قال فيهم الإمام عليٌّ: ((اللهم لا تُخلي الأرض من قائمٍ لك بحُجة، إما ظاهراً مشهوراً وإما باطناً مستوراً، ثم قال: هيهات هيهات، وأين هؤلاء هم الأقلون عدداً الأكثرون مدد)).

هؤلاء القليل الذين مدحهم الله في كتاب الله، ومعهم عطاء لا يُعد ولا يُحد، وديعة عندهم لمن يصُلح في تربيته في فصولهم، يُعطون له من مواهب الحق ﷻ التي أفاء بها عليهم: ﴿ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (8 الحجرات) .

هؤلاء القوم إذا أراد الله ﷻ بأهل الأرض عذاباً، نظر إليهم فصرف العذاب عنهم، هم أعين الله في أرضه، وهم أوتاد الله ﷻ التي يثبت بها قلوب العباد عند الفتن، وعند المشاكل، وعند ما لا تتحمله الأبدان والأجسام من عواصف الحياة الدنيا وأهوائها.

هؤلاء القوم عندما يذهب الإنسان إليهم يرى الثبات: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ (27 ابراهيم) من أين؟ من رجلٍ تلقى من الحبيب ﷺ ، ومن الله ﷻ ما يُثبت به القلوب عند الزلازل والفتن، هؤلاء الرجال نريد أن نفوز بما معهم فيكون:

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ :

إياك أن تشغل نفسك بالدنيا الدنية طرفة عين ولا أقل ؛ عن متابعتهم ، والسير خلفهم على منهج الحبيب الأعظم ﷺ .

وكل ما تريده من دنياك فإن الله ﷻ لا بد أن تثق ثقةً يقينية سيأتيك به ، إن كان فيه خيرٌ لك، وسيحجبه عنك إن كان فيه شرٌ أو ضُرٌ لك، فإن الإنسان لا يعلم الخير الحقيقي من الشر الحقيقي، لكن علام الأسرار ، ومدبر الأمور ﷻ يعلم ما ينفعني وما يرفعني.

فمن يُرد أن يمشي معهم فلا بد أن يصبر معهم، ولا يجالس أهل الأهواء ، الذين يفسروا الدين بآرائهم، والذين يحاولوا أن يُسيِّروا الدنيا بنفوسهم ، فليس لنا شأنٌ بهؤلاء:

﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ :

مشى على هواه ، وكان أمره فيه تفريطٌ، وبعد عن الله.

اتباع الحق

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ :

دائماً عوِّد نفسك على كلمة الحق ، إن كان للقريب ، أو للبعيد ، إن كان للفقير أو للغني،

قل الحق كما قال سيد الخلق:

{ قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا }[205] وورد: { وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ }[206]

لأن تخرج من الدنيا والله ﷻ لا يدينك بشي : خيرٌ من أن تخرج من الدنيا وقد كسبت رضا فلان وفلان !!! وخسرتَ رضا الرحمن ﷻ .

ومن يُرد رضاء الله :

فلا بد أن يقول الحق على الدوام !

أى حق؟

الحق الذي عليه سيد الخلق .

فلا بد أن أزن الحق :

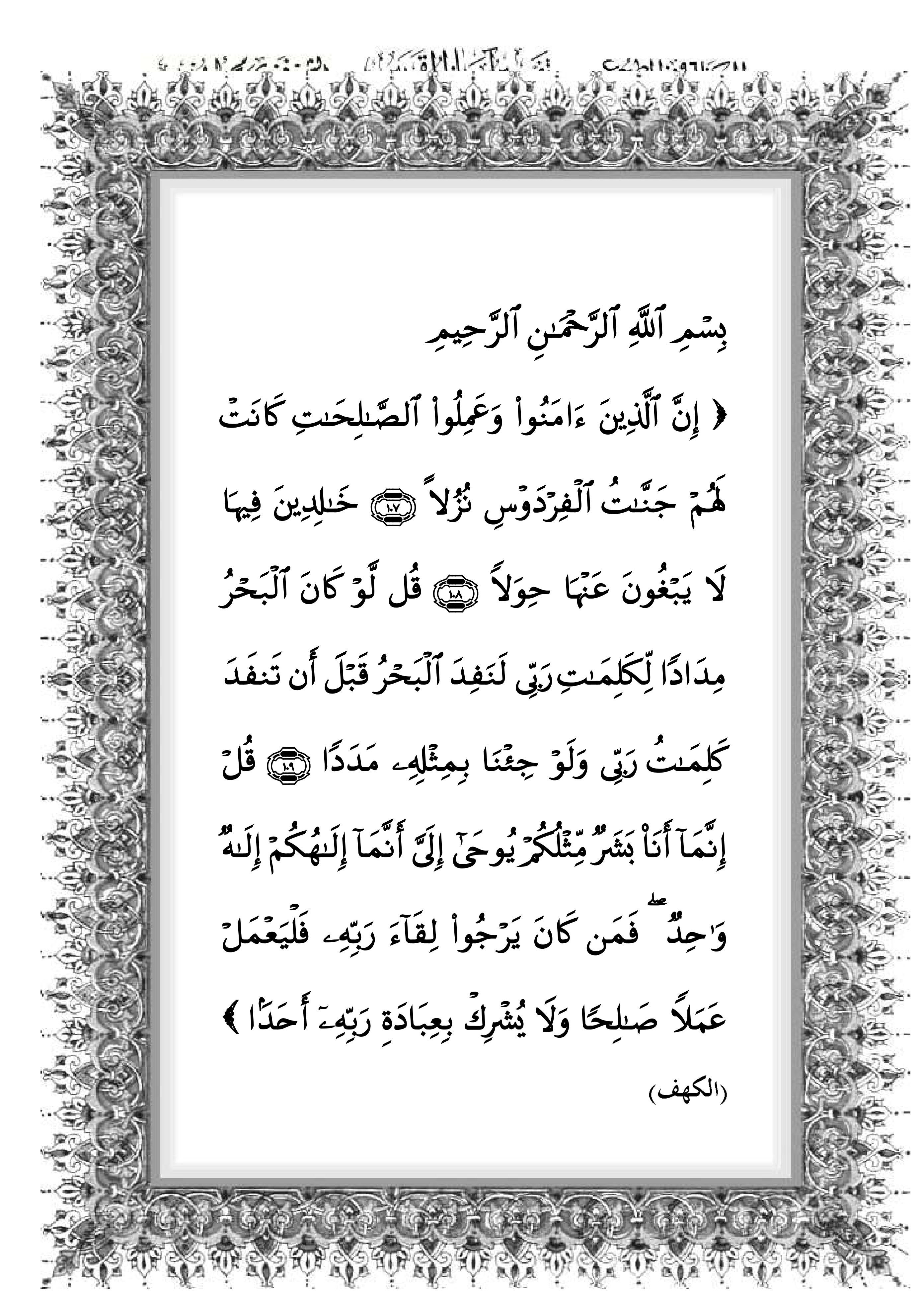
فقد يظن الإنسان أنه على الحق وهو على الباطل .

205 صحيح ابن حبان ومسند الشهاب عن أبي ذر رضي الله عنه
206 الجزء الرابع من المشيخة البغدادية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لكن معنا ميزان الشريعة الإلهي ، وميزان السنة المحمدي ، والرجال الذين جعلهم الله موازين في هذه القضايا القرآنية والنبوية.

نسأل الله ﷻ أن نكون من هؤلاء الرجال، وأن يُصلح أحوالنا، وأن يُذهب فساد قلوبنا، وأن يؤهلنا لمراتب الرضوان، وأن يجعلنا من أهل النظر إلى حضرة الرحمن، وأن يُبلغنا في الجنة جوار النبي العدنان، ويجعلنا دائماً وأبداً من أهل الروح والريحان، و ذكر الدائم لحضرة الرحمن

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلمّ



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾

(الكهف)

l2 : طلاب الجنة وطلاب المنا [207]

dddddddddddddddddd

فضل قراءة سورة الكهف

حثَّنا الحبيب ﷺ على أعمالٍ مخصوصة في يوم الجمعة الكريم ...

ومن أهمها وأعظمها قراءة سورة الكهف، وقال لنا ﷺ حاثّاً لنا على ذلك:

{ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، غُفِرَ لَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، وَأُعْطِيَ نُورًا يَبْلُغُ إِلَى السَّمَاءِ وَوُقِيَ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ .وَمَنْ قَرَأَ خَمْسَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْكَهْفِ حِينَ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ مِنْ فِرَاشِهِ تَحْفَظُهُ وَيَبْعَثُهُ اللَّهُ عَجَلَ أَيَّ اللَّيْلِ شَاءَ } [208]

أى يغفر الله له عشرة أيا .

ومن لم يستطع أن يقرأ فليسمع لقوله ﷺ :

{ الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الأَجْرِ } [209]

أي أن القارئ والسامع في الأجر شريكان ...

---

207 الأقصد – الك نا – مسجد الحولات 23 من ى القعدة 437. هـ 26/ 3/ 2016م

208 الأمال الخمسة للشجرى عن عمرو بن سعد الأموي رضي الله عنه

209 سنن ابن ماجة والطبراني عن أبي إمامة رضي الله عنه

وهذا الذي حدا بأئمة الدين منذ عصور السلف الصالح إلى قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة في المسجد الجامع قبل الصلاة .. فكان من يقرأ ... يقرأ الكهف أولاً ..

وظلوا على هذه السُنَّة إلى أن اختلطت الأمور، وأخذ القُرَّاء في التنويع !

لكن القُدامى كانوا محافظون على هذه السُنَّة لأنه كان كثيرٌ من الناس غير قارئين، وكان القارئ لكتاب الله قليلاً، فكان القارئ يقرأ سورة الكهف والحاضرون يسمعون، حتى يأخذوا الأجر ...

ولذلك يا ليت ــ وأنا أُطالب المسلمين والأحباب في كل مكان لو نفَّذنا هذا فِعلياً في يوم الجمعة فنأتي بتسجيل مُرتَّل بسورة الكهف لأحد مشايخنا العظام، كالشيخ عبد الباسط، أو الحُصري، أو محمد صديق المنشاوي، أو مصطفى إسماعيل، أو محمود علي البنا، وهؤلاء العظام الذين ظهروا على بسيطة مصر ...

والتسجيل يكون حوالي من ثُلث ساعة إلى نصف ساعة، يُشغِّله في المسجد، ولو حتى في السماعة الداخلية بحيث تنتهي قراءة السورة قبل الآذان حتى لا يضطر إلى قطعها.

آخر آيتان في سورة الكهف كانا منبه (موقظ) الصالحين والمتقين والمؤمنين في جوف الليل قبل اكتشاف المنبهات، وقبل اكتشاف الموبايلات ... فعن سيدنا عبد الله بن عباس ، أنه قال له رجل إني أضمر أن أقوم ساعة من الليل فيغلبني النوم، فقال:

{ إذا أردت أن تقوم أي ساعة شئت من الليل فاقرأ إذا أخذت مضجعك: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴾ إلى آخر السورة فإن الله تعالى يوقظك متى شئت من الليل }[210] ، وقد جربناها كثيراً إلى الآن فإنها أسرارٌ إلهية في هذه الآيات القرآنية .

210 ذكرها الثعلبي، وتفسير القرطبي

الإيمان والعمل الصالح

هذه الآيات التي في سورة الكهف والتي تبدأ بقول :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ :

أي الذي آمن وقرن الإيمان بالعمل .

ذلك لأن كل الآيات التي تتحدث عن الإيمان في كتاب الله لا بد وأن يكون معها "وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ " .

والنبي ﷺ حذَّر من الإيمان مع الكسل وترك العمل فقال:

{ لَيْسَ الإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلا بِالتَّحَلِّي ، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ } [211]

ويقول الحسن البصري ﷺ :

((ليس الإيمانُ بالتمنّي ولكنْ ما وقر في القلب وصدّقه العملُ، إن قوماً ألـهتْهم أمانيُّ المغفرةِ حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لـهم وقالوا: نُحسِنُ الظنّ باللـه وكذبوا لو أحسنوا الظنّ به لأحسنوا العملَ)) [212]

---

211 دلبل تاريخ بغداد لابن النجار عن أنس رضي الله عنه
212 تفسير أبى السعود وغيره.

الإيمان دعوة أنني مؤمن !

وهي قضية ننتسب فيها تحتاج إلى دليل !

وتحتاج إلى برهان على صدق الإيمان !

وما الدليل؟ ..... العمل .

وبمقتضى هذا الإيمان من الذي يُحدِّد هذا العمل؟

الرحمن ﷻ في كتابه ، ويزيده أيضاحاً وبياناً النبي ﷺ في سنته، وهو العمل الذي يطالبنا به الله، ومعه سيدنا رسول الله ﷺ .

- أن يؤمن بالله .. ويعمل الأعمال الصالحة ...
- وتركها الله ﷻ مفتوحة ، لأن الأعمال الصالحة الثابتة في كتاب الله هي الفرائض التي فرضها علينا الله:

{ فقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وسلّم فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُهُ عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَقَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ : لا ، إِلا أَنْ تَطَّوَّعَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ ، قَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ : لا ، إِلا أَنْ تَطَّوَّعَ ، قَالَ : وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ ، قَالَ : هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ : لا ، إِلا أَنْ تَطَّوَّعَ ، فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ ، وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلا أَنْقُصُ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ } [213]

213 البخاري ومسلم عن طلحةبن عبيد الله رضي الله عنه

يسر العبادات في الإسلام

لم يكلفنا الله شططاً، ولم يُرهقنا من أمرنا عُسراً، بل جعل شرط التكليف في كتاب الله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (286البقرة) على حسب طاقة الإنسان، ولذلك الرءوف الرحيم ﷻ قال لنا : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ (16التغابن) على قدر استطاعتك فلا تُحمِّل نفسك فوق طاقتك، بشرط أن تحافظ على الفرائض التي فرضها عليك الله .

وإياك أن تتهاون في شأنها أو تتكاسل في أدائها ، لأن من يتكاسل في أدائها وصفه الله في القرآن بوصفٍ ذميم، ولا نحبه لأنفسنا أبداً : ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ (142النساء) هؤلاء هم المنافقون .

ولذلك أنا أعجب عندما يسمع بعض إخواننا المسلمين (قد قامت الصلاة) وهو يجُرُّ في رجليه !!، والصف يستقيم والإمام ينوي الصلاة وهو لا يزال يجُرُّ رجليه !، لكن عندما يقول المؤذن : (قد قامت الصلاة) يجب أن تكون واقفاً بين يدي الله ، وجاهزاً للدخول في المناجاة مع من يقول للشيء كن فيكون.

فهذا حال الا تقياء الأنقياء الذين ع مهم سيد الرسل والأنبياء ﷺ ، فعندما جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال:

{ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَنْبِئْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ ، فَقَالَ : لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ } [214]

وعن سيدنا سفيان الثقفي ﷺ قال:

{ يا رسول الله قُلْ لِي قَوْلا لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ ، قَالَ : { قُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ } [215]

وعلى أي شيء نستقم؟ نستقم على حق الربوبية وهي الفرائض التي فرضها علينا رب البرية ﷻ ، الفرائض عندما ننظر إليها فنجد أن الحج لمن استطاع، والذي لا يملك الإستطاعة غير مكلف بأداء الحج !!

لم يكلفه الله أن يذهب في رمضان ويتخبأ ويتعرَّض للسلطات حتى يؤدي فريضة الحج !! .... فهو غير مكلف بذلك، ... فلماذا تشُقُّ على نفسك وتفعل ذلك ولم يكلفك الله بذلك ؟!!

---

214 جامع الترمذي، والحاكم عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه
215 مسند أحمد وابن حبان ومسلم

ا الصيام: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (184 البقرة) .

والزكاة واجبة على ن يملك النصاب :

سيدنا الإمام عليٌّ ﷺ وكرم الله وجهه حبيب الله وحبيب رسول الله قال : ((لم تجب عليَّ الزكاة في يومٍ قط)) لماذا؟ لأنه لم يكن في يومٍ من الأيام عنده نصاب المال أو الزرع ،لأنه كان ليس عنده أرض، ولا متجر، ولا وظيفة، ولكن كان يعمل بالأجر يوماً بيوم ، وما يعمل به يأكل بعضه، والباقي يتصدق به على الفقراء والمساكين ، فليس عنده نصاب الزكاة، ومثله كثير في زماننا هذا الذي ليس عليه زكاة.

فالفرائض مع معظم الناس هما لصلاة والصيام، ولا شيء غير ذلك ..

وكلا الأمرين مُيسر :

إن لم يستطع الإنسان أن يصلي قائماً يُصلي قاعداً، وإن لم يستطع أن صلي قاعداً صلي راقداً، وإن لم يستطع أن صلي وهو راقد يُصلي بحركات عينيه، وهذا تيسير عظيم يسَّره الله ﷻ للمؤمنين.

فبعد ذلك من يُ صِّر في هذه الحقوق ف ل يكون له عُذر عند رب البرية ﷺ !!

ماذا يقول لله إذا ساءله فيما كلفه ب !!

ومن حافظ على هذه الحقوق ففيها سعادة الدنب ، وفيها سعادة الآخرة، وفيها البركة في الأرزاق ، وفيها سعة الصدر في الأخلاق، وفيها الوفاق بين الرجل وزوج ، والبر بين الأ ناء وأبيهم، وفيها البركات تتزل في الأرزاق وفي الأقوات وفي الأجسام وفي الفهوم، وفيها حفظ الله ورعاية الل ، وفيها ما لا نستطيع أن نعدُّه من نعم الله التي يتزلها لمن قوم بهذه الأعمال لله جل في علاه.

حقيقة الحياة الباطنة

يكفي فيها قول الله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (97 النحل) وحياة طيبة ليس معناها أموالاً كثيرة، ولا سيارات ، ولا عقارات ، لأنه من الجائز أن من عنده هذه الأشياء يعيش في الهم والنكد، لكن الحياة الطيبة ليس فيها هم ولا غم ولا نكد ولا تعب ولا ألم، يبيت كل ليلة وهو مستريح البال لأنه أرضى الواحد المتعال ﷻ ، وهي النعمة العُظمى التي يحتاجها المؤمنون والمؤمنات: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (97 النحل) وع فني أن الذي يحييه هو الله ﷻ ، فلو ملكّك الأدوات وتخلّت عنك العناية، فهل تُسعدك هذه الأدوات والأموال والثروات؟ أبداً، فالسعادة بيد من بيده الحُسنى والزيادة وهو رب العزة تبارك وتعالى.

الجزاء الأوفى

وفي الآخرة؟ ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (97 النحل).

الكريم ﷻ يتقبَّل منا الحسن ويتغاضى عن السيئ، ما هذه المعاملة العظيمة ! فالذي الحسن الذي عملناه يأخذه ويضاعفه أضعافاً كثيرة، والسيئات والذنوب والعيوب إذا تبنا منها وندمنا عليها غفرها وسترها ، وربما يجعل مكان السيئة حسنة: ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (70 الفرقان) وهذا من فضل الله علينا .

فالله ﷻ يحاسب الأمم السابقة كلها بالعدل وبالقسطاس المستقيم :

كل ما عمله أحدهم في حياته يحاسبه عليه حساباً دقيقاً: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (49 الكهف) .

لكن عندما يأتي الحساب على أمة النبي الرؤف الرحيم والتي نحن منها والحمد لله، يكون الحساب بالفضل ... وكيف يكون هذا الفضل يا رب؟

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ (16 الأحقاف) .

وهذه نعمة لو أعطانا الله عمراً مكثنا نشكر الله عليها إلى قيام الساعة، فلن نوفّي حق هذه النعمة فقط:

فيأمر الله الملائكة بتقبل العمل الصالح، وستر المذنب ما دام ستر نفسه ولم يفضحها، لأن من يفضح نفسه يكون هو السبب في فضح ذنبه، ولذلك النبي قال لنا:

{ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلا الْمُجَاهِرِينَ }[216]

فالمجاهر هو الذي يفضح نفسه، إذا كان الله قد سترك فهل تفضح أنت نفسك ! لا يجب ذلك، ولكن تسأل الله ﷻ دوام ستره وغطائه سبحانه وتعالى عليك.

216 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

جنات الفردوس

والمؤمنون الذين يعملون الأعمال الصالحة أين يكونون يوم القيامة؟ وأين يسكنون؟ وفنادقهم التي يسكنون فيها في أيِّ درجة تكون من درجات الجنة؟

﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾:

نُزلاً يعني محل الإقامة، فالفندق أو اللوكاندة إسمه في اللغة العربية النُزل، يعني مكان الإقامة ... فإقامة هؤلاء القوم في الفردوس الأعلى. والنبي ﷺ بيَّن درجات الجنة - نسأل الله ﷻ أن نكون في الدرجات العُلى منها أجمعين، وأن نكون سويًّاً في جوار سيد الأولين والآخرين إن شاء - فقال:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ }[217]

وهذا لتقريب الحقيقة ...

لكن في الآخرة لا يوجد مسافات، ولا شرق، ولا غرب، ولا شمس، ولا قمر، ولا ليل، ولا نهار، فليس فيها إلا ضوء الحبيب المختار، فهو الذي ينير الجنان والأنهار، وضوء نور العمل الصالح الذي ينير لنا في يوم القرار إن شاء الله: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ (40النور).

217 صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

فالحبيب ﷺ كان حريصاً علينا، فيطالبنا دائماً أن نُعلي همتنا في الدنيا، فكل واحد منا في الدنيا – وخاصة شبابنا الآن – عندما يريد أن يتزوج، لا يُتمم الزواج قبل أن يجهِّز شقته لتكون أجمل شقة في الوجود، يبحث عن الكتالوجات هنا وهناك، ويريد أن يعمل نظاماً لأحدث شيء، أفلا تعمل أيضاً لنفسك في الجنة ! فتحجز لنفسك درجة عالية في الجنة عند الله ﷻ، فالرسول قال لنا:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ }[218]

أعلى منازل الجنة الفردوس ...

هذا الفردوس ظلَّ سيدنا رسول الله ﷺ يدعو الله إلى أن خصَّه الله لنا أمة حبيب الله ومصطفاه ....

أقرأتم قرار التخصيص في أول سورة المؤمنين؟

218 صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ المؤمنون

ماذا لهم؟

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

فهذا الفردوس خصوصية لأمة الحبيب ﷺ !

لذلك أوصانا الحبيب إذا أردنا أن نكون بجواره في الدرجات العلى أن نسأل الله الفردوس الأعلى.

ولذلك ¨ ان ﷺ في غزوة بدر، و ستشهد رجل من أصحابه وكان سمه حارث . فجاءت أُمه إلى رسول الله و ت له:

{ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ – وانظر كيف أنهنَّ كُنَّ نساء فقهاء تعلمن في مدرسة سيد الرُسل والأنبياء – فقَالَ ﷺ: يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى } [219]

يعني نحن نحزن على من لا يدخل الجنة، لكن من يدخل الجنة فلماذا نحزن عليه ! ا لماذا نبكي عليه ! نه ذاهبٌ لله، لماذا نفعل ما نهى عنه دين الله ! من يذهب لبيت الله في أيام الحج نصنع له فرحاً ونذهب لنُهنئهُ، لماذا؟ لأنه ذاهب لبيت الله، فما بالنا بمن يذهب لله ! فهذا أحلى وأرقى، فهل نف ل ما نهى عنه سيدنا رسول الله وما يخالف كتاب الله هو ذاهب للجنة ! فالمؤ . ن يحتاجون لفهم هذا الكلام.

الفردوس جنتنا المخصوصة للمؤمنين الصالحين ، الذين أصلحوا أحوالهم ليكونوا مع رسول الله ومع المؤمنين من عصره إلى يوم الدين ، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

219 صحيح البخاري والبيهقي عن أنس رضي الله عنه

من أوصاف الجنة

لو عرفنا الجنة وأوصاف الجنة قد تتقطَّع قلوبنا شوقاً إلى الجنة ، ولن نتمتع بشيء في الدنيا لأننا طامعين في دخول الجنة، ولذلك قال لنا النبي ﷺ :

{ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ ، أَطَتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ } [220]

والصعدات يعني الصحرا ، وتجأرون يعني تنادون الله، يعني تذكرون الله جل في علاه ؛ لأن الجنة أنت من يبنيه ؛ وأنت الذي تصنع أو تزرع الحدائق والبساتين فيها، بأي شي تبنيها؟ بالطاعات، وحدائقها وأشجارها من أين تأتي؟ من التسبيحات و لتهليلات والتكبيرات والتحميدات لله ﷻ .

سيدنا رسول الله ﷺ عندما كان في رحلة المعراج وعُرج به إلى السماوات العُلى وجد سيدنا إبراهيم بعد السماء السابعة سانداً ظهره على البيت المعمور، والبيت المعمور هذا بيتٌ من النور فوق السماء السابعة يحجُّ إليه الملائكة، وكل ملك له حجةٌ واحدةٌ فقط ليس لهم غيرها إلى يوم القيامة، مع أنهم من أول الخلق إلى يوم القيامة لا أحدٌ منهم يموت لكننا بفضل الله فتح لنا سيدنا رسول الله رحمة الله العُظمى للأنام الباب ، فباب الحج مفتوح،

220 جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه

ومن لم يستطع أن يحجَّ يسَّر الله لنا الأمور ونستطيع أن نعمل أعمالاً نأخذ بها أجر الحجِّ إلى بيت الله الحرام، حتى لا يُحرم أحدٌ من الأمة كلها فريضة الحج وثوابها وفضلها وإكرامها عند الله ﷻ .

فسلَّم رسول الله على سيدنا إبراهيم فردَّ عليه السلام وبعث معه برسالة صغيرة قصيرة وقال له:

{ يَا مُحَمَّدُ ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ ، وَغِرَاسُهَا قَوْلُ سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ } [221]

فهذه هي أشجار الجنة، ولذلك قال ﷺ :

{ مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ } [222]

هذه النخلة بعد كم سنة تُثمر؟ النخل عندنا يُثمر بعد خمس سنوات، ولكن نخلة الجنة: ﴿ تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (25 إبراهيم)

---

221 معجم الطبراني والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
222 جامع الترمذي وابن حبان عن جابر رضي الله عنه

الثمر يخرج في الحال، فكلما حصدته الملائكة يُثمر مرةً أُخرى في الحال، والنبي رأى هذه الأحوال في الجن ، فوجد الملائكة الذين يعملون في مزارعنا كلما حصدوا زرعنا يرجع كما كان، ، كلما حصدوا يرجع مرةً ثانية كما كان، فقال: ماهذا يا أخي يا جبريل؟ قال:

{ يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا؟، قَالَ: هَؤُلاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَمَا أَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ } [223]

قد يتصدق الإنسان بربع جنيه لا يشتري شيئاً ذا قيمة، فيأتي يوم القيامة كما قال حضرة النبي:

{ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ } [224]

يُقال له: خذ ثوابك هذا، فيقول العبد: من أين لي هذا ولم أعمله، فيا ل له: هذه صدقتك التي تصدقت بها في يوم كذا أ- ذناها وربيناها لك فصارت كما ترى .

223 تهذيب الآثار للطبري وكشف الأستار للهيثمي عن أبي هريرة رضي الله عنه
224 بخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فأنت الذي تصنع لنفسك القصور، وأنت الذي تُملِّك نفسك الحور، وأنت الذي تعمل لنفسك البساتين، لأن هذا كله تركه لك الله ﷻ، و منه لك سيد الأولين والآخرين رسول الله ﷺ، وكيف أشتري الحور؟ قال:

{ ابْنُوا الْمَسَاجِدَ وَأَخْرِجُوا الْقُمَامَةَ مِنْهَا ، فَمَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَهَذِهِ الْمَسَاجِدُ الَّتِي تُبْنَى فِي الطَّرِيقِ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَإِخْرَاجُ الْقُمَامَةِ مِنْهَا مُهُورُ حُورِ الْعِينِ } [225]

من ينظف مسجداً فتكون أجرته حورية تُحجز له في الجنة، ومن يسعى في تجميل مسجد أيضاً يكون له نفس الأمر، كما قال الإمام عليٌّ ﷺ وكرَّم الله وجهه:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها	إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخيرٍ طاب مسكنه	وإن بناها بشرٍ خاب بانيها

فنحن من يبني لأنفسنا هذه الجنان العالية، والتي هي الفردوس الأعلى؛ الذي هو مقام المؤمنين الصادقين، والذي نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

225 معجم الطبراني وابن عساكر عن أبي قرصافة رضي الله عنه

دار الخلود

لو عرفنا أننا سنمكث هناك شهراً أو سنة أو حتى خمس سنين ونقضي هناك مدة ونخرج فلن نتمتع بالأجر ، ندخل الجنة ونرى هذه المتع العظيمة والبهيجة، لكننا لن نتهنَّى بها عندما نعرف أننا سنتركها في يومٍ من الأيام، لكن الجنة ليس فيها عقد إيجار مؤقت، فماذا فيها؟ ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ من يدخل الجنة سيظل إلى ما شاء الله ، ولن يخرج منها أبداً، فليس هناك زمان .

وسيدخل في سن الشباب ؛ سن الثلاثة والثلاثين، ويظل طالما هو في الجنة في سن الثلاثة والثلاثين، فلا ينتقل إلى الأربعة والثلاثين، ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يحزنون، كما أخبر حضرة النبي ﷺ ، ولا يهرموا ، ولا يشيخون، فلا يأتي يومٌ وينحني ظهره، أو عيناه تضعفان، أو تنخلع أسنانه، بل يظل على الدوام في شباب لا يبلى.

وبالطبع عندما يروا هذه النعم العظيمة وهذه الإكرامات الكريمة لا يريدون أن يغيّروا هذا المكان:

﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ :

حولاً يعني الإنتقال ، فلا يوجد أحد منهم يرغب أن ينتقل لمكان آخر، إلا إذا انتقل للأرقى وللأعلى، ولكن كل هذا في دائرة الجنة.

وهذه الجنة كما قال الله لنا فيه . د نراها هنال . د نسمع كلنا عندما ندخ ه : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الزخرف 2) هذا جز ك ، وهذا عملك ، وهذا سعيك ، وهذا أجرك ، والله ﷻ كريمٌ في العطا ، واسعٌ في الفضل والنعما ، يُعطي بغير حساب ، لأنه واسع الفضل والكرم والجود تبارك وتعالى.

وراثة الفردوس

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلاً ﴾ وهنا جزئية تُفرحنا

بفضل الله، فلم يقُل الله ستكون لهم جنات الفردوس بالفعل المضار ، مع أنها لا زالت في المستقبل، لكن أتى ا ا بالفعل الماضي (كانت) فهي ا ذ لقت ، ومنذ أُنشئت مخصَّصة لكم، حتى نعرف عناية الله ب ، ورحمة الله لنا، وإكرام الله لورثة الحبيب ﷺ .

﴿ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلاً ﴾ كانت من قبل الخلق لأن الحبيب وضَّح هذا الأم ،

قال ﷺ :

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷺ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الأُخْرَى ، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ : هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَلا أُبَالِي ، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الأُخْرَى : هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالِي ، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ فَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الآنَ } [226]

ويمينه ليس معناها أن له يمينٌ مثلنا – حاشا لله ﷻ – نزِّه الله عن الحركات والحواس والملموسات ، وكل ما خطر ببالك فهو هالك والله تعالى بخلاف ذلك، لكن تقريباً للحقيقة .

ولذلك قال الله في القرآن : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (96 الصافات)

226 مسند البزار والطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه

هل يوجد أحدٌ منا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بتوفيق الله، أو معونة الله أو برعاية الله جل في عُلا ؟! لا أحدٌ منا يستطيع أن يفعل شيئاً أبداً إلا إذا كان الله يرعاه برعايته ، ويوفقه بتوفيقه من بدايته إلى نهايته ، و يأخذ بيده عند عثرته، ويفتح له أبواب فضله وكرمه وجوده ورحمته، ولذلك أمرنا في كل ركعة أن نطلب المعونة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥ الفاتحة) يعني أعنا، لأننا بدون المعونة لا نقدر أن نفعل شيئاً أبداً.

فأراد الله ﷻ أن يبين لنا أن دخول الجنة بفضل الله، ولذلك قال ﷺ لصحبه الكرام:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ : وَلا أَنَا ، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ } [227]

وفي رواية اخرى:

{ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلٍ ، قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : وَلا أَنَا ، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ } [228]

فدخول الجنة بفضل الله، لكن الدرجات فيها بحسب الأعمال الخالصة الموافقة لشرع الله، من يدخلها من البداية فهذا من فضل الله وإكرام الله وعطاء الله جل في عُلا ؛ الذي يتفضل به على عباده المقربين والصادقين وعامة المؤمنين فضلاً من الله ونعمة والله ﷻ عزيزٌ حكيم.

---

227 مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
228 معجم الطبراني عن طارق بن شريك رضي الله عنه

قبول الأعمال

فلا بد أن نعرف هذا الأمر حتى لا يقع أحدنا فيما يقع فيه بعض الجاهلين، وهذا ما يحدث كثيراً، فيجتهد في طاعة الله إن كان في قيام الليل، أو في صيام النهار، أو في تلاوة القرآن ، أو في قربات الأذكار، وبعدها يحفُّه بلاء من الله ﷻ تجده كأنه يتعارك مع ربه ، ويشكو الله ﷻ إلى خلقه، فيقول: لماذا أنا تفعل معي كذا؟! فأنا أعمل كذا وكذا، ويبدأ في عدِّ ما يعمله والعياذ بالله ، ولِمَ لا تعُدُّ ما عمله لك ! وتقابل هذه بتلك لتعرف فضل الله ﷻ عليك، هل تعدُّ ما قدمته لله ولا تعرف هل نلتَ به القبول أم رُدَّ في وجهك، فهناك أُناس كثيرون يعملون أعمالٌ أمثال الجبال، فتضرب الملائكة بهذا العمل وجه صاحبه، لأنه لم يُرد بذلك وجه الله ﷻ .

لكي ننال قبول الأعمال عند الله لا بد من شرطين:

الشرط الأول: أن يكون العمل خالصاً لله ، فلا يكون فيه مطامع دنيوية، ولا أهواء نفسانية، ولا دنيا دنية.

الشرط الثاني: أن يكون العمل موافق لشرع الله الذي أنزله على حبيبه ومصطفاه، فلا بد أن أعرف ما هذا العمل؟ وبعد ذلك القبول على الله: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (27المائدة) القبول بيد من يقول للشيء كن فيكون سبحانه وتعالى .

والله ﷻ يمتحننا، و متحان الله لنا جماعة المؤمنين يكون مس اً خفيفاً، وليس بلاءًا شديداً، فالرجل المؤدب بأدب الله نا ى الله ، فم ذا قال له؟ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ (83الأنبياء) لم يقُل: أصابني الضُر مع أنه ظلَّ ثمان عشرة سنة مريض ، واحتار فيه الأطبا ، وجفاه الأهل والأقارب أجمعين، ومع ذلك لم يقُل: ربي إني نزل بي الضُر، ولكن قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ ولم يقُل: فاشفنِ ، ولكن قال: ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (83الأنبياء) فوَّض الأمر لمولاه، لأن هذا هو الأدب الذي ينبغي أن يكون عليه العبد الصادق مع مولاه ﷻ .

فلا يوجد أحدٌ منا ، يتِ في يومٍ من الأيام أنه بسبب عم ه يريد كذا وكذا من الله، هو يعطيك بلا علّة ولا عمل، فقد رزقك الإيمان قبل أن تُوجد في الأكوان، فما الذي عملته نت حتى تستحق هذا الإيمان؟ لا شيء، فهذا فضلٌ من الله ﷻ .

حبَّب إليك الطاعات من غير أن تُقدِّم شيئاً لحضرته، فهذه أمورٌ ينبغي أن ينتبه إليها جموع المؤمنين فينظرون إلى الخير والفضل الواصل لهم من رب العالمين، و ظرون إلى العيوب التي تكتنفهم عند أي عملٍ يعملوه إلى الله.

تعالوا نحاسب أنفسنا على الصلاة، من منا يُصلي الصلاة ولا يخرج فيها من بدايتها إلى نهايتها عن وجه مولاه؟ لا أحد، فالشواغل كلها لا تحضر إلا في الصلاة، ولكنه من رحمته يحاسبنا بالفضل، إذا حضرت في سجدة يقبلها، أو إذا حضرت في الفاتحة يقبلها، المهم أن تحضر في تكبيرة الإحرام وأنت تُعظِّم المولى على التمام، وبعد ذلك يتجاوز عن المؤمنين، ولذلك كان أصحاب حضرة النبي المهذبين المؤدبين عندما ينتهون من الصلاة، وينتهون من التهجد في الليل بين يدي الله يسارعون إلى الاستغفار: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات) من أي شيء يستغفرون؟ يستغفرون من رؤية التقصير في طاعة العلي الكبير ﷻ، يروا أنفسهم أنهم لم يعبدون الله حق عبادته، ولم يؤدوا العبادات كما ينبغي أن تليق بجلاله وكبريائه ومقام عزته.

وأيضاً علمنا رسول الله أننا بعد كل صلاة أن نستغفر الله، لماذا؟ أين الصلاة التي ليس فيها قصورٌ ولا تقصير؟! فنتدارك هذا بعد الصلاة نستغفر الله من قصورنا وتقصيرنا في أداة هذه الصلاة لله جل في عُلاه.

فالمؤمن دائماً لا يباهي المؤمنين بعمله، ولا يُدِل على مولاه ﷻ بعمله، وإنما يتعرَّض دائماً لفضل الله، ويجعل قلبه دائماً جاهزاً صالحاً لنزول عطاء الله وفضل الله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (58 يونس).

كلمات الله

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ : قَالَتْ قُرَيْشٌ لِيَهُو : أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالَ : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، قَالَ : فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (85 الإسراء) ، قَالُو : أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا، أُوتِينَا التَّوْرَاةُ وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَاةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، فَأُنْزِلَت : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَ [229] .

والبحر يعني كل مياه الدنيا في المحيطات وفي البحار وفي الأنهار وفي البحيرات وفي جوف الأرض، لو كانت كلها مداداً أي حبراً تكتب ليس كلام الله الذي نقرأه في سطور المصحف ولكن معاني هذا الكلا :

فإن معاني هذا الكلام لا عد لها ولا حد لها ولا مُنتهى لها.

وقد أكرم الله ﷻ هذه الأمة بأن جعل هذه المعاني تتترل في كل الأزمنة ومختلف الأمكنة بحسب حالة الزمان وأهل المكان من آيات كتاب الرحمن ﷻ .

229 جامع الترمذي وابن حبان

ولذلك لم يُبينه النبي ﷺ بياناً شافياً، وإلا لم يكن لأحدٍ من بعده أن يُبين بعد بيان رسول الله، ورسول الله ﷺ وهو الذي علمه الله: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ ﴾ (113النساء) كان يُحدث أهل زمانه على قدر ما تستوعبه عقولهم، وترك الأمر بعد ذلك لقول ربه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (19القيامة).

كيف؟ على ألسنة العلماء والعرفاء والحُكماء الذين يتنزَّل على قلوبهم مدد العلم الإلهي والمعاني القرآنية من باب: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (282البقرة).

فالتفاسير كلها تنزلاتٍ على أهلها من العلي الكبير ﷻ بحسب ما يحتاجه الزمن الذي هو فيه، وبرجاله الذين يعيشون بينهم، ولذلك أعجب من عصبية البعض عندما يسمع تفسيراً لكتاب الله وشرط التفسير أن لا يتعارض مع شريعة الله، يقول له: من أين أتيتَ به؟ ومن أي كتاب؟ لا يصح إلا تفسير ابن كثير، ومن كان يُفسِّر قبل ابن كثير؟ وهل تفسير ابن كثير صالح لكل زمان ومكان؟! كل زمان له رجاله، وكل زمان له علماؤه، وكل زمان له ورثته الذين يقول فيهم الله: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي علم الكتاب: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾ (32فاطر).

فمعاني القرآن لا يستطيع أحدٌ من الأولين ولا الآخرين حصرها في بيانٍ باللسان، أو بقلمٍ في قرطاسٍ أو في كتاب، وإنما الكل يقول على قدره بما يشرح الله به صدره.

ورُوي في هذا المجال أن سيدي أحمد بن إدريس ﷺ . هو أصلاً من المغرب وإن كان من آل البيت، لأن آل البيت أيام الدولة الأموية والدولة العباسية هربوا إلى الأطراف، للإجحاف الذي حصل لهم، فكثيرٌ منهم هرب إلى المغرب بعيداً عن الخُلفاء وشأنهم، وجاء بعد ذلك إلى مصر، وذهب بعد ذلك إلى مكة والمدينة واستقرَّ فيهما فترة، ثم عاد في جولة إلى بلاد السودان ومصر، ثم عاد إلى مكة والمدينة، ثم أُمر أن يتوجَّه إلى اليمن وأن يبقى فيها حتى يلقى الله، فمات في مدينة زُبيد، وضريحه الزاهر في ربوعها قائمٌ إلى الآن.

هذا الرجل العظيم الذي قال: رأيتُ النبي ﷺ وقلتُ يا رسول الله بم أتقرَّب إلى الله؟ قال: بالقرآن، فردَّدها ثلاثاً وردَّ عليَّ ثلاثاً: بالقرآن.

فالقرآن هو الورد الأساسي للصالحين والأكابر والعارفين الأماجد في كل زمانٍ ومكان، مصداق قوله ﷺ :

{ أَفْضَلُ عُبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ }"[230]

هذا الرجل صلَّى بأصحابه الفجر يوماً وجلس يشرح لهم على ما أذكر آيات سورة الضُحى، وظلَّ إلى أن حان وقت الظهر، فصلوا الظهر ثم عاود الشرح والتفسير إلى وقت العصر، ثم إلى المغرب، ومن المغرب إلى العشاء، واليوم الثاني كذلك ـــ واليوم الثالث

230 شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن النعمان بن بشيررضي الله عنه

كذلك ، ولا يُعيد كلاماً قاله، ولا يأتي بحرفٍ يعيده، ولكن كلما ؛ دَّث أتى بجديد لم يسمعوه من قبل، وبعد اليوم الثالث قال لهم: والله لو أطال الله في عُمري وأعماركم وبقينا في موضعنا هذا إلى قيام الساعة وأنا أُفسِّر هذه الآيات ما أَعدتُ كلاماً قلته قد !!.

من أين يغترف هؤلاء؟ من البحور، وهي قوله تعالى: ﴿ لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى ﴾ أي معاني هذه الكلمات: ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ ومرةً أُخرى يقول الله في آية أُخرى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ ﴾ (27 لقمان) يعني لو أن شجر الأرض كله صنعنا منه أقلاماً: ﴿ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ﴾ (27 لقمان) معاني كلمات الله لا تنفد أبداً، وكل ما في الأمر أن يناسب الكلام المقام ولا يخالف الشرع الشريف الذي جاء به الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

تيسير معاني القرآن وتلاوته

هذا متاح لكل مؤمن، بل أن كل مؤمنٍ خصَّه الله ﷻ بشرحٍ لمعاني القرآن على قدره، صحيح أن الرجل العادي لا يكون كالرجل العالم الجليل، فكلٌّ له شرحٌ يفهمه، وكلٌّ له فهمٌ في كتاب الله، سر قول الله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ لم يقُل للتلاوة، ولكن قال: " لِلذِّكْرِ " للتذكُر والإتعاظ والإعتبار: ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (17القمر) لم يقُل: هل من تالى، لأنه يريد لمن يتلو أن يفقَّه ويتد ر معاني هذا الكلام، أي مسلم يحضر في أي مكانٍ أو موضعٍ يقرأ فيه القرآن تجد له فهماً في آيات الرحمن يأتيه من مُنزل القرآن ﷻ فضلاً من الله، تتفاوت الأفها ، وهذا يدل على دقة صنعة الملك العلام ﷻ :

وفي كل شيء له آيةٌ	تدل على أنه الواحدُ

فكلنا لسنا بصمة وا دة، فلا يوجد مصنعٌ في الوجود يُخرج كل بضاعة جديدة لها بصمة فريدة إلا مصنع واجد الوجود ﷻ ، مصنع السيارات لا يغير الموديل إلا بعد سنة، والتليفزيونات تتغير بعد عدَّة سنوات ليُغير خط الإنتا ، لكن كم مصنع الآن لإنتاج الإنسان في الوجود؟ أربعة مليارات تقري ، وكل مصنع منهم حتى لو أنتج إثنين معاً في وقت واحد لا يكونا مثل بعضهما، فكل واحد له بصمة ريدة في كل أحواله وفي كل أطواره، فما هذا؟

﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾ (88 النمل) إتقان الله ﷻ .

فكل إنسان له فهمٌ في كتاب الله ، وتذوق في معاني هذا لكلام الذي نزل به الأمين جبريل على سيدنا رسول الله، حتى أننا في الحج نرى عجباً، نرى أُناس جاءوا من أفريقيا وآسيا ولا يتكلم أحدهم حرفاً واحداً عربياً، ويمسك بالمصحف نراه يقرأ ويبكي والدموع منهمرة من عينيه ، دليل على أنه يفهم!!، وهذا من تيسير العلي الكبير - حتى لغير الناطق بالعربية يُيسِّر الله له نطق كلمات ، عناية من الله ﷻ بالمؤمنين إلى يوم الدين.

ولذلك لا ينبغي لمسلم أن يُحجِّر واسع معاني كلام الله على كلام أحد المفسرين ، فنحن في عصرنا هذا هناك أكثر من خمسين أو ستين تفسيراً للقرآن، ولما سألوا الشيخ الشعراوي : هل هذا تفسيرك؟ قال: هذا ليس بتفسير إنه خواطري عن القرآن، لكن لو قلت تفسير فمعنى هذا لا يوجد تفسير غيره، لكن هذه خواطر منحها الله لي ، ويُعطي لكل إنسان خواطر في كتاب الله، لنعرف سعة الله ﷻ وسعة كلمات الله ﷻ :

﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ .

خصوصيته ﷺ

ثم حدَّث الله ﷻ عن المقربين والمحبوبين والمرادين والمخلَصين الذين نرجو أن نكون منهم أجمعين :

فالأولون طُلاَّبٌ للجنة !

والآخرون طلاَّبٌ لوجه الله ﷻ ..

وفرقٌ كبيرٌ بين طلاب الجنة وطلاب المنة، والمنة العُظمى هي النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، هؤلاء أمر الله النبي أن يقول لهم:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ :

أنا بشرٌ واحد، لكن أنا بقدركم كلكم من بدء البدء إلى نهاية النهايات !!

من الذي قال هذا ؟

هو الذي قال ذلك عندما كان عند مرضعته السيدة حليمة السعدية ﵂ ، وكان عمره أربع سنوات، وهبطت الملائكة عليه وهو مع إخوته في رعي الغنم، وأضجعوه وشقُّوا صدره إلى عانته، وأخرجوا قلبه ووضعوه في طستٍ وغسلوه بماء زمزم، وختموه بخاتم نار فيه الأبصار، ثم ردوه إلى حالته، والحديث ماذا يقول؟ وانتبهوا:

{ ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ ، الَّذِي شَقَّ بَطْنِي زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، فَقَالَ : دَعُوهُ ، فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ } [231]

فماذا يساوي؟

الأمة كلها !

وهذا المعنى الواضح في الآية، وليس كما يقول بعض الجُهَّال: أن له عينين مثلك ، وأذنين مثلكم ... هو ليس مثلنا في هذه الحواس ؛ لأنه كانت له خصوصية خصَّه بها رب البرية ﷺ ، فظاهره كان نور، وباطنه كان نو ، ولذلك كان إذا مشى لا يُرى له ظلٌّ، هل يوجد أحدٌ منا ليس له ظل؟ لا؛ الذي ليس له ظل هو النور.

كان ﷺ كما يقول عمر بن الخطاب ﷺ : **((ما مشينا مع رسول الله ﷺ إلا كان أطولنا مهما كان طولنا ، ولا جلسنا بين يدي حضرته إلا وكان أعلانا كتفاً مع عُلوِّنا))** ؛ وكان ﷺ وهو في الدنيا فيه أوصاف الجنة التي سنكون فيها، فأهل الجنة ليس لهم فضلات وإنما كما قال ﷺ :

231 تاريخ الطبري والشريعة للآجري عن شداد بن أوس رضي الله عنه

{ إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ جُشَاءً ، وَرَشْحًا كَرَشْحِ الْمِسْكِ }[232]

هذا كان حاله ﷺ ، فكان عندما يمشي في شارعٍ ويأتي من يبحث عنه فيمشي على إثر رائحته ، فيعرف أنه مشى في هذا الموضع .

وكان يقيل عند السيدة أم سليم ﵂ ، وكان إذا نام اشتدَّ عرقه، فاستيقظ ذات مرةٍ وإذا بها تأخذ عرقه بمناديل، فقال لها:

{ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ ، قَالَتْ : هَذَا عَرَقُكَ ، نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا ، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ }[233]

يعني الطيب الذي رائحته غير نفَّاذة نضع عليه قطرات من هذا العرق فيصير طيباً نفَّاذاً، وجاءه رجلٌ أنصاري فقال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي زَوَّجْتُ ابْنَتِي وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تُعِينَنِي بِشَيْءٍ ، فقال ﷺ : مَا عِنْدِي مِنْ شَيْءٍ ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ غَدًا فَتَعَالَ فَجِئْنِي بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةِ الرَّأْسِ وَعُودِ شَجَرٍ ، وَآيَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَنْ أُجِيفَ نَاحِيَةَ الْبَابِ ، قَالَ : فَأَتَاهُ بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةِ الرَّأْسِ وَعَودِ شَجَرٍ ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الْعِرْقَ مِنْ ذِرَاعَيْهِ حَتَّى امْتَلأَتِ الْقَارُورَةُ ، فَقَالَ : خُذْ ، وَأْمُرْ بِنْتَكَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَطَيَّبَ أَنْ تَغْمِسَ هَذَا الْعُودَ فِي الْقَارُورَةِ وَتَطَيَّبَ بِهِ ، قَالَ : فَكَانَتْ إِذَا تَطَيَّبَتْ شَمَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ رَائِحَةَ ذَلِكَ الطِّيبِ ، فَسُمُّوا بَيْتَ الْمُطَيَّبِينَ }[234]

---

232 مسند أحمد والطبراني عن جابر رضي الله عنه
233 البيهقي والطبراني عن أنس رضي الله عنه
234 معجم الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

و ذا كان ﷺ يقول في أحد أتباعه:

{ لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ مَعَ إِيمَانِ النَّاسِ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ }[235]

فما بالكم برسول الله ؟! إذاً ﴿ مِّثْلُكُمْ ﴾ ليس في البشرية، لكن بمفرده ساونا جميعاً بما م ه من العطاءات الإلهية والتفضلات الربانية والنفحات القدسية التي أمده بها الله ﷻ .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ فالوحي هو الفاصل بين سيدنا رسول الله وغيره من عباد الله: ﴿ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ .

235 الفوائد المجموعة للشوكاني

لقاء الله

ثم قال لنا: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ وهذا غير الذي يرجو الجنة، فالجنة للذين آمنوا وعملوا الصالحات، أما طُلاَّب الوجه وهو لقاء الله، أو وجه الله، و مقابلة الله والنظر إليه يوم يجمع الخلق ليومٍ لا ريب فيه، فمن كان يُرد أن يحظى بـ : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ القيامة فعليه بـــ ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ جهادٌ أساسي في التطهر من الشرك الخفي .

الخلاص بالإخلاص

فالشرك الظاهر كله - والحمد لله - خرجنا منه بفضل الله وبإكرام الله: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (257البقرة) فهو الذي أخرجنا منه بفضله ومنّه وجوده وكرمه ، أخرجنا من ظلمات الشرك الكثيرة إلى نور التوحيد والإيمان والقرآن.

لكن الذي يرجو وجه الله لا بد أن يلاحظ ملاحظةً طيبة، وهي مداومة الإخلاص في عمله لوجه الله، يعني لا يبغي بعمله إلا رضاه، فلا يطلب شُهرة ولا رياء ولا سُمعة ولا أجراً عاجلاً دنيوياً من هذا أو ذاك ؛ لأن الله يقول في الحديث القدسي:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ }[236]

ولذلك قال ﷺ في أهل هذا المقام وفي جميع أهل الإسلام:

{ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ : الرِّيَاءُ }[237]

حب الظهور والشُهرة والسُمعة وأن يكون له منزلةً عند الخلق أو وجاهةٌ بين الناس، لأن المؤمن التقي النقي لا يبغي بعمله إلا وجه مولاه - جلَّ في عُلاه.

236 صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه
237 معجم الطبراني عن رافع بن خديج الأنصاري رضي الله عنه

إذاً من يُرد أن يحظى بمواجهات الله ، وملاطفات الله ، ومؤانسات الله ، وتجليات الله جل في علاه، وأن يحظى بمنح الله الإلهية التي يُعطيها ويُفيضها على أهل الخصوصية ؛ يقف دائماً عند أعتاب العبودية ، ولا يعمل عملاً إلا وقصده وجه الله في هذا العمل.

فهل مقام العمل لله قال فيهم الله في القرآن: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (28الكهف) وهذا للخاصة ، وهم كانوا أهل الصُفَّة وهم خاصة الخاصة مع رسول الله، كان كل عملهم طلباً لابتغاء وجه الله ﷻ .

والآخرين الأقل في المقام: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (16السجدة) :

خوفاً من النار وطمعاً في الجنة !!

فهذا مقام وهذا مقام ، وهذه منزلة وهذه منزلة !

- فالمنزلة الأولى لكل المؤمنين، ولعوام المسلمين، فلا بد أن يخاف من النار ويطلب ويُلِّح في الطلب بالعمل للحصول على جنة العزيز الغفار.
- لكن من يُرد أن يكون من المقربين ويُرد أن يكون من أهل الدرجات العُلى عند رب العالمين فهذه رتبة الإحسان:

{ الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ }[238]

فيكون عمله خالصاً لوجه الله ﷻ:

- لا يريد به شيئاً من البشر !
- ولا من الحجر !
- ولا من الإنس ولا من الجن !

ولكن كما قال الله تعالى في الإمام عليٍّ:

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (9الإنسان) .

يعني لو أن الإنسان يبغي من الناس أن يعظموه ويكرموه من أجل هذا العمل ، فيكون هذا العمل فيه شائبة من الشرك، ولو يبغي من الناس أن تُقدمه وتلتمس منه الدعاء ، وتُحسن له الثناء على الأداء ويقولون له: أنت اليوم فتح الله عليك وقلتَ كذا وكذا ، فيفرح بذلك ، لا تزال عنده شائبة من الشرك الخفي، وهؤلاء الذين يقول فيهم الله مُحذراً: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (106 يوسف) الأكثرية عندهم هذه الحالة لأنه يبغي الناس.

238 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ جاء رجلٌ إلى رسول الله وقال له : يا رسول الله إِنِّي أَقِفُ الْمَوْقِفَ أُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ ، وَأُرِيدُ أَنْ يُرَى مَوْطِنِي ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ : " فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } [239]

العمل الصالح شرطه الإخلاص ، ومتابعة الشرع الشريف لينال القبول، فيكون الإخلاص لله لينال القبول، ومع الإخلاص لا بد من متابعة الشريعة المطهرة، فلا يتبع حظه ولا هواه: ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ فتكون النية كلها لله ﷻ .

نسأل الله ﷻ أن نكون من أهل هذه الآية ....

وأن يجملنا بهذه العناية، وأن يجعلنا ممن يُمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم ....

وأن يجعل وجه الله ﷻ مقصدنا ...

ورضاه سبحانه وتعالى مطلبنا ...

ولا يجعل لغيره سبحانه وتعالى في قلوبنا نَفَساً ولا أقل ...

---

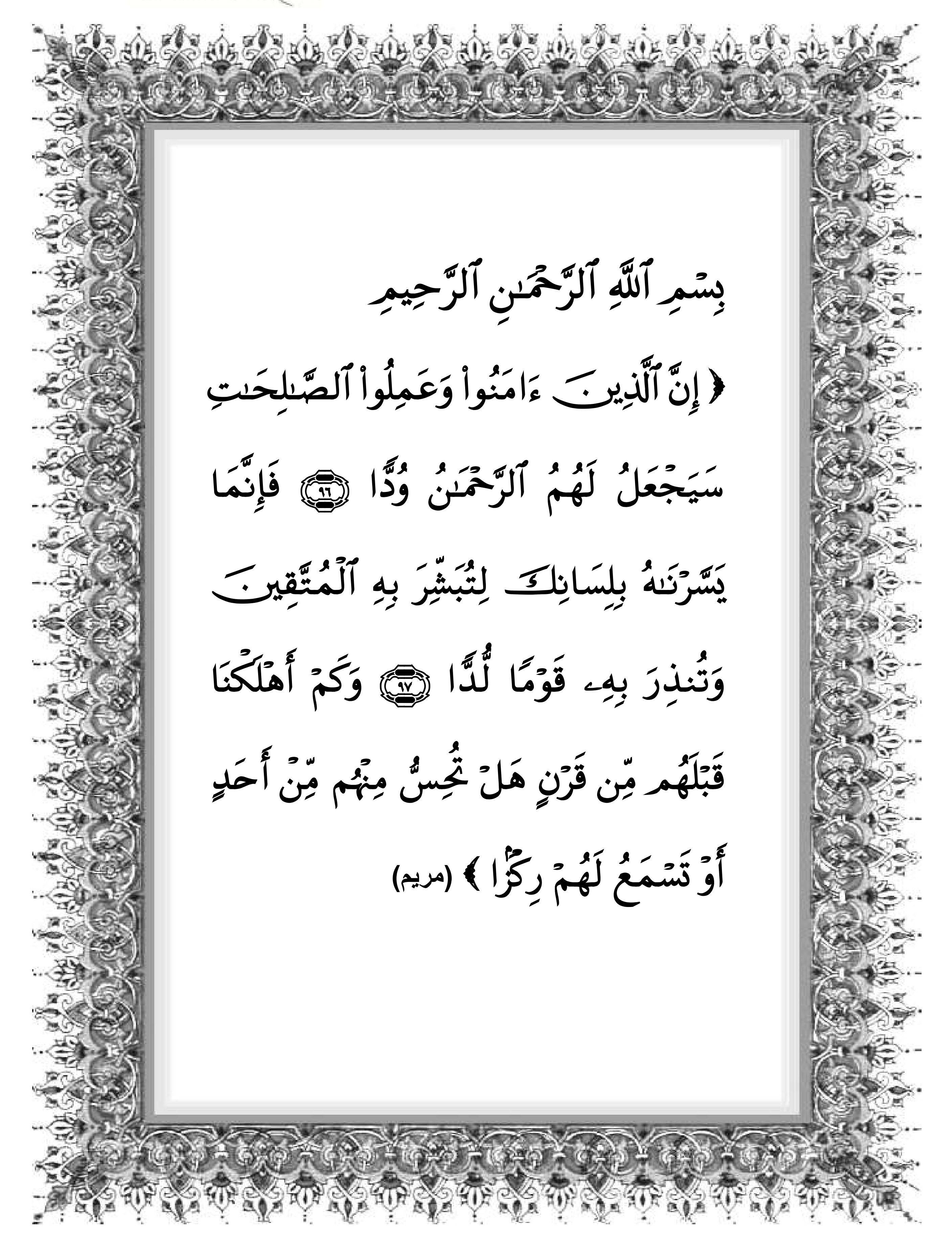
239 الحاكم في المستدرك والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

ونسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا رُفقة حبيبه ومصطفاه ...

وأن يُدخلنا في الصالحين الذين وصلوا إلى هذه الكمالات ....

إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير ....

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلمّ□



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴾ (مريم)

3ا : أهل ود[240]

dddddddddddddddddd

آيةٌ من كتاب الله فرَّحت القلوب، وأبهجت الأفئدة وسرَّت الأرواح بما فيها من عطاء حضرة الكريم المنعم الفتاح ﷻ .

طلب الله ﷻ منا فيها شيئاً قليلاً، وأعاننا عليه ووفقنا للقيام به لنيل الرضا والزُلفى والقربى لديه، وجعل جزاء ذلك عطاء لا يستطيع أحدٌ عدَّه ولا إحصاءه؛ ولو جلس في مجلس وأعطاه الله العمر إلى يوم العرض والجزاء.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ :

وكما تروْن قرن الله ﷻ الإيمان بعمل الصالحات في كل الآيات القرآنية، لنعلم حكمة حديث خير البرية ﷺ :

{ ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن هو ما وقر في القلب، فأما علم القلب فالعلم النافع، وعلم اللسان حجة على بني آدم } [241]

---

240 سوهاج – ساقلتة – الجذيدة السضاء 20 من ذي الحجة 437 هـ 2!/ ١/2016م

241 البخارى فى تاريخه عن أنس رضي الله عنه موقوفاً.

ويقول الحسن البصري ﷺ: (ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، إن قوماً ألـهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لـهم، وقالوا: نحسن الظن باللـه تعالى وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل)[242].

وقال بعضهم: (الرجاء ما قارنه عمل، والا فهو أمنيَّة والأمنيَّة منيَّة)، ى

موت ! د هى موجبة لتعطيل فوائد الحيا ، لأن لا فائدة ترجى فى الحياة بدون يعمل!

وهذه المسألة تحتاج إلى إيضاح كثي ، ولكن ونحن في رحاب أحباب الصالحين نقف وقفةً يسيرة عند الطالبين والمريدين والسالكين والراغبين في فضل رب العالمين ﷻ ، فإن الله ﷻ تبارك اسمه وتعالى شأنه ولا إله غيره؛ من أقبل عليه بصدق فوراً لبَّاه، وفتح له كل كنوز فضله وجوده وخيره وعطاياه، لأنه سبحانه وتعالى وعَدَ ولا يُخلف الميعاد.

لكن آفة هذا العصر، وربما تكون آفة كل عصر – فكما نشتكي منها الآن اشتكى منها سلفنا الصالح، كالشيخ الشعراني وغيره من أئمة وفُضلاء القو – المُدَّعين الذين يدعون مع الله ﷻ حالاً، ويحفظون عن القوم قالاً، ويزعمُون لمن حولهم أنهم معهم عطاءٌ و جتباء، بينما هم قلوبهم في الحقيقة من فضل الله خِواء، وهذه هي المصيبة التي تحلُّ في كل زمان ومكان بأتباع الصوفية.

---

242 خرجه أبن أبي شيبه عن الحسن مرفوع .

وإن شئت أُترجمها بعبارة أُخرى:

قلَّ في هذا الزمان المريدون الصادقون، وكثُر المشايخ ومدَّعي المشيخة من المنتسبين للطرق الصوفية، وكل واحد يريد أن يُبرهن على مشيخته، ويُثبت إمامته لمن حوله، قد يكون برؤيات منامية يؤلفها، ونسي قول الحبيب ﷺ :

{ أَفْرَى الْفِرَى مَنْ أَرَى عَيْنَيْهِ فِي النَّوْمِ مَا لَمْ تَرَيَا } [243]

وفي رواية أخرى:

{ مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ } [244]

أو يظن أنه معه بعض الإكرامات وهو يعيش في عالم الوهم والخيالات، والصالحون الصادقون معهم برهانٌ من الله ﷻ في قلوبهم يكشف لهم حقائق القُرب وأوهام النفس، ودسائس الشيطان حتى لا يقع في ورطة تجعله كما قال القرآن: ﴿ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَا ﴾

(71 الأنعام) .

---

243 مسند أحمد والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما
244 صحيح البخاري والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما

وإذا توطَّد في القلب حب التمشيُخ سُدَّت الآذان عن سماع النصائح والمواعظ من عباد الرحمن، فأصبح غير مستعد أن يسمع لأنه أصبح شيخاً!!! ... فلا يسمع إلا نفسه، ولا يتلقَّى أوامر إلا من نفسه، وهي مصيبة كُبرى نجدها في هذا الزمان .... ، وقد تفشَّت وزادت عن الحد.

وهذا لا يعني عدم وجود الصادقين، فالصادقون والحمد لله موجودون وقائمون بأمر من يقول للشيء كن فيكون، قال ﷺ :

{ لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ }[245]

لا يريدون إلا وجه الله، ولا يعملون إلا لذاته، ولا يتوجهون إلا لحضرته، ولا يطلبون منه سواه، ولا يرغبون في شيء إلا وجه الله، لأن الله ﷻ نعت هؤلاء وأوصافهم بأنهم الموسومون بالمقام العظيم الذي أمر الحبيب الرءوف الرحيم أن يُصبِّر نفسه مع هؤلاء القوم: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (28 الكهف) .

245 البخاري عن معاذ بن جبل ومسلم عن ثوبان

وصايا كثيرة من الحق ﷻ لذات الحبيب المنيرة، لأهل صفوته من بريته، ولخيرته ﷻ من أحبته، طهَّروا أنفسهم من الرياء، وعالجوا الكِبْر والعُجبَ حتى تخلصوا من هذه الأدواء فصاروا عبيداً لا يرجون من الله إلا وجه الله جل وعلا.

أنا ما قلتُ هذا الكلام إلا تحذيراً للأحبة من الْمُدَّعين، وهم كُثر في هذا الزمان، لا تخدعنَّك المظاهر ولا تغترَّ بزُخرف القول، ولكن طهِّر قلبك لله، وأملأه بنور الإيمان بالإكثار من ذكر الله، يظهر لك نورٌ في فؤادك يكشف لك كل شيء تراه: ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾ (29 الأنفال).

وفرقان يعني النور الذي في القلب، والذي يفرق به المرء بين الحق والباطل، ويُميِّز به بين الطيب والخبيث، وينتقي به الأحسن من الحسن، هذا النور يقول فيه ﷺ :

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[246]

لذلك أنا أدعو أحبابي أ: عين أن لا تقف لهم همَّة، ولا تسكن لهم إرادة، ولا تخمد لهم جزوة حبٍّ وإيمان، حتى يتلعلع في قلوبهم نور الإيمان، فيكون معه النور الفارق الذي أشار إليه الرحمن، والذي كان عليه أصحاب النبي العدنان ﷺ في عصره وفي كل زمان إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

246 جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

لأن الله ﷻ حدَّد الوجهة، مع من نمشي يا رب؟ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (119التوبة) كيف أعرفهم؟

بنور الصدق واليقين الذي يتفضل عليَّ به في فؤادي وفي قلبي رب العالمين ﷻ تلبيةً لدعاء ومناجاة سيد الأولين والآخرين ﷺ ... إياك أن تقف إلا إذا وصلت لهذا النور ...

وإلا تكون هذه الوقفة كلها في غرور، لأنك لا تعلم هذا من ذاك، وكل مؤمن جعل الله ﷻ له هذه الآلة الإلهية في قلبه موجودة، قال ﷺ :

{ إنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: "كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" }[247]

ولم يقُل نقطة ولكن قال: نكتة: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ (المطففين) فيأتي الحجاب، وإذا جاء الحجاب فكيف يعرف الأحباب الذين نصَّ عليهم الكتاب، والذين أشار إليهم النبي الأواب؟!!.

247 سنن ابن ماجة والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

فلا بد أن أزيل هذا الحجاب، وأرفع النقاب، وأرفع لأستار لتشرق الأنوار على قلبي من حضرة النبي المختار، فأرى بعين من الله الأخيار والأبرار والأطهار، ولا أرى الفجار ولا الكفار إلا على هيئتهم السافلة والدنية التي بيَّنها لنا الله ﷻ في صريح الفرقان.

وهذا حال الصالحين، وبهذا لو ظهر هذا النور فأكون قد بدأتُ الـ لموك الصحيح إلى رب العالمين، وأصبح لي قدم صدق: ﴿ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ (٢ يونس) فأبدأ أمشي في الطريق.

لأنه لا يصلح أن يمشي الإنسان في الطريق وهو أعمى؟! لا، لكن لا بد أن يرى، وبأي شيء يرى؟

يرى بنور الله، وهل هذا أمرٌ عزيز؟ حاشا لله، فلا حرج لمى فضل الله، وعطاء الله واسع يسع المؤمنين أجمعين من بدء بدء إلى نهاية النهايات إكراماً لسيدنا رسول الله ﷺ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ :

اقتدوا في هذه الأعمال الصالحات بسيد السادات ﷺ ، لأنه ميزان الأعمال ومصدر الأحوال الذي يزن الله ﷻ به أعمالنا ويُرقِّق به أحوالنا، فكل عملٍ يخالف ما جاء عن رسول الله، حتى ولو كان كشفاً، قال سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ :

((لو تعارض كشفك مع القرآن والسُنَّة فاضرب به عرض الحائط وقل: إن الله ضمن لي العصمة في اتباع القرآن والسنة ولم يضمنها لي في الكشف)).

شرط العمل أن يكون خلف سيد الأولين والآخرين ﷺ ، وهذا ميزانٌ آخر تستطيع أن تزن به أحوال الأدعيا :

فمن يدَّعي مع الله حالاً ولا يتابع الحبيب ﷺ في سنته فكيف يمشي ويصل إلى هذا الحال؟! وكيف يُجمَّل بهذا الجمال؟! وكيف يُكمَّل بهذا الكمال؟!

مستحيل، لأن الله جعل لجمال كله والخير كله في اتباع السُنَّة.

قال سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ :

((جعل الله الخير كله في بيت وجعل مفتاح هذا البيت متابعة رسول الله))

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ (31 آل عمران) فمن خرج عن المتابعة فقد استهواه إبليس، وأوقته نفسه في التدليس، ويكون إذا ادَّعى أنه إمام فيكون إماماً في دائرة إبليس والعياذ بالله ﷻ ، لأنه يصد الناس عن الحق، وعن اتباع سُنَّة سيد الخلق ﷺ ، والناس يغتَّرون بهؤلاء لأنهم جعلوا أنفسهم مشايخ.

لكن شرط الشيخ وأتباع الشيخ أن لا يترك السُنَّة طرفة عينٍ ولا أقل، يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ :

((حافظ على السنة ولو بُشرت بالجنة))

إياك أن تقول أنا بُشرتُ بالجنة فأترك السنة، لأن سيدنا أبو بكر قال:

((لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة)).

وجاء أبو العزائم فقال:

((لا آمن مكر الله حتى ولو دخلتُ الجنة))

فلو قال الله لي: اخرج منها، فماذا أقول له؟ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (23 الأنبياء ،

فالسلامة في اتباع سُنَّة رسول الله ﷺ .

الإمام الشبلي ﷺ :

كان من المجاذيب، وشرط أصحاب الجذب الصحيح عندنا أن لا يترك فريضة من الفرائض، لأن الله ﷻ عند الصلاة ينبهه لأداء الصلاة، وفي شهر رمضان ينبهه لحرمة الشهر ليحافظ على الصيام صوناً للمؤمنين، لكن لا يجوز لمن يدَّعي معرفة وولاية الله أن يُفطر علناً بغير عُذرٍ أمام المسلمين، فكيف تكون هذه؟ هي ولاية الشيطان، وليس ولاية الرحمن، حاشا لله ﷻ .

فجاء الموت للإمام الـ بلي، وفي الرمق الأخير طلب أن يوضئوه لأنه لا يستطيع الحركة، والذي يوضئه نسي أن يُخلِّل له لحيته، لأن من يربي لحية لا بد للماء أن يتخلل اللحية حتى تصل إلى منبت الشعر، فأمسك بيده بعد أن كُفَّ لسانه عن الكلام ليُخلل لحيته، فقالوا: سبحان الله حتى في هذه الساعة لا ينسى سُنَّة من سنن رسول الله ﷺ ، هؤلاء هم الرجال:

لسنته فاخضع وكن متأدباً	وحاذر فحصن الشرع باب السلامةِ
على الجمر قف إن أوقفتك تواضعاً	يكن لك برداً بل سلاماً برحمةِ

هذا هو حال الصالحين، الشيخ خير الدين النسَّاج ﷺ :

وكان من أرباب الكشف، أذَّن المغرب وجاءه ملك الموت ورآه، وإذا به يقول له: ((قف عافاك الله فما أُمرتَ به لن يفوتك، وما أُمرتُ به يفوتني، فانتظر حتى أُصلي المغرب لله ﷻ)) لا يريد أن يموت وعليه صلاة مغرب لله، فتركه حتى صلَّى صلاة المغرب لله ثم قُبضت روحه لله جل في عُلاه.

والقصص في هذا المجال لا تُعد ولا تُحا .

الإمام أبو العزائم ﷺ :

في آخر حياته أُصيب بشللٍ نصفي، فكانوا يحملونه ليُدخلوه الحمَّام، وذات مرة حملوه فأدخلوا رجله اليُمنى أولاً، فإذا به ينتفض ويكاد يقع منهم ويقول: خالفتُ رسول الله ﷺ ، لماذا تركتوني أُخالف رسول الله وأدخل باليمين؟!! فهـ ه هي سُنَّة المريدين السالكين الصادقين إن أرادوا الفتح والنور من رب العالمين ﷻ .

وإياك أن تستصغر سُنَّة فربما تكون فيها المنَّة، فلا يتركون سُنَّة من سنن الحبيب إلا ويؤدونها بالكيفية التي وردت لهم عن الحبيب ﷺ .

المهم المداوم :

فما نال الصالحون ما نالوه إلا ـالمداومة، لأن أغلب المسلمين والحمد لله في شهر رمضان وفي المواسم وفي أماكن النفحات مجدِّين ومجتهدين، لكن بعد ذلك تفتُر العزيمة وترقد الهمة، لكن ما الفرق بين الصالحين وغيرهم؟ عندهم رمضان كغير رمضان في الإقبال على الواحد الأحد ﷻ في أي زمانٍ ومكان، لأنهم يقبلـ ن على الله، والله ﷻ خالق الزمان والمكان لا يجُرُّون إليه زمان ولا يقرِّبون إليه مكان، وإنما نرى لقرب من حضرته في كل زمانٍ ومكان ... فحالهم الدوام مع الله ﷻ .

ومن أدام مع الله في عمل الصالحات أكرمه الله ﷻ بهذه العطاءات وهذه النفحات، ولا يتعبدون لله ﷻ ولا يعملون الأعمال الصالحة رغبةً في الفتح، أو طلباً لعلومٍ إلهية، أو لرؤياتٍ منامية، لأن هذه كلها عللٌ نفسية في طريق القوم.

سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ :

كان يتعبَّد في شاذُلة في تونس ومعه رجل، وإذا بهما يدخل عليهم رجل آخر، فقال له : من أنت؟ قال: أنا عبد الملك، ال: ما حالك مع الله؟ قال: أقول: اليوم يأتي الفتح، غداً يأتي الفتح، بعد غدٍ يأتي الفتح، قال سيدي أبو الحسن: فعلمنا من أين أُتِينا.

لأنه كان يعبد الله من أجل الفتح، فيقولون: الفتح يأتي اليوم، أو يأتي غداً، أو يأتي بعد غد، وهل تنفع هذه العبادة؟! لا، لأنها ع دة للفتح وليست للفتاح ﷻ .

فدع الأمور للفتاح ولا تطلب منه شيئاً قليلاً أو كثيراً، صغيراً أو كبيراً، وهو ﷻ يُعطي عطاءاً لا يستطيع أحدٌ من الأولين ولا الآخرين حصره، لمن دخل على حضرته بهذا الصفاء وهذا النقاء، قال: فعبدنا الله ﷻ لذاته فجاءنا الفتح الإلهي من الله ﷻ :

لا تقف عن العلوم وسرها	واطلب المعلوم منه به أخيّ
لا تقف عند المحبة إنها	حجبة العشاق عن غيبٍ بهيّ
واعبد الله العلي لذاته	تُمنح الفتح والكشف الجلي

تعبده لذاته، إذا كانت بدايات الطريق يقولونها أهل التحقيق للمبتدئين في الطريق: إياك أن تعبده خ فاً من ناره أو طمعاً في جنته، ولأي شيء أعبده؟ لذاته، لأنه قال عز شأنه في تنزله لأحد الصالحين: ((لو لم أخلق جنة أو ناراً أفلم أستحق العبادة لذاتي؟)) أنعبده خوفا من نار أو طمعا في جنة؟! نفرض أنه لا نار ولا جنة أفلا يستحق العبادة لذاته ولصنعته ولدقته ولمكروه ته التي لا عد لها معنا وفينا وحولنا؟!.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا ﴾ :

والسين للمستقبل، يعني جزاؤهم ومكافأهم وتكريمهم ومنحهم الود، فأكبر منحة يمنحها الله لأوليائه وأحبابه هي الوُد: ﴿ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا ﴾ يجعل الله ﷻ لهم وداً عند حضرته، وهذا لا نستطيع إبراز ما فيه من معانٍ حسان، ومن كلامٍ لا يدركه إلا أهل الكشف والعيان، ويجعل الله ﷻ لهم وُدَّاً عند أحبابه وأوليائه، فقد قال ﷺ :

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُنَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا" }[248]

سيجعل م وداً في قلوب عباده المؤمنين يحبونهم ويرغبون في مجالستهم ويطلبون موادتهم، ويتمنون أن يصحبونهم، ويشتاقون دوماً إلى سماع حديثهم، ويتلهفون على الدوام إلى سماع الإشارات والحكم العلية التي تخرج من قلوبهم على ألسنتهم !

كل هذا من الرحمن: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ (39 طه).

فيجعل لهم وّداً في قلوب هؤلاء القوم، ويهب المرء إذا جعل الله له وُداً في قلوب الصالحين، لأن هذا يكون معناه أن الله ﷻ قد أذن له في القرب من حضرته، وجعل له مكاناً على بساط منادمته، لأن الصالحين لهم ما يشاءون عند ربهم ولا يُردُ لهم طلباً، ويحقق الله كل دعاء ويستجيب لهم في كل رجاء.

فإذا طلبوا من الله ﷻ أن يقرِّب عبداً، حتى ولو كان من رأسه إلى إخمص قدميه في قمة المعاصي والرذيلة، فإن الله إجابةً لهم يطهره ويصفيه وينقيه ويمنحه القرب ويجعله مع أحبته على الدو م، لماذا؟ إكراماً من الله ﷻ لعباده الصالحين.

---

248 جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

إذا كان كلب أهل الكهف مشى خلفهم فأجرى الله ﷻ عليه حُكمهم، مشى وراءهم ودخلوا الكهف فوقف على الباب باسطٌ ذراعيه، وألقى عليهم الله النوم فألقى الله عليه النوم، وسيدخلهم الله ﷻ الجنة، ويُدخل ، لذا الكلب الذي تبعهم يضاً الجنة..

وقد قال قائل:

لقد فاز كلبٌ بحب آل كهفٍ	فكيف لا أفوز بحب آل النبي؟

من يسير مع الصالحين فلا بد وأن يُكرم، ومن جاور السعيد يسعد، لا بد من ذلك، فمن جاور هؤلاء السعداء ستنزل عليه الرحمة والسعادة من صاحب الفضل الإلهي والجود الرباني وهو الله، سي ألون الحبيب ﷺ له نظرة، ومن نظر إليه الحبيب نظرةً يقول فيها الصالحون: ((**قطرةٌ من بحر جودك تجعل الكافر ولياً والشقي تقياً**)).

عمر بن الخطاب ﷺ عندما ذهب إلى حضرة النبي وأمسك بالسيف ليقتل حضرة النبي، نظر الرسول له نظرة وقال:

{ اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ } [249]

249 جامع الترمذي ومسند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما

ذهبت النظرة لعمر، وبمجرد أن أسلم قال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مِتْنَا وَإِنْ حَيِينَا؟ قَالَ: بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتُّمْ وَإِنْ حَيِيتُمْ، قَالَ: فَقُلْتُ: فَفِيمَ الاخْتِفَاءُ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ، فَأَخْرَجْنَاهُ فِي صَفَّيْنِ، حَمْزَةُ فِي أَحَدِهِمَا وَأَنَا فِي الآخَرِ لَهُ كَدِيدٌ كَكَدِيدِ الطَّحِينِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَنَظَرَتْ إِلَيَّ قُرَيْشٌ وَإِلَى حَمْزَةَ فَأَصَابَتْهُمْ كَآبَةٌ لَمْ يُصِبْهُمْ مِثْلُهَا } [250]

فبعد أن كان ذاهباً لهدم الدين، أصبح هو الذي يعز الدين !

وكل ذلك بسبب نظرة من رسول الله ﷺ .

ولذلك يُروي لنا في الإسراء والمعراج أن الخلا ق كانوا واقفين لرسول الله على الطريق، ويطلبون النظرة، ويقولون له: انظرنا انظرنا، فيقول: ما هذا يا أخي يا جبريل؟

- فمرة يقول له: هذا داعي اليهود، ولو أجبته لتهوَّدت أمتك !
- ومرة يقول له: هذا داعي النصارى ولو أجبته لتنصرت أمتك !
- ، وذات مرة يقول: هذا إبليس ولو أ- بته لغوت أمتك !

---

250 دلائل النبوة لأبي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما

-

- فحتى إبليس كان يطلب النظرة.

- فالكل كان يطلب النظر !

- والنبي ﷺ لكي يعرفنا الله قدره قال لنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ وماذا نقول يا رب؟ ﴿ وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْ ﴾ (104 البقرة) !!

من الذي أمرنا ن نقول: نظرة يا رب؟ الله، لماذا؟

لأن الله يعرف أن هذه النظرة لها تأثيرها ولها دورها.

إذا كانت نظرة من قلبٍ مملوءٌ بالحقد تؤثر في الإنسان وتجعله يرقد في الفراش أو يفارق الحياة، وهي نظرة الحسد !!!

كذلك إذا كان القلب مملوءاً بالنور، ومملوءاً بفضل الله وإكرام الله، نظرته أيضاً ستُؤثر وستُؤثر أكثر...

ولذلك سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول: ((**نحن نربي مريدنا بالنظر**، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: النعامة تضع بيضها ولا ترقد عليه، ولكي يفقس يحتاج إلى حرارة، فتنظر إليه من بعيد فيُخرج الله من بصرها سيَّالٌ حراري يُطيب البيض ويجعله يفقس بأمر من يقول للشيء كن فيكون، وكذا السُ حفاء أيضاً تربي أولادها بالنظرة))

- فأهل بيت النبوة وطُلاَّب الفتوة وأهل ميراث الحبيب الأكرم يربُّون بالنظر :
- وهذه النظرة تحتاج إلى المحبة والمودة والرضا.

فإذا تقرب إليهم الإنسان ورضُوا عنه وارتضوا عنه، عوا الله ﷻ له، وطلبوا من الحبيب ﷺ نظرةً له ليفوز من الله بما لديه، ويجعله الله ﷻ من خيار العباد المقربين إلي :

- لدعوة الحبيب !
- أو لدعوة الرجل الصا ِ !
- أو لحب الأخيار والأطهار له في هذه الحياة الدنيا وهي المودة من الصالحين، فهذه أعظم وأكرم.

أما المودة من رب العالمين :

فتارةً تكون بالرؤيا المنامية، وتارةً تكون من الهواتف القدسية، وتارةً تكون بعيون الكشف، وتارةً تكون بعيون الفؤاد، وتارة تكون بعيون القلب، وتارةً تكون بعيون السرِّ، وتارةً تكون بعيون الروح، وهذه فتوحات لا يستطيع أحدٌ وصفها ولا حذرها، وإنما كما قال فيها الإمام الغزالي في شأنها:

فكان ماكان مما لستُ أذكره	فظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

نسأل الله ﷻ أن يودنا وُدًّاً ذاتياً من عنده حتى نصير من خيار أحبابه المقبلين عليه، وأن يحفظنا بحفظه وصيانته من دسائس النفس ووساوس الشيطان، وأن يجعلنا دائماً وأبداً من عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، وأن يجمعنا دائماً وأبداً على الصادقين، ويحفظنا من الأدعياء والبطَّالين، ويجعلنا دائماً وأبداً في عُلوٍّ وازدهارٍ في حضرته، حتى نتمتع ظاهراً بنوره ﷻ الظاهر في الخافقين ...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾

(الأنبياء)

14 : عباد مكرمون[251]

dddddddddddddddddd

دين الإسلام جاء لِيُطهِّر العقائد كلها في عصر النبي وما بعده من العصور إلى يومنا هذا، مما يتنافى مع حقيقة التوحيد والتتريه لحضرة الله جل في عُلاه.

ومع أننا في عصر العلم وعصر التكنولوجيا وعصر الثقافة : إلا أننا نرى فيما حولنا في كل طرفة عين أُناس بلغوا الدرجات العلمية العالية ، لكن يزلّوا في معرفة حضرة الألوهية، ويُخطئوا في وصف الذات العلية، لأن الناس لا يستطيعون معرفة هذه الحقيقة إلا برسولٍ يُرسله الله، فالناس يريدون معرفة حقيقة الألوهية بالعقل وبالهوى وبالنفس، وهل يجوز ذلك ! لا.

251 بني سويف – الفشن – المسجد الغربي بكفر درويش 12 من محرم 1438 هـ 13/10/2016 م

حكمة النبوة

إذا كان الإنسان بما بلغ من العلوم إلى وقتنا هذا لا يدري شيئاً عن ا قل : فالعقل الذي نفكِّر به، والذي نتصوَّر به الأمور، ونتخيَّل فيه ما نريد العمل به، ونضع فيه ما اكتسبناه من ا علومات لنتذكَّرها عند الضرورات، أين هو في جسم الإنسان على الحقية ! لا يعرف أحد! فما نعرف مكانه هو قطعة اللحم بالجمجمة وقال العلماء أنه بها مواضع للبصر والشم والتعلم وكذا ولكن أين يقع التفكير والتصور وكذا ..

فإذا كان الإنسان قد عجز عن معرفة العقل فهل يستط ع معرفة خالق العقل ﷻ بذاته؟!!

حاشا لله ﷻ . لذلك لا بد من رسول يُرسله الكريم، ويُعلمه ا عليم الحكي ، ويُواليه دائماً أبداً بمزيد من الحكمة والتعلي ، ليُع م الناس هذه الحقيقة الغيبية التي لا تدركها الأبصا ، ولا تُحيط بها ا قول ، ولا تثبتها النقول، ولا يتخيلها متخيل ، ولا يتصورها متصوِّر، فكل ما خطر ببالك فهو هالك والله تعالى بخلاف ذلك.

إذ لا بد من النبو ! وهذا سرٌ من أسرار إرسال النبوة والأن اء والمرسلين، فالناس في عصر النبي ﷺ كانوا متخبطين في هذا الأمر، وأيضاً في العصر ال ي نحن فيه الآن مع اختلاف الصور والأشكال.

فمنهم من كان يعمل حجراً يعبده كإلٍ ، ومنهم من صنعه من الخشب، ومنهم من كان يعبد نجم من النجوم، و، هم من كان يتوجَّه للشمس أو للقمر، ومنهم من كان يعبد الأفراد الملوك، وكانوا يتقوَّلون على الله ﷻ بأهوائهم بغير علم، ف الوا: إن الإله أنجب وعنده أولاد، أنجب بنات فقط ، وهم الملائكة: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ فماذا قال لهم الله؟ ﴿ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡ ﴾ (19 الزخرف) .

فهم يقولون رجماً بالغيب، فأنت لم تر ولم تطلع، وهؤلاء كا وا عا ة قبائل من القبائل العربية المحيطة بمكة، وكانت عقيدتهم أن الملائكة بنات الله، في حين إذا بُشِّر أحدهم بأنه أنجب بنتا كان وجهه يسوَّد ويتحيَّر ، يتخفَّى، وبعد ولادة البنت يأخذها ويحفر لها حُفرة ويدفنها وهي حيَّة.

فكيف تتأذون من البنات وتجعلون خلفة الله ﷻ بنات !! ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ (58 النحل) يكظم غيظه كيف أُنْ بتُ بنتاً؟ وبعدها: ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ﴾ يتخفَّى في مكان أو يجلس في البيت فلا يراه أحدٌ: ﴿ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ (59 النحل) يعني يعتبر أن هذه بشرى غير طيبة، فإذا كان بالنسبة لكم أنتم، فكيف ترضونها لمن يقول للشيء كن فيكون؟!.

فالله ﷻ يرد على هؤلاء القوم أجمعين:

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ ﴾ سبحانه: ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ (الإخلاص) ليس له زوجة، ولا ولد، ولا نظير، ولا وزير، ولا مثيل، ولا مشير، لأنه ﷻ جلَّ عن النظير، وغير محتاجٍ إلى الوزير، وتعالى في سُموُّه وقدرته وإرادته عن المشير، فهو سبحانه وتعالى آ ف وصف ذاته وهو على كل شيء قدير.

ومن هم الملائكة؟

﴿ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾ ولما ننظر إلى الملائكة ونفكِّر ونتدبر في قدرة صُنع الله لهم نعرف قيمتنا عند الله، ومنزلتنا التي اختارها لنا الله ﷻ، لأن الملائكة على اختلاف أصنافهم وأشكالهم وأنواعهم وتنوُّع قدراتهم، كلهم مخلوقين لخدمة الإنسان، إن كان في الدنيا أو في الآخرة، أو في العذاب لمن جعل الله له حظَّاً من العذاب.

كل القوى الملكوتية لخدمة الإنسان، ونحن لا أحد منا يستطيع أن يذكر أصناف الملائكة ولا أن يعدُّهم، ولا حتى أن يُصنِّف قدراتهم ويجمع الأعمال التي كلفهم بها الله.

أريد أن نأخذ مثالاً لنا أجمعين لنعرف عناية الله تبارك وتعالى بنا لأننا أمة التكريم التي قال فيها الله في القرآن الكريم:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ (70 الإسراء) ومن ضمن التكريم أن من يخدمنا ملائكة ، مع أن الملائكة:

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (6 التحريم) .

الإنسان من البداية إلى النهاية في عناية الرحمن، لكن الله ﷻ قدَّر الأسباب ، وجعل لكل شيء سببا، ومن جملة هذه الأسباب تسخير الملائكة وتخديمهم لعباد الله ﷻ في الدنيا والآخرة ، من البداية الأولى عندما يلتقي الرجل بزوجته وتنزل النطفة يأمر الله تعالى ملكاً أن ينزل فيقسمها إلى ثلاثة أقسام:

- قسمٌ يُوضع في الرحم ومنه ينشأ الإنسان.
- وقسمٌ يُوضع في الموضع الذي سيُدفن فيه لكي يناديه إذا جاء أجله .

ولذلك مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِجِنَازَةٍ عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ :

{ قَبْرُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا : فُلانٌ الْحَبَشِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ سِيقَ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ إِلَى تُرْبَتِهِ الَّتِي مِنْهَا خُلِقَ }[252]

ومن كانت منيته بأرض	فليس يموت في أرضٍ سواها

252 الحاكم في المستدرك وكشف الأستار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وكيف يذهب إلى الأرض التي يُدفن فيها؟ قال ﷺ :

{ إذَا قَضَى اللَّهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ، جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً } [253]

يجعل للإنسان سبباً ليذهب إلى هذا المكان، كأن يدعى إلى فرح فيذهب إليه ليموت ويُدفن في المكان الذي فيه من نطفته، أو يذهب ليزور أخاً له، أو يذهب ليحج وموضعُه في مكة أو في المدينة، وهكذا قس على ذلك بقية هذه الأمور، يجعل الله له إليه حاجة.

- والقسم الثالث يُوضع في سحائب المُزن في عالم الملكوت الأعلى لكي يُعيد الله عزوجل منه خلق الإنسان: **﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾** (29 الأعراف).

253 جامع الترمذي ومسند أحمد عن مطر بن عكامس رضي الله عنه

النشأة الثانية

فعندما يُعيد الله الإ نسان مرةً ثانية بعد فناء الأكوان ...

وبعد أن ينفخ إسرافيل النفخة الأولى ...

وتُصعق كل الأرواح الموجودة في حينها ووقتها ...

ويُنفخ النفخة الثانية فيموت كل من على الأرض ....

ويتحقق قول رب العزة: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾

الرحمن .

ثم يُسلِّط الله ﷻ على الأرض رياحاً تهُبُّ عليها من جهاتها الأربع بشدة ..

وهذه الرياح تشتد إلى أن تُحوِّل الجبال إلى كثبان من رمال أي أكوام: ﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾ (4المزمل) يعني رمل متهايل، وتش د إلى أن تجعل ع ليها سافلها فيكون الكل مثل بعضه ....

وفي هذه اللحظات تتجمع كل ذرات الإنسان الأصلية التي خُلق منها، ثم يأمر الله الهواء أن يتوقف ، ويريد الله أن يعيد الإنسان مرةً أُخرى ...

فيأمر الله ﷻ كما قال ﷺ في حديثه الصحيح:

{ ثُمَّ يَنْزِلُ مَاءٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ كَمَنِيِّ الرِّجَالِ ، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَيَأْمُرُ الأَجْسَادَ أَنْ تَنْبُتَ كَنَبَاتِ الْبَقْلِ } [254]

فينزل الجزء الباقي من النطفة لينشأ منه الإنسان مرةً أُخرى ....

فيتكون منه جسم الإنسان والذي يكون صالحاً إما - والعياذ بالله - لعذاب النار، أو للنعيم في الجنة مع الأبرار والأخيار والأطهار.

لن يكون بالحجم الذي كان في الدنيا :

- لا يكون شكله معروفاً هو نفس الشكل الذي كان في الدنيا ...
- ولكن طوله سبع وستون ذراعاً كخلقة آدم ...

254 شعب الإيمان للبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

- وعلى حسب حال الجن ، فالجنة ليس بها بول ولا غائط ولا مرض ولا سخونة ولا رشح، كما قال ﷺ :

{ وَلا يَبُولُونَ فِيهَا وَلا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلا يَتَنَخَّمُونَ ، إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ جُشَاءً ، وَرَشْحًا كَرَشْحِ الْمِسْكِ }[255]

﴿ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (61 الزمر) والجو هناك كله مكيف: **﴿ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴾** (13 الإنسان) .

فيأمر الله السماء أن تنزل الجزء المتبقي من الثلاثة أقسام ...

وبعد ذلك يحيي الله سرافيل ويأمره أن ينفخ: **﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾** (68 الزمر) تخرج الأرواح من مستقرها ، وكل روح تعرف البيت الذي كانت تسكن فيه ولا تُخطئ ! ويكون شكلهم كالجراد المنتشر، كسرب الجراد الذي يراه أهل السودان وهو قادم من الصحراء، فيحجب عين الشمس وهكذا تكون النشأة الثانية ....

255 مسند أحمد والطبراني عن جابر رضي الله عنه

ونعود مرة أخرى ... للقسم الأول .. والذى سيخلق منه الإنسان .... والذى يضعه الملك المكلف بذلك فى الرحم ... فهذا أول مَلَك يتولَّى الإنسان، ثم بعد إثنين وأربعين يوماً في بطن الأم ينزل ملكٌ آخر ومعه كتاب من القدير ﷻ من اللوح المحفوظ قال فيه حضرة النبي:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا يَقُولُ يَا رَبِّ نُطْفَةٌ ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ : أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى ، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ }[256]

256 صحيح البخاري والطبراني عن أنس رضي الله عنه

ملائكة الحفظ

وتتوالى الملائكة الذين في خدمة الإنسان، ولا يستطيع حصرهم أحدٌ من بني الإنسان مهما أوتي من علم ومن فصاحة لسان وبلاغة بيان، فعندما يترل المولود على الفور يصدر القرار الإلهي، هذا المولود:

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (11 الرعد) وقراءة سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ : (يحفظونه بأمر الله) لكل قراءة لها معنى :

الملائكة الذين يحفظون الإنسان من بين يديه ومن خلفه عند النوم وعند اليقظة وعند المشي لا أحد يستطيع عدَّهم ولا حصرهم، ذكروا منهم سبعة يحفظون العين حتى لا يصيبها سوء أثناء نوم الإنسان فلا يدخل فيها حشرة ولا أحد يصيبها بضرر، والذي يحفظ الأُذن ، والذي يحفظ الفم ، فالذي يحفظ هذه الأعضاء كلها هم ملائكة مسخرين بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

فأنت لو اتفقت مع شركة من شركات الدنيا كشركة أمن، وعينّت لك واحداً فقط لحراستك، فكم تدفع له؟! كثير، لكن ما قدر حراستك الإلهية؟!!.

ذو النون المصري

الشيخ ذو النون المصري ﷺ وأرضاه، وهو أول رجل تكلم في علوم الولاية في مصر، وكان في القرن الثالث الهجري، وكان في بلدة أخميم التابعة لسوهاج بمصر ، كان من كُمَّل الصالحين، هذا الرجل عندما مات كان في هذا الوقت في الجيزة ، ولم يكن هناك وسائل إتصال، فكيف يبلغون الناس ! كان من يُبلغ الناس في البلاد الصالحون عن طريق الرؤيات المنامية التي يُلقيها عليهم رب العالمين، حتى في هلال رمضان الناس البعيدين عن العاصمة كيف كانوا يعرفون أن غداً رمضان؟ كان الصالحون يرون الهلال ويقولو : غداً رمض ن، وكانت لا تخلوا البلاد من ء اد على ها ه الشاكل .

وفي ليلة موت سيدي ي النون جاء رسول الله ﷺ إلى سبعين رجل من الصالحين في منامه ، و ل له : إن حبيب الله ذا النون يزمع المجيء إلينا وقد جئت لاستقباله، وعندما يعرف الرجل الصالح أن سيدنا رسول الله ج ء لحضور جنازة فلان فيأتي هو وأتباعه.

ولذلك يُروى ن جنازته كانت حوالي مليون واحد - مع أن عدد سكان مصر في هذا الوقت كان قليلا – وكان يوماً شديد الحرار ، والدفن كان بعد صلاة الظهر ، وقد أوصى أن يُدفن في المقطم، مدافن القاهرة حالياً، و مَ وُجدت مدافن القاهرة في المقطم؟ لأن سيدنا عمرو بن العاص ﷺ لما فتح مصر

قال له المقوقس عظيم القبط: اكتب لي عقداً أننا نأخذ المقطم، فقال له: حتى أستشير، فأرسل إلى سيدنا عمر، فقال له: سأله ما لسبب؟ فقال له: لماذا تريد المقطم؟ قال له: عندنا في كتبنا أن من مات ودُفن في المقطم وقع في الجنة، فقال له: سيدنا عمرو: نحن أولى بذلك، ا جعلا مقابر المسلمين.

فعندما أرادوا دفن سيدي ذا النون فيها، كان العدد المشيِّع كبير، وا- رارة شديدة، قالوا: أرسل الله ﷻ طيوراً سدَّت الآفاق أظلتهم بأجسادها وأ- ذت ترفرف بأجنحتها فلطَّفت الجو للمشيعين.

ما أريد أن أقوله: أن هذا الرجل يقولون له: ما سر رجوعك إلى الا ؟ وما لذي جعلك تسلك طريق الله جل في عُلاه؟ قال: كنت في إحدي الأيام على شاطئ النيل عند أخميم فرأيتُ عقر باً تقف على شاطئ النهر، وجاءت ضفدعة فقفزت العقرب فوق ظهرها وجرت الضفدعة على الماء بسرعة شديدة حتى وصلت إلى الجانب الآخر من نهر النيل، وأنا أتبعها، فدخلت بيتا فوجدت رجلاً نائماً، ويترل من فمه أثر الخمر، ووجدت حيَّة تقترب منه لتلدغه فأسرعت العقرب ولدغت الحية فقتلتها في الحال وأنقذ الله هذا الرجل من هذه الميتة وهي ميتة سوء، لأنه كان شارباً للخمر.

قال: فأيقظته وغسلتُ له فمه وقلتُ له: أنت تصنع كذا، والله يصنع معك كذا؟!! هو في المعاصي ومع ذلك يحفظه الحفيظ ﷻ حتى لا يموت الميتة السوء فيدخل جهنَّم والعياذ بالله ﷻ.

هؤلاء الحفظة الكرام البررة الذين يحفظوننا من أمر الله، هم معنا على الدوام، ولذلك تسمع من بعض الناس كان سيحدث لي حادث كذا ولكن لا أعلم ما الذي أنقذني؟!! هؤلاء الذين معك.

أو كنت في الحرم ووقعت على الأرض، ولا أعلم من الذي رفعني من تحت الأقدام؟! هم هؤلاء الملائكة، لأنهم معك يحفظونك من أمر الله، أي يأخذوا الأمر من الله أن يحفظوه، إذا لم يتلقّوا الأمر من الله تخلّوا عنه، وهؤلاء غير الملائكة الآخرين الذين يسجلون الأعمال.

وقول الله: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (18 ق) بعض العلماء يقولون: رقيب ملك اليمين، وعتيد ملك الشمال، فمن أين أتوا بهذا الكلام ! فلو كان رقيب اليمين وعتيد الشمال كان بينهم واوٌ يعني رقيب وعتيد، لكن رقيب هذا إسم من أسماء الله، فالرقيب هنا هو الله ﷻ ، وما صفة الرقيب؟ عتيد شديد: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (49 الكهف) .

الكرام الكاتبين

وما اسم الذين يسجلون الأعمال ؟ ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ الإنفطار كرام لأنه عندما تفعل الحسنة من كان على اليمين يحرر بسرعة شيك بأجر هذا العمل ويحوله إلى رصيدك عند الله ﷻ ، فإذا وقعت في خطيئة أو ألممت بذنب فصاحب الشمال يهُم بالكتابة فرئيسه صاحب اليمين يقول له: انتظر لعله يتوب ، لعله يستغفر ، لعله يرجع ، ولذلك سمَّاهم الله : كرام، أي يسارعون للخير قبل أن يندم الإنسان عليه أو يرجع فيه، وينتظروا عند الذنب فقد يرجع إلى الله يتوب إلى الله، ولذلك قال حبيبي وقُرة عيني سيدنا رسول الله ﷺ :

{ مَا قَالَ عَبْدٌ : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلا طُمِسَتْ مَا فِي صَحِيفَتِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَسْكُنَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ } [257]

الممحاة التي تمحو الذنوب هي:

(لا إله إلا الله) فعندما تُكتب لا بد أن تمسح الذنوب التي في طريقها إلى أن تجد حسنة تكتب بجوارها فضلاً وإكراماً من الله جل في عُلاه.

هؤلاء الملائكة كما قال حضرة النبي ﷺ :

---

257 مسند أبي يعلي الموصلي واتحاف الخير المهرة للبوصيري عن أنس رضي الله عنه

{ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ وَصَلاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ، كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ }[258]

والملائكة – كما نعلم – لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزوجون ولا يموتون إلا قبل القيامة ، فإذا أنهى الإنسان مهمته وتكليفه ومات، أين يذهبون؟ كما أخبر حضرة النبي ﷺ :

{ وَكَلَّ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مَلَكَيْنِ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ ، فَإِذَا مَاتَ قَالَ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ وُكِّلا بِهِ يَكْتُبَانِ عَمَلَهُ : قَدْ مَاتَ ، فَتَأْذَنُ لَنَا فَنَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ ، ﷻ : سَمَائِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَلائِكَتِي يُسَبِّحُونِي ، فَيَقُولانِ : أَفَنُقِيمُ فِي الأَرْضِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ : أَرْضِي مَمْلُوءَةٌ مِنْ خَلْقِي يُسَبِّحُونِي ، فَيَقُولانِ : فَأَيْنَ؟ فَيَقُولُ : قُومَا عَلَى قَبْرِ عَبْدِي فَسَبِّحَانِي ، وَاحْمَدَانِي ، وَكَبِّرَانِي ، وَهَلِّلانِي ، وَاكْتُبَا هَذِهِ لِعَبْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ }[259]

---

258 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
259 شعب الإيمان للبيهقي والمطالب العالية لابن حجر عن أنس رضي الله عنه

الملائكة السيا ن

الله ﷻ يُسخِّر لك من يكبر ويُسبِّح ويهلل ويعبد الله ، وأنت قد خرجت من الدنيا . وهؤلاء يعبدون الله عبادة لا فيها مشاغل كونية ، ولا فيها شهوات دنية ، ولا فيها إعجاب بالنفس ، ولا فيها رغبة في الشُهرة، لأنهم لا يعبدون الله إلا عبادةً خالصةً لله ﷻ .

فهؤلاء الكرام الكاتبين الذين معنا، وغيرهم جماعات أُخرى يحضرون الدروس معنا في المساجد. وهولاء وظيفتهم كما قال حضرة النبي:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ فُضُلا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ ، فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ ، وَيُمَجِّدُونَكَ ، وَيَذْكُرُونَكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَهَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ : لا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيدًا ، وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا ، وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَأَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا لَهَا أَشَدَّ طَلَبًا ، وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالُوا : يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ ، قَالَ : فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ : لا ، فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا مِنْهَا أَشَدَّ هَرَبًا ، وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا ، وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّذًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : إِنَّ فِيهِمْ فُلانًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِنَّمَا جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ ، فَيَقُولُ : هُمُ الْقَوْمُ لا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ } [260]

---

260 جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

كل من يجلس معهم أياً كان، ينال المغفرة من الله ﷻ ، نفرض إني جالس في البيت ، أو في المسجد وأقرأ القرآن، أيضاً يأتيني جماعة من هؤلاء السياحين يحضرون قراءتي للقرآن، وكان أصحاب حضرة النبي يروا ما يدل على حضورهم، يرون بعض السرج المنيرة أو الثُريات المتلألأة، فيحكون لحضرة النبي: فيقول ﷺ :

{ تِلْكَ الْمَلائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ } [261]

فمن كان يقرأ القرآن يدورون حوله ليستمعوا إليه، ومن يحارب من المؤمنين يحاربون معه، ويلقون الرعب في قلوب الكافرين.

وهذا غير من يأتي لك بالأرزاق ، ومن يأتي لك بالضياء، ومن يأتي لك بالأنفاس والهواء، ملائكة لا عد لهم ولا حد لهم، كلهم ملائكة في خدمة الإنسان ، لأن الإنسان له فضلٌ وتكريمٌ عند حضرة الرحمن ﷻ .

من الذي يستطيع عدَّ الملائكة الذين جاءوا معك وأنت ذاهب لزيارة أخ لك في الله. حضرة النبي قال فيهم:

{ إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَارَ أَخَاهُ فِي اللَّهِ ، شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ ، يَقُولُونَ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ وَصَلَهُ فِيكَ ، فَصِلْهُ } [262]

261 صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
262 الجامع في الحديث لابن وهب

حملة ا رش

فكل هؤلاء الملائكة كما قال الله : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ :

ما أوصافهم؟

﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ شفاعتهم لنا نحن يضاً، فكيف يشفعوا لنا؟ إذا كان حملة العرش وهم من أعظم ا قربين من الملائكة ما وظيفتهم؟

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ وبعد ذلك: ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ وهل يستغف ون فقط؟ لا ، بل يدعون لنا أيضاً:

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ غافر .

يا لله حملة عرش يدعون لنا ... ونحن مشغولون ، ربما غافلون أو ساهون أو عاصون أو مذنبون !! فهم يدعون ولكن للمؤمنين فقط، فكل الملائكة من كانوا فوق أو تحت في خدمة الإنسان.

وفي الجنة من الذي يستقبلنا؟ هم: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ (24 الرعد)

وكثير يدخلون عليهم يهنئونهم بالسلامة وكلهم في خدمة الإنسان.

فالملائكة مع عُلوِّ قدرهم ومع رفعة شأنهم إلا أنهم في خدمة بني الإنسان:

ولذلك القضية التي يُثيرها بعض الجهلاء ويقولون: إن جبريل وميكائيل وإسرافيل أعلى في الدرجة – حاشا لله – من سيدنا رسول الله !!

من الذي قال هذا الكلام؟! حضرة النبي بنفسه قال:

{ إِنَّ لِي وَزِيرَيْنِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ ، وَوَزِيرَيْنِ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، فَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ : فَجَبْرَائِيلُ ، وَمِيكَائِيلُ ، وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ : فَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ }[263]

سيدنا رسول الله أعلى الخلق كافة، ملائكة وجناً وإنساً وغيرهم قدراً عند الله ، والملائكة كما نرى خلقهم الله ... تكريماً للإنسان ... وجعلهم مسخرين لخدمة الإنسان ... وهم من يأتون بالبشائر من الله لمن يستقيم من بني الإنسان:

263 الحاكم في المستدرك والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ (0، فصلت)

فلا تنزل مرةً واحدة ولكن تتنزل أي يكون نزولهم باستمرار:

﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ (0، فصلت)

ونحن في خدمتكم .... ﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ (1، فصلت)

نحن رهن إشارتكم في الخدمة هنا وهناك ... فهؤلاء الملائكة ، وهم كما وصفهم ربنا في القرآن:

﴿ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾ :

عندهم خشية بالغة من الله ﷻ ، حتى أن سيدنا رسول الله ﷺ عن ما كان في ليلة القرب من الله ، وسيدنا جبريل زجَّ به في عالم الأنوار قال: يا جبريل ألك حاجة؟ قال: أخشى العاقبة ، فنزل قول الله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ (93، الشعراء) أعطاه الأمان، فقال:يا رسول الله كنتُ أخشى العاقبة فأمنتُ منذ قال لك ربك: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ فأخذ الأمان بسبب رسول الله ﷺ . ...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (الأنبياء)

15 : ضياء الفرقان[264]

dddddddddddddddddd

يوم القيامة

أنزل الله ﷻ في قرآنه الكريم بياناً تفصيلياً لما سيحدث لنا أجمعين بل للخلق كلهم من بدء الدنيا إلى يوم الدين ، اليوم الذي يقول فيه ربنا تبارك وتعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (4المعارج) تقديره بحسب إمَّا سنواتنا نحن، وإما سنين الله: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (47الحج) ولذلك هذا أمرٌ يحتار فيه اللبيب الفصيح، لو حسبناه بأيام الله وهو مقداره خمسين ألف سنة ، فما مقدار طوله؟ وكلنا سنكون فيه ونُحشر فيه أجمعين ! .

هذا اليوم فيه أحوال . وفيه عرض الأعمال . وفيه الحساب ، وفيه الميزان ، وفيه تطاير الصُحف ، وفيه الصراط ، وفيه كل العرض الكامل لحياة الإنسان بحُلوها ومُره ، بحسنها وسوئها، أمام أكرم الأكرمين ﷻ .

264 المنيا – ميانة – مسجد السلام 13 من محرم 1438 هـ 14/10/2016م

والآية التي معنا اليوم تتكلم عن موقف من مواقف القيامة، فلا نسميها أيام ولكن نسميها مواقف، وأول موقف من مواقف القيامة: ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (68الزمر) الحياة الثانية أو كما ذكرها ربنا في القرآن ، النشأة الثانية : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (29الأعراف) .

وبعد النشأة الثانية :

وقد تحدثنا عنها بالفصل السابق منهم من يستقبله فريق من الحرس لإلهي الجنان ، ومعهم له ثياب من ثياب الجنة، وعطر من عطر الجنة، وشراب من حوض الكوثر الذي خُصَّ به النبي وأمته، ويستقبلوه بعد نشأته الثانية عند الله ﷻ : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ الواقعة .

أصناف الخلق يوم القيامة

الناس في هذا اليوم أربعة أصناف :

نسأل الله ﷻ أن نكون من خيرهم عند الله ، ومن أهل القربى والزلفى في جوار حبيب الله ومصطفاه:

- الصِنف الأول:

أُناسٌ يقومون من القبور إلى القصور، فليس لهم شأنٌ بالميزان ولا بالصراط ولا بالحساب: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ (10الزمر) ليس لهم شأنٌ بكل أنواع هذا الحساب ولا ميزان ولا أي شيء.

- الصنف الثاني:

أُناس يقومون من القبور إلى جهنَّم وبئس القرار، وهؤلاء يقول فيهم الواحد القهار: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾ (105 الكهف) لأنهم ليس لهم وزن عند الله ﷻ ، ولا أعمالهم التي عملوها تستحق الوزن ، فمن القبور إلى جهنَّم وبئس القرار.

- والصنفان الآخران:

منهم من يُحاسب الحساب اليسير، ومنهم من يُحاسب الحساب العسير.

الحساب بالفضل وبالعدل

فالخلق جميعاً من آدم إلى نبينا صلوات ربي وتسليماته عليه :

يكون لهم قانونان للحساب : قانون العدل الرباني ، وقانون الفضل الإلهي.

قانون العدل الإلهي :

يُطبق على كل الأمم ما عدا نحن أمة محمد والحمد لله .

وقانون الفضل الإلهي يُطبَّق على أمة النبي الأمي ، وهم نحن بفضل الله وبكرم الله وببركة سيدنا رسول الله ﷺ .

كل الأمم تُحاسب بالعدل، والعدل يعني الحساب أمام الجميع ، والكل يشهد ، والكل يرى ويُحاسب، ويُحاسب على القليل والكثير والنقير والقطمير ، ولا يترك الله ﷻ له شاردة أو واردة في أعماله إلا ويُحاسبه عليها.

لكننا أمة سيدنا محمد نُحاسب بحساب الفضل الإلهي :

قانون جعله ملك الملوك خاصًّا بنا، وذكره في قرآنه حتى يكون فرحة لقلوبنا وسروراً لأرواحنا: ﴿ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾ يقبل العمل الطيب الذي عملناه، ويتغاضى عن السوء الذي ارتكبناه ما دمنا ندمنا ورجعنا إلى الله جل في عُلاه،

وبعد ذلك : ﴿ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾

(16 الأحقاف) وهذا وعدُ أخذناه من أكرم الأكرمين ﷻ .

ولذلك كان سادتنا يعلمو نا ويقولون لنا دائم : قولوا (اللهم حاسبنا بفضلك ولا تحاسبنا بعدلك، ا نك إن حاسبتنا بعدلك على أرجى ع لٍ عملناه هلكنا جميعاً)) فليس أرجى من الصلاة التي نؤديها بمعونة الله وتوفيق الله، فلو وضعها في كفة الميزان وود ع في الكفة الأُخرى الإخلاص، فمن منا يجو ه ؟!! إلا الذي يُمرره الله بفضله وبكرمه ﷻ .

لأننا عندما يبدأ الواحد منا في لصلاة فكل تائهة وكل غادية ورائحة تأتيه في الصلاة، فأين الإخلاص ة ها من بدأها إلى منتهاه ؟!! أمرٌ لا نستطيع فعله ولا نستطيع التحقق به إلا إذا ملك الملوك وهب، وملك الملوك إذا وهب لا تسألنَّ عن السبب.

الموازين القسط

فيحاسبنا الله ﷻ بالفضل، لكن الموازين موج دة للكل:

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ :

والقسط هي العد لة ا طلقة، وماذا تزن؟

تزن الأعمال والأقوال والأفعال والأحوال التي عملناها في الدنيا كلها، إياك أن تقول كيف؟ لأنه أمرٌ غيبي لم يُطلع الله ﷻ عليه إلا حضرة النبي، فلا يص ح لأحدٌ منا الكلام فيه من نفس ، ولا يشرحه من عقل ، لأنها أمورٌ غيبية: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن) ...

الرسول ﷺ الذي كاشفه الله ﷻ بهذه الغيوب، وهو كشف لنا منها ما تتحمله العقول والقلوب، لكن الأمور التي لا تتحملها عقولنا ولا قلوبنا لم يذكرها لنا حرصاً علي ، لأنه حريصٌ علينا صلوات ربي وتسليماته علي ، ولذلك يقول لنا:

{ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ } [265]

لا يوجد شيء تتلذذون به في الدنيا لو عرفتم ما أعرفه، ولكنني تركتكم رحمةً بكم. صلوات ربي وتسليماته علي .

هذا الميزان يكون بعد الحساب :

كما قلنا أولاً يكون تطاير الصُحف عندما يدخلون الموقف ، منهم من يأخذ صحيفته بيمينه ، ومنهم من يأخذ صحيفته بالشمال، ومنهم من تكون يده اليمين والشمال مُقيدتين فتأتي الصحيفة في رقبته وظهره وعنقه، وكلٌ على حسب وضعه.

لكننا نسأل الله ﷻ أن لا يكون لنا شأن بهذه الأمور كلها، فنخرج من القبور إلى القصور ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴾ (10 الانشقاق) وهذا أخذه بالشمال، والثالث كتابه في عُنقه مثل الكافر والمشرك لعنة الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

بعد ذلك الحساب، وبعد الحساب يأتي الميزان الذي تكلم فيه الله :

﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾

﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ :

265 جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه

ومثقال يعني بعض، والخردل نوع من النباتات الزيتية وحبوبه متساوية وصغيرة وثابتة الوزن فلا تزيد ولا تقل.

﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ :

ف ذي يحسب هو رب العباد ﷻ ، وأنتم تعرفون أن رب العزة ﷻ يُسجِّل الأعمال التي يعملها الإنسان في أكثر من دائرة تسجيل ربانية.

ما تفعله الأعضاء والجوارح يُسجَّل علي ، ونحن لا نرى هذا التسجيل، ولكن الله يط لع عليه ويراه، وانظر إلى هذا ا! صبع الذي تكتب ب ، هل يعرف أحد كم كلمة كتبها من أول ما كتب ! وماذا كتب ! لكن هذا كله موجود عند عالم الغيب والشهاد ، وسيأتي هذا ا! صبع هناك ويتكلم على كل ما فعله وكتبه لأن الله ﷻ د يأمره أن يفعل ذلك.

هذه الأعضاء الآن كلفها الله أن تكون في طاعتك، فينفذون مرا ي وإرادتي، يقول لها: كتبي كتب، والعين يقول لها: نظري هنا تنظر، والرجل تحركي تتحرك، والظهر والرجلين يقول لهما: ركعوا يركعوا، و سجدوا فيسجدوا، الكل تحت أمرك.

لكن يوم القيامة يجعل الله أمر هذه الجوارح - ضرته، فتصبح في طاعة حضرة الأول ﷻ ، ولذلك ندما يجتمع الخلائق كلهم فإن أول شيء في القيامة يُدع ن إلى الصلاة لله ﷻ ، ويُصلي بأهل الموقف سيدنا رسول الله ﷺ ، من كان يحافظ على الصلاة في الدنيا إن الأعضاء ستطاوعه هناك، ومن كان يتظاهر أمام الخلق بالصلاة ويتركها في الخلاء إذا كان بمفرده فيحاول أن يركع ويسجد فلا تطيعه أعضاؤه: ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (42 القلم) .

الصف كله ساجد وهو واقف : فينكشف ويفتضح ويظهر ، فماذا يفعل !! وأين يختفي !! لا يوجد هناك مكانٌ يختفي فيه إلا ظل العرش، وظل العرش محجوز من هنا ، فمن لا يحجز من هنا فليس له مكانٌ هناك، فأين يذهب وظل العرش ليس له مكان فيه؟!! فيفتضح أمره ، وتنكشف حقيقته ، لأنه كان في الدنيا ينافق الخلق ويظن أنه بهذا النفاق - حاشا لله ﷻ - يضحك على الخلق وأيضاً على الحق، والله ﷻ لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء.

الإنسان كما وصفه الله ﷻ في القرآن وقال فيه: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ (54 الكهف) طبيعته يحب الجدل بالحق وبالباطل، يعرف أنه على باطل ويجادل ليُثبت لغيره أنه على الحق، ويوم القيامة يشهد على الإنسان الكرام الكاتبين والأرض التي يمشي عليها، كل موضع من مواضع الأرض فيه كاميراتٌ ربانية تسجِّل أعمال العباد التي تجري على ظهرها، فهنا في المسجد كاميرات تُسجِّل هذه الجلسة التي نحن جميعاً فيها كلها، وسنراها كلنا يوم لقاء الله،

فكل ما يحدث على ظهر الأرض يسجل بكاميرات ربانية نورانية كية لا تستطيع الأعين البشرية أن تراها، لكن هناك سنراها.

فيرفض الإنسان هؤلاء الشه ود ويقول : يا رب أنت حكمٌ عدل وأنا لا أرضى إلا بشاهدٍ من نفسي، فيشير الله ﷻ إلى اللسان فيصمت، ثم يأمر الجوارح فتنطق وتتكلم:﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (65 يس) .

ما ا يقول الإنسان بعد ذلك ! من الذي يشهد عليك ! الذين معك : ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ (21 فصلت) كأن يكون راكباً مواصلة أو شيء من هذا القبيل ومد ولمس امرأ ، ف تي الجلود وتقول لقد لمس فلا ة في اليوم الفلاني في ساعة كذا: ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (21 فصلت) .

الكل سيتكلم ، العين ستتكلم ، والأذن ستتكلم ، والأنف سيتكلم ، والأصابع ستتكلم ، وكل عُضوٌ من الأعضاء يتكلم ، فماذا يقول الإنسان بعد ذلك !!.

محبة الله للتائبين

لكن نظر إلى الرحمن الرحيم ﷻ ، مع هذه الأمور كلها فمن رحمته ومن شفقته ومن عطفه وحنانته، يعطينا الفرصة تلو الفرصة، فيقول حضرة النبي ﷺ :

{إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه، وأنسى ذلك معالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهدٌ بذنب}.

ما هذه الرحمة العظيمة؟ لذلك يجب أن نسارع دائماً ونقول: تبنا إلى الله ، ورجعنا إلى الله ، وندمنا على ما فعلنا ، وعلى ما قلنا، وعزمنا على أننا لا نعود إلى ذنب أبداً، وبرئنا من شرور أنفسنا، وسيئات أقوالنا ، وقبائح أعمالنا. وكل شيء يخالف دين الإسلام.

بهذه التوبة يصدر فوراً أمر من ذي الجلال والإكرام للجوارح بنسيان ما فعله الإنسان ويُمحى ذلك، وكذلك لكرام الكاتبين، وكذلك الأرض، الكل ينسى ما فعله العبد ويتم محوه!! هل يوجد رحمة أكبر من ذلك ! أو أكرم من ذلك ! فهذه رحمة أرحم الراحمين لهذه الأمة المرحومة : أمة رسول الله ﷺ .

فالله ﷻ اختار هذه الأمة على سائر الأمم ، وهذا كان قبل خلق الخلق، وقبل خلق الأكوان، فقد روى فى الأثر: أن الله لما خلق الأمم وهى أرواح قبل الأجسام والأشباح، وخلق القلم ليكتب أقدار الأمم، وأملاه الله ﷻ : اكتب يا قلم:

أمة آدم، من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى دخل النار، فكتب القلم، فقال الله: كتب ياقلم: أمة نوح، من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى دخل النار، واستمر حتى قال أُمة محمد، فهمَّ القلم أن يكتب ما كتبه لكل الأمم، فناداه ربُّ العزة ﷻ: اسكت يا قلم، فانشقَّ القلم من هيبة الله ﷻ ، ثم قال له الله متفضلاً على هذه الأُمة وعلينا أجمعين: اكتب ياقلم: أمة محمد ؛ أُمةٌ مذنبةٌ وربٌّ غفور)).

المجاهرون

وماذا عن الحساب الشديد والميزان العتيد ؟

هذا للمجاهرين والعاصين في الدنيا، الذي يتباهى أنه عمل كذا وكذا من المعاصي. ويفضح نفسه وقد ستره ربه !! ويفضح نفسه بين خلق الله ويقول: أنا فعلت بالأمس كذا، وأنا عملت في فلان كذا، وأنا فعلتُ في فلانة كذا، ويتباهى بذلك ، مع أنها مخازي يجب أن يستر نفسه منها، ويتوب إلى الله ﷻ فوراً من فعلها وارتكابها ! .

أو من يظل على المعاصي والمخالفات ويسوِّف في التوبة. ويقول: مازال الوقت طويلاً ، والعمر طويل. وهل تعرف أنك ستعيش إلى أجل معين !! فلو كان معك الميعاد والتاريخ المحدد فلا بأس!!، لكن كما قال رب العزة ﷻ : ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (34 لقمان) .. من الذي يعرف أين يموت؟ أو متى يموت؟ وفي أي ساعة؟ وفي أي يوم؟ فالمؤمن يجب أن يكون كما كان يقول سيدنا رسول الله لأصحابه الكرام، قال لسيدنا عبد الله بن عمر ﷺ مثلاً:

{ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَاعْدُدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى } [266]

266 مسند أحمد والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ :

{ إِذَا أَصْبَحْتَ، فَلا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرُ الصَّبَّاحَ }[267]

كن جاهزاً للقاء الله ﷻ ، فالمؤمن دائماً جاهزاً للقاء الله سبحانه وتعالى .

وماذا يعني أنه جاهز للقاء الله؟

يعني مجهزاً حقيبته التي ستعبر الجمارك البرزخية وتذهب للحياة الأخروية، وهي غير مسموح بها إلا إذا كانت كما يقول رب البرية ﷻ : ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (46 الكهف) لا يُسمح بغير ذلك هناك.

هل يُسمح لأحدٍ أن يأخذ معه هناك ألف جنيه؟ أو دفتر شيكات أو كيلوا ذهب؟!! أين يذهب بهذه الأشيا ؟ يسلِّم هذه الأمانات للورثة ! وما المسموح به؟

الباقيات الصالحات ، وهذه حضرة النبي ﷺ قال فيها :

{ اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، قِيلَ : وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : التَّكْبِيرُ ، وَالتَّهْلِيلُ ، وَالتَّسْبِيحُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ }[268]

---

267 صحيح البخاري وابن حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما
268 صحيح ابن حبان ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

وأراجع حساباتي وملفاتي ....

المؤمن دائماً لا تمر عليه ليلة إلا يراجع حساباته :

لا بد له من وقفة مع نفسه، مثلا:

ماذا قلت؟ قلت كذا وكذا وكذا ...

وهذا الحساب جعلهم لا يكثرون من الكلام، لأنه يحاسب نفسه على الكلام ..

وكل كلمة لها حساب.

- قوق العباد

، كلام إذا كان يؤلم الآخرين فلن تنفع فيه التوبة النصوح إلى رب العالمين فقط !

بل لا بد أن تذهب لمن تكلمت في حقه وتطلب منه السماح ليسامحك ،،

لماذا؟ .. لأن هذا فيه حقٌ من حقوق العباد!!

غششته في كيل أو في وزن ، أو غششته في الصنف ، أو غششته في الكلا !!

أو أخذت منه قطعة من الأرض .. أو نقلت الحد !!

أو أي شيء يتعلق بحقوق العباد ....

فلا بد أن أرجع لهؤلاء العباد وآخذ مخالصات منهم ، ومحاضر صُلح بيني وبينهم ، لكي أنتهي من هذه المواقف! . لا بد للإنسان أن يكون له كل ليلة على الأقل حساب ومراجعة لصفحاته التي تسجلها الجوارح والملائكة والأرض !! ، هذه التوبة التي ذكرناها .. ربنا يوم القيامة سيقول هذا كما ورد بالحديث الشريف:

{ إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النّارِ النّارَ، وَبَقِيَ اللّذِينَ عَلَيْهِمُ الْمَظَالِمُ، نَادَى مُنَادٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، يَا أَهْلَ الْجَمْعِ : تَتَارَكُوا الْمَظَالِمَ وَثَوَابُكُمْ عَلَيّ }[269] **وبالأثر: { يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ يَوْمَ القِيَامَةِ يا أمّةَ مُحَمّدٍ أمّا ما كانَ لِي قبلكُمْ فقدْ وَهَبْتُهُ لَكُمْ وبَقِيَتْ بَقِيّةٌ فتَوَاهَبُوها وَادْخُلُوا الجَنّةَ برَحْمَتِي }** [270]

ولذلك كان سيدنا رسول الله ﷺ أهم وصية يُوصي بها أصحابه المباركين أن يخلّصوا أنفسهم أولاً بأول من حقوق العباد المطالبين، إياك أن يأتي أحدٌ يطالبك بحقه يوم القيامة.

وما أكثر المظالم في هذا الز مان، لأن الناس معظمهم يمشي على هوى نفسه، وجاهل بشرع الواحد الأحد، ويظن أن الدنيا لنفسه فقط، ونسي القوانين الإلهية التي سيحاسبهم ربنا سبحانه وتعالى بها العباد يوم التناد إن شاء الله.

بعد أن ينتهي الإنسان من الحساب وسيدخل الجنة والملائكة أخذته إلى الجنة ويشم رائحة الجنة ويرى قصوره وحوره في الجنة ينادي مناد الله ﷻ : من كان له مظلمة عند فلانٍ فليخرج، فتأتي المظالم، والمظالم تأتي في صورة معنوية، مثلاً: أنا رجل غافل ومفرِّط في حقوق ذوي رحمي وأعتقد أن لي عندهم حق، لكن كما قال حضرة النبي :

269 ابن أبي الدُّنْيَا رفعه وابن النجار عن أَنَس رضيَ اللّهُ عنه. جامع المسانيد والمراسيل
270 ورد فى إحياء علوم الدين والتذكرة فى أحوال الآخرة على أنه حديث ولم أقع له على تخريج

{ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ : الرَّحِمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ فَهُوَ لَكِ }[271]

هذا الرجل كان قاطعٌ لعمه فلان، وقاطع لابن عمه فلان، وقاطع لخاله فلان، وقاطع لابن خاله فلان بلا سبب ، ولا يستدعي لهذا الأمر، ولا توجد أسباب للقطيعة، فكلها واهية لأنها أسباب نفسية، يقول الله تعالى:

{ أَنَا الرَّحْمَنُ ، وَهِيَ الرَّحِمُ ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ }[272]

هل يوجد أحدٌ منا يحاسب نفسه على هذا الأمر؟! ننساه دائماً، والرحم هي التي تطالب كما أخبر حضرة النبي ﷺ .

أمر آخر يحاسب عليه ملك الملوك ﷻ ، يقول فيه الله:

{ يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، قَالَ يَا رَبِّ : وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ؟ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ }[273]

---

271 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
272 الحاكم في المستدرك وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه
273 صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

وهل أنا مسئول عن ذلك؟ نعم، قال حضرة النبي ﷺ :

{ لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ }[274]

أي لا يؤمن يعني إيماناً كاملا ، فنحن حتى يكون إيماننا كاملاً يجب أن نتحسس ظروف أهل كل شارع ، وأهل كل محلة ، وأهل كل بلد ، وظروف إخواننا .. ، حتى لا يلجأوا إلى أن يبيتوا جياع طاوين ونحن آكلين هانئين.

ولذلك رجل من أصحاب حضرة النبي ﷺ :

ذهب إليه أخوه في الله ليطلب منه قرضاً لظروف ألَّمت به، فأعطاه القرض ، ثم أخذ ينتحب ويبكي، فقالت له زوجته : لِمَ تبكي وقد فرَّجتَ عنه !

فقال لها: لأني انتظرت حتى جاءني يطلب مني ولم أشعر به! .

المفروض أنني لا أجعله يطلب، لكن أشعر به ، وأنظر ما يحتاجه، لأن هذا هو حال أهل الإيمان الصادق في عهد النبي ﷺ .

كذلك يعني الله ﷻ إذا مرض أحد جيراني ولم أعد :

فيجب أن أعوده وأزوره، وما مدي مسافة الجار ؟ قال فيها حضرة النبي :

274 الحاكم في المستدرك والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

{ امْشِ مِيلا عُدْ مَرِيضًا } [275]

الميل يعني ثنين كليو متر إلا ربع، ميلٌ أمام بيتك، وميلٌ خلف بيتك، و يلٌ عن اليمين، وميلٌ عن الشمال ......!!

يعني أهل البلد تقريباً كلها، فإذا لم أ ره يحاسبني رب العزة على ذلك:

{ يَا ابْنَ آدَمَ ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَالَ يَا رَبِّ : كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ } [276]

نحن جماعة المسلمين ألهتنا الدنيا والمصالح والمشاكل عن القيام بهذه الواجبات نحو إخواننا المسلمين . وهي التي حذَّر حضرة النبي ﷺ من تركها :

لماذا؟؟؟؟

لأنها حقوق !!!

والحقوق س حاسب عليها أهلها !!

وسيحاسب عليها رب العباد ﷻ ولا مفرَّ منها.

---

275 الاخوان لابن أبي الدنيا
276 صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

وهي التي كانت تجعل الناس بينهم مودة وعطف ورحمة وأُخوَّة، وكان الناس يتعاونون مع بعضهم .

لكننا تخلينا عنها في هذا الزمان !

لذلك يريدنا الله ﷻ أن نرجع مرة ثانية لأصحاب حضرة النبي العدنان ﷺ ويقول لنا: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ :

المؤ ن دائماً يذاكرون فيما جاء به المرس ن الساب ن مثل سيدنا موسى من الكلام الإلهي الذي لم يُحرَّف، ومع لكتاب المنَّزل الأخير الذي جمع الله ﷻ فيه كل ما أنزله على الأنبياء والمرسلين وهو القرآن الكريم.

فعلاج هذه الأحوال :

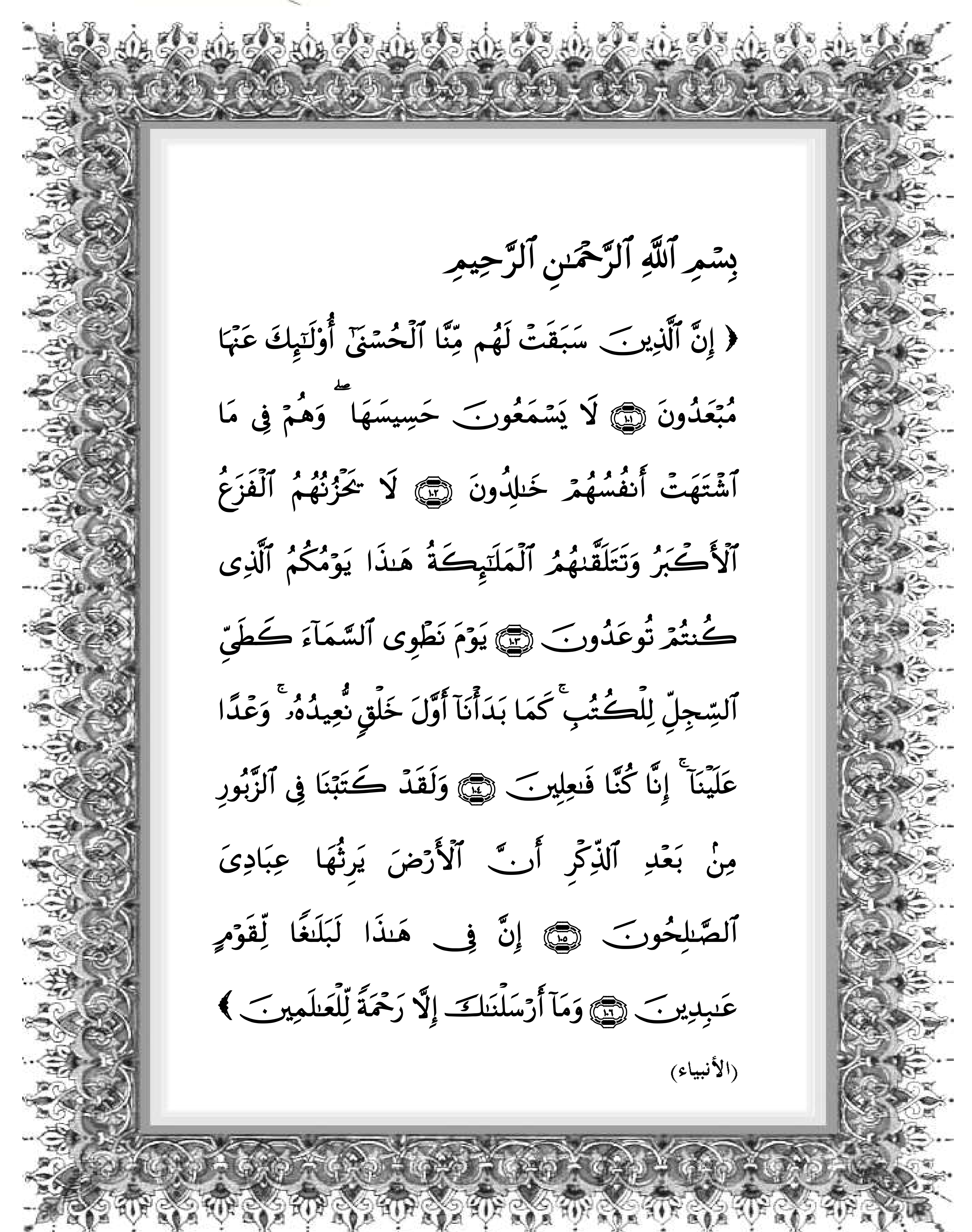
أن المؤمن يكون له ورد من القرآن الكريم يقرأه كل يوم ويتدبَّره ويتمعَّن ويتفهَّ ، ويقرأه بقلبٍ فيه خشية لله ﷻ ، فيتذكَّر الأعمال التي يُقبل عا ها، والأعمال والأحوال التي يتجنبَّها حتى يخرج يوم القيامة كما قال الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾

(101 الأنبياء .

نسأل الله ﷻ أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وجلاء حزننا، وذهاب همنا وغمنا، وأن يجعله أنيساً لنا في قبورنا، وشفيعاً لنا في حشرنا، ودرجاتٍ لنا في الجنة عند ربنا، وأن يُفقهنا القرآن والبيان ....

وأن يجعلنا من أهل العلم والعمل، ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

(الأنبياء)

6 أهل سابقة الحُسنى[277]

dddddddddddddddddd

اللوحة التي عندنا اليو :

أنزلها لنا الحق ﷻ من كنوز اللوح المحفوظ على النبي ﷺ ليفُك لنا ما فيها من ألغازٍ ورموز، تبين مقاماً تشتاق إليه القلوب الهائمة في الله، وتهفو إليه الأرواح السرمدية المتعلقة دوماً بحضرة الله، ونسأل الله ﷻ أن يُحققنا أجمعين بهذا المقام.

هؤلاء طائفة من الأمة، وهذا الصنف من الوجهاء عند الله، ومن العُظماء في يوم الفزع الأكبر، ومن المقربين من حضرة رب العالمين، ومن أصحاب السعادة العُظمى في جنة النعيم في جوار سيدنا محمد الرءوف الرحيم ﷺ .

من هم؟ وما أوصافهم؟ وما بشرياتهم؟

علنا تُصيبنا نفحة من نفحات القدس الأعلى، فنمشي على هيئاتهم، ونقتدي بسيرتهم، فيُلحقنا الله ﷻ بصحبتهم أجمعين:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ﴾ :

277 المني – العدو – العنبر 14 من محرم 438، هـــ 15 /10 /2016 م

الدرجات الوهبية لأهل الخصوصية التي يجهزها لهم الله جل في علا !

وهؤلاء أخذوها بفضل الله وبإكرام الله وبتوفيق الله ....

لأنهم من البدء كانت لهم عناية أزلية من حضرة الله ﷻ سبقت له !!

يعني كان لهم سابقة، سابقة حُسنى عند الله !

لِيُعرِّفنا الله ﷻ أن المقربين لا يقفون عند أعمالهم، ولا يتشبثون بأحوالهم، وإنما ينسبون كل فضلٍ نزل بهم أو حفَّ بهم إلى صاحب الفضل وهو الله ﷻ :

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (53 النحل) .

السابقة حاكمة

فهؤلاء من الأزل القديم اختارهم الله ﷻ من يوم الميثاق الأول، كما قال ﷺ :

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷺ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَلا أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الأُخْرَى: هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالِي } [278]

ونحن والحمد لله كلنا من قبضة اليمين إن شاء الله، وليس يمين وشمال الله مثلنا، فكل ما خطر ببالك فهو هالك، فنزّه الله تعالى عما خطر ببالك.

فكما قالوا: السابقة حاكمة، فلو أن واحداً من أهل الشمال جمعنا له كل العُرفاء والحُكماء والعُلماء، وكُتب كل الرسل والأنبياء، ومواعظ الواعظين، هل يُزحزحه ذلك عن الكفر طرفة عين؟!! لا.

الأمر كله يحتاج إلى هذه السابقة، فنحمد الله على سابقة الحُسنى التي كتبها لنا الله، وبعض الناس الذين يُضيِّقُون فضل الله يقولون: هؤلاء أُناسٌ مخصوصون، تسألهم: من هم؟ فيذكرون نعوتاً معينة، بعضهم يقول: هم الأولياء والصالحـ ن، أفما نحن أولياء وصالحون؟!.

278 مسند البزار والطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه

وبعضهم يقول: آل بيت النبي، ونحن كلنا آل بيت النبي، لأنه عندما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ آلِ مُحَمَّدٍ، قَالَ :

{ كُلُّ تَقِيٍّ } [279]

سيدنا الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه وضَّح الأمر عندما نزلت هذه الآية قال: أنا منهم، وأبو بكر وعمر وعثمان وسعد بن أبي وقاص وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرَّاح كلنا من أهل هذه الآية.

وماذا يعني ذلك؟ قال العلماء: يعني كل المسلمين المسَلِّمين داخلين في هذه الآية، فضلاً من الله ﷻ ، لأن الإيمان كله فضل، فالإيمان كيف أخذناه؟ وكم دفعنا فيه؟ وكم شهر سافرنا للحصول عليه؟! أو كم يوم؟!

أبداً، ولكنه كما قال الله: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (7 الحجرات) هو الذي حبب إلينا الإيمان، وهو الذي زينه في قلوبنا،.

وهو الذي كتبه أيضاً: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ (22 المجادلة) :

---

279 سنن البيهقي والطبراني عن انس رضي الله عنه

الذي كتبه هو الله ﷻ ، والذي لم يكتب له رب العزة الإيمان في قا ه هل يستطيع أحدٌ أن يُقربَّه أو يجعله يُسلم أو يؤمن بالله؟!! يقول الله لنبيه: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ (6، القصص .

هؤلاء القوم الذين سبقت لهم هذه الحُسنى – وهي المترلة الكريمة والدرجة العظيمة في التُقى والإ ١د – سيكونوا أصحاب الدرجة العظيمة في الدار الآخرة في المنازل العُليا يوم لقاء حضرة الرحمن، وفي المنازل العُليا في الجنان في جوار النبي العدنان ﷺ .

منح أهل السابقية

هؤلاء القوم ماذا لهم في الآخرة؟

حدَّد لنا الله بعض ما تتحمله عقولنا وقلوبنا من المزايا التي خصَّهم الله ﷻ بها:

وأول مزِيَّة: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ :

مبعدون عن نار جهنم وعذابها فليس لهم شأنٌ بها، ولكي يعطينا مؤشر أن هذا من فضل الله لم يقُل: (أولئك عنها بعيدون) ولكن قال: ﴿مُبۡعَدُونَ ﴾ يعني هناك من أبعدهم عنها، وهو رب العزة ﷻ، وكيف يُبعدهم؟

﴿ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ ﴾ (7 الحجرات) بغَّض لنا الأعمال التي تُؤدي إلى هذا الطريق في دار الدنيا.

فأول فضلٍ من المتفضل لهم أنهم يدخلون في إيواء الأمن الإلهي: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (82 الأنعام) هؤلاء آمنين من هذه الأمور، وحضرة النبي يحكي لنا فيقول:

{ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا } [280]

جهنم تأتي يوم القيامة تُحدث فزعاً وهلعاً لأهل الموقف وتُزمجر بصوتها فيجـ و كل من في الموقف على ركبتيه من شدة الـ زع، مم؟ من صيحتها ــ عندما يسمعون هذه الصيحة الكل يجثو على ركبتيه، وأين يكونوا هؤلاء القوم؟

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ وهذه الميزة الثاني :

لا يشعرون بصوت جهنـ ، ولا فزع جهنـ ، ولا ينظرون إلى الشرر الذي يكون الواحدة منه كالقصر، والتي تنطلق من جهنم، ولا الدخان الذي يخرج فيُصيب أهل الموقف كلهم بزكمة، يخرج منها دخان يزكم أهل الموقف الجالسين في الموقف.

فهؤلاء بعيد ن عن هذه الأمو ، لأنهم في المنزلة العُظمى والدرجة الكُبرى عند الله ﷻ ، أين يكونوا؟ ﴿ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ وهذه الميزة الثالثة، ولماذا جاء بها عامة؟ لأن كل واحد منهم له ما تشتهيه نفسه، فمنهم من يشتهي القصور فيكون في قصور الجنة، ومنهم من يشتهي الحور فتكون حوله الحور، ومنهم من يشتهي الطعام والشراب، فيكون له الطعام والشراب، و ن يشتهي لنظر إلى وجه الله فيُحقق له الله مناه.

280 صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

شهوات الحقائق الإنسانية

فالأجسام لها شهو ، والقلوب لها شهو ، والأرواح لها شهوة، فمن وقف عند الأجسام ستكون شهواته كلها حسيٍّ ؛ نساء أو حور أو طعام أوشراب أو مساكن أو قصور أو بُسُطٌ أو نمارق أو ذرابي مبثوثة، فيكون كلٌّ حسب شهواته فيكون فيها.

ومن كانت همته عالية، جعل القلب هو الذي يتمنَّي ، والجسم من ورائه يتعنَّ ، حتى ينال ما يتمنَّي ، فيتهنَّى.

م شه ة القلب؟

أن يكون مع رسول الله: ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (9: النساء) فيك ن مع الأخيار والأطهار والأبرار.

وما شهوة الروح؟

النظر إلى وجه المنعم الفتاح ﷺ ، لأنها منه: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ (9: الحجر)

كل مناه أن يحظى بنظر من مولاه: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾ القيامة) ...

فمِ. ه كله أن يحظى بوجه مولا ، أو يكون في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، أو يكون على منابر من نور قدام عرش الرحمن، أو يكون ممن يُعطيهم الله ﷻ على يد حبيبه مصطفاه قدراً من الشفاعة فيُشفعِّه فيما سواه.

وكل واحد على قدر مُناه وعلى قدر تقواه يكون تصريح شفاعته من الله على يد سيدنا رسول الله ﷺ ، فمن يشفع في عشر ، ومن يشفع في سبعين ، ومن يشفع في سبعمائة ، ومن يشفع في سبعمائة ألف ، ومن يشفع في ثنين مليون، وكلٌّ على حسب مقامه وتقواه وقدره عند مولاه ﷻ .

عطاءات المقربين

﴿ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾ :

آية جامعة، جمعت كل المنازل والدرجات، وكل العطاءات على حسب ما يتمناه المرء في هذه الحياة، ولذلك أُمرنا الله أن نصحب الصالحين وأصحاب الدرجات العُلا من العارفين، لماذا؟ ليُعلي همتنا فلا يكون مقصدنا مقصد داني، ولكن مقصد عالي.

والله سبحانه وتعالى آلى على نفسه أن يُعطي لكل قاصدٍ قصده، ما دُمت أنت الذي قصدَّته فيُعطيك، فتقول: لا أعرف غير ذلك، فلماذا لم تسأل؟ ... ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (43 النحل) حتى عندما ندخل الجنة نحتاج إلى العلماء، قال ﷺ :

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَحْتَاجُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَزُورُونَ اللَّهَ ﷻ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، فَيَقُولُ لَهُمْ: تَمَنَّوْا عَلَيَّ مَا شِئْتُمْ، فَيَلْتَفِتُونَ إِلَى الْعُلَمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَاذَا نَتَمَنَّى؟ فَيَقُولُونَ: تَمَنَّوْا عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا }[281]

281 تاريخ دمشق لابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه

أعظم منة ... و عظم جزاءًا ... وأعظم أجراً زرز أن يدعو الله ﷻ أهل الجنة لزيارة ، والنظر في جميل طلع . :

فمنهم من يذهب إليه بدعوة قدر كل سنة مرةٍ من سنوات الد يا، ومنهم من يذهب إليه بدعوة مرة كل أسبوع، ومنهم من يذهب إليه بدعوة مرة كل يو ، والدعوة تتوجَّه إلى صاحبها وحضرة النبي قرأها لنا، فقد وروي ن الملائكه ذا توا لى المؤمن وهو في قصره يقولون لغلمانه : نحن رسل الله فاسـ ذنوا لنا على ولي الا ، فيدخلون ويسلمون ويناولونه كتابا فيه : من الحي الذي لايموت الى الحي الذي لا يموت ، عبدي قد اشتقت ليك فزرني .

دعوة من الله ﷻ :

﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ (25 يونس) فهي دار السلام التي فيها: ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٌۚ ﴾ (44 الأحزاب) يتلقُّوا فيها السلام من السلام ﷻ ، وهذا سبب تسميتها بذلك، لأن من فيها يتجلَّى الله ﷻ عليه بالسلام والتحية والتجلة والإكرا ؛ لمن يُريد أن يخصَّهم بهذا الا نعام سبحانه وتعالى على حسب درجاهم.

فعندما يذهب الواحد منا ليتلقَّى السلام، يقول له رب العزة: تمَّنى، أي ماذا تحب؟ وهو لم ير شيئاً في الجنة غير ما رآه. فيرجعو ن إلى العلماء فيقولون لهم: ماذا نتمنَّى؟ فيُخبرونهم ... فيحتاجون كذلك - حتى في الجنة - إلى العلماء وإلى العُرفاء ليعرفوهم بالشيء الذي يليق أن يطلبوه من ملك الملوك ﷻ ، فعندما يذهب الواحد منا إلى ملك الملوك سبحانه وتعالى ويقول له تمَّنى، فهل يقول له: أتمَّنى لحم طيرٍ مما يشتهون ! لا يليق هذا الطلب بملك الملوك ﷻ ، أو هل يطلب حورية ! فهي عنده، وماذا يطلب ؟

هناك طلبات أُخرى روحانية نورانية قدسية معنوية لا نستطيع أن نُبيح بها في هذه الحياة الدنيوية، فيها ما لا عينٌ رأت ، ولا أُذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر، فهذه الأمور من نفس هذه الحالات، لا الأُذن تعقلها، ولا النظر يراها، ولا القلب يعقلها ، ولا العقل يستطيع أن يقف عندها لأنها أشياء فوق العقول، وفوق طاقة القلوب، لأنها خصوصيات من حضرة علام الغيوب ﷻ .

فنحتاج للعارفين هناك كما نحتاجهم هنا، ولماذا نحتاجهم هنا؟ ليُعلوا عزائمنا ويرفعوا هممنا، تسأل أحد الناس ماذا تفعل؟ يقول لك: أفعل كذا وكذا وكذا، لأدخل الجنة، فهل تعمل هذا كله وعبادتك هذه كلها، وإخلاصك هذا كله لتدخل الجنة !! الدنيا كون، والجنة كون ، فلماذا لا تكون همتك أعلى وتطلب ما عند المكوِّن ﷻ !

﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ (198 آل عمران) هذا غير الجنة، فنعيم الجنة للكل، لكن ما عند الله للأبرار، لماذا لا تجعل نظرك وهمتك على ما عند الله من النعم المعنوية النورانية القدسية الإلهية !

من الذي يعلمنا عُلوُّ الهمة في هذا الشأن؟

الصالحون والعارفون الذين ورثوا هذا المقام من سيد الأولين والآخرين سيدنا رسول الله ﷺ .

ولكي يُطمئنهم الله ﷻ ويطمئننا قال ﴿ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴾ :

يعني هذا النعيم لن ينتهي، لأنه لو لم يقُل خالدون لقلنا من الجائز أن نتمتع سنتين أو ثلاثة أو أربعة ونخرج، لكن قال: ﴿ خَـٰلِدُون ﴾ لتستريح النفوس وتقرُّ القلوب وتعلم أن هذا نعيمٌ دائمٌ فضلاً من حضرة علام الغيوب ﷻ .

الميزة الرابعة: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ :

والفزع يوم القيامة سيكون كما وصفه الله ، قال: ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (2 الحج) الناس كلهم كأنهم سكارى من شدة الخوف والرهبة من رب العالمين ﷻ .

أما هؤلاء القوم فليس لهم شأن ، ذا الفز ، ولا هذا الخوف، ولا حتى الفزع الأكبر في يوم القيام ، لماذا؟

لأن الملائكة تتزل لهم تستقبلهم وهم خارجين من القبور بعد النشأة الثانية فيستقبلونهم بالترحاب: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾ (32 النحل) وسلام هنا يعني أمن، يعني أنتم لكم الأمن: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (32 النحل).

عندما يرون أهوال القيامة وهم جالسـ ن في ظل وارف الجنة، إن ـ ن تحت ظل عرش الرحمن في الموقف، أو في شرفات القصور ينظرون: ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾

ا لمطففين .

والفزع الأكبر عندما يدخل فريق النار وفريق الجنة يؤتى بالموت في صورة كبشٍ ويُذبح ، قال ﷺ :

{ إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُذْبَحُ ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا عَلَى حُزْنِهِمْ } [282]

عندما يسمع أهل النار (خلود بلا موت يعني معناها أنهم لن يخرجوا منها: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (48الحجر) يقولون: يا ليتنا قلنا كلمة لا إله إلا الله) ولو مرة واحدة: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ (2الحجر) يعني لو قالوا: كلمة لا إله إلا الله) ولو مرة واحدة.

الفزع الأكبر عند تطاير الصُحف ، وعند الميزان ، وعند كل هذه الأمور ، لكن هؤلاء القوم في أمانٍ منها لأن الله ﷻ أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف:

282 حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

الميزة الخامسة: ﴿ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ وهي طمأنة الملائكة لهم ، لأن الأمر العظيم أنهم يفرحون بفضل الله ، ويذهبون إلى ما تشتهيه الأنفس بفضل الله ، وتتحقق آمالهم كلها بفضل الله ﷻ .

ومتى يكون هذا الكلام الذي ذكره الله ؟

﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ :

في اليوم الذي سنطوي فيه السماء كطيِّ السجِّل للكتب، وهناك قراءة أخرى : " يَوْمَ نَطْوِي السماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ " السجل هو الكتاب ، فعندما يفتح الإنسان الكتاب ويغلقه فهل هذا شيءٌ صعب أم سهل؟ سهلٌ جداً، فالله ﷻ يقرِّب لنا العملية ويقول لنا أن السماوات التي تراها ذات القوة الجبارة والطاقة الهائلة والعوالم التي لا تعد ولا تُحد سيطويها الله كما تطوي أنت صفحات الكتاب كلها.

وفي هذا اليوم: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (48 ابراهيم) من الذي يحفظ الأرض؟ الصالحون الذين يمشون عليها، ومن الذي يحفظ السماء؟ الصالحون الذين يستظلون بظلها، ولذلك إذا انتهى الصالحون فستقوم القيامة على الفور، وتُبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وتنتهي هذه وتنتهي تلك، قال ﷺ :

{ لا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى لا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ }[283]

يعني عندما تقوم القيامة فلن يكون هناك أحدٌ يقول الله !

، قبلها بقليل سيرفع الله لعلم من صدور العلماء، ثم رفع القرآن من صدور القُر ء، وماذا بعد ذلك يا رسول الله؟ فقال:

{ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ الدُّنْيَا عِنْدَ لُكَعِ ابْنِ لُكَعٍ }[284]

يعني كافر بن كافر، وهذا لم يحدث بعد والحمد لله، فهل هؤلا ء يستحقون الأرض أو السماء أو هذه الخيرات؟ لا.

وبعد ذلك تقوم القيام ، ويطوي الله السماوات، ويُبدِّل الله ﷻ الأرض، وهذا لحكمة عالية، من أجل عباده المؤمنين، لماذا؟ حتى لا تن هد عليهم لأرض لأنه بدَّله ، فإذا تبدَّلت فمن الذي يشهد !! لا شيء، وهذا ليغفر الله لهم ويتوب عليه ، ويُدخله :

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴾ (23 الرعد .

283 صحيح مسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه
284 المطالب العالية لابن حجر عن عمير بن نيار رضي الله عنه

﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ الإنسان قبل أن يتكوَّن ماذا كان؟ لم يكن شيئاً مذكورا، وبعدها خلقه الله من نطفةٍ أمشاج، فجعله سميعا بصيرا، وبعد أن تم تكوينه نزل إلى الأرض عرياناً.

فسيكون نفس هذا الأمر هناك، سيُعيد الله تكوين الإنسان بعد أن أصبح ذرات في الأرض، نحن لو أننا فتشنا في التراب فلن نعرف تراب من هذا، ولا تراب من هذا، بسبب اختلاط التراب في الأرض، لأن المقبرة ربما يكون فيها عشرة أو خمسة عشر ميتاً مدفونين، فهل نستطيع أن نفرِّق بين واحد وآخر؟!! لا.

لكن الله ﷻ بقدرته وعظيم إرادته جعل لكل إنسانٍ ذبذباتٍ خاصة بترابه فلا يختلط بسواه، وإن كان في نظرنا نحن لا نرى ذلك، ولكن هذا فعل رب العزة ﷻ.

وجعل في الإنسان مغناطيس موجود في أسفل العمود الفقاري، وهذا لا يبلى ولا يذوب، ولا تأكله الأرض، ولا يأكله السمك إذا مات الإنسان في البحر فلا يستطيع السمك أن يأكله أو يكسِّره أو يبتلعه، ولا تحرقه النار لو وُضع في النار، قال فيه ﷺ:

{ كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَبْلَى وَيَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ }[285]

285 مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

وعجب الذنب هو الجزء الأخير في العمود الف ري في الإنس ن والذي نسميه بلغتنا الدارجة (العُصعُص) فلا يبلى، فهو مغناطيس رباني يجمع تراب الإنسان يوم يريد الله إعادته إلى الحياة كما كان، أرأيتم ماذا يفعل المغناطيس مع الحديد والمسامير ! كذلك نفس الأم ، كل واحد له مغناطيس ، وكل مغناطيس له جاذبية خاصَّ ، فلا يجذب تراب واحد آخر. وكل ذلك قدرة القادر ﷻ . وعظمة العظيم سبحانه وتعالى.

فيجمع التراب. ثم يُنفخ فتهبط الأرواح الى الأجسام التي كانت تسكن فيه . فيخرج الإنسان عرياناً، هل منا من يأخذ ثوباً يلبس ه عندما يخرج؟ أو هل يأخذ معه ما ا شتري من هناك ثو ؟ لا يوجد مثل هذا الكا م: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (9، الأعراف) ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (4، الأنعام) كل إنسان يخرج بمفرده، بدون عائلة ولا غيره، وماذا يلبس؟ قال ﷺ :

{ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام ، يَقُولُ : اكْسُوا خَلِيلِي ، فَيُؤْتَى بِرَيْطَتَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ ، فَلَيَلْبِسْهُمَا ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَسْتَقْبِلُ الْعَرْشَ } [286]

وأول ه – لتنتبهو – يعني ب د رسول الله، لربما يقول الناس غير المنتبهين أن سيدنا إبراهيم قبل رسول الله، ل ، إذا ذكر الأولِّية فيِ ون بعد رسول الله.

286 سنن الدارمي ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

فإذا كان الإنسان من أهل الجنة فسيأتون له بثياب من سُندسٍ خُضرٍ وإستبرق، فتترل فتلبس فيه مباشر ، ولا تحتاج إلى تقصير أو تطويل أو ي شيء من هذا القـ لـ: والآخر – والعياذ بالله – يلبس ثياباً من قطِران.

ولا بد أن يتمايز الناس هناك .. أما هذا فـ يشرب شربةً هنيئة مريئةً من حوض الكوثر .. ، وإذا شربها يمكث الخمسين ألف سنة للموقف العظيم ... لا يشعر بظمأٍ ولا عطشٍ ولا جوع.

والآخر يشرب من ماءٍ كالمُهل ، يعني كالزيت المغلي، يشوي الوجوه من شدة حرارته، فما بالـ ا لو نزل البطن فماذا يصنع فيها؟!!.

﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ :

هي الإعادة التي سيُحققها لنا الله، فهذا وعد الله، ووعد الله لا يتخلف . ولا بد أن يتحقَّق ، ولم يقُل: وعيد ، لأن الله لا يُخلف الوعد ، وإنما من رحمته ومن كرمه يُخلف الـ عيد، يعني يتوَّعد جماعة بالنار لكن من الجائز أن يعفوا عنهم، أو يتوَّعد جماعة بالعذاب أيضاً ربما يسامحهم ويمحوا عنهم هذا العقاب، لكن الوعد الذي وعده لا بد أن يفي به: ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ (94. آل عمران)

أي وعد وعده رب العزة فلا يُخلفه أبد .

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ :

فهذا يبين لنا منزلة القرآن وعظمته عند الرحمن ﷻ ، فأول كتاب كتبه الوهاب ﷻ في أم الكتاب هو القرآن، وبعده كتب كتب الأنبياء الآخرين كالتوراة والإنجيل وصُحف إبراهيم وزبور سيدنا داود، والزبور يعني كتاب ، ولكنه كتاب خاص بسيدنا دواود.

فالله يقول: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ :

فما الكتاب الأول هنا؟ الذكر، الذكر هو القرآن ، فهو الذي كُتب في أمِّ الكتاب في اللوح المحفوظ أولا : ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (4 الزخرف) .

بعد ذلك كتبت باقي الكتب ، وكتب فيها كلها قانون واحد ماشي في كل هذه الكتب: ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ :

والأرض هنا هي أرض الجنة، والذي سيرثُها الصالحون الذين أصلحوا ذواقم وأعمالهم ونواياهم ونفوسهم لله ﷻ .

ومعناها أيضاً أرض الدنيا، فإذا أصلح أهل الإيمان أحوالهم ملكَّهم الله ﷻ أرض الدنيا، ودانت الأرض بما عليها من دُولٍ وشعوبٍ لهم، والآية واضحة في القرآن: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾

وماذا يأخذون يا رب؟ ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

(55النور) وليس في الجنة، وما معنى الخلافة؟ يعني الخلافة عن الله، وليست لخلافة التي يتنافس عليها المشاكسين ويقولون: الخلافة الإسلامية، لا ، فنحن الخلفاء عن الله في أرض الله ﷻ .

يستخلفهم في الأرض ليُطبقوا شرع الله ، وتعاليم الله ، التي أنزلها على حبيبه ومصطفاه ، كما استخلف الذين من قبلهم من الصالحين والأنبياء والمرسلين:

﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ (55النور) وهذا الوعد سيدنا رسول الله وعدنا أنه سيتحقق في آخر الزمان إن شاء الله، وبدت لوائحه تظهر في الأُفق إن شاء الله، قال فيه ﷺ :

{ وَتُمْلأُ الأَرْضُ مِنَ الإِسْلامِ ، وَيُسْلَبُ الْكُفَّارُ مُلْكَهُمْ ، وَلا يَكُونُ مُلْكٌ إِلا لِلإِسْلامِ }[287]

وكما ورد بكتب التفاسير كلها بمعانى مترادافة فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَو كَرِهَ الكَافِرُونَ ﴾ (8 الصف) :

فإن الله تعالى إذا كان آخر الزمن أفنى جميع الملل والنحل ولم يبق إلا الإسلام ...

وهذا على وشك أن يحدث إن شاء الله، لأن الله وعد النبي وقال فينا أمة النبي:

287 مسند الروياني عن أبي إمامة رضي الله عنه

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (28 الفتح)

وهل ظهر على الدين كله من عصر رسـ ل الله' لا

فلا بد أن يأتي يوماً ويظهر دين ربي على سائر الأديا. كيف !

ليس عند الله كيف لأنه فعَّالٌ لما يُريد:

ما بين طرفة عينٍ وانتباهتها	يُبدِّل الله من حالٍ إلى حال

وأنتم ترون هذه لبوادر وقد ظهرت :

فالأقوام الذين يتحدى بعضهم بعضاً ... يريدون أن يُؤججوا حرباً عالمي :

وهذه الحرب العالمية سيستخدموا فيها كل الأدوات الجُهنمية التي ؛ ترعوها لكي يُبيدوا بها البشرية !!! كما يخططون ....

وبعد ذلك سيتنزَّل الله ﷻ للمؤمنين بروحٍ من عند :

فتتحوَّل الإنتكاسة التي في صدورن ، والحُزن الموجود في قلوبـا، والتفرقة الموجودة في شعوبنا، .. كل هذه الأمور سيُزيلها رب العزة ﷻ ، ..... ويتجمَّعوا ليُمـّ ن الله ﷻ لهم في الأرض، وتكون الأرض كلها للإسلام وليس عليها إلا من يقول (إله إلا الله محمدٌ رسول الله).

﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ :

هذا الكلام الذي سمعناه الآن أفلا يُنعش الإنسان ويبعث فيه الأمل !

إن كان في الدنيا أو في الآخرة، وفي الآخرة سنرى ماذا جهَّز الله لنا؟

وإن حيينا في الدنيا إن شاء الله فماذا سنرى؟ كل هذا جهَّزه الله لنا في هذه الآيات من أجل سيدنا رسول الله ﷺ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (4. الحج)

17 جنات القرب [288]

dddddddddddddddddd

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ :

لو كان الكلام على الجنات التي في الدار الآخرة فقط كان أولى بالكلام أن يقول: إن الله سيُدخل ، أو سوف يُدخل ، للمستقبل، لكن الله يقول:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ﴾ :

يعني في الوقت والحين :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ :

والجنات من الدنيا، ومن دخل الجنة هنا نال المُنى في الجنان العالية هناك، ومن جالس أهل الجنة هنا كان معهم على الأرائك في الدرجات العُلى من الجنَّات هناك، وهذه الجنات أشار إليها سيدنا رسول الله ﷺ لمن يفقه فقال ﷺ :

---

288 المنيا – العدوة – قرية العنبر 14 من محرم 1438 هـ 15/10/2016 م

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قَالُوا : وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ : حِلَقُ الذِّكْرِ }[289]

وفي رواية أخرى:

{ مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحِلَقُ الْقُرْآنِ }[290]

وفي رواية أخرى:

{ مَجَالِسُ الْعِلْمِ }[291]

فهذه الجنان العاجلة التي من دخلها يحظى بفضل الله وإكرامه بنعمٍ روحانية إلهية عاجلة تجعله لا يحتاج إلى الزخارف التي في الجنات الآجلة.

فالمؤمن الحريص على بلوغ المراد يكون دائماً حريصاً على أنه طالما في الدنيا وفيه أنفاسٌ يتقلب في الجنان، إما جنة الذكر، حتى ولو كان بمفرده، لأنه لو ذكر بمفرده أيضاً أصبحت جنة، والملائكة تُحيط به من كل جانب:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ فُضُلا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُمْ }[292]

---

289 جامع الترمذي ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه
290 الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس رضي الله عنه
291 المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
292 جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

و ما في تلاوة قرآن ،،،

وإما في الصلاة على حضرة النبي وهي ذكر ...

وإما في مدارسة العلم.

يُروى عن أحد العلماء الأفذاذ، وكان من التابعين، وكان محبيه يطلبون منه أن يجالسهم بعد صلاة، فيقول لهم: لي جُلساء في تظاري لا أستطيع أن أستغني عنهم، فذات مرة سأله أحد هـ : من هم جلساؤك هؤلاء؟ فقال ا : أُجالس أصحاب رسول الله، قال: كيف؟ قال: في أحاديثهم وحكا هم ورواياهم ، فكيف أترك مجالسة أصحاب رسول الله وأجالسكم من أجل القيل والقال والغيبة والنميمة وما شابه ذلك !!.

هذا حال ا ؤمن مع الله، إما أن يجالس الله يقرأ في كتاب لا ، ويتدبر في الآيات التي نزلها علينا حضرة الله، أو يُ لمس بين يدي سيدنا رسول الله فيقرأ أحاديثه ويفقهها، ثم يشكر الله على هذه النعمة فيُكثر من الصلاة والتسليم عليه.

ويستحضر أثناء ذلك أنه بين يديه من الصلاة ا وصِّلة، وليس في حالة غيبة، ولكن في حالة است ضار، والإستحضار ينقلب إلى حضور.

وإما أن يُجالس أصحاب النبي الكريم والأولياء والصالحين، ،،،، فيذكر أقوالهم وأفعالهم لأجل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم	إن التشبُّه بالرجال فلاحُ

وإما أن يجالس أهل العلم والخشية الأحياء، لأن الخشية تُكتسب من : السة أهل الخشية، وليس لها طريق غير هذا، يكون الإنسان من أهل الخشية إذا جالس أهل الخشية.

وإما أن يجالس الصادقين الذين جعلوا الدنيا بما فيها خلف ظهورهم، وأقبلوا بصدقٍ على رب العالمين خلف سيد الأولين والآخرين ﷺ .

وهؤلاء يُعبِّر أحدهم عن هذا الحال فيقول: **((إن لله جنةً عاجلة من دخلها لايحتاج إلى الجنة الآجلة، قيل: وما هي؟ قال: المعرفة بالله تعالى))**

من يعرف الله يعيش في الجنة، لماذا؟ لأنه يكون دائماً حاله من باب: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (34فاطر) سيُسرِّي الله عنه دائم ، ويُفرِّج عنه دائم ، ويعيش في راحة البال بالقرب من الواحد المتعال.

إذا جالس أو جانس أو آنس أي فردٍ أو جماعة وهم ليس عندهم في قانونهم ولا في جلوسهم غيبة أو نميمة أو قيل ، قال ، ولا حب شُهر ، ولا رغبة في سُمع ، ولا إيذا ، ولا ازدراء لأحدٍ من المسلمين ...

فتكون مجالسهم ينطبق عليها قول رب العالمين: ﴿ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴾

(الغاشية) ليس عندهم وقتٌ لهذا اللهو، لأنهم من البداية : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ (3 المؤمنون)

أعرضوا عنه من البداية فكيف يخوضون فيه؟!!.

فمجالسهم في الجنة، وأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم كلها في الجنة، لأنهم يعيشون في الجنة المُعجَّلة التي وصفها الحبيب ﷺ .

حتى الشيخ بن تيمية رحمة الله عليه عندما سُجن ذهب إليه جماعة من أحبابه يزورونه فسألوه: هل أنت حزين هنا؟

قال لهم: لا، جنتي معي في صدري حيثما توجَّهتُ فهي معي.

الجنة معي بداخلي، وهي جنة الرضا عن الله، والإكثار من ذكر الله جل في عُلاه: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ (152 البقرة) .

فمن يُرد أن يكون من أهل الجنان العالية الراقية يُعوِّد نفسه من هنا أن يعيش في هذه الجنة، ولا يترك الجنة طرفة عينٍ ولا أقل.

حتى ولو نام، ينام على الهيئة التي وصفها لنا الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، كلنا ننا ، لكن هناك من يُؤذن لروحه أن تسبح في الملكوت الأعلى إلى قاب قوسين أو أدنى، وهناك من لا يؤذنُ لروحه فيبحث هنا وهناك في المشاكل والمشاغل والدنيا والملاهي والملاعب ويدخل الش طان يخيفه والنفس تُحزنه، لأنه لم يتهيأ للنوم بما عرفنا وعلمنا سيدنا رسول الله ﷺ في نوم الذي يكون قُربة لحضرة الله.

فحتى وهو في النوم ستسبح روحه في الجنان، ويُصبح في الصباح كما كان سيدنا رسول الله يفعل ذلك مع أصحابه الذين مشوا كلهم على هذا النهج إلا المنافقين، والمنافقون كانوا معروفين، فأصحاب رسول الله ك وا يعرفون المنافقين لأن أحوالهم واضح ، وذكرها الله في القرآن.

كيف كانت حوالهم واضحة؟ أحوالهم ك يرة في القرآن، لكن العلامة البارزة فيهم أنهم يراءون ويتظاهرون بأفعالهم أمام ضرة النبي ، وهم جُهلاء لأنهم غير مدركين أنه يرى بالله ﷻ .

أو يتظاهرون أمام صحبه الكرا ، فيذهبون للصلاة معهم ويحضرون مجالسهم ظناً منهم أنهم يخادعونهم، والله ﷻ كذبَّهم فقال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ (البقرة) لأن الله مطلع ويرى، والأعمال بالنيات.

لكن الصادقين كان حضرة النبي في كل ليلة بعد صلاة الفجر يلتفت إليهم ويسألهم:

{ أَيُّكُمْ رَأَى اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ }[293]

لأنه يعلم أنهم كانوا سابحين في الملأ الأعلى، لماذا؟ لأنه لم يلوث يومه ولا ليلته بما يباعده عن الرُقيِّ إلى حضرة الله، والسياحة في ملكوت الله جل في عُلاه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (75 الأنعام) هل هو وحده؟ لا، بل وأهل الإيقان: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (75 الأنعام) ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (التكاثر) .

فكانوا كلهم كذلك، ولذلك في التشريع حضرة النبي أقرَّ بعض التشريعات من رؤياهم المنامية، وأولها الأذان، كيف عُرف الأذان؟ رآه سيدنا عبد الله بن زيد وحكاه لسيدنا رسول الله، وعندما سمع سيدنا عمر الأذان أسرع وجرى على رسول الله وقال: والذي بعثك بالحق لقد رأيتُ مثل الذي رأى . وغيره وغيره. ما هذه الأرواح ! هؤلاء يقول في أشباههم وأمثالهم الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه:

293 اتحاف المهرة ومسند أحمد

في الأرض أجسامهم والعرش	قلوبهم صفت والله هاديها

جالسين على الأرض، ولكن أين القلوب؟ في عالم العرش، مرَّ سيدنا رسول الله بمسجده المبارك وكان الإمام عليٌّ نائماً، ومسجد حضرة النبي في أطوراه الأولى لم يكن فيه فرشٌ، لا يوجد غير التر ب، فلما أرادوا أن يجدِّدوه ذهبوا إلى وادي العقيق بجوار المدينة، وهو واد مبارك، والنبي قال فيه :{ **الْعَقِيقُ وَادٍ مُبَارَكٌ** }[294] ، وجمعوا كمية من الحصى منه وفرشوا به المسجد ، فسيدنا عليٌّ كان نائم ، فأحد أصحاب النبي قال له: عليٌّ نائم فهل أُوقظه؟ قال لهم ما معناه: { دعوه فعليٌّ وإن كان جسمه على الثرى، إلا أن قلبه بالملأ الأعلى } ، دعه ليشاهد، هؤلاء هل كانوا محتاجين لتلفزيوناتنا؟

وهل كانوا محتاجين للفضائيات التي نراها؟ .. لا !!

فهي لا تجلب لنا إلا البلاء والعناء والوباء، وهي السبب الرئيسي في ضياع البنات والأبناء في هذا الزمان الذي نعيش فيه ...

ما لذي جعل الأولاد كلهم يتخبطون في زماننا هذا؟ هذا البلاء الذي حلَّ بنا جماعة المؤمنين ، لأن الذي صنعه الشياطين، ومن الذي يتحكَّم فيه؟ الشياطين، وجعلوه منفعة لهم فيستفيدوا من هذه المنفعة ويضلون به المؤمنين والعياذ بالله ﷻ .

---

294 تاريخ المدينة لابن شبة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لكن ؤلاء في الليل في حضرة الملكوت الأعلى :

فمنهم من يأخذ سياحة في الجنة، ومنهم من يأخذ سياحة في اللوح المحفوظ ويقرأ منه بعض الرموز، ومنهم من يأخذ سياحة في سماء من السماوات ويقابل بعض الملائكة ويتعرَّف عليهم ويصادقهم ويستفيد منهم علوماً وأسراراً وأنواراً.

فهذا ـ ن حال أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من الصالحين والأخيار والأطهار إلى يوم القرار.

كل ما في الأمرأنه جعل نفسه تعيش في الجنة على الدوام، والجنة كما قال الله :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ و يست جنة واحدة، بل ج ـات ومتنوعة.

﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ :

أنهار المعارف ، وأنهار العلو ، وأنهار الحكم ، وأنهار الكشف ، وأنهار الحقائق ... أنهار لا عد لها ولا حد لها ؛ ن فضل الله ﷻ تُفاض على قلو ـم، ومن قلوبهم إلى صدورهم، وقد يخرج منها شيء من صدورهم على ألسنتهم لأح ـابهم إذا كان عندهم القوابل ا نورانية التي تعي هذا ا يض الذي أنزله الله ﷻ عليهم،

أين هذا الكلام في القرآن؟ ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ﴾ (49 العنكبوت)

ليس آياتٌ فقط، بل الآية ومعها البيان ومعها العلم، من أين أوتوا العلم؟

من عند العليم ﷻ، من باب: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ (282 البقرة) ومن باب:

﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ (65 الكهف).

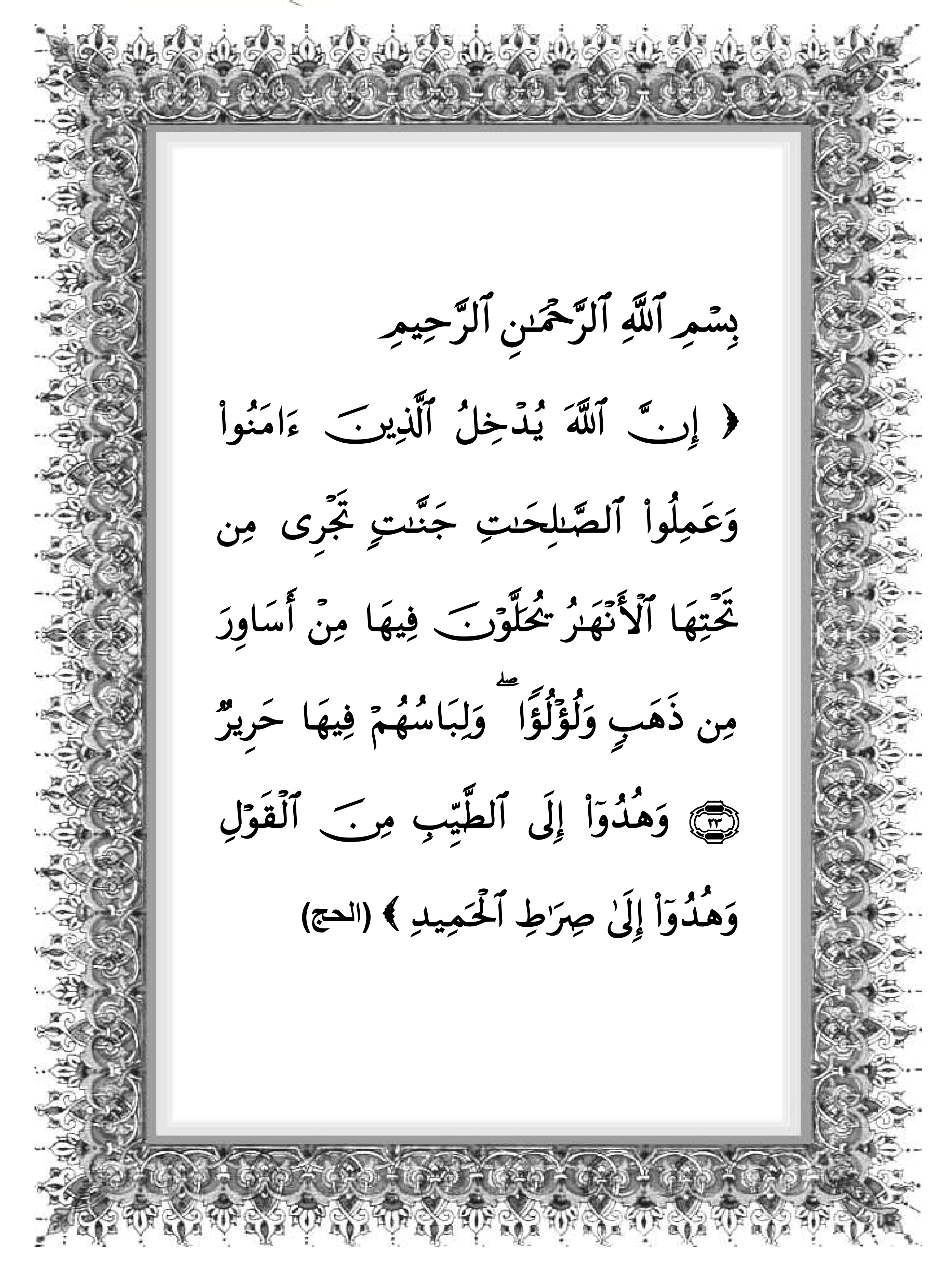
ما البداية هنا؟

أن يحفظ الإنسان نفسه من الغواية، يحفظ نفسه من أهل الغواية، دائماً لا يتنقَّل إلا من جنة إلى جنة، من جنة طاعة إلى جنة رضا إلى جنة علم إلى جنان القرآن إلى الجنان التي لا عد لها ولا حد لها في طريق الرحمن.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا أهلاً لذلك ....

وأن يزيدنا في ذلك، وأن يجعل أحوالنا كلها كذلك، ونسأل الله ﷻ أن يُدخلنا هذه الجنان بالروح والجسم والكل ظاهراً وباطناً

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ۝٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ (الحج)

8| أهل التحلِّي[295]

ddddddddddddddddd

بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله الذي أعد لنا في الجنة ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والصلاة والسلام على مفتاح الجنة، وأول من يدخل الجنة؛ سيدنا محمد القائل صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ، لا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ } [296]

من هو مفتاح الجنة؟

رسول الله ﷺ ، لم يقُل: لك أُمرت أن أفتح، ولكن قال: (بك) يعني أنت المفتاح، فلو أن هناك مفتاحٌ آخر لقال: لك أُمرتُ أن أفتح، ولكن قال: (بك) يعني أنت المفتاح الذي جعله الكريم الفتاح مفتاح للجنة والنعيم المقيم للمؤمنين أجمعين.

صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين وارزقنا يا ربنا جوار حضرته ﷺ أجمعين في دار النعيم.

---

295 المنيا – مغاغة – مسجد أبو العزائم 15 من محرم 1438هـ 16/10/2016م

296 صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس رضي الله عنه

سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، كان في مناجاة مع مولاه ﷻ ، ونحن نعرف أن موسى كان كليم الله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ (164النساء) وليس معني أن الله كلَّمه سيكون بكلامٍ ككلامنا، لا، فقد قال ﷺ :

{ لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ الطُّورِ ، كَلَّمَهُ بِغَيْرِ الْكَلامِ الَّذِي كَلَّمَهُ بِهِ يَوْمَ نَادَاهُ ، فَقَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ هَذَا كَلامُكَ الَّذِي كَلَّمْتَنِي بِهِ ، قَالَ : يَا مُوسَى ، إِنَّمَا كَلَّمْتُكَ بِقُوَّةِ عَشَرَةِ آلافِ لِسَانٍ وَلِي قُوَّةُ الأَلْسِنَةِ كُلِّهَا ، فَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَالُوا لَهُ : صِفْ لَنَا كَلامَ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : لا أَسْتَطِيعُ أَلَمْ تَرَوْ إِلَى أَصْوَاتِ الصَّوَاعِقِ تُقْبِلُ فِي أَجْلَى جَلاءٍ يَسْمَعُونَهُ ، فَإِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْهُ وَلَيْسَ بِهِ } [297]

كان يسمعه بكل جوارحه، أي جعل الله كل حقائقه سمع، وليست الأُذن فقط، لا بل العين تسمع والشعر يسمع واليد تسمع والرجل تسمع وكل أعضائه صارت مسامع لحضرة السميع ﷻ .

297 حلية الأولياء لأبي نعيم والبيهقي عن جابر رضي الله عنه

أعجز الناس

فينادي موسى ربه ﷻ ويقول له: يا رب من أعجز الناس؟ قال الذي يطلب الجنة بغير عمل، ويطلب الرزق بغير دعاء.

من ا عاجز؟ الذي يريد الجنة ويتكاسل عن الأعمال التي أمر بها رب الجنة، والتي تعطيه شهادة صلاحية أنه يستحق أن يكون من أهل الجنة: ﴿ تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(3ا الأعراف .

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (6ـ فصلت) لا بد ن ينال شهادة صلاحية، وكيف ينال شهادة الصلاحية؟ ينفذ ما طلبه منه الله، وينتهي عن النواهي التي نهى عنها مولاه، ويسير متابعاً لحبيب الله ومصطفاه، فيكون بذلك استوجب دخول الجنة، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ومع ذلك سيعمل، لّ نه لو نظر إلى أنه له عمل، وأنه يستحق على هذا العمل ثواباً أو أجراً، فيكون قد أخطأ القصد، لأن العمل لو وزنه ملك الملوك ﷻ بميزان العدل فأين عملنا الذي ينجينا؟!!.

لأن الأعمال - كما نرى في ركعتي الصلاة مثلا - نجد التائهة والمفقودة كلهم يحضرون عند الصلاة، من يقرأ الفاتحة مكان التشهد، ومن يقرأ التشهد مكان الفاتحة، ألا يحدث ذلك؟! فعندما يحاسبنا يقول لنا: قلت لكم: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (5البينة) تعالوا نزن هذه الأعمال بميزان الإخلاص، أين نذهب من هذا الميزان؟! .

معونة الله

لذلك يجب أن نعتقد تمام الإعتقا :

أننا حتى لو عملنا فهذا نتيجة توفيق الله لنا، ومعونة الله لنا، وإمداد الله بالحول والطول لنا، فلو تخلَّت عناية الله ﷻ عنا فهل يستطيع لسانٌ فينا أن يذكر الله؟!

لا، لأن الذي يحركه هو الله ﷻ ، من الذي يُلهمه في ذكر؟ الله.

فنحن نحتاج دائماً إلى الدرس الذي يكرره لنا الله في كل ركعة من ركعات الصلاة لكي نستوعبه ونتتبه له ونقوله كلنا: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥ الفاتحة :

فلو لم يعيننا على العبادة فهل يستطيع أحدٌ منا على العبادة؟! لا، فالموضوع يحتاج لى توفيق الله ومعونة الله ورعاية الله، وإمداد الله وقوة الله وحول الله، يمدنا به لكي نستطيع أن نعبد الله جل في عُلاه.

لو أخذ الله ﷻ ما شملنا به من رعايته، فما الذي يبقى لنا في العبادات؟! ليس لنا شيء غير السهو والنسيان والغفلة والذنوب والمعاصي، لكن الأشياء الطيبة كلها من ملك الملوك ﷻ ، فهو سبحانه وتعالى يُتممها لنا.

فضل الله علينا

فلماذا يعطينا هذه العطايا العظيمة، ويترك غيرنا في الضلالة والغواية؟!

ذلك لنعرف فضل الله علينا، ورحمة الله بنا، ومعزتنا عند الله تبارك وتعالى، خصَّنا نحن بهذه الألطاف الخفية، وبهذه النعم الإلهية الوفية، عطيَّةً من عنده ﷻ ، وخصوصية لنا لأننا آمنا بالله، وصدقنا بحبيبه ومصطفاه، وكنا على قدرنا ننوي طاعته جل في عُلاه.

ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ .... لما وجد أن كثيراً من أصحابه ... مجدين ومجتهدين في العبادات : ... منهم من يقوم الليل كله، .... ومنهم الصائم على الدوام، .... ومنهم الذي لا يكلُّ ولا يملُّ عن تلاوة القرآن، .... ومنهم من يكون لسانه رطباً بذكر الله على الدوام، فأراد أن ينبههم فقال:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ : وَلا أَنَا ، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ } [298]

298 مسند أحمد عن أبي ريرة رضي الله عنه

وفي رواية اخرى:

{ إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلٍ }[299]

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس 58) والمؤمن ينتبه لهذا جيداً، فمهما يجمع من الحسنات، ومهما يستكثر من الطاعات، ومهما يُقبل على الله ﷻ بأصناف العبادات، إلا أنه يرى أن عناية الله أعظم، ولُطف الله أكرم، ورحمة الله أكبر: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ (النور 21).

هذا حال المؤمنين المفلحين الصادقين، الذي رباهم عليه سيد الأولين والآخرين، المؤمن الذي يعيش في هذه الحالة فهل يغترَّ على غيره؟! وهل يتكبَّر على أحدٍ سواه؟! وهل يظن في نفسه أنه خيرٌ من أحدٍ من خلق الله؟! لا، لأن معه الميزان الذي أنزله الرحمن، والذي وثَّقه ووضَّحه النبي العدنان ﷺ.

لكننا والحمد لله عرَّفنا الله ما لنا عنده لكي نزيد في الثقة في الله، ونستكثر من طاعة الله، ونبتعد عن معاصي الله، وهذا فيه النجاح والسعادة لنا في الدنيا، والفوز والفلاح يوم لقاء الله ﷻ.

---

299 معجم الطبراني عن طارق بن شريك رضي الله عنه

وصف الجنة

فالله ﷻ ، صف لنا الجنة وصفاً تفصيلياً لنعرف أين نحن ذاهبون، وزاد بأن أخذ النبي ﷺ وأشهده على ما جهزَّه لنا في الجنة، ورآه رأي العين، فرأى كل شيء، كمن يريد أن يطمئن على جهاز العروس قبل الزواج.

فاطمأن على سكننا، وعلى مالنا في الجنة، وعلى مُتعنا التي أوجدها الله لنا في الجنة، فأخذه الله سبحانه وتعالى ليريه مكانة المؤمنين في الجنان، فكأن الله قال له: يا محمد أتدري لَمَ أرسلتُ إليك؟ لأريك جنتي لتشهد ما أعددتُ فيها لأوليائي، وأريك ناري لتشهد ما أعددتُ فيها لأعدائي، وأكشف لك عن جمالي، لتعلم أني منزَّهٌ في كمالي عن النظير والا زير والمشير، والضد والند، فرآه ﷺ بالنور الذي قوَّاه به مولاه إلهاً واحداً أحدٌ فردٌ صمد، لا في شيء، ولا من شيء، ولا على شيء، ولا مفتقر إلى شيء، ولا محمولاً على شيء: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(1. الشورى .

وحتى أنه ذكر لأصحابه بعضاً مما لهم في الجنة، لكي يحقق لنا أن ما رآه حقٌ عند الله، أيضاً كما رُوي في الحديث الصحيح لما تحدث النبي ﷺ في وصف الجنة فكان يقول لهم:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ وَأَنَا أُصَلِّي }[300]

فكان ﷺ يصف عن عيان، لا عن غيبة، بل ما يراه وما يُشهده له مولاه، لأن الله ﷻ جعل له عيناً مضيِّة قال فيها في الآيات القرآنية: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ (108 يوسف) يدعو إلى الله علي بصيرة ﷺ ، فذات مرة قال لهم:

{ وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا؟ ، فَقَالَ لِعُمَرَ : فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ ، فَقَالَ عُمَرُ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ }[301]

انظر للُّطف النبوي، والحديث الأبوي، حديث شيِّق فيه لُطف، وفيه مداعبة من النبي صلوات ربي وتسليماته عليه.

---

300 البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه
301 البخاري ومسند أحمد عن جابر رضي الله عنه

وقال في بلال:

{ يَا بِلالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ } [302]

أخذ هذه المنزلة لأنه محافظ على الوضوء دوماً، فعندما يُحدث يتوضأ، فإذا توضأ لا بد وأن يُصلي، وفيها حديث وإن كان ضعيفاً، ولكن تقويه الرواية الصحيحة، يقول فيه ﷺ عن الله ﷻ :

{ مَنْ أَحْدَثَ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ فَقَدْ جَفَانِي ، وَمَنْ تَوَضَّأَ وَلَمْ يُصَلِّ فقدْ جَفَانِي ، وَمَنْ صَلَّى وَلَمْ يَدْعُنِي فَقَدْ جَفَانِي ، وَمَنْ دَعَانِي وَلَمْ أُجِبْهُ فَقَدْ جَفَيْتُهُ ، وَلَسْتُ بِرَبٍّ جَافٍ }

أنا عندي الرحمة والمغفرة واللُطف والإكرام، ولكن أريد من الناس أن تقابلني بمثل هذا.

---

302 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فضل الله على نبيه

فسيدنا رسول الله ﷺ كان من فضله عند ربه أن الله ﷻ وهو في الدنيا جاءه وهو في مكانه بكسوة الملوك كلها، فعندما كان مهاجراً للمدينة،ودخلها بعد سفر أسبوع، والجو كان حراً، ويحتاج الإنسان لتنظيف الجسد وتغيير الملابس من غبار الصحراء، والهواء الذي يأتي بالرمال.

وإذا به وهو داخل للمدينة يأتي إثنين من تجار المسلمين؛ سيدنا عبد الرحمن بن عوف وسيدنا الزبير بن العوام ﷺ ، فقال له أحدهما: لا تدخل المدينة بهذه الهيئة، إني كنتُ في سوق من أسواق الشام، ورأيتُ ثوباً من أثواب الملوك يُباع، فقلتُ: هذا الثوب لا يليق به إلا رسول الله ﷺ ، وها هو الثوب.

وجاء الثاني وقال: يا رسول الله وأنا في سوق بيت المقدس وجدتُ ثوباً من أثواب الملوك فقلتُ: هذا لا يليق إلا برسول الله وها هو، فأخذ النبي ﷺ الثوبان، ولبس أثواب الملوك، ودخل المدينة.

وفي هذا الوقت كَانَتْ قُرَيْشٌ جَعَلَتْ مِائَةً مِنَ الإِبلِ لِمَنْ يأتي بالنبي ﷺ ، فأحدهم كان شاباً فتي من عائلة إسمها عائلة أسلم، جمع سبعين رجلاً من الشباب، وقال لهم: تعالوا نقبض على هذا الرجل وننال جائزة المائة جمل، ومعهم السيوف والرماح والخيول وقابلوا رسول الله ولم يكونوا يعرفوه، فبادره رسول الله ﷺ وقال له:

{ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : أَنَا بُرَيْدَةُ ، فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، بَرَدَ أَمْرُنَا وَصَلُحَ ، ثُمَّ قَالَ : وَمِمَّنْ؟ . قَالَ : مِنْ أَسْلَمَ ، قَالَ لأَبِي بَكْرٍ : سَلِمْنَا ، ثُمَّ قَالَ : مِمَّنْ؟ قَالَ : مِنْ بَنِي سَهْمٍ ، قَالَ : خَرَجَ سَهْمُكَ ، فَقَالَ بُرَيْدَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، فَقَالَ بُرَيْدَةُ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَأَسْلَمَ بُرَيْدَةُ ، وَأَسْلَمَ الَّذِينَ مَعَهُ جَمِيعًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ بُرَيْدَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : لا تَدْخُلْ الْمَدِينَةَ إِلا وَمَعَكَ لِوَاءٌ ، فَحَلَّ عِمَامَتَهُ ثُمَّ شَدَّهَا فِي رُمْحِهِ ، ثُمَّ مَشَى بَيْنَ يَدَيْهِ }

فدخل المدينة دخول الملوك الفاتحين: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (8 المنافقون)

فسيدنا رسول الله ﷺ كان في شجاعته لا يدانيه أحد، حتى في موقعة حُنين لما تركه الجيش، تقدم سيدنا رسول الله إلى الأعداء وقال لهم:

{ أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ }[303]

وضرب لأصحابه مثلاً ذات مرة، عَنِ الْبَرَاءِ بن عازب ﷺ، قَالَ :

{ أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَوْبُ حَرِيرٍ، فَجَعَلْنَا نَلْمُسُهُ وَنَتَعَجَّبُ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ قُلْنَا، نَعَمْ، قَالَ: مَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا }[304]

يعني وهو ينظر إلى قصور سعد ليطمئن عليها وجد في دواليبها مناديل أرقُّ، أنعم من حرير الدنيا، لكي يعرِّفنا أن ما عند الله خيرٌ وأبقى لنا أجمعين.

---

303 البخاري، ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه
304 البخاري ومسلم

منازل الجنان

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ ﴾ :

ليست جنة واحدة بل جنات، منها جنة الخُلد، ومنها دار السلام، ومنها عدن، ومنها جنة المأوى، ومنها الفردوس ... جنان لا عد لها ولا حد لها، يقول حضرة النبي ﷺ واصفاً نعيم طائفة واحدة من الأمة وهم الشهداء:

{ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ }[305]

وهذا للمجـ هدين فقط، ولهم ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض، فما بالكم بالقانتين؟! وأين التائبين؟! وأين العابدين؟! وأين الصابرين؟! وأين الراضين؟! وأين الزاهدين؟! وأين المصلين؟! وأين الصائمين؟! فكل نوع من هؤلاء لهم نعيمٌ لا ينفد عند ملك الملوك ﷻ في الجنة، و لذلك قال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ ﴾ :

305 معجم الـ برانى عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه

وليست جنة واحدة.

ونأخذ صنفاً آخر منهم: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (46 الرحمن) من يخاف من الله فكم له من الجنان؟ له أربع جنان، لأن الآية تقول بعد ذلك: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (62 الرحمن) وحضرة النبي وصفهم فقال:

{ جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا }[306]

فالله ﷻ من إكرامه للمؤمنين جعل لكل مؤمنٍ جنان لا عد لها ولا حصر لها، على حسب تقواه وعمله الصالح الذي يتقرب به إلى الله.

﴿ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ :

وصف ما للمؤمن في الجنة في هذه الآية الصغيرة، وصف المكان والحلية التي يتحلَّى في هذا المكان، واللباس الذي يلبسه في هذا المكان، فالجنان تجري من تحتها الأنهار، والأنهار كما ذكرها الله في القرآن:

306 البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ (15 محمد) والأربعة في مجرى واحد، ولا يختلط اللبن بالعسل، ولا العسل بالخمر، وخمر الآخرة غير خمر الدنيا، فخمر الدنيا تُغيِّب العقل، أما خمر الآخرة فإنها تُهيئ الإنسان للتجليات والعطاءات التي يُفيضها عليه حضرة الرحمن ﷻ ، ولذلك قال ﷺ :

{ مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا ، حُرِمَهَا فِي الآخِرَةِ } [307]

وهناك لا يقدر على تحمُّل التجليات الإلهية، ولا الخصوصيات الربانية إلا إذا سُقي من الخمرة الإلهية الجنانية التي جهزها الله ﷻ لعباده المكرمين المتقين.

---

307 البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

حِلية المؤمن في الجنة

وما حليتُهم هناك وما زينتهم؟

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ :

والكلام في هذا الباب لا تهضمه العقول، ولا تلحقه النقول، ولا يستطيع الإنسان التعبير عنه إلا كما قال حضرة الرسول ﷺ :

{ إِنَّ اللّهَ ﷻ أَعَدَّ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ }[308]

لربما يظن أحدٌ أن الحليَّ كأساور النساء هنا في الدنيا!، فالأمر ليس كذلك، وهل يلبس الرجال مثلما تلبس النساء في الدنيا؟ لا، فالكلام لا نستطيع ذكره ولا تفصيله ولا وصفه، لأن ذاك لا تطيقه عقول أهل الدنيا، لأن هذا نعيم الله ﷻ الذي جهَّزه الله للمتقين.

وما الملابس التي يلبسونها هناك؟ هي الملابس المحرمة عليهم في الدنيا: ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ ونحن نعرف أن الحرير محرَّم على الرجال في الدنيا، فسيدنا رسول الله أمسك بالذهب والحرير وقال:

---

308 صفة الجنة لأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ أُحِلَّ الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ لإِنَاثِ أُمَّتِي ، وَحُرِّمَ عَلَى ذُكُورِهَا } [309]

وماذا ألبس؟

نلبس كما لبس حضرة النبي، كان خاتمه ودبلته من الفضة، فنلبس الفضة، لكن الذهب خُصَّ بالنساء، ونحن ممنوعين أن نتشبَّه بهن في هذا الباب.

بعض الناس يتساهل ويقول: ليس فيها شيء أن نلبس ولو دبلة من الذهب!! وآخر يقول: أنا ألبس خاتم من ذهب، حتى لو ذهبت إلى مكان وضاع مالي أجد معي مخرج، فأبيع الخاتم لكي أرجع لبلدي أو أقضي مصلحتي!! فنقول لهؤلاء: قال الله: ﴿ شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (12الأنعام) من أين أتيتم بهذا الكلام؟!! كل هذا لأنك مُصرٌّ أن تخالف رسول الله، وتُخالف ما جاء في شرع الله، وتلبس ما نهى عنه رسول الله ﷺ ، مع أن الله قال لنا: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾ (54النور) وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (7 الحشر) .

309 سنن النسائي والترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه

علامات أهل الجنة

هذه الجنة كيف نصل إليها؟ بعد الأعمال الصالحة التي عملناها والفرائض التي قمنا بها لله، جاء لنا الله بشيئين مختصرين، وأي إنسان يستطيع أن يعملهما ويقوم بهما ليضمن الجنة العالية إن شاء الله.

العلامة الأولى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ :

ما علامة أهل الجنة في الدنيا؟ ... وكيف نعرف أن هذا الرجل من أهل الجنة؟

لا يخرج من فيه إلا الكلم الطيب، موعظة، أو حكمة، أو نصيحة، أو توجيه سديد بطريقة سديدة، أو بكلام يُطمئن الخائف، أو كلامٌ يُذهب الجزع عن أهل الفزع، أو كلامٌ يُهدِّئ روع الخائفين، أو كلامٌ يُصبِّر المنكوبين، أو كلامٌ يواسي أصحاب المصائب إن كان مصيبة الموت أو غيرها ... فلا يخرج من فيه إلا الكلم الطيب الذي يُوضع في ميزان حسناته عند ربه ﷻ .

ولذلك حضرة النبي في أكثر من حديث كان أهم شيء يُوصي عليه اللسان، فإذا حافظتُ على الفرائض وأزيد أيضاً في إحياء الليل، وأصوم بعض الأيام الفاضلة، وأتلو القرآن، ولكن لساني ليس له فرامل، كلما جلستُ في مجلس مع جماعة نقول: فلان كذا وفلان كذا، وهذه غيبة ونميمة، فأنا بذلك كالرجل الذي يتقاضي في اليوم عشرة آلاف جنيه ويصرف في اليوم عشرين ألف جنيها، فيظل مديناً.

فأنا ما أُحصِّله من العبادات لن يُعوضني كلمة واحدة غيبة في حق رجلٍ من عباد الله المؤمنين، لأنني مرهونٌ به، فلا بد أن يسامحني ولا بد أن يعفو عني، وإلا سيأخذ من حسناتي، فإذا فنيت الحسنات يقول لي: احمل عني سيئاتي، وهذا ما حذَّرنا النبي ﷺ منه، وهذا الصنف الذي كثُر في هذا الزمان، وهؤلاء هم المفلسون.

أصحاب رسول الله ﷺ كانت عبادهم قليلة، ولكنهم كانوا متحكمين في اللسان بحيث لا يقع في عباد الله أبداً.

ذهب رجل لسيدنا أبي بكر لكي يحكم له في قضية، وسيد ا أبو بكر كان مُعيِّناً سيدنا عمر قاضي، فالقاضي لم يكن موجوداً فحكم مكانه، وبعد أن أنهى الرجل قضيته وخرج قابل سيدنا عمر، وقال له: كنت عند أبي بكر وعندي قضية كذا، وحكم بكذا، فقال سيدنا عمر: الحكم في هذه القضية كذا، فدخل الرجل - إن كان بعفوية، أو كان بخُبثٍ ونفاق، فالله أعلم - على سيدنا أبي بكر وقال له: أنت الخليفة أم عمر؟! قال له: أنا الخليفة واعمل بما قضى به عمر.

كانوا موفقين، قضى على الفتنة في طرفة عين، فماذا يقول الآخر بعد ذلك؟!! فقد إنتهت الفتنة، لماذا؟ لأنه عرف أن الرجل كان يبغي الفتنة، لأنهم كانوا ينظ ون بعين السريرة المنيرة:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ } [310]

وكانت أحياناً تحدث بين الصحابة خلافات في الرأي، وفي المبدأ العام، لكن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، أنا اختلفت معك فليس معنى ذلك أن أُهاجمك، أو أشتمك، و آخذ منك موقفاً، أو أخاصمك، أو أهجرك، لم يكن عندهم هذا الكلام، بل أنت لك رأيك، وأنا لي رأيي، والرأي يُحترم، والعلاقات لا تتأثر بهذه الكلمات.

كان هناك خلافاً في الرأي بين سيدنا خالد بن الوليد وسيدنا عبد الرحمن بن عوف ﷺ ، فذهب رجل لسيدنا خالد وقال له: أتدري ما قال فيك عبد الرحمن بن عوف؟ قال: وماذا قال؟ قال: قال كذا وكذا، قال: إن ما بيننا لم يبلغ ما ذكرت.

حضرة النبي علمهم أنه لا يجوز لأحدٌ أبداً أن يقع في أخيه، أو يُخطئ في حق أخيه، مهما كانت الظروف ومهما كانت الأحوال، وعلَّمهم أن كل مؤمن يجب أن يجعل في لسانه فرامل عالية، حتى لا ينطق إلا بالكلمات الغالية، التي تُحسب في صحيفة حسناته: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (18 ق) .

---

310 جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

كلمة واحدة قد تصنع حرباً بين عائلتين، أو بين قريتين، أو بين دولتين، كلمة واحدة تمتلك بها الزوجة وتكون حلالاً، وكلـ ة واحدة يبطل ما بينك وبينها وتكون محرمة عليك وهو الطلاق، ليُعرِّفنا قيمة الكلمة، ولا بد للمؤمن أن يكون عند كلمته.

لو نذرت نذراً، والنذر في أصله ليس فريضة، لكن أنت الذي فرضته على نفسك، فأصبح فريضة تُحاسب بها عند من يقول للشيء كن فيكون، ولا بد أن تُنفِّذ ا ذر كما قلته، ولا تتحايل، يعني مثلاً قلت: لو أكرم الله إبني هذه السنة ونجح ودخل كلية الطب، فسأذبح خروفاً وأُوزِّعه على الفقراء والمساكين، فلا بد أن تُنفذ ما قلته، يقول لك شخص: اعطي ثمن الخروف للفقراء والمساكين، لا يجوز ذلك، لأنك أنت الذي قلت وفرضت على نفسك، وسيحاسبك الله على الفرض الذي فرضته.

كل هذا ليعلمنا الإسلام أن المسلم لا بد أن يُفكر ويقدِّر قبل أن يخرج الكلام من فيه، الكلمة إذا لم تخرج من فيك أنت تملكها، فإذا خرجت من فيك ملكتك، فهل تعتذر؟ أو تأتي بفلان وفلان لكي يسامحك في الكلمة التي قلتها؟ ستضع نفسك في مشاكل لا عد لها ولا حصر لها، فما الذي يجعلني أقع في مثل هذا؟!! ولذلك كان رجل من الصالحين يصف زماننا الذي نحن فيه فيقول:

((هذا زمن السكوت، ولزوم البيوت، وطاعة الله حتى الموت)).

أفضل شيء في هذا الوقت الصمت، إلا إذا كنت تعرف أن كلامك سيكون في ميزان حسـ ـاتك، ورفعة في درجاتك عند الله ﷻ :

العلامة الثانية: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ :

والهداية هنا آتية من الله، الإنسان الذي يعتمد على مولاه ودائماً يقرع باب حضرة الله يأتيه التوفيق والهداية من حضرة الله، فيهديه إلى الصراط القويم وهو الشريعة المطـ ـرة والعمل بها.

وإن شئت صراط الحميد هو كتاب الله، لأنه هو الصراط الذي أنزله لنا الله لنمشي على هداه.

وإن شئت قلت الصراط الحميد هو سيدنا رسول الله إذا تابعناه في كل ما جاءنا به من عند مولاه ..:

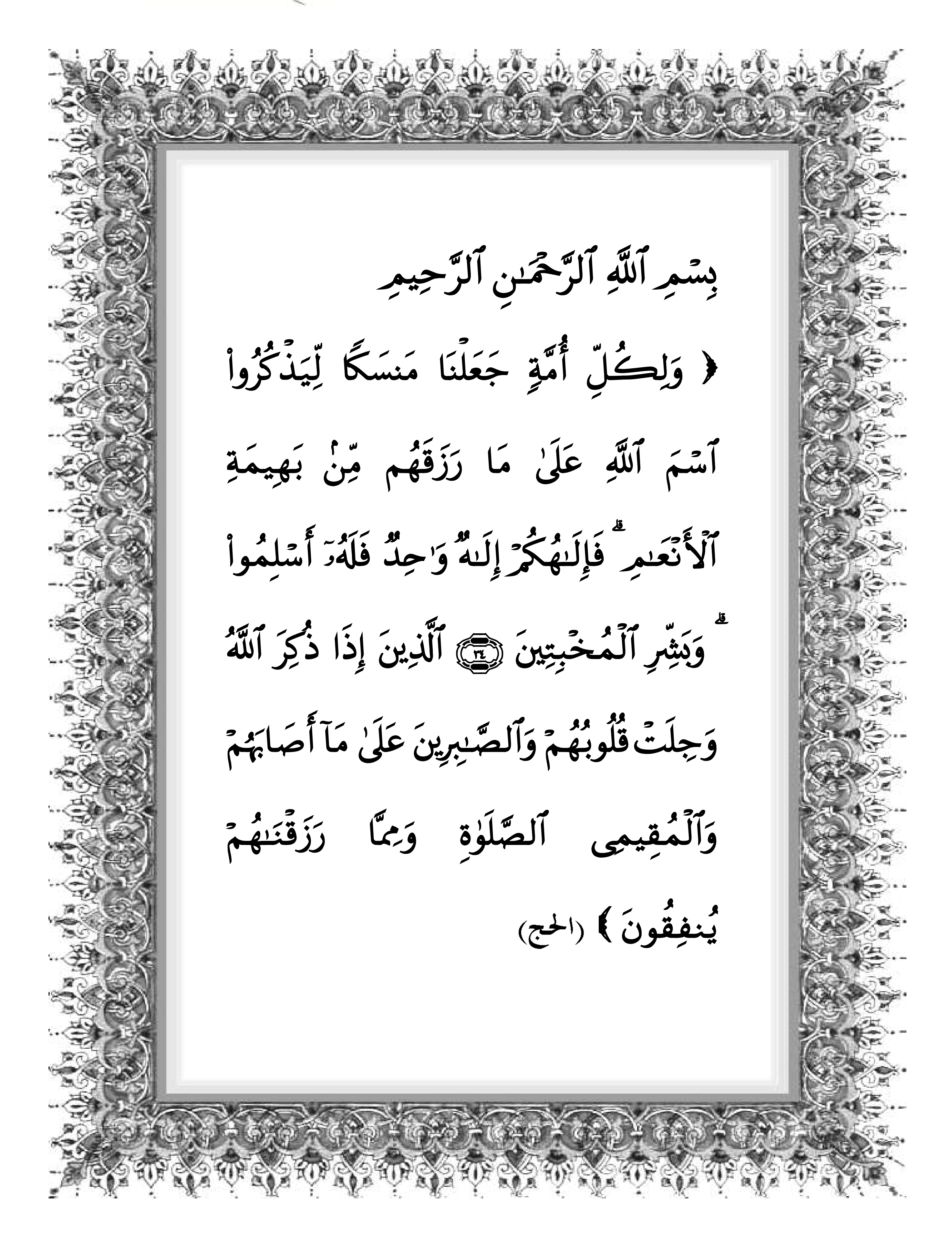
لأن الله قال لنا في شأنه في كتاب الله:

﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ (153 الأنعام) :

فالإشارة هنا لسيدنا رسول الله، ـسيروا خلفه، ولم يقُل ـسيروا عليه، لو كان الشرع لقال: ـسيروا عليه أو على هداه أو بـ ، ولكنه قال: ﴿ فَٱتَّبِعُوه ﴾ فالإشارة هنا لسيدنا رسول الله، فهو الصراط المستقيم الذي تمشون وراءه ليكرمكم الله بالجنة العالية إن شاء الله.

نسأل الله أن يجعلنا من عباده الذاكرين، الشاكرين، الفاكرين، الحاضرين بين يديه في كل وقتٍ وحين، ونسأله ﷻ أن يجعل نطقنا ذكراً، وصمتنا فكراً، ونظرنا عبراً، ونسأله ﷻ أن يهدينا في الدنيا إلى الطيب من القول، وأن يأخذ بأيدينا لحسن متابعة الحبيب حتى يكون لنا من شفاعته نصيب، ونكون في جواره أجمعين في جنة النعيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم□



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ (الحج)

19 المخبتون[311]

dddddddddddddddddd

القرآن الكريم هو مائدة الله الممدودة للمؤمنين ...

يأكلون منها طعاماً شهياً يُحي القلوب، ويشربون منه شراباً روِيّاً يجعل الأرواح تُحلّق في سماء الكريم الفتاح ....

ولذا ينبغي على المؤمنين أيًّا كان شأنهم أن يكون لهم دوماً حالٌ مع القرآن في كل يومٍ من أيام الدنيا، ويكفيهم قول رسول الله ﷺ :

{ أَفْضَلُ عُبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ } وقوله: { مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ دُعَائِي وَمَسْأَلَتِي، أَعْطِيهِ أَفْضَلَ ثَوَابِ الشَّاكِرِينَ، وَإِنّ فَضْلَ كَلامِ اللّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلامِ كَفَضْلِ اللّهِ عَلَى خَلْقِهِ }[312]

لا توجد عبادة أبداً أفضل من تلاوة القرآن، ومن لم يقدر أن يتلو فليسمع، فالقارئ والسامع في الأجر شريكان.

والآيات التي نتناولها اليوم من سورة الحج أمر فيها الله ﷻ لنبي ﷺ في أن يُبشر قوم – نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين – سمَّاهم المخبتين:

---

311 مسجد الرحمن ــ منشأة العماري ــ الأقصر 5 من صفر 438 هــ 5/11/2016م

312 الحديث الأول: شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب عن النعمان بن بشير ﷺ، والحديث الثانى : رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ من حديث أبى سعيد ﷺ مرفوعاً

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ :

وبماذا يبشرهم؟

- بالد جات العالية والمقامات الكريمة فى الجنة التي هيأها وجهزها لهم الله تعال.

- وبالنجاة يوم الفزع الأكبر يوم الدير .

- وبصحبة سيد ال ولين والآخرين، ونوال شفاعته وجواره في جنة النعيم.

المخبتو ن

من هم المخبتـ ن؟

المخبتون هم المتواضـ ن لله، ولخلق الله ...

لأن الله ﷻ يحب من خلقه أن يتواضعوا لعظمته، وأن لا يدخلوا إلى حضرته وعليهم رداء الكبرياء، بل حذَّر وأنذر في حديثه القدسي:

{ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ } [313]

هل يوجد من هو أفضل من حضرة النبي؟ لا، فقد كانوا في غزوة بدر ثلاثمائة وأحد عشر أو ثلاثة عشر رجلاً، والكفار كانوا ألفاً، ولم يكن مع المسلمين أسلحة أو معدات، ولم يكن معهم غير فرسين إثنين فقط، وكانوا يسيرون على أقدامهم، لكن الله نصرهم: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ (23. آل عمران) لماذا؟ لأنهم استغاثوا بالله، وتضرعوا إلى الله، وطلبوا المعونة من الله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ (9 الأنفال) استجاب لهم على الفور لأنهم كانوا في حالة تواضع وإخبات وتبتل وابتهال لله ﷻ .

313 سنن أبي داود وابن ماجة ن أبي هريرة رضي الله عنه

وبعد فترة طويلة بعد أن فتح الله عليهم مكة، وبعد أن أصبح عددهم كبير ، وكان الجيش أصبح إثنا عشر ألفاً ومعهم السلاح، هم ذاهبون للطائف، وأثناء سيرهم قال ا لبعضهم: لن نهزم اليوم من قلة، لكن الأعداء كان الطريق الذي عندهم بين جبلين، فقسَّموا أنفسهم إلى فريقين على الجبلين ومعهم النبال، فعندما دخل جيش المسلمين أمطروهم بالنبال، ففر الإثنا عشر ألف رجل، ولم يبق إلا حضرة النبي ومعه نفرٌ قليل، ولكي يرينا الله شجاعة هذا النبي ركب بغلته ودخل في وسطهم وعرَّفهم بنفسه وقال:

{ أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ } [314]

قال الله في هذه الآية:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (25التوبة) .

نعرف من هاتين الحادثتين أن من يُرد أن يقضي الله له كل شيء، ولا يبطئ في الإجابة في أي شيء، يتوجه إلى مولاه، ويكون خاشعاً خاضعاً متواضعاً ومتبتلاً لحضرة الله ﷻ ليُعطيه الله ما يريد.

314 البخاري ومسلم عن الراء بن عازب رضي الله عنه

إذا صلَّى لله كون في هذه الحالة كذلك، لكن لو صلَّى لله ويلبس جلباباً وعباءة من الصوف يريد من الناس أن تنظر إليه، وهل يوجد من يلبس مثله أو أحدٌ مثله؟!! ما لله ولهذا الكلام؟!! قال ﷺ :

{ إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }[315]

ينظر إلى القلوب ولا يبالي بالشكل، المهم ماذا في القلب: **﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾** (89 الشعراء) المهم في القلب أن يكون سليماً، وسليماً يعني خالياً من الأحقاد والأحساد والبغضاء والكُره والنفاق والصفات الرديَّة التي قطع العلاقات بينه وبين إخوانه من بني الإنسانية، لأنه لا بد أن يكون متواضعاً لله، ومتواضعاً مع خلق الله، ولذلك حضرة النبي ذكر الصفات التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن فقال ﷺ :

{ الْمُؤْمِنُ إِلْفٌ مَأْلُوفٌ، وَلا خَيْرَ فِي مَنْ لا يُأْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ }[316]

315 صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه
316 مسند الشهاب والطبراني عن جابر رضي الله عنه

وإلفٌ يعني يألف الناس، ويريد أن يجلس معهم، ويتكلم معهم، وهم كذلك يحبون الكلام معه، والدردشة معه، وتوجد أُلفة بينه وبين القوم، وهذا هو المؤمن.

أما من ليس بينه وبين الناس أُلفة، فهذا مريضٌ بداء الكِبر، وداء الكبر قال فيه حضرة النبي ﷺ :

{ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ }[317]

من كان عنده بعض ذرة من كِبر فليس له شيء في هذه المكانة، ولكن لا بد أن يكون من: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (63الفرقان) متواضعين ، يتكلم مع هذا، ويُلقي السلام على هذا، ويتبسم لهذا، ويجامل هذا، وهذه هي علامة بشاشة الإيمان.

317 صحيح مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

بشاشة الإيمان

فمتى تكون بشاشة الإيمان قد خالطت الإنسان وظهرت على صدره؟

إذا كان ماشياً يُلقي السلام والبسمة على الدوام، ويؤانس المساكين، ويتفقد أحوال المرضى وا: رومين، وهي أحوال المسلمين التي حببنا فيها سيد الأولين والآخرين ﷺ ، ومع ذلك لكل واحدة من هؤلاء أجر:

{ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ } [318]

{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ } [319]

فلماذا تركنا هذه البضاعة ومشينا عكسها؟!! هل نمشي مع حضرة النبي أم نمـ ي عكس حضرة النبي؟!! سبحان الله!! لماذا هذا يا مسلمين؟!! عندما نترل الشوارع حالياً فهل نجد الناس يمشون على هدي بضاعة حضرة النبي؟ لا، بل تجد منهم الحزين والعابس، لماذا؟!! هل يوجد أسهل من الكلام؟!! ولكن الكلام الذي ستأخذ عليه أجر من الملك العلام الذي

---

318 مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

319 جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر رضي الله عنه

يقول لنا فيه: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ (24 الحج) لا يخرج منهم إلا الكلام الطيب،

حضرة النبي ﷺ يصف المؤمن فيقول فيه:

{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ لا تَأْكُلُ إِلا طَيِّبًا ، وَلا تَضَعُ إِلا طَيِّبًا } [320]

النحلة لا تقف إلا على زهور لها رائحة طيبة، ولا يخرج منها إلا طيب، أيضاً المؤمن كذلك مثل النحلة تجده في مجلس ذكر، أو مجلس علم، أو مجلس تلاوة قرآن، أو مجلس صُلحٍ بين متخاصمين، أو مجلس عمل برٍّ، أو مجلس فيه خيرٌ ومرحمةٌ .. فهذه مجالس المؤمن التي دائماً يبحث عنها.

وماذا يخرج منه؟

كلمة تخفف عن منكوب، أو كلمة يواسي بها مريض، أو كلمة يجامل بها محزون .. هذا كلام المؤمنين، لكن ممنوع أن يخرج من قاموسه كلمة تُوقع بين إثنين أو طائفتين، وممنوع أن يخرج منه سبٌّ أو شتمٌ أو لعنٌ حتى ولو كان لحيوان.

وأدب الإسلام يعلمنا إذا دخلتَ بيت أخيك فادخل وأنت أعمى، لا تنظر هنا وهناك، ومع هذا تقول: بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله، حتى لو حدث شيئ فتكون بريء من ذلك.

---

320 صحيح ابن حبان والنسائي عن لقيط بن عامر رضي الله عنه

فالإسلام كله ذوقٌ رفيع، وأدبٌ بديع، فكانوا يقولون: إذا دخلت بيت أخيك فادخل أعمى، واجلس فيه أصم، لا تتصنَّت ماذا يقولون، ولا فيم يتكلمون، حتى ا تخرج بعد ذلك وتقول: أنا كنت عند فلان وقالوا كذا وتحدثوا عن كذا، لكن تخرج من البيت وكأنك لم تسمع كلمة واحدة في هذا البيت، وهذا أدب الإسلام الذي علَّمه لهم رسول الله ومشوا عليه.

وكان أحدهم وهو الربيع بن خيثم ﷺ إذا طرق الباب تخرج له جارية فيُغمض عينيه، لما ا؟ لأن الله قال: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (30 النور) فمن شدة الغضِّ يتهيأ لها أنه أعمى، فتفتح له الباب على الفور، فكان يقول له سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ : " ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ أَمَا لَوْ رَآكَ مُحَمَّدٌ ﷺ لأَحَبَّكَ [321] .

لماذا؟ لأنه يرى الصفات العظيمة التي كانت فيه، كان متواضعاً مع خلق الله ومع ذلك كان يخشى الله ويتقه في كل أنفاسه في هذه الحياه، وكلما رأى شيئاً يتذكر كلام الله وعظمة الله وجبروت الله فيرجع إلى نفسه ويلومها على ما قصَّرت في طاعة الله جل في عُلاه.

حتى أنه في يوم من الأيام مرَّ في السوق :

---

321 حديث أبي الفضل الزهري

والسوق فيه قسمٌ للحدادين، والحدادين كانوا موقدين النار ليحموا فيها الحديد، فعندما رأى النار تحرق الحديد وتُلينه أُغمي عليه ومكث أسبوعاً في هذا الأمر، وبعدها سألوه وقالوا له: ماذا بك؟ قال لهم: رأيت النار تحرق الحديد وهذه ن ر الدنيا، فما بالكم بنار الآخرة: ﴿ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴾ (31 التوب .

أوصاف المخبتين

الرجل الذي يريد أن يكون من أهل هذه البشريات ماذا يفعل؟ روشتة بسيطة: هناك أربع صفات إذا اتصف بها المرء يُصبح من المخبتين الذين يبشرهم رسول الله، فعندما قال له الله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ فليس الذين في زمانه فقط، بل من كان في زمانه، ومن بعد زمانه إلى قيام الساعة.

فيأتيه رسول الله في المنام ويبشره بما له عند الله ﷻ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴾ (47 الأحزاب) ألسنا من هؤلاء المؤمنين؟! نعم، فيأتي سيدنا رسول الله لبعض المؤمنين منا ويبشرهم، ولا حرج على فضل الله ﷻ ، وقد قال ﷺ في ذلك:

{ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ، فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ بِي } [322]

322 صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

وجل القلوب

فما أوصاف هؤلا ء القوم لنكون مثلهم؟

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ :

عندما يسمع أحدهم إسم الله من قارئ أو من عالم أو من أي إنسان يحدث له وجل وخوف وخشية في قلبه من الله ﷻ ، فاسم الله لا يعبر عليه كأي إسم عادي، ولكن لا بد وأن يُعظِّم إسم الله، فمن يُ ظِّم إسم الله فلابد وأن يُعظِّمه الله ﷻ .

أحد الصالحين إسمه بشر وكان في بغداد ، وكان ماشياً في يوم من الأيام، فوجد ورقة عليها اسم الله، فأتى بعطر وعطَّرها ووضعها في شقٍّ في جدار حتى لا يطأها أحدٌ بقدمه، وفي هذه الليلة رأى من يقول له في المنام: يا بشر طيبتَ اسمنا فطيَّبنا اسمك في الدنيا والآخرة وجعلناك من أوليائنا.

لأنه عظَّم اسم الله، وطيَّب اسم الله، فاسم الله لا بد وأن يكون معظماً، ولذلك نعجب من المؤمنين الذين استهتروا باسم الله ويُقسمون به كثيراً ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةً لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾ (224البقر)

فكلمة الله لا بد أن تُعظمِّها.

فسيدنا رسول الله كان عندما ينطق بها يهتّز لها حتى الكافر والنافر، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال:

{ قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ: غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟، قَالَ: " اللَّهُ "، فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ، قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ؟ قَالَ: لا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لا أُقَاتِلَكَ، وَلا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، قَالَ: فَذَهَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ }[323]

وفي رواية أخرى:

{ غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا، وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا، قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ}[324]

---

323 مسند أحمد والحاكم في المستدرك
324 البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه

فكلمة الله ليست هينة، وسيدنا رسول الله يبين منزلة هذه الكلمة فيقول:

{ إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ }[325]

لا يوجد شيء يستطيع أن يقف في الميزان مع كلمة الله، ولذلك يجب على المؤمن أن يقولها من داخله وليس من لسانه حتى تخرج معبرةً عما في قلبه من الإيمان لحضرة الرحمن ﷻ ، والكلمة إذا كانت من الفؤاد فإنها تشق أجواء الفضاء، وتُفتَّح لها أبواب السماوات حتى تصل إلى العرش وتظل حوله تقول: الله الله الله إلى يوم القيامة، ويُوضع ذلك كله في صحائف صاحبها.

إذاً المؤمن أول شيء ينبغي عليه أن يتصف به ليكون من المخبتين أن يملأ قلبه بتعظيم الله وإجلال الله والخوف من الله والخشية من الله.

325 جامع الترمذي ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

ولذلك العلماء مدحهم الله، وقال فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ ﴾ (39الأحزاب) وهذا حال المؤمن في كل زمانٍ ومكان، لا يخشى إلا الله، ولا يخاف إلا مولاه ﷻ .

هل هناك تعارض بين هذه الآية والآية الأخرى التي يقول فيها الله: ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (28الرعد) ؟ لا يوجد تعارض، لأنه إذا ذكر عظمة الله وجلال الله وكبرياء الله وقدرة الله حدث عنده خوفٌ فأصبح من أهل هذه الآية، أما إذا ذكر إكرام الله وعفو الله وصفح الله ومغفرة الله وما ادخره الله للمؤمنين عنده فيطمئن فيكون من أهل الآية الأخرى.

فهذا حال وهذا حال، فالأول في حال الجلال، والثاني في حال الجمال، هذا في حال الخوف، والآخر في حال الفرح والسرور والطرب بفضل الله وكرم الله، والمؤمن يجب أن يكون معه الإثنين، فقد قيل: ((لو وُزن خوف المؤمن ورجاءه لاعتدلا)).

لا بد أن يكون هناك خوف ورجاء، لأن من خاف فقط قد ييأس من رحمة الله: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴾ (87يوسف) ومن غلبه الرجاء كمعظم أهل هذا الزمان، قد يترك طاعة الله ويمشي على هواه، ويقول سيفعل الله بي كذا وكذا، وهذا أيضاً لا يجوز في ٠ ق المؤمن التقي النقي الذي يتابع سيدنا رسول الله صلوات ربي وتسليماته عليه.

الصابرون

﴿ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ ﴾ :

الله ﷻ جعل الدنيا دار بلاءٍ وابتلاءٍ، ولم يجعلها دار أجرٍ وجزاء، فلو كانت الدنيا دار أجرٍ وجزاء ما أعطى الله ﷻ الكافرين جرعة ماء، لكن عندما ننظر لأحوال الكافرين والجاحدين والمبعدين نجد معهم الأرزاق الحسية الدنيوية أكثر منا، لماذا؟ قال ﷺ :

{ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ }[326]

لماذا سجن للمؤمن؟ ... لأن المؤمن معه تشريعات الله، ولا يمشي إلا بأمرٍ من كتاب الله أو نص صريحٍ من رسول الله، والآخر يمشي على هواه، فمثلاً: المؤمن لا يأكل إلا من بابٍ حلال أباحه له الله، أو وضَّحه له رسول الله، لكن الكافر ليس عنده هذا المبدأ، فيأكل بالغش أو بالنصب أو بالخداع .. المهم أنه يعرف كيف يهرب من القانون حتى لا يتعرَّض للمشاكل التي تصيبه عندما يقع عليه طائلة عقاب القانون، لكن المؤمن يخشي الله فيسير بشريعة الله ... المؤمن إذا أراد أن يقضي شهوته لا بد أن يتزوج بطريقة شرعية إلهية ليُرضي رب البرية، لكن الكافر هل عنده ذلك؟ لا، فيعمل ما يريد وهي تفعل ما تريد ولا أحد يعترض على أحد.

326 صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

إذاً جعل الله ﷻ الدنيا للمؤمنين دار بلاء، والآخرة دار عرضٍ وجزاء، وابتلانا الله ﷻ في الدنيا لكي نعود دائماً إلى الله، ونرفع أكفَّ الضراعة إلى الله، فقد ورد في الأثر: أن فرعون موسى عاش أربعمائة عام لم يشكُ مرةً واحدةٍ من وجعٍ في رأسه، قيل: حتى لا يقول يا رب.

لكن المؤ نين غير ذلك، فالمرأة الصالحة في عصر حضرة النبي تزوجت رجلاً ومكثت معه فترة، ولم يحدث له شيء نهائياً، كأن يُصاب ببرد أو زكام، فقالت له: تعال نذهب للقاضي، فقال لها: لماذا؟ قالت لنقضي عنده مصلحة، وأثناء سيرهما تعثَّر، فقالت له: هيا نرجع مرةً ثانية، فسألها لما ا؟ فقالت له: أنت في الفترة الماضية لم يتذكرك ربك، وتذكُّره رحمة، فاعتقدت أن الله غاضب عليك، ولن تنفع معيشتي معك، فلما رأيت أن الله تذكرك وتعثَّرت قلت: الحمد لله تذكره لك رحمة، حتى نناجي الله ونرجع إلى الله، وندعوا الله ﷻ ، وهذا في الدنيا، أما الجزاء في الآ- رة قال فيه ﷺ :

{ يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ }[327]

يتمنوا أن يكونوا من أهل البلاء لما يرون من حُسن حالهم يوم القيامة، يكفي أن لله قال فيهم: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (10 الزمر) .

327 جامع الترمذي والبيهقي عن جابر رضي الله عنه

الإنسان الذي يريد أن يعيش على شرع الله، وينفذ كتاب الله، ويتابع رسول الله؛ يحتاج إلى دواء صعب وهو الصبر :

ليستطيع تطبيق شرع الله، ونفسه لا تلعب به في هذه الحياة.

المسلمون الذي ضحكت عليهم أنفسهم في زماننا، ولا يرضى بما أعطاه الله من الأرزاق، ويُفكِّر في السُبل التي نهى عنها الكريم الخلاق، وهي المصيبة التي حلَّت بنا الآن، من الطرق الحرام، والغش والخداع والكذب، ولا يصبر على العمل بشرع الله ﷻ .

﴿ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ ﴾ :

فالصابرين هنا هم من يصبروا على العمل بشرع الله، والصبر عن المعاصي التي نهى عنها الله، والصبر على أداء الطاعات والعبادات التي كلَّفنا بها الله، وكل هذا يحتاج للصبر في الدنيا، فلا بد أن يكون للحياة الدنيا صبر على هذه الأمور.

إقامة الصلاة

﴿ وَٱلۡمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ :

وإقامة الصلاة غير أداء الصلاة، فإقامة الصلاة يعني أن يصليها الإنسان بخشوع وحضور وإخلاص قصدٍ بين يدي الله، لأن الله عندما مدح المؤمنين في سورة المؤمنون قال: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴾ (المؤمنون) والخاشع يعني الحاضر مع الله، فعندما يقول الله أكبر يرفع اليدين، فاليد الأولى تشير إلى الدنيا، واليد الثانية تشير إلى الآخرة، يعني يا رب الدنيا والآخرة خلف ظهري وأنت وحدك في وجهتي وفي قلبي، وجَّه وجهه لله، فلا يتذكَّر شيئاً غير مولاه جل في عُلاه.

وكان السلف على هذه الشاكلة، ونحن لو جاهدنا سنكون إن شاء الله معهم لأن الله بشرنا وقال فينا: ﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ (الواقعة).

الإنفاق

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ :

فإذا رزقه الله ﷻ من فضله لا بد أن ينفق، فإذا رزقه علماً يُنفق منه علماً لوجه الله لمن يريدون التعلم، وإذا رزقه الله ﷻ منصباً عليه أن يُوصل حاجات الفقراء والمساكين إلى المسئولين، لأن إنفاقه من جاهه.

وإذا رزقه الله جاهاً عليه أن يُنفق من الجاه بأنه يحاول أن يُصلح بين المتخاصمين، ويقرب بين المتباعدين لأن كلمته مطاعة ومسموعة، وإذا رزقه الله مالاً عليه أن يُنفق من هذا المال على الفقراء والمساكين، ولذلك قال الله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وليس من رزق الدنيا الحسي فقط، ولكن من هذه الأرزاق التي ذكرناها.

نسأل الله ﷻ أن يُخلقنا بهذه الد فات، وأن يُجملنا بأنوار هذه الآيات، وأن يجعلنا من أهل هذه البشريات .... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (الحج)

20 : أهل نصر الله [328]

dddddddddddddddddd

كل ما نحن في أمَّس الحاجة إليه ليمهد الله أحوالنا، ويُصلح الله أمورنا، إن كان في أنفسنا أو في مجتمعنا:

أن نسمع إلى الله عند تلاوة كتاب الله، وأن نفقه هذا لكلام ثم نقوم به عاملين كما كان الصحابة والتابعين والأولياء والصالحين رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين.

الله ﷻ تولَّى بنفسه تدريس مادة الأخلاق، لم يتركها لنبيٍّ ولا لرسول، بل تولَّى بذاته تدريس الأخلاق لأن بها الوصول إلى الكمال وبلوغ منزلة الرجال، وأن يصير الإنسان منظوراً بعين الواحد المتعال ﷻ .

328 الأقصر – نجع البدادرة ؛ من محرم 438. هــ ؛ /11/ 2016 م

سر الخيرية

وبيَّن الله ﷻ أن سر خيرية الحبيب، وبالتبع خيرية أمة الحبيب تكون في قوله ﷻ في شأن الحبيب: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤ القلم) لا بالعبادة، ولا بالزهادة، ولا بسهر الليل، ولا بالأذكار، وإنما بالأخلاق التي أثني عليه بها العزيز الغفار ﷻ .

وأشد الأخلاق التي تحتاج إلى جهاد من المؤمنين لينالوا درجة الصالحين؛ تحمل الأذى من الخلق، وهذا هو الدواء المر الذي من تَجرَّعه وصبر عليه صار من الصالحين إن شاء الله رب العالمين، فسهل على الإنسان أن يُحيي ليلة في الصلاة لله، أو في تلاوة كتاب الله، وسهل عليه أن يصوم أياماً متتابعة لله، لكن الصعب عليه أن يسيء إليه إنسان ويضبط نفسه ويمسك أعصابه ولا يرد عليه، لأن الشيطان يستفزه، والنفس تتحرك، وربما الخلق في هذا الزمان - لأنهم ليسوا كأصحاب النبي العدنان - يُضافوا إلى المُحركين، فيقولون له: لماذا أنت ساكت؟ لماذا لا ترد؟ وأصحاب رسول الله لم يكونوا هكذا، ولكنهم كانوا يطفئون النار، ولا يزيدون النار اشتعالاً كما يحدث في هذا الزمان مع إخواننا المسلمين.

فالله ﷻ طمأن قلوب المؤمنين الصادقين والصالحين وقال لهم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ :

وهذا البيان النظري سيدنا رسول الله كان يطبِّقه في الورش العملية مع صحبه الكرام، فكل آية من كتاب الله بيان من حضرة الله، والشطارة والمهارة في أنني أُطبقه في الحياة العملية.

يقول سيدنا أبو هريرة ﷺ :

{ أَنَّ رَجُلا شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ، فَلَحِقَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَشْتُمُنِي وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ، غَضِبْتَ وَقُمْتَ؟!، قَالَ: إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ } [329]

هذا الرجل لم يُوقِّر وجود سيدنا رس ل الله، وأخذ يسب سيدنا أبو بكر سبًّاً وشتماً وما شاكل ذلك، وكان هذا الرجل قريب عهد بالجاهلية، وكانت هذه طباع الجاهلية وكانوا لم يُفطموا منها بعد، لكن نحن والحمد لله ليس لنا شأنٌ بالجاهلية.

فلما أكثر الرجل أراد سيدنا أبو بكر أن يرد عليه، فلما رآه الرسول ﷺ تحفَّز قام من المجلس.

---

329 مسند أحمد والشهاب عن أبي هريرة رضي الله عنه

فلو عملت بهذه الآية، ورقَّاك الله ﷻ إلى مقام الكرام أهل هذه الآية سيُقيِّض لك في كل زمان وفي أي مكان من يدافع عنك بأمر الرحمن ﷻ ، فلن تحتاج إلى الدفاع عن نفسك، لأنه يوجد من يدافع عنك وهو أولى وأكرم، وهذا الكلام مجرَّب ويعيش فيه الص لحون في كل زمانٍ ومكان.

سترد عن نفسك، سيكلك الله إلى نفسك، وتدخل فيما كرَّه فيه رسول الله ﷺ ، ولو أن أحداً سُلِّط عليَّ واستفزَّني ورددتُ عليه، فماذا يكون حالنا؟

اسمع الحبيب ﷺ وهو يقول:

{ الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ } [330]

عندما يسب رجل آخر، والآخر يرد عليه، صبح هذا قد ركبه الشيطان، والآخر ركبه شيطان، فيكونان شيطانين أمام بعضهما، فهل ترض لنفسك هذه المترلة؟ !!أنت الذي جعلك الله خليفة عنه، ووارث عن حضرة نبي الله ومصطفاه، وطامع أن تكون من عباد الرحمن.

330 مسند حمد وابن حبان عن عياض بن حِمار رضي الله عنه

من صفات عباد الرحمن التواضع

فما صفات عباد الرحمن؟

الصفة الأ لى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ (63 الفرقان) هونا يعني متواضعين ليس عندهم كبر، لأن مشية الكبر نهى عنها الله، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾ (18 لقمان) وأمرنا بالقصد: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ ﴾ (19 لقمان) حتى الكلام والمشي علمه لنا الله في كتاب الله،﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَ ﴾ (19 لقمان) إياك أن ترفع صوتك، كما يحدث في زماننا، لماذا؟ ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾ (19 لقمان) المؤمنون كلامهم همسٌ، لا أحد يسمعه من ، نا أو من هناك، فلماذا ترفع صوتك؟ مادام من تكلمه يسمع الكلام، فما الداعي لهذه الدَفعة الشيطانية، والإستفزازة النفسية التي أخرجتك عن الآداب القرآنية، وحرمتك أن تكون من أهل الخصوصية لرب البرية ﷻ .

العفو والصفح

الصفة الثانية: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ (63 الفرقان) .

وبعد ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ (64 الفرقان) إذاً قبل العبادات والقربات يجب أن تملك زمام النفس ،وهو الأمر الذين كان يتنافس فيه أصحاب النبي الكريم والصالحين في كل زمانٍ ومكان.

الإمام علي ﷺ كان سائر ، فسلطّ عليه نفر رجل يمشي خلفه ويشتمه، والإمام لا يريد أن يُدنِّي نفسه لهذه المنزلة، فظل هكذا حتى اقترب من البيت، ثم التفت إليه وقال: يا هذا إن كان عندك شيئاً آخر فهاته قبل أن يسمعك أحد أولادي فيرد عليك ويؤذيك، فالرجل أُخذ وتاب وأناب، ومن كانوا يدفعوه كانوا ماشيين خلفه، فذهبوا للإمام علي وقالوا له: رأينا اليوم عجباً، هذا الرجل قال كذا وكذا وأنت لم ترد؟! فقال الإمام علي:

يخاطبني السفيه بكل قبح	فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلماً	كعودٍ زاده الإحراق طيبا

مثل عود البخور كلما زادت النار كلما كانت الرائحة أحلى، من أين أخذها سيدنا الإمام علي؟ من وصف الحبيب الأعظم ﷺ ، لأن سيدنا رسول الله كان من أوصافه التي نزلت في التوراة:

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلا غَلِيظٍ، وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ } [331]

فكانت أخلاق رسول الله، والشواهد في حياته أكثر من أن تُعد في هذا المجال، كان ﷺ آية في العفو والصفح، وعلَّم الله صديقه الأعظم في كتاب الله كما علَّمه هنا أن لا يدافع عن نفسه، وعلمَّه كذلك أن يصفح عمن أساء إليه وشنَّع على إبنته الطيبة البرَّة الكريمة أُمنا عائشة زوجة النبي ﷺ:

هي الأخلاق أسرار المعالي	تفاض على أولي الهمم العوالي

من أراد أن يُخرجه الله يُفيض عليه هذه الأخلاق:

فالنبي ﷺ ذهب إليه رجلٌ من اليهود في المدينة وهو زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ كان قد أقرض النبي تمراً لأجل معين، يقول هذا الرجل:

---

331 صحيح البخاري ومسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

{ فَلَمَّا كَانَ قَبْلُ مَحَلِّ الأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ وَنَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ دَنَا مِنْ جِدَارٍ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلا تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بِمَطْلٍ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ، قَالَ: وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَعَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ وَقَالَ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ، أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا أَرَى؟ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، لَوْلا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا عُنُقَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّا كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ غَيْرِهِ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ " قَالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِي عُمَرُ فَقَضَانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ؟ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رُعْتُكَ، فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لا، فَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ، قَالَ: الْحَبْرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، الْحَبْرُ، قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ تَقُولَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُلْتَ، وَتَفْعَلُ بِهِ مَا فَعَلْتَ، فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ كُلُّ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْتَبِرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلا حِلْمًا، فَقَدِ اخْتَبَرْتُهُمَا، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا } [332]

332 صحيح ابن حبان والحاكم عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه

ومشى على هذا النهج أصحاب النبي الكرام ... سيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه، كان عنده إبن خالته رجلٌ فقير إسمه مُسطح بن أثاثة، وكان سيدنا أبو بكر هو الذي ينفق عليه وقائم بكل طلباته ، هذا الرجل عندما شنَّع المنافقون على السيدة عائشة بالغ معهم في التشنيع عليها، وهي بنت إبن خالته، والقائم بكل نفقاته، فسيدنا أبو بكر قال: لن أُعطه شيئاً بعد اليوم، وعندما نزل القرآن في براءة السيدة عائشة، قال له الله: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (22النور) النبي قرأ الآية، فقال سيدنا أبو بكر: بلى يا رب أُحب أن تغفر لي، وزاده، وقال: لا أقطعها عنه ما دُمتُ حيا، وفي رواية أنه زوَّجه، وبعد أن كان يعطيه جزءاً أعطاه الضعف ! ن الله هو الذي طلب منه أن يعفو ويصفح .. وورد أنه أعطاه بأثر رلاجعى كما نقول ....

الأخلاق القرآنية

نحن في مجتمعنا الآن في أمسَّ الحاجة إلى هذه الأخلاق القرآنية فيما بيننا، لأنه زادت المشاكل، وزاد الهم، وزاد الغم، وأصبح المسلم لا يتقبَّل كلمةً من مسلم، و لبعض يستغل الآية القرآنية التي نزلت في الكافرين فيستخدمها في غير موضعها مع المسلمين والتي تقول: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (194 البقرة) هذه الآية نزلت في الكفار، لأنه لا يوجد مسلم يعتدي على مسـ ـم مهما كانت الأحوال لأنه أخٌ له: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ (0. الحجرات) فهل يعتدي أحدٌ على أخيه؟!!.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ :

هذه الآية لها قراءة أخرى، لأن حضرة النبي ﷺ أنزل الله عليه القرآن على سبعة أحرف: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَع عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ من يؤمن بالله ويوثِّق علاقته بالله سيدفع الله عنه كل بلاء وكل همٍ وكل غمٍ وكل كربٍ وكل شدةٍ، ويكون في عناية الله ﷻ على الدوام.

وإذا حدث له أمرٌ من هذه الأمور فله بابٌ مفتوحٌ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ (الطلاق .

فالله ﷻ يدفع عن المؤمنين، إذا تمالأ الكافرين عليهم كما تمالئوا على المسلمين في هذا الزمان، فهل يقدرون على رب العالمين ﷻ ؟!! لا، حاشا لله سبحانه وتعالى، ولا يقدرون على جُنده سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (31 المدثر) .

جنود لا تُعد ولا تُحد، مثلاً عندما طغى النمروز لقوة جيشه، وأراد أن يفعل في سيدنا إبراهيم الأفاعيل، سلَّط الله عليه جندي كلنا لا يبالي به، سلَّط عليه ناموسة دخلت في أنفه، وظلَّت سائرة حتى وصلت إلى مخه، كيف يُخرجها بعد ذلك؟!! فأحسَّ بدبيب وألمٍ شديد في رأسه، فهداه فكره – ليجعله الله عبرةً لمن حوله – أنه لا يذهب هذا الألم إلا إذا ضربه جُنده بنعالهم، فكانوا يضربونه بالنعال ليسكن هذا الألم، ليكون عبرة.

فالله ﷻ يدفع عن المؤمنين كل أمر ...

ولكنه يحتاج منهم أن يُوثِّقوا علاقتهم بالله، ويقوُّوا رابطة الإيمان في قلوبهم بحضرة الله، ويتوكلوا على الله ﷻ في كل أمورهم على الدوام: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (3 الطلاق)

وحسبه يعني يكفيه، فمن يتوكل على الله ويُحسن التوكل يكفيه كل هم، ويخرجه من كل غم، ويُفرِّج عنه كل شدة، ويعيش في الدنيا كأنه في النعيم المقيم في جنان وارفة، لأنه في رعاية الله وعناية الله جل في علاه.

صفات لا يحبها الله

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ :

عندما يقول الله أنا لا أحب هذه الصفات، فهل يصِّح لأحدٍ من المؤمنين أن يتمسَّك بصفة منها؟ ويتخلَّق بها ويتعامل بها؟!! لا، لأنه يعلم أن الله لن يُحبه لو مشى فيها، وهذه هي المصيبة التي وقع فيها المسلمون في هذا الزمان.

يقول الله: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (141 الأنعام) وما أكثر المسرفين في هذا الزمان!! إن كان في الملبس أو الأكل أو في غيره أو غيره، وأكثرهم في الإسراف الذي يُسرف في وقته ويُضيِّعه، ولا يستغل في اليوم والليلة ساعة في طاعة الله، ويضيِّع باقي الوقت في اللهو واللعب والغفلة عن حضرة الله جل في علاه!!.

إذاً الشيء الذي قال فيه الله أنه لا يحبه فالمفروض على المؤمن أن يسارع فوراً إلى تركه، والله قال: (إنه لا يحب) لكي يعرفنا أن من يتِّصف بأضداد هذه الصفات سيُحبه الله، فقد كان من الممكن أن يقول: إن الله لا يريد، أو إن الله لا يرضى، لكن قال: (لا يحب) لأن من فعل أضداد هذه الصفات أحبه الله ﷻ :

﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (195 البقرة) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ :

فالله سبحانه وتعالى لا يُحب الخائنين، ولا يحب الكافرين، وهذه أعطتنا إشارة ربانية يفقهها أهل الإيمان في كل وقتٍ وحين؛ أنه لا أمان للكافرين، لأنه خوَّانٌ وكفور، فلا أمان للكافر مهما تظاهر بأنه صديق معك لأنه يبحث عن مصلحة ومنفعة من ورائك، لكنه لو وجد فرصة ليؤذيك فلن يتوانى عن ذلك.

وكما هو موجود في الأفراد، موجود كذلك في الدول، ولذلك قال الله ﷻ لنا: ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ ﴾ (73 آل عمران) إياك أن تأمن لأحدٍ منهم، يقولون: هذا شيوعي، وهذا يهودي، وهذا كذا، وهذا كذا، فالكُفر كله ملةٌ واحدة، وحكى النبي ذلك وأخبر بأنهم سيجتمعون عليكم ليأكلوكم، قال ﷺ :

{ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا ، فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ : بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ }[333]

منهم من يُريد أن يستنزف البترول، ومنهم من يُريد أن يبتلع المحاصيل الزراعية، وغيره، والمهم أنهم يريدون أن يأكلونا: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ (73 آل عمران)

لنعلم علم اليقين أن أي كافرٍ مهما تظاهر بالصداقة والمودة، فإن بباطنه الخيانة والعداوة للمؤمنين كما أخبر العزيز الحكيم ﷻ .

أصحاب حضرة النبي ﷺ ، ورضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين تعرضوا للإيذاء في مكة، ولم يكن يمر يوماً إلا ويأتي بعضهم مجروح، وبعضهم مضروب، وبعضهم رأسه مشقوقة من الكافرين، لأنهم اشتدوا في إيذاء حضرة النبي، وأنتم تعلمون كثيراً من هذه القصص لمن تعذبوا في الله ﷻ من رجالٍ ونساءٍ من المؤمنين والمؤمنات.

333 سنن أبي داود ومسند أحمد عن ثوبان رضي الله عنه

فكان بعضهم عنده غيرة، وعنده حماس، ولا ينظر إلى العدد، لأن الله ملأه كله مدد، ، ل سيدنا عمر عندما حضرت الهجرة، كلهم هاجروا خُفية حتى لا يمنعهم الكفار، لكن سيدنا عمر وجد أربعين رجلاً من المستضعفين يريدون الهجرة، فقال لهم: انتظروا وأنا أحميكم، وفي اليوم الذي سيهاجر فيه، وفي النهار ذهب إلى الكعبة، والكفار كانوا جالسين مع بعضهم، وأمسك بس فه ورُمحه ومعه سهامه، وقال لهم: يا معشر قريش من أراد أن تثكله أمه، أو تُرمَّل زوجته، أو يتيتم أولاده فليتبعني خلف هذا الوادي، فلم يقُم له أحد، للهيبة التي ألقاها عليه من يقل للشيء كن فيكون، هذه الهيبة جعلته لا يخاف منهم مع كثرة عددهم، وخرج وأخذ الأربعين ر- لاً معه وهاجر بهم جهاراً نهاراً.

هؤلاء القوم كسيدنا عمر يقولون: يا رسول الله لماذا نسكت على هذا الذل؟! نستطيع أن نحارب هؤلاء القوم، فهيا بنا نحاربهم وننتهي من أمرهم، لكن الله ﷻ علَّمنا التدرج في الأمور، ولا بد من النظر إلى الأسباب، والأخذ بالأسباب التي جع ها مسبب الأسباب تفعل في هذه الحياة الدنيا، وكان المسلمون لا يزالون مجموعة صغيرة، وضعاف، وليس معهم سلاح، فكيف يحاربون؟!! فهنا يلقون بأيديهم في التهلُكة.

الإذن بالقتال

إلى أن جاء النبي ﷺ ، واتفق مع الأنصار وكانوا في منى، وجلسوا معه واتفقوا على أن يهاجر إلى المدينة ويحموه، وكان هذا الكلام في الفجر أو قبل الفجر بقليل، والنبي كان قد اتفق معهم أن يخرجوا خُفية، وأن يجتمعوا في مكان اسمه العقبة، في بيعة العقبة، وبعد أن انتهى الأنصار من البيعة قالوا: يا رسول الله إن شئت خرجنا بسيوفنا على أهل منى فحصدناهم جميعاً، لكن النبي قال: لا، لأن الله علَّمه التدرج، فقبل أن أحارب ماذا أفعل؟ ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾ (60 الأنفال) انظروا للقوة المناسبة للعصر وللزمان، وجهزوها، وهذا تدبير الله للمؤمنين في كل زمان ومكان، وغير ذلك ! كون: ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ (195 البقرة) .

وعندما تحصَّن المسلمون وتدربوا وكثروا، جاءهم الإذن من الله ﷻ :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ﴾ :

هذا الإذن جاء كما قال رواة الأحاديث بعد أن نهاهم الله أكثر من سبعين مرة يطلبون فيها الإذن بالقتال، إلى أن وجدوا أنهم استكملوا الأُهبة وأصبحوا جاهزين بسلاحهم وجاهزين معنوياً وأقوياء بدنيا، فأذن الله ﷻ لهم في القتال ووعدهم أنه ينصرهم: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾

من الذين سينصرهم في أي زمان ومكان؟ الله.

روشتة النصر

ووضع ربنا سبحانه الصفات المؤهلة للنصر، فروشتة النصر لمن أراد النصر في أي جهاد، إن كان في جهاد الأعداء المحاربين، أو في جهاد المنافقين والمرجفين في الداخل، أو في جهاد النفس للوصول إلى فتح الله، وفضل الله، وإكرام الله جل في عُلاه، وكل هذا جهاد.

أولها: لا بد من الإذن، فلا يفعل العبد المؤمن شيئاً إلا بإذنٍ من الله، أو من حبيب الله ومصطفاه، أو من وليِّ الأمر إذا كان جهاداً لأعداءٍ خارجين، أو من شيخٍ ومربي إذا كان الجهاد للنفس .. فلا بد من الإذن، وبدون الإذن لا يتم الجهاد ولا يتحقق المراد.

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ ﴾:

وفي قراءة أخرى: ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ ﴾ يعني أعطاهم الله الإذن

﴿ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ﴾ :

إذاً لا بد أن يتحقق الإنسان قبل البدء في أي معركة أنه غير معتد، وغير باغٍ، وغير آثم، ولذلك أمرنا الله ﷻ في القرآن بقتال البغ ة الذين بدأوا بالعدوان لإخوانهم المؤمنين: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (ا الحجرات أي حتى ترجع إلى أمر الله.

فما دام الإنسان أخذ الإذن من الله ﷻ ، أو من رسوله ﷺ ، أو من ولاة الأمور، أو من شيخه في جهاده لنفسه، وتحقق بأنه غير باغٍ ولا متعدِّي واستعصم بالله، فليعلم علم اليقين: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ :

لا بد أن ينصره الله إن شاء الله رب العالمين.

وهذا كان متحقق مع أصحاب حضرة النبي حتى دانت لهم البرية كلها، كانوا يُنصرون بالرعب، والرعب سلاحٌ لا يملكه إلا المؤمن المتصل بالله، لا أمريكا ولا روسيا ولا أي دولة من دول الأرض تستطيع أن تصنع سلاح الرُعب لأنه يُصيب القلب: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ ﴾ (6: الأحزاب ليس في البيوت ولكن يصيب القلب بالرعب.

فالمؤمنون إذا استعصموا بالله، واستعانوا بالله، فإن الله يؤيدهم، وأول ما يؤيدهم به هو سلاح الرُعب الذي يُلقيه في قلوب الأعداء:

ونحن والحمد لله شهدنا ذاك في عصرنا في حرب العاشر من رمضان سنة 1973 م، كان عندما يقول الجندي: الله أكبر، كان اليهودي يُصيبه هلع وفزع ويُسَلِّم، لماذا؟ قُذف في قلوبهم الرعب، حتى وصل الأمر إلى أن الطيارين اليهود كانوا يخافون الصعود بالطائرات، فكانوا يربطونهم بجنزير، والجنزير له قفل ومفتاح، ويجعلون المفتاح في أيديهم وليس في يد الطيار ليخرج مضطراً، كل هذا خوفاً من المؤمنين، لأن معهم سلاح الرُعب.

وأنتم تعرفون أن حضرة النبي نصره الله في واقعة الأحزاب بالريح، ريحٍ صرصر عاتية سخرها عليهم الله ﷻ ، ...

ولذلك فيما ورد في باب الملاحم، وهذه الملاحم هي أخبار آخر الزمان التي حدَّثها حضرة النبي لأصحابه والموجودة في آخر كتاب (سنن أبي داود) ﷺ ، بيَّن أن القوم العُتاة الظالمين الغادرين سيهلكون بهذه الأسلحة الربانية، فسيُسلِّط الله عليهم الأعاصير والزلازل، وهي القادمة إن شاء الله، ولا بد منها: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ (3 النجم).

وماذا يفعلون في هذه الأمور؟!

حتى ولو اكتشفوها فلن يستطيعوا دفعها!، وقد نزل عندنا بعض السيول ولم نستطع عمل أي شيء معها، ولو استمرت فماذا كنا نفعل؟!!.

لكن هؤلاء سيهُبُّ من هذا المحيط وهذا المحيط ريحٌ شديدة المراس وهي الأعاصير التي تجرف أمامها الشجر وتقلعه من الأرض وتطيره في الفضاء وكذلك تُطيِّر البشر وتحمل كل هذه الأشياء وتلقيها مرةً ثانية هذه الأعاصير من شدتها ستهلك هؤلاء القوم الظالمين، مع الزلازل التي ستخرق الأرض وتبين لهم قدرة من يقول للشيء كن فيكون ﷻ .

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ :

وهذا كما حدث في عصر رسول الله، سيحدث في هذه الأيام، إخواننا السوريين الذين أصبحوا مشردين في البلاد، هؤلاء المساكين لماذا خرجوا؟ لأنهم مسلـ ـن يقولون: ربنا الله، هل هناك مشردين في العالم غير المسلمين؟! منهم من تشرَّد من الصومال، ومنهم من السودان، ومنهم من ليبيا، ومنهم من العراق، ومنهم من سوريا، داروا على بقاع الأرض، لماذا؟

لأنهم يقولون: ربنا الله.

ولنعلم علم اليقين أن هؤلاء لا يضمرون للإسلام وأهله إلا كل شر، فمهما يتجملون، ومهما يعِدون، ومهما يقولون، لكن الله كما لنا أن الله بيَّن:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ :

فكل كفور لا بد وأن تسبقه الخيانة، وخوَّان يعني ليست خيانة واحدة، ولكن كثير الخيانة، لمن؟ للمسلمين الذين يقولون: ربنا الله ﷻ .

لكن كما قال الله:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (8 الصف) ولماذا يا رب الحرب؟ ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (142 آل عمران) كان من السهل أن ينزل أسلحته بدون حرب، ولكن كيف كنا سنأخذ هذه الدرجات؟ ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (142 آل عمران) ، المجاهدين الذين هم في الميدان، والصابرين الذين هم نحن، ونحن الذين نتعرَّض للفتن والكوارث والمقاطعة الإقتصادية،

كما حدثت لحضرة النبي هو وقومه في شعب بني هاشم، ون س الأمر يُعاد مرةً ثانية من جديد ولكن على أوسع على المسلمين.

فلابد من الجهاد لكي يعرف هؤلاء، ويعرف هؤلاء، ولولا الجهاد كما قال الله: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ﴾ والصوامع هي الا ديرة التي تكون في أماكن عالية في الصحراء وعلى رءوس الجبال.

والبِيَع الكنائس وهى جمع بيعة أى الكَـ ـ ، لأن إخواننا المسيحيين لهم مكا ن للعبادة، الدير وهو للرهبان المتفرغين الذين ترهبنوا، وشرط من يذهب فيه أن لا يتزوج، ويتفرغ لطاعة الله إن كان رجلاً أو امرأة، والكنائس وهي للناس العاديين.

والصلوات هي أماكن العبادة الخاصة باليهود، والمساجد بالطبع لنا وهي الأماكن الخاصة بالمؤمنين والمسلمين.

﴿ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ :

هذه الأماكن كلها يُذكر فيها اسم الله كثيراً، فلولا الجهاد، ولولا استعدادنا، و ولا قوتنا، لهدموا هذه الأشياء، فأهم شيء عندهم أن يهدموها، لأنهم يحاربون الله ورسوله، ويحاربون دين الله في أي زمان ومكان.

وبدأ الله ﷻ بالصوامع والبِيَع ولم يأتِ بالمساجد لترتيب الزمان، أو لأن الأفضلية عند الله ﷻ في الترتيب بحسب المقام، فيكون الترتيب الآخر لمساجد التي هي الأعلى شأناً عند الله ﷻ .

قاعدة النصر

وأتى لنا بقاعدة النصر لمن أراد أن ينتصر على غيره أو على نفسه:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ :

وكيف ينصره؟

وفي الآية الأخرى: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ﴾ (محمد) فكيف ننصره؟

وهل معه حرب؟ ننصره في دينه وفي شرعه بالقيام بأوامره، والابتعاد عن نواهيه، وإقامة حدود الله التي طالبنا بها في كتاب الله، واتباع رسول الله ﷺ فيما جاءنا به من عند الله، فهذا هو نصر الله.

ونزيد الأمر إيضاحاً . كيف ننصر الله؟ .... أن نكون هُداةً مهديين، موفقين لطاعة الله في كل وقتٍ وحين، على المنهج الذي رسمه القرآن، وكان عليه النبي العدنان ﷺ ، هذا هو النصر الذي طلبه منا الله ﷻ .... فما دمنا نحافظ على طاعة الله، وننتهي عن نواهي الله، ونتابع رسول الله فلا بد أن ينصرنا الله جل في عُلاه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ :

سيمُا نا بقوته .... ، ويشملنا بعزته ... ، ويجعلنا أعزّة على الدوام .. لا ننال ضيماً ولا هواناً ولا ذُلاً بين الأنام.

برنامج النصر

هؤلاء القوم الذين يطلبون نصر الله لا بد أن يكون معهم الصفات التي وضحها الله:

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ :

فلا بد من برنامج النصر الإلهي كامل وشامل:

فمن أراد النصر فعليه أن يراجع هذا البرنامج، فيقيم الصلاة، ويحافظ على إخراج الزكاة التي فرضها الله ﷻ للفقراء لأنها حقهم ، ويأمر نفسه بالمعروف، ثم يأمر من حوله والقريب منه، وينهى نفسه عن المنكر، وينهى من حوله، وينهى الأقرب فالأقرب،

لأنه لا يستطيع الأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر وهو لا يفعل المعروف وينتهي عن المنكر، ونحن نعرف الكلام المنسوب للإمام عليّ ﷺ وأرضاه:

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلاَّ لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا	كيما يصِّح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُسمع ما تقول ويُشتفى	بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خُلقٍ وتأتي مثله	عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

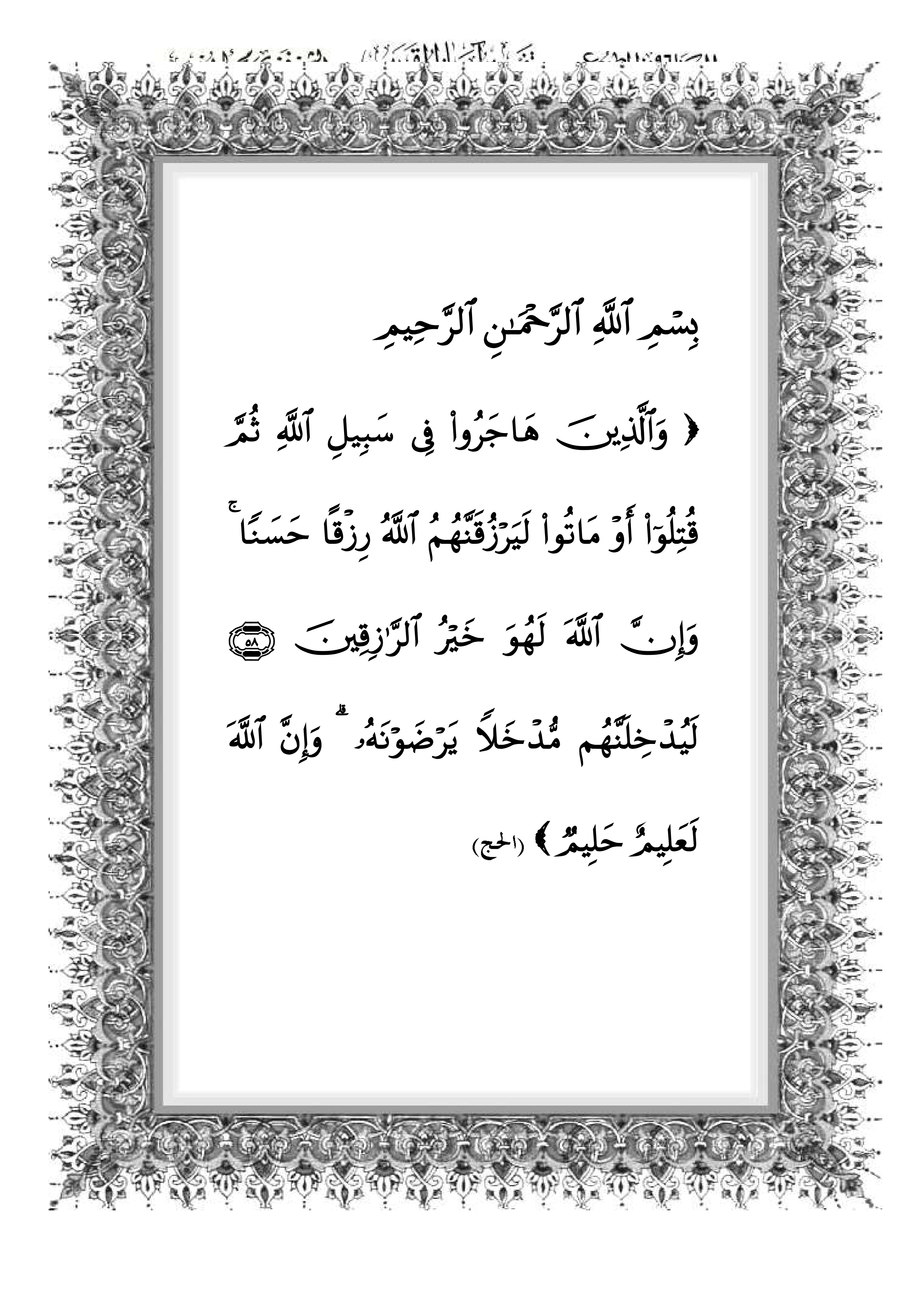
هذا المبدأ الإسلامي الذي سقاه لهم سيدنا رسول الله ﷺ ، والعاقبة في كل الأمور الظاهرة والباطنة لمن يقول للشيء كن فيكون ...

﴿ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ .

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على نصرنا على أنفسنا، وعلى جهادها ....

وأن يُعيننا على بلوغ المراد، ، أن يجعلنا من أهل وُده ظاهراً وباطناً، ومن أهل فتحه وقربه، ومن أهل معية حبيبه ومصطفاه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾ (الحج)

21 : المهاجرون في سبيل الله [334]

dddddddddddddddddd

مأدبة الله

مائدتنا اليوم من كتاب الله، والحبيب ﷺ يقـ ل لنا أجمعين:

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ فَاقْبَلُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ } [335]

ولكننا نأكل منها بالقلب والجنان والروح والسرِّ والحقائق الربانية التي لا تراها العينان، فيه الحقائق الإلهية التي هي سرُّ الرُقيِّ والإرتقاء لجميع هل الخصوصية.

ولو تدبرنا في كل آية من كتاب الله لكفت :

آيةٌ واحدة من كتاب الله ﷻ ، فإن الحبيب ﷺ كان يقطع الليلة كلها من بعد العشاء إلى مطلع الفجر في آية واحدةٍ يُكررها ولا يتجاوزها إلى غيرها تلذُذاً بها، ومشاهدة لما خصَّه الله ﷻ به من الفضائل والإفضال في آ اتها، وشعاع النور الذي يخرج من القرآن يجعل الإنسان عند تلاوة القرآن كما أمر الرحمن كالإنسان الذي يغيب عن الأكوان ويغيب عن الوجدان إنشغالاً بمكون الأكوان ﷻ .

---

334 الأقصـ – ساحة الشيخ حسن الد- 7 من صفر 438 هـ 7 1 2016م

335 الحاكم في المستدرك والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ فَاقْبَلُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ } [336]

و لمأدبة يعني الوليمة، ونحن نأكل كل يومٍ مرتين أو ثلاثة لنُطعم الجسد، ويستطيع أن يتحرَّك ويذهب ويأتِ :

لكن لا بد أن نُطعم القلب ليستطيع أن يسيطر على هذه المملكة، ويُهيمن عليها بالنورانية، ويجعل الجسم يعيش باستمرار تحت ظلال الشريعة الإلهية، أو يرتقي به فيجعله دوماً يتمتَّع بالجمالات المحمدية، فيعيش الحقائق ظاهرة وغير خفية.

336 الحاكم في المستدرك والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

الوجبة القرآنية

فلا بد للمؤمن أن يكون له ولو وجبة كل يوم من كتاب الله، قال في ذلك سيدنا رسول الله ﷺ :

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ } [337]

والقانتين يعني الطائعين، والمقنطرين يعني تكون حسناته وقرباته بالقنطار عند من يقول للشيء كن فيكون.

ولذلك لا بد للإنسان أن لا يقل عن عشر آيات يتلوها لله في كل يوم بتدبر وتمعن وتلذذ بمناجاة حضرة الرحمن ﷻ ، وهذا منهج سيدنا رسول الله وصحبه الكرام، والصالحين من بعدهم إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

337 سنن أبي داود وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

الحياة في مقام العندية

فالآيات التي معنا تُبين معنىً عجيب وغريب، نحن نعلم أن من يُجاهد في سبيل الله ويُقتل يكون له عند الله ما لا يُعد ولا يُحد من الأجر والثواب: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (69. آل عمران) يكون حيَّاً حياةً نورانية إلهية ربانية، وتأتيه الأرزاق الإلهية المناسبة لحالته على الدوام.

يعني لم يقُل أحياء وفقط، ولكن قال: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وهي درجة في مقام العندية، وهي من أعلى الدرجات، وماذا يفعلون؟ ﴿يُرْزَقُون﴾ وماذا يُرزقون والجسم قد مات؟! يرزقون ما يناسب القلوب والأرواح، فيُرزقون فتحاً ربانياً، ونوراً قدسياً، ومشاهدات ومكاشفات ومؤانسات ومخاطبات، وهذه أشياءٌ لا يستطيع أحدٌ أن يتحدَّث عنها بالعبارات، وإنما كما قال أهل المعرفة: ((ذُق تعرف)).

المؤمنون الذين كانوا حول رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله قد علمنا ما أعدَّ الله ﷻ للشهيد الذي يقاتل في سبيل الله، ونحن نقاتل معك ولكننا كما نحن، لم تأتنا ضربةٌ بسيف، ولا طعنةٌ برُمح، ولا رُمية بسهم، ولا زلنا أحياء، فما ذنبنا وقد كنا نريد هذا الفضل؟! فتفضَّل المتفضل ﷻ وأنزل هذه الآيات:

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ ﴾ :

أرأيتم الإشارة؟

من قُتل ... أو مات الموتة الطبيعية:

﴿ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنًا ﴾ :

الذي قاتل وقُتل، والذي قاتل وأنجاه الله، استويا في الأجر عند الله جل في علاه.

الرزق الحسن

سيرزقهم الله رزقاً قال فيه: ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ :

وهل هناك رزقٌ حسن ورزقٌ غير حسن؟

نعم، فالرزق الحسن : هو الذي خصَّ به الله الأتقياء والأنقياء والمؤمنين .

والرزق العادي هو الذي يستوي فيه المسلمون والكافرون والكل، وهي الأرزاق الحسية كالأكل والشرب والأنعام وكل هذه النعم الظاهرة فالكل يستوي فيها، بل ربما يكون الكافر أكبر فيها حظّاً وأوفر فيها نصيباً، لأن الله ﷻ من حكمته يضيِّق على عبده المؤمن الدنيا ليشتدَّ رجوعه إليه، حتى يظل مع الله ﷻ على الدوام.

﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ :

الرزق الحسن بالنسبة للمجاهدين في سبيل الله سيكون في دار النعيم في الجنة، من نعم الله التي لا تُعد ولا تُحد، والتي يقول فيها سيدنا رسول الله ﷺ :

{ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مِائَةَ دَرَجَةٍ ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ } [338]

338 معجم الطبراني عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه

الهجرة المعنوية

ونأ- ذ من الآية إشارة لأهل الاستنارة:

إشارة لا تُلغي المعنى الظاهر الذي ذكرناه، لكن هذه الإشارة لمن أراد أن يسلك سبيل الصالحين، وينهج على منهج الأكـ ر من العارفين، فلا بد أن تكون له إشارة في العبارات القرآنية، ولكن شرطها أن لا يُلغي المعنى الظاهر لأننا كلنا لا بد أن نتمسَّك بالظاهر لأنه شرع الله ﷻ ، والباطن لي أنا لكي أعلُوا وأرتقي وأصل إلى مقامات المقربين، نسأل الله ﷻ أن يُبلغنا إيّاها أجمعين.

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ :

هناك هجرة حسيِّة ينتقل الإنسان بالجسم من مكانٍ إلى مكان، وهناك هجرة معنوية تنتقل الحقائق العالية التي في الإنسان إلى ملكوت حضرة الرحمن ﷻ ، من الذي يهاجر؟ النفس والقلب والروح طالبين الفتوح من الفتاح العليم ﷻ ، ويستحيل أن يأتي الفتح من غير هجرة، فلا بد للإنسان أن يهاجر.

سيدنا إبراهيم يقول: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ (99 الصافات) وكيف يذهب لله؟ هل هو في مكان حتى يُهاجر إليه؟ لا مكان ولا زمان ولا حيطة ولا إمكان، وإنما يهاجر من نفسه إلى حيث موضع الإكرام الذي جعله الله ﷻ لحبيبه ومصطفاه والصالحين من الأنام.

إشارات قاب قوسين

وسيدنا رسول الله راح قاب قوسين أو أدنى، وليس معنا - حاشا لله - أن الله كان في هذا المكان، فسيدنا رسول الله قربه من حضرة الله وهو على التراب كقربه من الله وهو في قاب قوسين أو أدنى، فكما أن الله ﷻ ما مسَّ التراب ولا حسَّه ولا جسَّه، فهو ﷻ ما مسَّ العرش ولا حسَّه ولا جسَّه، وليس العرش هو الذي يحمله، بل هو الذي يحمل العرش بقدرته، ويحفظه بكلاءته ﷻ ، ما العرش ليحمل الرحمن سبحانه وتعالى؟!!

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (11. الشورى .

لكن هو الموضع الذي فيه الإكرام الخاص لسيد الأنبياء وأمير المرسلين، فكل نبي من الأنبياء وكل رسولٌ من المرسلين كان له موضعاً من الإكرام، لكنه ولأنه فاقهم في القُرب من الله وفي المقام، فإن الله ﷻ خصَّه بموضعٍ لايصل إليه أحدٌ سواه حتى ولو كان من كُمَّل ملائكة الله، لنعرف جميعاً أن له خصوصية عند مولاه، وأن العطاءات التي خصَّه بها الله لا تُعطى لأحدٍ سواه، صلوات ربي وتسليماته عليه.

وحكمة إسراء الحبيب إغاثة	لعالمه الأعلى ورحمة حنَّان
ولم يكُ رب العرش فوق سمائه	تنزَّه عن كيفٍ وعن برهانٍ
ولكن لإظهار الجمال لأهله	من العالم الأعلى ونيل أماني

يريد أن يمتِّع الملائكة ويُبهجهم بطلعته البهية وذاته النورانية، لأن هذا الطلب الذي كان عزيز عليهم وطلبوه من رب البرية ﷺ ، هذا الرجل رسول لنا، وكما تمتَّع به الإنس، فقيل له: يا محمد شرِّف بوطأ قدميك قمة لسماء كما شرَّفت به أديم البطحاء، اصعد حتى تُشرِّف أهل السماء لأن أهل السماء يريدون أن يتشرفوا بحضرتك، صلوات ربي وتسليماته عليه.

من يُرد أن يسمو في المقام ويكون من أهل السمُوِّ والرفعة عند الله، فلابد أن تهاجر حقائقه إلى حضرات القرب التي ذكرها كتاب الله، والتي ذُكرت عن أنبياء الله ورسل الله، وأكرمهم وأعظمهم سيدنا رسول الله ﷺ ، يقول فيها الإمام أبو العزائم ﷺ :

مني أسافر لا من كوني الداني	أفردتُ ربي لا حورٍ وولدانِ

أسافر من نفسي التي تقيدني والتي تمنعني من العُلوُّ في مقامات الرقي والقرب من الله، فلا بد ا نفس والقلب والروح وهذه الحقائق أن تهاجر إلى موطنها الأصلي، وموطنها الأصلي هو عالم الملكوت الأعلى والجنة العالية لأنها من النور والعالم الأعلى من النور.

فمن يهاجر هذه الهجرة كيف يطوي هذه المسافات؟!

ليس له إلا سفينة الحب، يركبها مع العُشاق، وتجري بهم بأمر الكريم الخلاق إلى أن يصل إلى مقام القرب والتلاق، هو الحب.

سيدنا رسول عندما كان في قاب قوسين أو أدنى وبعد أن رجع حكي لأصحابه عندما قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقال:

{ أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ }[339]

وورد نه قالها لَّما سمع صوت سيدنا أبي بكر فأدخله معه وقال: السلام من الله علينا وعلى عباد الله الصالحين.

فالذين سيهاجرون من نفوسهم وشهواتهم وحظوظهم وأهوائهم، يعني ستكون الدنيا في أيديهم وليست في قلوبهم، لأن القلوب حافظوا عليها وخصَّصوها لحضرة علام الغيوب، والا دي والأجسام جعلوها مشتغلةٌ بهذه النعم الظاهرة، وكانوا يقولون: ((اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا)).

339 البـ اري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

فهذا هو المعنى في هذا الأمر، يعني يخفف المشاغل ويُخفف الإهتمام، حتى يكون الإهتمام كله بالله، وبالإقبال على الله، وبالقرب من رسول الله، وبالعمل بكتاب الله، فإن الله يتولاه: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (96. الأعراف) وفي هذه الآنات فإن الله ﷻ يكلأه في الأكوان بعنايته، لأنه فرَّغ ذاته لله ﷻ بالكلية.

هؤلاء القوم منهم من يموت وهو على فراشه، يقول فيهم ﷺ :

{ إِنَّ أَكْثَرَ شُهَدَاءِ أُمَّتِي أَصْحَابُ الْفُرُشِ، وَرُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ }[340]

بماذا قُتل هؤلاء ... قُتلوا بسيف المحبة؛ محبة الله شغلت البال، وملأت تجاويف القلب، وجعلته لا يرى إلا أنوار مولاه، ولا يسمع إلا ما يُذكِّره بالله، ولا يفعل إلا شيئاً يتيقن أنه يُرضى به مولاه، لأنه مشغولٌ بالله ﷻ بالكلية متابعةً للحبيب خير البرية صلوات ربي وتسليماته عليه.

هؤلاء القوم: ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ :

---

340 مسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

من يمُت منهم بسيف المحبة، أو من يمت بالكلية عن حظّه ونفسه وهواه ويدخل في قول الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ (122 الأنعام) سيكون له رزقاً حسناً غير أرزاق الناس في الحياة الدنيا.

وما هذه الأرزاق؟

أن يحظى بالقرب من حبيب الله ومصطفاه، وأن يتملّى قلبه دائماً بشهود نور وجهه وجميل محيَّا ، وأن يؤانسه ويُلاطفه ويسمع لذيذ حديثه وجميل خطابه صلوات ربي وتسليماته عليه، وأن يرزقه الله ﷻ الحكمة وفصل الخطاب، وأن يرزقه الله علماً وهبياً، وأن يرزقه الله مقاماً كشفياً؛ مقام من مقامات المكاشفة وأولها الفِراسة النورانية، قال ﷺ :

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[341]

وأن يرزقه الله ﷻ رُفقةً من الملائكة الكرام يزورونه ويُحدثهم ويُحدثونه، ويأنس بهم ويأتنسون به: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ ماذا لهم؟ ﴿ تَتَنَزَّلُ ﴾ بالمضارع المستمر، ليس مرةً واحـ ة، فلو قال: تنزل الملائكة، لكان نزولهم مرةً واحدة، لكن "تتنزّل" يعني يتكرر النزول باستمرار،

341 جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

ويتحدثون معه: ﴿ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ (0، فصلت) ﴿ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ ﴾ يعني أنصاركم ﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ وما تريدونه سنأتيكم به: ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ ﴾ وليس هذا فحسب ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ (1، فصلت).

وهذه الجزئية هي التي يظهر فيها كرامات الصالحين والعارفين، وماذا يعني: ﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ يعني الشيء الذي يطلبه يؤيده فيه مولاه، والشيء الذي يتمناه يُحققه له حضرة الله، إذا ضمن لإنسانٍ أمراً وفَّى له مولاه، فمقام ﴿ مَا تَدَّعُونَ ﴾ مقام عالٍ، غير مقام ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ ﴾ (5، ق) فلهم ما يشاءون أقل في المقام.

وطبعاً هم في هذا المقام لا يشاءون إلا ما يشاؤه الله، فلا يصل لهذا المقام وتكون مشيئته أن يكون صاحب منصب دنيوي، أو صاحب كنز فان، أو صاحب أي أمرٍ من أمور الدنيا الزائفة، لأنهم خرجوا من الدنيا ويعيشون في رحاب الله.

وما يطلبوه من الله – لأنهم يدعون الخلق إلى الله – يؤيدهم فيه الله، ويُعضدهم عليه الله، ويُوفِّي لهم به الله:

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ :

يعرِّفنا أن هذه الأرزاق مباشرةً بدون أسباب، فأرزاق الدنيا لا بد لها من الأسباب، صحيح أنها لا تفعل إلا بأمرٍ وبإذنٍ من مُسبب الأسباب، لكن الأرزاق الإلهية مباشرةً بدون أسباب.

كيف يكون هذا؟ قد يظن البعض أن اختصاص الله للعارفين بسبب مكابدة الليل في العبادات، أو جهاد الأجساد في الصيام في الأيام والشهور المتتاليات، أو في أي عملٍ من الأعمال الشرعية التي يقومون بها، لكن هذه الأعمال كلها من يعمل بها له أجره، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف في الجنة.

لكن النعم التي ذكرناها ما أجرها؟ ما الذي تعمله كي يُعطيك الله علماً وهبياً إلهامياً؟ ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ (65 الكهف) وهذه الأمور كلها؛ الإلهام والكشف والقرب والود والأنس: ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (21 الحديد) .

طهارة القلب سر الخصوصية

وكيف نصل إليها؟ نحتاج إلى شيء واحدٍ فقط؛ طهارة القلب بالكلية من سوى رب البرية، وهذا جهاد العارفين والأوتاد والأقطاب والصالحين ، فلماذا كان يذهب بعضهم للجبال؟ لكي يُجلِّي مرآة القلب، ولكي يظهر فيه عطاءات من يقُل للشيء كن فيكون.

لكن يُصلي في الليلة ألف ركعة، فله أجر ذلك، أو يصوم الأيام، فله أجر ذلك، ويضاعف الله لمن يشاء.

لكن هؤلاء خصوصيتهم كيف نالوها؟ بهذه: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (89 الشعراء) ولذلك جهاد العارفين الأعظم في تطهير القلب بالكلية، حتى لا يخطر فيه غير خالقه وباريه.

سيدنا عمر بن الفارض ﷺ وأرضاه كان يجتهد في العبادات، وذات يومٍ كان يتوضأ في الأزهر فوجد رجلاً يتوضأ ولا يُحسن الوضوء، فاعترض عليه بشدة، فدفعه الرجل دفعة فوجد نفسه في صحاري مكة، فمكث فيها أربع عشرة سنة، وفي يوم من الأيام قال له: يا عمر تعالى لأني سألقى الله في هذا اليوم، لتحضر وتُصلي عليَّ صلاة الجنازة، هذا الرجل ظلَّ يجاهد حتى قال:

وإن خطرت لي في سواك إرادةٌ	على خاطري نفساً قضيتُ بردتي

هو الذي حكم على نفسه، ويقول: لو أن شيئاً خطر على بالي غيرك نَفَساً سأحكم على نفسي أنني مرتدٌّ، ومرتدٌّ يعني رجع عن القصد وعن طريق الله ﷻ ، لكي لا يسبق إليكم الفهم بالمعنى الآخر لكلمة مُرتدٍّ.

لأن هذا كلام أهل الإشارة، فكلهم على هذه الشاكلة، يتعلم القرآن، ويد س الفقه، وبعد ذلك يتفرَّغ لجلاء النفس، وكل الصالحين السباقين واللاحقين على هذه الكيفية.

الإمام أبو الحسن الشاذلي[342]

سيدي أبو الحسن الشاذلي ﵁ حفظ القرآن ،وتعلم الفقه وهو مولود في بلدة اسمها (غمارة) تبع (سبتة) في بلاد المغرب، ولم يجد أحداً من العلماء يكفيه هاجر إلى فاس في المغرب وهي مركز علمي، فوجد أن ذلك لا يكفيه، فذهب إلى تونس، وبعد أن أنهى في تونس أراد أن يستزيد من العلم، وفي نفس الوقت يطلب الشيخ الذي يُوصِّله إلى الله، لأنه مهما حصَّل من العلم لا يستطيع أن يصل بنفسه إلى الله إلا بواسطة مربي مأذونٌ من رسـ ل الله ﷺ .

وكل واحد من المربين يكون معه كشف، أعطاه له الناظر الأعظم ﷺ ، فلا يستطيع إضافة واحد، ولا يستطيع حذف واحد عنده، لأنه عليه فقط أن يُدرِّس لهؤلاء القوم، فظل الإمام أبو الحسن يبحث عن مربيه في مصر ثم بلاد الحجاز ثم بلاد الشام، ثم ذهب إلى العراق فوجد هـ ك رجلاً من أتبا ع سيدي أحمد الرفاعي وهو سيدي أبو الفتح الواسطي قال له: جئت تبحث عن القطب هنا وشيخك الذي تبحث عنه تركته في بلاد المغرب؟!!.

المريدون الذين لا يعلمون شيئاً يريدون أن يضموا لطريقهم هذا وذاك، لكن الكشوف مكتوبة، والذي كتبها سيد الأولين والآخرين ﷺ ، ولا أحد يستطيـ - كما قلت - أن يزيد أو يُنقص.

---

342 لمن ريد التوسع يمكنه العودة لكتاب: لشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلي .

أحد المريدين عندنا هنا في مصر ذهب لسيدي الإمام الهُمام أبو السعود ، فقال له: أنت لست مريدي أنا، ولكن شيخك إسمه الشيخ عثمان المغربي، وهو لا يزال في بلاد المغرب، فامكث عندي هنا إلى أن يحضر لمصر، فمكث في الفصل خمس عشرة سنة، وذات يوم بعد الخمس عشرة سنة، وكانوا يأتون للأسكندرية، ويركبون بالمراكب إلى الروضة في القاهرة، وكانت هي ميناء القاهرة، فقال: أين فلان؟ فقالوا: ها هو، فقال له: اذهب إلى الروضة فشيخك سيصل الآن، فذهب وقابل الشيخ وأول ما سلَّم عليه قال له الشيخ: جزى الله أخي أبو السعود عني خيراً إذ حفظك لي طوال هذه المدة.

الأمر ليس سهلاً كما تظنون، ولكن الأمر سابقة عناية من رب العالمين، والموكل بالتنفيذ هو سيد الأولين والآخرين ، والأولياء والصالحين لا يستطيعون تجاوز قدر أنمُلة مما يشير به سيد الأولين والآخرين.

ف جع سيدي أبو الحسن الشاذلي إلى شيخه، وكان في بلدة اسمها طنجة، فأول ما ذهب إلى هناك كان الشيخ جالساً على الجبل، ووجد عين ماء تحت الجبل، فاغتسل وصعد إلى الشيخ، لأنها كانت عندهم عاد - ولا زالت - وهي عبادة، أنه إذا قابل الرجل الصالح لا بد أن يذهب على طهارة و؛ ى وضوء.

وصل عند الشيخ فقال له: أنت علي بن عبد الجبار بن كذا بن كذا بن كذا، وذكر نسبه إلى رسول الله ﷺ ، لأن معه الكشف، ثم قال له: انزل فاغتسل، قال: فنزلتُ واغتسلت مرةً ثانية ورجعت، فقال لي: انزل فاغتسل، قال: ففهمتُ أنه يريد أن أغسل ما في قلبي من العلوم التي حصَّلتها لكي أتلقَّى العلوم الوهبية.

صاحَبَ الشيخ وبدأ يعطيه ما به يجلوا مرآة قلبه، ومابه يجاهد نفسه، إلى أن قال كما يحكي هو ذلك بنفسه: ((ما تركتُ الشيخ إلا بعد أن فتح الله عيون قلبي)) ظل معه إلى أن فتح الله عيون قلبه، وأصبح يرى ما يغيب عن السرائر، وغيب ما في الضمائر.

وأراد المزيد، فقال له: اذهب إلى تونس، وهناك بلد اسمها شاذُلة، بجوارها جبل، وفيه مغارة، تجلس فيها لتجلي مرآة قلبك، وإياك والخلق لأن الخلق فتنة، وبعد ذلك تذهب إلى مصر، وتأخذ فيها القُطبانية، وتربي فيها رجالاً وأبدالاً يُعطيهم لك سيدنا رسول الله ﷺ ، فذهب إلى الجبل ليغسل فؤاده:

واغسل فؤاداً بماء جمع	صفا فهذا إليَّ يُدني

وكيف يغسل فؤاده؟ كما قال النبي ﷺ :

{ القَلْب يَصْدأُ كَمَا يَصْدَأُ الحَدِيد ، قِيلَ : يَا رَسُولَ الله ، وَمَا جِلاؤُه؟ قَالَ : تِلاوَة القُرْآن وَذِكْرُ الله تَعَالَى }[343]

343 الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

السيد أحمد البدوي[344]

ونفس الكيفية سيدي أحمد البدوي أيضاً، تعلَّم القرآن وحفظه بالروايات السبعة وعمره سبع سنوات، وتعلم الفقه على مذهب الإمام الشافعي، وكان في مكة، وراح إلى غار حراء يتعبد فيه لله ﷻ ، لماذا؟ ليس للعبادة فقط، ولكن لتصفية مرآة القلب من شوائب الدنيا، ومن عوائق النفس، ومن أضرار الهوى إلى أن يصفو القلب، والقلب إذا صفا ترد عليه الواردات من الغيب ومن حضرة المصطفى:

إذا صفا القلب من وهمٍ وشُبهاتٍ	يشاهد الغيب مسروداً بآياتٍ
نفسٌ بقلبٍ سليمٍ رفعة ورضا	وألف عامٍ بلا قلبٍ كلحظاتٍ

مكث في غار حراء سبع سنوات، يُصفي فيه مرآة قلبه، ومع ذلك مع أنه في غار حراء، فإنه كان لا يؤدي فريضة إلا في وقتها في جماعة في بيت الله الحرام، كيف هذا؟!! ليس هناك كيف هنا!! فإن الله يطوي لهم الأرض، ما دام عزم فإن الله ﷻ يُعينه .. ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

(159. آل عمران).

بعد أن اكتملت التربية شأنه شأن سيدي أبو الحسن الشاذلي، فسيدي أبو الحسن جاءه سيدنا رسول الله وقال له: يا علي اذهب إلى مصر فإن لك فيها حالاً وشأناً وستُربي بها أربعين رجلاً: فلان وفلان وفلان وهذا هو الكشف.

344 لمن يريد التوسع يمكنه العودة لكتاب: المتربي الرباني السيد أحمد البدوي.

نفس الأمر سيدنا أحمد البدوي كان يعيش في مكة، وجاءه سيدنا رسول الله وقال له: يا أحمد اذهب إلى طنطدا في مصر فإنك ستُربي بها أربعين رجلاً عبد العال وعبد والرحيم وعبد الرحمن، وأعطاه أيضاً الكشف.

وإذا أقامك أعانك، إذا جاءت الإقامة من الله فتأتي المعونة من الله، سيدي أبو الحسن قال له: يا سيدي الطريق طويل وليس به ماء وتتركني إلى الخلق بعضهم يُطعمني، وبعضهم يطردني؟ فقال: ستأتيك الأرزاق إن شئت من الجيب وإن شئت من الغيب، ليس لك شأنٌ بهذا الأمر نهائياً.

مشى في الطريق من تونس إلى مصر تُظلّله سحابة، وكلما نفد ما معه من ماء تمطر فيشربوا ويملأوا الأسقية والأوعية لتي معهم حتى وصل إلى مصر.

سيدي أحمد البدوي ذهب للحرم وتكلم معه رجلٌ وقال له: تعالى يا سيدي الشيخ تزورنا في بلدنا، قال له: وما بلدك؟ قال: بلدي طنطدا في مصر، قال له: وماذا تعمل؟ قال: أنا شيخ البلد!!. ... أرسل له الرفيق!!

وجاء معه إلى طنطا فقال له: لي كذا دار فاختر لك داراً منهم، والدار التي تُعجبك تقيم فيها، وأنا كفيل بكل شيء، قال له: لا، هذه الأمور على الله ﷻ .

طريق الفتح

فلو ذكرنا سير الصالحين كلهم نجد أنهم جميعاً بهذه الكيفية، ووصلوا للفتح الإلهي بطهارة القلب، وتنظيف الفؤاد من الدنيا الدنية، ومن الحقد ومن الحسد ومن الغل ومن الكُره ومن جميع المشاغل الكونية، لأن الذي يُقبل على الله يعلم علم اليقين أن الله ﷻ لا يُقبل على قلبٍ إلا إذا كان فارغاً ليس فيه سواه جل في عُلاه، لكن القلب المشغول فصاحبه لا يزال في الفضول.

وهؤلاء الذين يأتيهم الله بالأرزاق الحسنة:

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ :

لأنهم تأتيهم أرزاقٌ مباشرة من باب: ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (212 البقرة) .

مدخل الرضا

﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ ﴾ :

وما المدخل الذي يرضونه؟

إذا كانوا من العوام فيدخلون الجنة، وإذا كانوا من الخواص فيكونون على بساط القرب، وعلى أرائك الحب والمنادمة والمسامرة والمحادثة والمكالمة والمكافحة، وهذه بُغيتهم وليس لهم بُغية غيرها.

سيدي عمر بن الفارض ﷺ لحظة موته ظهرت له قصوره في الجنة كما وعد سيدنا رسول الله، فقال:

فإن تكُ منزلتي في الحب عندكموا	ما قد رأيتُ فقد ضيَّعتُ أيامي

وماذا تريد؟

أمنية ظفِرت بها نفسي زمناً	واليوم أحسبها أضغاث أحلامِ

وما أمنيتك؟ وجه الله:

فنظرة منك يا سؤلي ويا أملي	أشهى عليَّ من الدنيا وما فيها

هذا هو المدخل الذي يريدونه، نظرة من حبيب الله، وبشرى طيبة من فم رسول الله، وبساط القرب والمناجاة.

وإن الله لعليم بمطلبهم، ويحلم عليهم في جهاد أنفسهم حتى ينالوا بغيتهم، نسأل الله أن يُؤهلنا أجمعين لذلك، وأن يتفضَّل علينا بما تفضَّل به على أهل ذلك، وأن يجعلنا من خيار عباده المقبلين عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ (الحج)

22 أهل الاصطفاء[345]

dddddddddddddddddd

أول آية من هذه الآيات التى معنا تُعطينا بشرى عظيمة تُثلج صدر كل مؤمن، أن الأخيار والأطهار والأبرار إن كان من الملائكة أو من الأنبياء أو من المرسلين أو من الناس، كل هذا نتيجة اصطفاء وانتقاء واجتباء ممن يقول للشيء كن فيكون.

دائرة الاصطفاء

﴿ يَصۡطَفِى مِنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلاً ﴾ :

اصطفى من الملائكة جبريل للنزول بالوحي على الأنبياء، وميكائيل للأرزاق، وإسرافيل للنفخ في الصور، وعزرائيل لقبض الأرواح، حملة العرش للإستغفار والدعاء للمؤمنين والمؤمنات، وخدم الجنة، وملائكة لا عدَّ لهم ولا حدَّ لهم، قال الله ﷻ في شأنهم: ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾ (31المدثر) وصف النبي ﷺ كثرتهم في عالم الملكوت، فقال ﷺ :

345 الأقصر – العديسات قبلي نجع قباح 8 من صفر 1438 هـ 8/11/2016 م

{ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ ، أَطَتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ } [346]

فالملائكة اصطفاء وانتقاء من الله، والأنبياء كذلك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (33 آل عمران) ذكر الله كل الأنبياء بفروعهم في هذه الآية، وذكر الله ﷻ لهم العناية فلم يقُل: إن الله يصطفي، ولكن قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ﴾ لأنه اختارهم من الأزل القديم قبل خلق الخلق، قال ﷺ :

{ إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ } [347]

يعني قبل خلق آدم كان رسول الله عند الله خاتم الأنبياء والمرسلين كما أخبر ﷺ .ثم أدخلنا الله ﷻ في البُشرى، وهذه هي التي نفرح بها ونتهنَّى بها، فقال:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ :

---

346 جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه
347 مسند أحمد وابن حبان عن العرباض بن سارية رضي الله عنه

مَن الذين يصطفيهم من الناس؟ المؤمنين والمسلمين والأولياء والصالحين، فكل هذه منحٌ إلهية، واصطفاءات ربانية، وعطاءات قُدسية، تفضَّل الله ﷻ بها علينا أجمعين، وإلا مَن فيكم الذي اختار لنفسه الهداية؟! لا يوجد أحدٌ منا إختار لنفسه الهداية:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ (17 الحجرات). ... من الذي هدانا للإيمان؟!

ومن الذي حبَّب لنا الإيمان وزيَّنه في قلوبنا؟! ومن الذي كرَّه إلينا الفسوق والعصيان؟! ومن الذي كتب بنورانيته ومداد قدرته في قلوبنا الإيمان وسطَّره في صدورنا؟! ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (22 المجادلة).

لكي نفرح فرحاً عظيماً بفضل الله ﷻ الكريم أن جعلنا من عباده الأخيار والأطهار والمؤمنين والصالحين، وهذا كله فضلٌ من رب العالمين ﷻ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾:

هذه الآية وحدها لو تدبرها المسلم لانصلحت كل أحواله، ما دام قد عرف أن الله يسمع جميع الأصوات، بجميع الألسنة، وبجميع اللغات، في جميع الجهات في وقتٍ واحد، فيتنبَّه دائماً قبل أن ينطق لسانه بأي كلمة أن من أول من يسمعها هو الله رب العالمين: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ ﴾ (19غافر) .. وخائنة الأعين هي العين التي تنظر خلسة، يعني من تحت لتحت، ولذلك سيدنا رسول الله لم يكن عنده هذا الأمر، يقول ناعته :

{ وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا } [348]

هذا الأمر ليس عند رسول الله ﷺ ، وكذلك الأتقياء والصالحين والأولياء من عباد الله، متابعةً لحبيب الله ومصطفاه، لأنه سيدخل في خائنة الأعين، والعين الخائنة هي التي تنظر ولا يعلم المنظور أنها نظرت إليه ولا ينتبه لذلك.

فرسول الله لم يكن هكذا، فإذا التفت التفت كله، ليس من هذه الناحية أو من هذه الناحية، بل يلتفت بكل جهاته لأنه ﷺ كان كما علمه ربه، ما زاغ البصر وما طغى عن تعليمه من الله ﷻ نَفَساً ولا أقل.

---

348 شعب الإيمان للبيهقي والطبراني عن هند بن أبي هالة رضي الله عنه

وسعة العلم الإلهي

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ :

إن شئت قلتَ يعلم ما أمامي، يعني أمام جسمي وأنا لا أراه، ويعلم ما وراءه، لأن أمامي وخلفي كما قال الله في آية أُخرى من كتاب الله: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ (11 الرعد)

منهم من يحرس العين حتى لا تدخل حشرة تؤذيها، ومنهم من يحرس الأنف لأنه مفتوح وليس له بابٌ يُغلق حتى لا تدخل حشرة إلى الأنف فتؤذي الإنسان، ومنهم من يحرس الفم، ومنهم من يحرس الأذن ..

كل جزء من أجزاء الإنسان له حافظ وحارس من قبل حضرة الرحمن، يتقلب يميناً أو شمالاً والحارس يحرسه بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

ولـ لك سيدي ذو النون المصري ﷺ وأرضاه سألوه وقالوا له: كيف دخلت طريق الله ﷻ ؟ وكان هو من بلدة أخميم، فقال: كنتُ واقفاً على ساحل البحر في أخميم، فوجدتُ عقرباً تمشي بسرعة قوية جداً ونزلت عند الشاطئ، فوجدتُ ضفدعاً ينتظرها على الشاطئ فوثبت وركبت ظهره، وانطلق الضفدع وسبَح بأقصى سرعة للجهة الأُخرى من النهر،

يقول: فأخذني الفضول وقلت أمشي وأنظر ماذا يفعلان؟ وعند الشاطئ الآخر وصلت الضُفدع وقفز العقرب من على ظهرها وأخذ يجري بأقصى سرعة، وهو يعدوا خلفها، ثم دخلت مسجداً قريباً وبه رجل نائم ومخمور، والخمرة تسيل من فمه، وهناك حيَّة ضخمة تريد أن تلدغه، فلدغت العقرب الحيِّة وقتلتها في الحال، و قي هذا الرجل من لدغة هذه الحية ! فيقول: أيقظته وقلت له: يا أخي انظر أين كنت أنت والله يفعل معك هذا؟! ويريدك أن تموت ميتةً طيبة، لأنه لو لدغته الحية ومات على هذه الحال فيموت على كبيرة من الكبائر، فيذهب بسوء الخاتمة، ثم قال له: تُب إلى الله وارجع إلى الله واغلق فمك واملأه بذكر الله جل في عُلاه، فالله سبحانه وتعالى له حِكمٌ لا تُعد في حراسة المؤمنين والمؤمنات.

وإن شئتَ قلتَ :

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم في الحياة الدنيا فيعرف كل ما عملناه، و عرف كل ما نقبل عليه ونعمله إلى أن نلقى الله جل في عُلاه، وهل هناك شيء يغيب عن الله؟! واسمع في هذا قول الله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (96 الصافات) لم يخلقك وفقط، ولكن وما تعمله أيضاً خلقه رب العزة ﷻ ، لتنتبه أن الله يطلع على ما فات وما هو آت.

وإن شئت قلت :

يعلم ما هم مقبلون عليه لحظة الخروج من الدنيا، وما يتعرضون له في عالم البرزخ، وما يتعرضون له في يوم الموقف العظيم حتى يكون فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير، ويعرف ما سبق لهم في الأزل القديم لأنه هو الذي خلق الخلق، قال ﷺ :

{ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ ﷺ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَلا أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الأُخْرَى: هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَلا أُبَالِي } [349]

محاسبة المؤمن لنفسه

فما دام الله يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا بأي كيفية وبأي هيئة، وفي النهاية أين نذهب؟ ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ :

349 مسند البزار والطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه

لذلك لا بد للمؤمن أن تكون له وقفة مع نفسه، ويحاسب نفسه، وهذا المنهج الذي علمه سيدنا رسول الله ﷺ لأصحابه المباركين، فمنهم من جعل لنفسه وقتاً كل يوم يحاسب فيه نفسه، وكان كثيرٌ منهم يذهب للمسجد قبل المغرب ويجلس هذه اللحظات يراجع يومه ويقول: ماذا عملت اليوم؟ هل خرجت له شيكات اليوم؟ أم حررت له محاضر؟ ومنهم من كان يراجع يومه قبل النوم.

وكان هؤلاء القوم بعد غروب لشمس ليس لهم شأنٌ بالخلق، فالليل كله لله جل في عُلاه، فعندما ينتهي النهار وينتهي الخلق يراجع نفسه لكي ينظر إن كان قد أخطأ فيعتذر، وإن كان قد أذنب يستغفر، وإن كان قد أحسن يحمد الله ﷻ على ذلك، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه حال أهل الإيمان على الدوام.

فلا بد من المراجعة ليدخل في القَسَم الإلهي: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (٢القيامة) وهي النفس التي تراجع صاحبها وتؤنبه على هذا، وتحمده على هذا، لأنه إذا لم يجد الإنسان التأنيب واللوم فيُخشى عليه من سوء الخاتمة والعياذ بالله ﷻ ، فقد تُسوِّل له نفسه أنه حسن صُنعاً ويدخل في قول الله: ﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾ الكهف)

يظن أنه يُحسن الصنيع، لكن صنيعه غير مقبول عند من يقول للشيء كن فيكون.

كان من هؤلاء الذين يراجعون أنفسهم الشيخ مكين الدين الأسمر تلميذ سيدي أبو الحسن الشاذلي - لتعرفوا أحوال الصادقين - كان سيدي أبو الحسن يقول فيه: ((مكين رجلٌ من الأبدال)) والأبدال يعني الذين بدَّل الله صفاقم بصفاته:

{ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ }[350]

هذا الرجل كان يعمل ترزياً، وكان لا يزال وإلى عهدٍ قريب دائما محل الترزي يجمع الزبائن، فيتكلمون من هنا وهناك، لكنه يقول: إني أُراجع نفسي كل ليلة قبل غروب الشمس، فأعدُّ الكلمات التي تكلمتها في هذا اليوم فأجدها ما بين الإحدى عشرة كلمة، ولا تزيد عن أربع عشرة كلمة طوال النهار!!، ونحن نتكلمهم في نصف دقيقة أو أقل، لكن هذا ما تكلمه طوال النهار.

يقول: فأنظر إلى هذا الكلام فما وجدتُ فيه إساءة إلى أحدٍ من خلق الله ذهبتُ إليه واعتذرتُ إليه حتى لا يطالبني بالمساءلة أمام الله يوم القيامة، وإذا كان ذنباً فعلته في حق نفسي، تُبتُ إلى ربي ﷻ وعاهدته أن لا أفعله مرةً ثانية، وإن كانت كلمات في ميزان حسناتي أشكر الله عليها وأسأله المزيد منها، وكان هذا الرجل كل ليلة على هذا المنوال.

350 صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

وهناك صنفٌ آخر أعلى، وهو الذي يراجع نفسه كل نَفَسٍ، كلنا نتنفَّس في الأربع وعشرين ساعة أربعة وعشرين ألف نَفَس، نَفَس داخل ونَفَس خارج، وكل نَفَسٍ تُسأل عنه، هل أنفقته في طاعة الله؟ أو في غفلة أو في معصية؟ فيحاسب نفسه على كل نَفَسٍ من هذه الأنفاس، وهؤلاء العظام الكرام الذين على قدم الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، النَفَس الواحد لا يكون إلا في رضا حضرة الواحد ﷻ :

نفسٌ بقلبٍ سليمٍ رفعة ورضا	وألف عامٍ بلا قلبٍ كلحظات

لذلك هؤلاء القوم هذا حالهم:

في كل نفسٍ لهم نورٌ يواجههم	من حضرة القدس ترويحاً وتيقيناً

في كل نَفَس يأتيهم من فسيح التجليات، ومن عظيم التنزلات ومن كريم المؤانسات ما لا حدَّ له، ولا قدر له، ولا عدَّ له من المواجهات، ومن مجلى الكمالات، ومن الله ﷻ وحضرته القدسية بالذات.

فلا بد للإنسان السالك في طريق الله من مراجعة، ومن لم يراجع سيراجع هناك، ومن يراجع هنا فلن يُراجع هناك لأنه راجع أمره في هذه الحياة الدنيا:

﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ :

ما دامت الأمور كلها في النهاية ستكون لله، فيجب على الإنسان أن يحرص على أنه لا يعمل عمل خيرٍ إلا ويقصد به وجه الله، ولا يمتنع عن عملٍ إلا إذا تيقَّن أن هذا العمل لا يرضى عنه به مولاه، ويجعل عمله كله لله وليس للخلق، لأن الخلق لن يقدروا أن يعطوني ولن يدفعوا عني، فيكون تعاملك كله مع الله، ولذلك قال الحبيب ﷺ في هذا المقام:

{ مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ وَأَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ } [351]

أدخل نفسك في هذه المعاملة، واجعل حياتك كلها لله، كما وجَّه الله سيدنا رسول الله لتكون معه إن شاء الله، فقال له: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (162الأنعام)

فالإنسان لا يأكل إلا بالله، ولا يشرب إلا بالله، ولا يزور مريضاً إلا لله، ولا يُشيِّع جنازة إلا لله، ولا يفعل برٍّ أو خيرٍ إلا لله، ولا يمتنع عن شرٍّ أو ضُرٍ إلا خوفاً من لله جل في عُلاه، وهي المعاملة العالية للأولياء والصالحين، فليس له شأنٌ بالخلق:

فخلِّ الخلق خلفك ثم عامل	بصدقٍ ذات مولاك العلية

فمن ينظر إلى الخلق ويسأل نفسه: هل رضوا أم غضبوا؟ لن يستطيع إرضاء أحداً، من الذي يستطيع إرضاء كل الخلق؟! لا أحد، لكن أستطيع أن أُرضي الله، وهذا منهج سيدنا رسول الله وكُمَّل الورثة والصالحين من بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

351 جامع الترمذي ومسند أحمد عن معاذ بن أنس رضي الله عنه

بعد أن عرَّفنا الله أهل الإصطفاء وأهل الإجتباء، جاءت الآيات التالية إلى آخر السور –

سبحان الله – جمعت وحوت الشريعة المطهرة كاملةً، وما تركت فيها صغيرة ولا كبيرة إلا وذكرتها،

وتعالوا ننظر مع بعضنا هذا الأمر:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ :

يعني صدقوا بالله، وصدقوا برسول الله، فيما جاء به من عند الله ﷺ .

منزلة الصلاة

﴿ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ ﴾ :

1 . يعني صلُّوا، وأهم شيء في الصلاة الركوع والسجود، ولماذا قال بعدها:

﴿ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ :

مع أن الآية شاملة؟ لأن هذه أوسع، فابدأ أولاً وركِّز على الصلاة وهو البند الأول الذي ركَّز عليه الله، وحافظ على الصلاة لأنها أول شيء يصلك بالله ﷻ ، ولذلك كان سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ يقول: ((كل مريد لا يصلي الصلوات الخمس في أوقاتها في جماعة في بيت الله، فلا تعبأ به واعلم أنه لم يذُق شيئاً من شراب القوم)).

لا بد أن نحافظ على الصلوات الخمس في جماعة، في بيت الله، إلا إذا كان هناك عُذر، والعُذر يكون مطابقاً للائحة الأعذار الشرعية الواردة عن خير البرية، لأن البعض الآن يتلمَّس لنفسه الأعذار ولو كانت أوزار، لأنه توجد لائحة أعذار وضعها النبي المختار، وليس لأحدٍ أن يختلق لنفسه أعذار، فلو كان الدين بالرأي والهوى لفسد الدين والعياذ بالله ﷻ ، لكن الدين بالمتابعة للذي قال:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي }[352]

فأول بند أحرص عليه أداء الصلوات في وقتها في جماعة في بيت الله مهما كانت الأمور، فليس هناك عُذر لترك الصلاة، لأن الله يسَّر أمورها كلها لعباد الله.

﴿ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ :

والعبادة هنا هي أن تذكر الله، وتتلو كتاب الله، وتسبِّح الله، وتنزِّه الله، وتقدِّس الله ، وقل: سبحان الله والحمد لله ولا إلا الله والله أكبر، وغيرها من العبادات التي ذكرها الله في القرآن: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ (180 الأعراف) فإذا ذكر إسماً من أسماء الله الحُسنى فلا بأس، أو يُصلي على رسول الله لأن الله قال: ﴿ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (56 الأحزاب) ويُكثر من الإستغفار لأن الله قال: ﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (10 نوح) .

352 سنن الدارقطني عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه

كل هذه الأمور بعد أداء الصلاة، لكن يقول قائل: أنا مشغول بالذكر وتلاوة القرآن، ويمتنع عن حضور الجماعة في وقتها في بيت الله!! فهذا لا يجوز، حتى ولو قال أنه دخل خلوة، وشيخه أعطاه اسم يذكره مائة ألف مرة، وهل شيخك يقول لك: اذكره مائة ألف مرة وتترك صلوات الفرائض في وقتها في جماعة؟!! فما فائدة الذكر هنا؟!!.

لكن كل النوافل والقربات بعد أداء صلاة، لأنها محلِّ الصلة بالله، ولو كان لأحدٍ أن يترك الصلاة لكان حبيب الله ومصطفاه، لتمتعه بوجه الله وجماله على الدوام، فقد كان عندما تحين الصلاة يقول:

{ أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلالُ }[353]

لم يقُل: أرحنا منها - حاشا لله - بل أرحنا بها، لأن الصلاة فيها روْحٌ وريحان وجمال يواجهه به حضرة الرحمن: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (88الواقعة) في وقت الصلاة أين يكون؟ ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ (89الواقعة) فصلاته كأنه في القُدس الأعلى يواجه مولاه ويخاطبه في حال المناجاة، ويشافهه مشافهة، ويكالمه مكافحة، لأنه مع الله جل في علاه في حالةٍ تفضَّل بها عليه مولاه لإخلاصه في قصده ومحافظته على ما طلبه مولاه ﷻ .

353 معجم الطبراني ومسند أحمد

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه يقول في صلاة الصالحين، وهو منهم:

أقيم صلاتي إن تجردَّتُ عن نفسي	فأفنى به عني بمشهده القُدسي
لديها يواجهني بوجهٍ مقدّسٍ	أكون أنا عرش التنزُّل والكرسي
عليَّ يُصلي في صلاتي لأنني	تشبهتُ بالمختار بالجسم والنفس

يتنزّل لقلبه بالتنزلات الإلهية، والفيوضات الربانية، والأسرار الذاتية، ويصلي عليه، أليس هناك قوم في القرآن – ونسأل الله أن نكون منهم جميعاً – قال فيهم الله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ ﴾ (43 الأحزاب) فكما أننا نصلي له، فهو يصلي علينا، ولماذا يُصلي علينا؟ ليُخرجنا من الظلمات إلى النور.

منهج المفلحين

فبعد أداء الصلاة تكون العبادات النفلية، وكل العبادات المسنونة الواردة عن رسول الله، فلا يجوز للإنسان أن يخترع النوافل من نفسه ولكن:

{ عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي }[354]

سُنة رسول الله، فإذا أنهى السنة وقام بها، يُوسِّع العبادة:

﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ ﴾ :

والخير دائرة واسعة جداً، فبعد أن كان يعبد الله بالصلاة في البداية، ثم بالنوافل، عليه أن يوسِّع الدائرة، فيجبر خاطر هذا، ويزور هذا المريض، ويشيَّع جنازة هذا، ويتصدَّق على هذا، ويأخذ بيد هذا الفقير .. فيفعل الخير مع خلق الله ليشاهد جمال الله في تدرجه في العبادات.

كل كلمة في موضعها، منهج لا يستطيع أحدٌ من الأولين ولا الآخرين أن يُحرِّك فيه كلمة عن موضعها بالتقديم أو التأخير، لأنه نزل من العلي القدير ﷻ .

من يفعل هذا ماذا له عندك يا رب؟

﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ :

354 سنن الترمذي وأبي داود عن العرياض بن سارية رضي الله عنه

وكلمة لعلَّ في القرآن دائماً بمعنى اللام وليست بمعنى الترجي، فتكون (لتفلحون) كقول الله:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (183البقرة) أي لتتقون.

فمن يُرد أن يكون من أهل الفلاح، وهو الفوز العظيم في الدنيا ويوم الموقف العظيم عند الرب الكريم ﷻ فليمشي على هذا المنهج الكريم الذي وضعه الله ﷻ ، ومشى عليه سيدنا رسول الله ﷺ ، ومشى عليه الصالحين من بعده إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها.

الجهاد الحق

من يُرد المزيد ليرتقي في الدرجات عند الحميد المجيد فينتقل إلى مرحلة أرقى:

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾ :

لم يقُل: وجاهدوا في سبيل الله، لأن الجهاد هنا شاملٌ، يشمل الجهاد في سبيل الله، الجهاد ضد النفس، والجهاد ضد الشيطان، وجهاد الشهوات، وجهاد الملذات والمستحسنات .. كل هذه الأشياء تحتاج إلى جهاد.

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ :

الجهاد يكون جهاداً أكيداً، فلا يكون جهاداً ضعيفاً بل لا بد أن يجاهد في لله حق جهاده، وعلى الفور يصدر له قرار الإجتباء من الله ﷻ :

﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ :

أى اصطفاكم واختاركم وانتقاكم من بين خلقه وجعلكم خيرته من خلقه.

يسر الدين

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ :

إياكم أن يعتقد أحد أو يظن أن فيما طالبنا ، كلَّفنا به الله مشقة، لأن الله ﷻ يسَّر على المؤمنين تيسيراً ما بعده تيسير :

- فمن لا يقدر أن يُصلي واقفاً يصلي قاعداً، ومن كان مسافراً يصلي قصراً، ومن لم يجد الماء يتيمم، فهل أصبح هنا أي عّذرٍ يمنع الإنسان عن الصلاة؟ لا يوجد أي عُذر أبداً، لأن كل الهيئات متا- ةً لك.
- ومن لم يستطع الصوم لكبر سنه أو لمرضه الذي ليس منه شفاء عفاه الله من الصوم وعليه أن يُخرج الفدية وليس عليه شيء، وإذا كان مريضاً ويُنتظر شفاؤه فعدةٌ من أيام أُخر، تُفطر هذه الأيام وبعد أن تُشفى تُعيد هذه الأيام .. وإذا كان مسافراً خيَّره الله إما أن فطر أو يصوم، فأصبح الدين تيسير كبير من العلي القدير.

-

- ومن معه إمكانيات الحجِ وجب علي ، لكن إن لم يستطعِ لا يحاسبه الله على ذلك: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (97 آل عمران) .

إذاً فليس للإنسان عُذر لأن الله جعل هذا الدين ليس فيه مشقَّة، ولا أمرٌ فيه خروجٌ عن طاقة الإنسان، وإنما كله مُيسَّرٌ لكل إنسان مهما كانت قواه ومهما كانت قدراته.

أهمية ذكر الله

الأمر الذي ليس فيه عُذر لأي إنسان:

- إن كان مريضاً أو سليم .. إن كان شيخاً كبيراً أو طفلاً صغيراً ..
- إن كان رجلاً أو امرأة ... إن كان على طهارة أو حتى على جنابة، والمرأة إن كانت في حالتها العادية أو في حالة النفاس أو في حالة الحيض ....

هو ذكر الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ (41 الأحزاب) :

أوصانا بالذكر الكثير: تذكر الله وأنت سائر، وأنت جالس، وأنت نائم .. ما الذي يمنعك من ذكر الله؟ ..... لا شي !!!

لا يطالبك الذكر بضرورة الوضوء، ولا الإتجاه إلى القبلة، ولا إلى الجلوس في المسجد، فليس لك عذر: ﴿ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ (191 آل عمران) وكما قلنا ، لو كنت على جنابة فلا تمنعك من ذكر الله، فهي تمنع من الصلاة، ومن تلاوة كتاب الله،

إلا أنها لا تمنع من ذكر الله ﷻ ... فما عُذر المؤمن يوم القيامة إذا ترك ذكر الله ﷻ طرفة عين أو أقل؟ لا يوجد عذر، ولذلك نريد كلنا أن ندخل في قول الله:﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ (35 الأحزاب) وهذه الجزئية التي يجب أن تجاهد نفسك فيها جهاداً شديداً، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال:

{ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَنْبِئْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ ، فَقَالَ : لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ } [355]

أهم شيء أن هذا اللسان لا يكلُّ ولا يملُّ ولا يغفل لحظة عن ذكر الله ﷻ ، إذا فعلت ذلك فيا هناك، قال ﷺ وكانوا في سفر وبجوار جبلٍ يُسمَّى جُمدان، فقال لهم:

{ سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ ، قَالُوا : وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ }[356] وفي رواية أخرى قال:

{ سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ ، قَالُوا : وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا } [357]

---

355 جامع الترمذي والحاكم عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه
356 صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه
357 جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

وكلمة استهتار في اللغة غير المعنى المشهور، فالمستهتر أى من يكثر إكثاراً كثيراً من ذكر الله، فذكر الله ليس هناك عُذر أبداً فى تركه ، ولذلك المؤمن يحرص عليه على الدوام.

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ :

وهي ملة الإسلام الحنيفية، لأن سيدنا إبراهيم كما قال الله: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (132 لبقرة) أوصاهم بالإسلام، ويعقوب نفس الأمر، لأن الإسلام هو ملة سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء، وهو الجد الأعلى لسيدنا رسول الله ﷺ ...

﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ :

وكلمة "هو" قد تعود سيدنا إبراهيم لأنه هو الذي سمَّانا مسلمين، وقد تعود لمعزيز لحكيم ﷻ ، لأن القرآن حدَّث به الله ﷻ قبل ميلاد إبراهيم، لأنه كلام الله ﷻ القديم.

منازل أهل الاصطفاء

ثم بين الله ﷻ المنزلة العالية الراقية التي جعل فيها أهل الاجتباء وأهل الاصطفاء من أمة الحبيب ﷺ ، هذه المنزلة تُضاهي منازل المرسلين والنبيين بل تبزُّها:

﴿ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ :

جعل الله ﷻ النبي المصطفى المُجتبى شهيداً على جميع الشهداء، وجعل الأنبياء شهداء على أممهم وأقوامهم: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (41 النساء) إذاً هو شهيد على الشهداء؛ على الأنبياء والمرسلين، وجعل رب العالمين ﷻ أمة النبي والمجتبين من أمته في هذه المنزلة الكريمة:

﴿ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ :

شهداء على الأنبياء وأممهم، ولذلك قال ﷺ :

{ يُدْعَى نُوحٌ فَيُقَالُ : هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ ، فَيُقَالُ : هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ : مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ ، وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ ، فَيُقَالُ : مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، قَالَ : فَيُؤْتَى بِكُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ } [358]

من الذي سيشهد؟ .... سيدنا رسول الله، وأمة رسول الله !

وأمته يعني الورثة الذين على درجته وعلى قدمه وعلى منزلته، فهؤلاء هم العُدول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (143 البقرة) نفس المعني أيضاً للآية الذي يُكرره الله لأهل العناية.

وهناك معاني استنبطه الوارثون والعارفون لكي يطمئنوا أحبابهم وطُلابهم ومريديهم، والله قال لنا في القرآن: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (83 النساء) ليس كلهم يستنبطون، بل يوجد أناسٌ يعطيهم الله درجة الإستنباط من كتاب الله إلهاماً وإمداداً من الله ومن رسول الله ﷺ ، هؤلاء

358 جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قالوا: قال الله في القرآن: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (٧ الرعد) كل جماعة لهم رجل بالنيابة عن حضرة النبي يُبلغهم وراثةً عن حضرة النبي الفضل الإلهي والبشريات الربانية التي ادخرها الله لهم وأنزلها على هذا النبي ﷺ .

فعندما يأتي يوم القيامة كيف يخرج الناس؟

﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ ﴾ (71 الإسراء) ليس بنبيهم ولا برسولهم، ولكن بإمامهم، فكل رجل يخرج ومعه أحبابه وأتباعه الصادقين لذين أعانوه على إبلاغ دعوة الله، والذين قاموا معه مجاهدين في نشر سُنَّة حبيب الله ومصطفاه.

ليس نا شأن برابطة المشجعين، فالمشجع ن كثر ودو هم في الآخرة فقط ، هل ينزل الملعب أحدٌ من المشجعين؟ لا، هل تكون المكافآت م وهم المدرجات أم لمن في الملعب؟!! نفس لأمر، فالدعوة تحتاج إلى الفريق، وهذا الفريق هو الذي له الغنائم والمكافآت والفضل والمشاهدات والإكرامات من الله ﷻ ، والمشجعين أيضاً لهم أجر، قال ﷺ :

{ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [359]

359 جامع الترمذي عن صفوان بن عسال رضي الله عنه

أجرهم هناك، لكن هنا لم يفعلوا شيئاً، بل يشاهدون فقط، فكَ ف يأخذون هذا الفضل وهذا الإكرام وهذا الإنعام وهذا العطاء؟!!

فالصالحون قالوا في هذه الآية وأشباهها وأمثالها: كل رجلٍ بعد سيدنا رسول الله ﷺ سيُكلِّفه سيدنا رسول الله ﷺ بأن يكون شهيداً على أهل زمانه، لأنه هو الذي يعيش معهم، وهو الذي يعاشرهم، وهو الذي يراهم، وهو الذي يتأكد من أحوالهم.

هذا الكلام أقوله على يقين، وإياكم أن يشك أحدٌ فيه، لأنه كلام الصالحين الموقنين، الذين أنزل الله في قلوبهم معاني الذكر الحكيم، فبيان القرآن ومعاني القرآن ليس في تفسير النسفي ولا في تفسير ابن كثير فقط، لكن: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ (49 العنكبوت) هو في صدور هؤلاء القوم، وسيدنا علي قال في هذا العلم: ((إن هاهنا لعلومٌ جمَّة لو أجد لها حملة)) وقال في الحمَلَة: ((هم الأقلون عددا الأكثرون مددا، يحملون هذا العلم في صدورهم حتى يستودعونه في لموب أشباههم وأمثالهم)) لكن الآخرين ليس لهم علاقة بهذه العلوم الإلهية النازلة مباشرة من عند رب البرية ﷻ .

تشريعات الإسلام

وجاءنا بتشريعات الإسلام ليؤكد عليها مرةً ثانية:

﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ : .... وإقامة الصلاة غير أداء الصلاة، فإقامة الصلاة أن تّ ون الصلة بين قلب العبد ومولاه مباشرة، لا يشغله شاغل عن جمال مولاه، ولا يقطعه قاطع عن المناجاة لحضرة الله، لأنه إذا دخل في الصلاة يكون في مناجاة مولاه، وفي مصافاة باطنة وظاهرة مع حضرة الله جل في عُلاه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ (14 طه) .

﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ : ... والزكاة للإنسان أن يُنفق مما آتاه الله، إذا كان عنده مال يستوجب الزكاة يُنفق منه، وإذا كان عنده زرع بلغ نصاب الزكاة يُخرج منه حق الله يعطيه لفقراء الله، وإذا آتاه الله علماً وبياناً فيجعل منه شيئاً لله للفقراء الذين يحتاجون هذا العلم في بلاد الله، ولا يرجو منهم تكريماً ولا أجراً، ولا يرجو الأجر إلا من الله، ويقول لهم: ﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴾ (9 الإنسان) .

وإذا آتاه الله ﷻ صوتاً شجيًّا يُمتع به أشجان القلوب وأسماع المؤمنين بكلام رب العالمين، أو يُهيِّج القلوب والأفئدة في مديح سيد الأولين والآخرين ﷺ رغبةً فيما عند الله، وهكذا كل شيء آتاه مولاه فعليه زكاة، قال ﷺ :

{ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصَّوْمُ } [360]

حتى أن الجسد له زكاة وزكاته أن أصوم، وماذا فيها لو أن أولادنا الشباب يصومون ولو يوماً في الأسبوع سواء الإثنين أو الخميس تأسياً برسول الله، فما المانع في ذلك؟ والنبي ﷺ يقول للسيدة عائشة كما وردفي الأثر:

{ دَاوِمِي قَرْعَ بَابِ الْجَنَّةِ، قَالَتْ: بِمَاذَا؟ قَالَ: بِالْجُوعُ }

ما الذي يمنع شبابنا أن يصوم يوماً كل أسب ع، أو ثلاثة أيام من كل شهر؟!! فالعجوز مثلاً يصوم ثلاثة أيام كل شهر، لكن الشباب يصوم الإثنين والخميس كما كنا نفعل عندما كنا شباب، غير الأيام الفاضلة مثل العشر الأوائل من ذي الحجة، وأيام تاسوعاء وعاشوراء، فلا بد للإنسان أن تكون له زكاة مثل زكاة الجسد.

360 سنن ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

فضل المنفقين

قال ﷺ : { إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةً وَزَكَاةُ الدَّارِ بَيْتُ الضِّيَافَةِ }[361]

إذا كان عندي بيت ولا أحد يدخله نهائياً يأكل لقمة فأين زكاتك؟!! أو لا أُخرج منه طعاماً أُطعم به من يحتاج إلى هذه الطعام!!، فدرجات الجنة العُليا من الذي ينالها؟ حضرة النبي ﷺ يقول:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَفْشَى السَّلامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ } وفى رواية:

{ لِمَنْ أَلانَ الْكَلامَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ }[363]

من أخلاق المؤمن أن يتخلَّق باسم الله الكريم، بماذا يجود؟

يجود بما عنده: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (9 الحشر) :

وأنتم تعلمون أن أصحاب رسول الله الذين كانوا يحيون في هذا الباب، الرجل الذي أخذ ضيف رسول الله ليُطعمه، وسأل زوجته: ماذا عندك؟ قالت: طعامٌ يكفي الواحد، فإن أكل الأولاد لم يأكل الضيف، وإن أكل الضيف بات الأولاد جوعى، فقال لها: علليهم وائتي بالطعام واجلس أنا وأنت مع الضيف - وهذا من المتشددين !! فقد جلس هو وزوجته مع الضيف

---

361 الجامع لأخلاق الراوي وتاريخ جرجان للسهمي عن أنس رضي الله عنه
362 صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن أبي مالك الأشعري
363 مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

وكا. في عصر رسول الا - ، ثم قال لها: فتقومي وتتظاهري بأنكِ تُصلحي المصباح وتُطفئيه، ونُحرِّك أسناننا كأننا نأكل حتى يشعر الضيف أننا نأكل معه فيأكل ويشبع، وفي الصباح قال له رسول الله ﷺ :

{ قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ }[364]

ما هذا الفتح العظيم الذي فعلوه؟!!

وهو نفس الأمر وخاصة مع الصالحين، فقد نزل جماعة على إخوانهم الصالحين، والطعام الذي معهم كان قليلاً، فقالوا: نضع الطعام على مائدة واحدة ونصطفُّ حوله، ونُطفئ المصباح ونأكل كلنا، وبعد أن انتهوا من تناول الطعام وأوقدوا المصباح، فوجدوا الطعام كما هو ولم يأكل واحد منهم شيئاً، لأن كل واحد يريد أن يؤثر أخاه على نفسه؛ لا يريد أن يأكل حتى يشبع إخوانه.

ورجلٌ من الصالحين في عصرنا هذا، وبعد انتهاء حلقة الذكر والهيمان في الذكر، والجلاء في الذكر، وكان بعضهم يكاد يطير في الذكر، جلسوا بعد الذكر يأكلون، فأخذوا يقدمون بعضهم على بعض، يقول أحدهم للآخر: خذ هذه القطعة، والثاني يقول: لا خذ أنت هذه، وهكذا، فنظر إليهم الشيخ وقال لهم: لقد نلتم من فضل الله في طعامكم أكثر مما نلتموه في ذكركم.

364 صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

لماذا؟ للإيثار، وهي أحوال الصالحين، فلا بد لمن يدخل في دائرة الصالحين، أو يريد على الأقل أن يكون يوم القيامة من المكرمين، أن يُضيِّف الضيف، ويُطعم ويُمرِّن نفسه وأولاده على هذا الخُلق الكريم ويُورِّثه لهم.

لكن أنا أكون في البيت والبيت لايُفتح أبداً للضيف لمدة عام أو أكثر أو أقل، والضيف يدخل ولن يُكلفني شيئاً، لأن حضرة النبي قال:

{ إِذَا دَخَلَ الضَيْفُ عَلَى قَومٍ دَخَلَ بِرِزْقِه وإِذَا خَرَجَ خرَجَ بِمَغفِرَةِ ذُنُوبِهِم } [365]

من الذي كسب وفاز؟ أنت !!

وقد ورد في رواية أن رزقه يأتيه قبل مجيئه بأربعين يوماً، يعني مثل رؤساء الجمهوريات، فالملائكة تجهِّز له المكان ومعها أيضاً طعامه الذي يأكله، حتى لا تتكلَّف له شيئاً، وماذا تأخذ أنت؟ تكسب أنه أخذ ذنوب أهل الدار كلها ويُلقيها في البحر.

---

365 رواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه

الاعتصام بالله

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡ ﴾ :

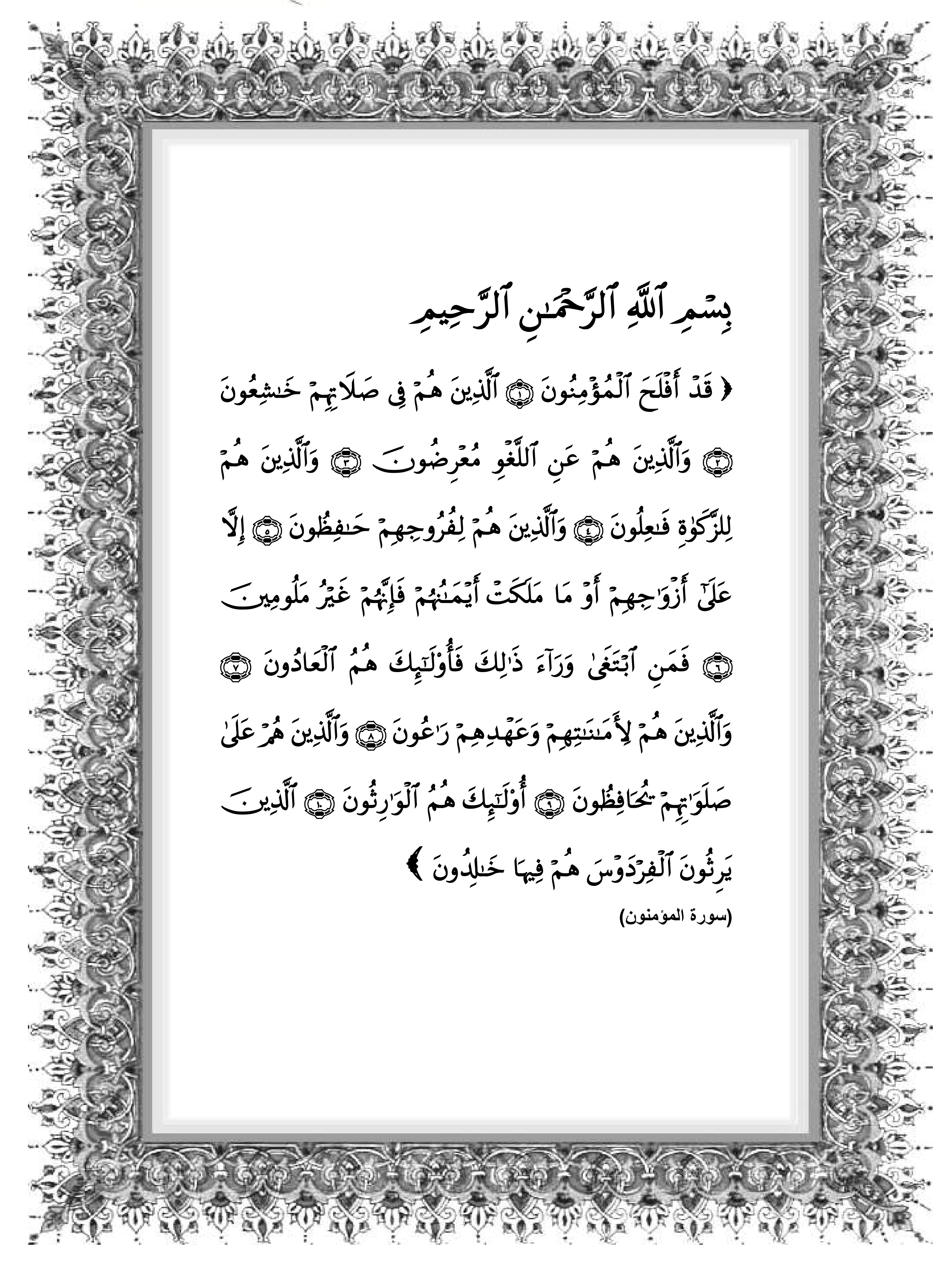
الإعتصام بالله غير الإعتصام بحبل الله، لما كان الخطاب لكل المسلمين الذين بينهم وبين بعضهم شحناء قال لهم: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ ﴾ (103 آل عمران) بشرع الله وبكتاب الله وبسنة رسول الله، كل هؤلاء يجوز أن نقول عنهم حبل الله.

لكن هنا الإعتصام بالله: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ كيف نعتصم بالله؟ إذا فرَّغنا القلب بالكلية، ولم يعُد فيه إلا المولى جل في عُلاه، فهنا نتوجَّه إليه، ونتودد إليه، ونرفع الأكُفَّ إليه، ولا نعتمد إلا عليه، ولا نتكّل إلا عليه، ولا نتوجَّه ظاهراً أو باطناً إلا إليه، فهذا إسمه اعتصام بالله جل وعلا.

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ : ما دام الإنسان سيتولاّه الله، ويرعاه الله، وسيكون في رعاية الله وفي كنفه على الدوام، فيكون معه النصر على نفسه، وعلى شهواته، وعلى حظوظه وعلى أهوائه، وعلى شيطانه، وعلى أعدائه، وعلى كل من يعاديه، لأن معه النصير ﷻ : ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

نسأل الله ﷻ أن يجمِّلنا بجمال هذه الآيات، وأن يُخلِّقنا بهذه الأوصاف المباركات، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

(سورة المؤمنون)

3! : ورثة الفردوس[366]

ddddddddddddddddd

الآيات التي معنا الآن هي أول سورة سمَّاها الله ﷻ بإسمنا، فسمَّاها سورة المؤمنون، لنعرف فيها أوصاف ا ؤمنين وأخلاق المؤمنين وأعمال المؤمنين والجزاء الذي أعده الله ﷻ للمؤمنين إذا عملوا بالتكليفات التي كلفهم بها رب العالمين ﷻ .

حقيقة الفلاح

وكان ﷺ يأتيه الوحي وهو بين أصحابه فيغيب عنهم ويتلقَّى الوحي، فإذا انفصم الوحي عنه رجع إليهم وحدَّثهم بما نزل علي ، فعند ما نزلت هذه الآيات قال ﷺ لأصحابه:

{ أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ قَرَأَ : "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" حَتَّى خَتَمَ عَشْرَ آيَاتٍ } [367]

هذه العشر آيات لمن أراد أن يدخل الجنة يعمل بهنَّ وينفذهن، بعد أن يتعلم هذه لآداب وهذه الأخلاق، ثم يقوم بهنَّ عاملاً إن شاء الله رب العالمين، وروى النبي ﷺ :

366 الأقص – الطه 9 من صف 438 هـ 1 1 2016 م
367 جامع الترمذي ومسند أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

{ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ وَبَنَاهَا بِيَدِهِ ، لَبِنَةً مِنْ ذَهَبٍ ، وَلَبِنَةً مِنْ فِضَّةٍ ، وَجَعَلَ مِلاطَهَا الْمِسْكَ ، وَتُرَابَهَا الزَّعْفَرَانَ ، وَحَصْبَاءَهَا اللُّؤْلُؤَ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : تَكَلَّمِي ، فَقَالَتْ : قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ }[368]

الجنة نفسها حققت بالفلاح، والفلاح يعني الفوز والظَّفر وتحقيق الأُمنية العظيمة التي يتمناها الإنسان، وهي دخول الجنة إن شاء الله رب العالمين

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ :

وكلمة "قد" في اللغة العربية للتحقيق، يعني كلام مُحقق وليس ظن ولا تخمين ولكن كلام مُحقق، فمن يعمل بهذه الأوصاف من المؤمنين، يضمن لهم الله ﷻ الجنة، ويضمن لهم الفلاح، يعني الفوز بما يرجون وما يريدون ... ومطلوبهم الأعظم بعد وجه الله دخول الجنة العالية ليحظوا فيها برؤية الله، ويتنعموا فيها بجوار رسول الله ﷺ .

368 معجم الطبراني وا يهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

صفات الوارثين للجنة

الأوصاف التي سيدخلون بها الجنة كم صفة؟ أتى الله لنا في هذه الآيات بست صفات سهلة ومُيسَّرة لمن يسَّرها الله ﷻ له، وقيَّض الله له أن يعينه بعونه، وأن يقويه بقوته، وأن يشدُّ عضده بإرادته، وأن يجعله في رفقة أهل الصدق من بريته.

الخاشعون في الصلاة

أول صفة من أوصاف الجنة:

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴾ :

الذين يُصلون الصلاة وفيها خشوعٌ لله ﷻ ، وفيها حضور بين يدي الله، وفيها طُمأنينة في أدائها لله، وفيها عدم شرود الذهن ، وعدم إنشغال القلب بغير الله ﷻ .

وهذا الخشوع لكي نستحضره ونستجلبه ماذا نفعل؟ هناك جزء ظاهري لا بد منه، وهناك جزء باطني وهو الأهم، فالجزء الظاهري من الإنسان إذا نوى الصلاة بعد أن يتطهَّر ويتوضأ، عليه أن يجعل بعد أن ينوي نظره إلى موضع السجود، فلا ينظر يميناً ولا شمالاً، ولا يتلفَّت وهو في الصلاة، فمن يلتفت يميناً أو شمالاً ويريد أن يعرف من على يمينه ومن على شماله فلا تصح صلاته، والنبي ﷺ رأى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال ﷺ :

{ أَمَّا هَذَا فَلَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ }[369]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَرَدَّ وَقَالَ : ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ثَلاثًا ، فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلِّمْنِي ، فَقَالَ : إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاةِ فَكَبِّرْ ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا }[370]

---

369 مسند زيد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
370 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

علَّمه رسول الله ﷺ الكيفية الصحيحة للصلاة :

وهي أن الإنسان عندما النية لا يكون في قلبه غير الله، فإذا قال الله أكبر ليس في قلبه شيء من الدنيا ولا المال ولا الأولاد، ولا أي شيء من متاع الحياة أكبر في قلبه من الله ﷻ ، وينظر إلى موضع السجود وهو في حالة الوقوف، وينظر إلى قدميه في حالة الركوع، وينظر إلى أرنبة أنفه وهو في حالة السجود، لكي لا ينظر إلى هذا ولا إلى ذاك.

ويقرأ قراءةً بتدبُّر، لا تقرأ القرآن بسرعة ولكن إقرأه بتأنِّي وتدبر معانيه، وحاول أن تتفهَّم الأوامر الإلهية التي ذكرها الله ﷻ فيه، مع استحضار القلب أثناء ذلك، وهذه هي الأعمال الظاهرية في الخشوع.

ولكي يستكمل الإنسان الخشوع فلا بد أن يَ ون في القلب الإخلاص لله، يعني أنه لا يريد بهذه الصلاة إلا ارضاء الله، فإذا كان يُصلِّي ليُرضي الناس فتكون الصلاة غير مقبولة عند رب الناس، وهذا هو الرياء، والعياذ بالله، نسأل الله الحفظ والسلامة لنا ولكم أجمعين، يعني يُصلي لكي يراه الناس، أو يُصلي ليثق الن س فيه، إن كان تاجراً فيشتروا منه، وإن كان صانعاً يطلبوه ليعمل لهم مصالحهم، وهكذا، وهذا يقول فيه ﷺ :

{ مَنْ صَلَّى وَهُوَ يُرَائِي ، فَقَدْ أَشْرَكَ } [371]

فتكون صلاته فيها شركة، والله يقول فيها يوم القيامة:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ } [372]

لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً لوجه الله ﷻ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (110 الكهف) .

فأول صفة من أوصاف أهل الجنة أنهم دائماً سماتهم الخشوع والحضور بين يدي الله ﷻ في الصلاة.

---

371 الحاكم في المستدرك والطبراني عن شداد بن أوس رضي الله عنه
372 صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

الإعراض عن اللغو

السمة الثانية:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾ :

اللغو هو الكلام الذي لا يفيد !

- فالكلام المفيد هو الذكر والتسبيح وتلاوة القرآن والوصية لمؤمن، والنصيحة لمسلم، والتخفيف عن منكوب، ومواساة الحزين .. كل هذه ألفاظ مفيدة ولها أجرها وثوابها عند الله ﷻ .

- وهناك كلمات ضارة ضرراً بالغاً بصاحبها كالسبُّ والشتم واللعن والكذب وقول الزور والغيبة وهي أن يتكلم في حق المسلمين، أو النميمة وهي نقل الكلام بين شخصين ليوقع بينهما، وهي كلمات مُحققة الضرر.

- وهناك كلمات لا هي نافعة ولا هي ضارة، وهي اللغو، كأن نجلس معاً ونتسامر ونتناقش في أمور كرة القدم، ما لنا وهذا الأمر!! أنا لن ألعب، ولا حتى سأذهب لأتفرج، وحتى من يتفرج أيضاً يُضيِّع وقته، فهذا موضوع يشغل الوقت فيما لا يفيد ... أو نجلس معاً نتكلم في أمور السياسة التي لا دخل لنا فيها، ولا شأن لنا بها في زماننا هذا، ...!!!!

فكثير من الناس جعل نفسه السياسي الأول بالجمهورية، والمفروض تؤخذ منه أقوال الساسة، وكذلك في الإقتصاد معه حل كل المشاكل الإقتصادية، وفي الرياضة فهو رياضي ناقد الذي لا مثيل له، وفي الموسيقى والغناء هو الناقد الفني الذي لا يبارى ، وفي أخبار الناس هو صحفي الذي يعرف كل صغيرة وكبيرة في البلد، ويعرف من ولدت اليوم، وماذا أنجبت؟! وهذه بمن تزوجت؟! وهذه لمن خُطبت ! يعني أصبح العارف في كل شيء، وهي سمة العصر وشيمة العصر والتي لا تطابق شرع الله، ولا يوافق عليها حبيب الله ومصطفاه ﷺ ، لأن سمة المؤمن كما قال ﷺ :

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ }[373]

الشيء الذي لا يعنيني ما شأني به؟! ولماذا أتدخل فيه؟!

فلانة خُطبت لفلان، ولماذا رضيت به؟! مالي وهذا الأمر!! وفلان خطب فلانة، ولماذا هي بالذات؟!! أنت ما شأنك بذلك؟ ومالذي أدخلك في هذا الأمر؟!! فهذا اسمه لغو الكلام، وهو الكلام في المواضيع التي لا تفيد، فالمؤمن يعمل بقول النبي ﷺ ، ونسأل الله ﷻ أن نكون أهلاً لذلك:

{ رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ }[374]

373 جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه
374 شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب

إما أن يتكلم كلاماً يُكتب في صحيفة حسناته، أو يسكت :

لأن الكلام الآخر سيتحوَّل إلى محاضر يُسأل عنها أمام النيابة الحسبية الإلهية، ويحاسبه القاضي الجبار رب البرية ﷻ ، والشهود لسانه ويديه وجوارحه، هذا غير الملائكة غير الأرض التي مشى عليها، وهم كلهم شهودٌ لا يكذبون، والله بعد ذلك وقبل ذلك خير الشاهدين ... فأهم صفة للمؤمن :

تركه ما لا يعنيه، ولا يتدخل في شيء لا يعنيه، حتى يبعد عن لغو الكلام.

تزكية النفس

السمة الثالثة: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ :

وفاعلون أى عاملون، فيُخرجون الزكاة التي فرضها عليهم الله ﷻ .

والزكاة هنا نوعان:

النوع الأول: زكاة الخيرات :

وهي الزكاة التي فرضها الله علينا في الخيرات من زكاة المال، وزكاة الزرع، وزكاة الحيوانات، وزكاة التجارة، فهذه الزكوات لا بد أن أعرفها لكي أخرجها أولاً بأول، حتى لا أتعرض لسخط الله وغضب الله ﷻ .

فمن تجب عليه الزكاة في أي صنفٍ من الأصناف ولا يخرجها وصفه الله في كتاب الله فقال: ﴿ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ فصلت ، الذي لم يُخرج الزكاة وصفه الله بأنه أصبح مشركاً، ولذلك سيدنا أبو بكر ﷺ حارب الذين امتنعوا عن الزكاة وسمُّوهم المرتدين، لأنهم امتنعوا عن دفع الزكاة، والزكاة فريضة من فرائض الدين،

وأمر الله المؤمنين أن يُعطوها للنبي، وأمر النبي أن يأخذها فقال له ولنا: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (103التوبة)

فلا بد للإنسان المؤمن أن يتحرى على الدوام، إخراج الزكاة ولا يحاول أن يتحايل في إخراجها لأن الزكاة تُحصِّن المال، قال ﷺ :

{ حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ }[375]

الحَبُّ الذي سنُخرج زكاته لن يمسه السوس ولن يُصاب بشيء من هذه الحشرات لأن الله سيُحصِّنه بذاته، والمواشي التي سنُخرج زكاتها إذا كانت وجبت عليها الزكاة، سيُحصنِّها الله ﷻ من الطاعون البقري، ومن الأمراض الكثيرة المتفشية، وتكون في أمان لأن الله حصنَّها بإخراج الزكاة، وهكذا.

إذا لم يُخرج الزكاة فالله ﷻ لابد أن يستوفي حقه بأي كيفية ... قال سيدنا رسول الله عن إحدى هذه الكيفيات:

{ مَا مَنَعَ قَوْمٌ الزّكَاةَ إلاّ ابْتَلاَهُمُ اللّهُ بالسِّنِينَ }[376] وفى رواية { وَلاَ مَنَعَ قَوْمٌ الزّكَاةَ إلاّ حَبَسَ اللّهُ عَنْهُمُ القطْرَ }

---

375 معجم الطبراني ومسند الشهاب عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

376 عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ رواه الطبراني في الأوسط ، والثانى برواية الحاكم والبيهقى. الترغيب والترهيب

والسنين أى الجدب والقحط والشدة أو يمنع المطر ! فإن أمطروا إبتلاهم بالآفات ولا عد لها فتهلك الزرع وهذه علامة عندما نرى آفات موجودة ومنتشرة في الزراعة نعرف أن الناس تكاسلوا وتقاعسوا عن دفع الزكاة المقررة لله ﷻ ، لكي ينتبه هؤلاء الناس ويتذكّروا أن عليهم لله هذه الزكاة، فإذا أخرجوا الزكاة فإن الله ﷻ : فظ الزرع ويحفظ الضرع ويحفظ المال فوراً، لأن الزكاة هي التي تُحصّن كل ذلك.

النوع الثاني: زكاة النفس :

وزكاة النفس يعني تطهيرها من الأمراض الأوباء التي نهى الله عنها، فأُطهرها من الحقد، وأُطهرها من الحسد، وأُطهرها من البُغض والكره، وأُطهرها من الغل، وأُطهرها من الشُّح والبُخل، وأُطهرها من الأثرة والأنانية، وأُطبق على نفسي قول رب البرية في المؤمنين الصادقين: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ (47 الحجر .

فيكون مع زكاة الأموال زكاة النفس، وهي التي قال لنا الله فيها: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس) وزكاها يعني طهرها مما ذكرناه ومما أشرنا إليه، ومما هو بين ثنايا كلمات الله وبين حنايا أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ .

حفظ الفروج

السمة الرابعة: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾:

الحفاظ على الفروج، وقد تكون الفروج أعضاء التناسل، وهذا المعنى الأول والأهم أن الإنسان يحفظ فرجه من الوقوع في الزنا والعياذ بالله، لأنه أشدُّ الآفات التي حذَّر منها الله ﷻ ، ولأنه آفة الآفات لم يقُل الله ﷻ لنا: و لاتزنوا، ولكنه قال: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ (32 الإسراء) يعني يجب أن تبتعدوا عن المقدمات التي تُهيئ للزنا.

ومالذي يُهيئ للزنا؟ النظر إلى النساء من الرجال، والنظر من النساء إلى الرجال:

﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَـٰرِهِمۡ ﴾ (30 النور) ، ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَـٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَـٰرِهِنَّ ﴾ (31 النور) هؤلاء أمرهم بغض البصر، والآخرين أمرهم بغض البصر.

كان ﷺ مع نسائه في بيته، وكنَّ جالسات في حالة استرخاء لأهن مع حضرة النبي وليس في البيت أحدٌ أجنبي، يعني غير مكتملين الحجاب، ودخل سيدنا عبد الله بن أم مكتوم ﵁ وكان أعمى فظللن على الوضع الذي هنَّ عليه، فقال ﷺ :

{ احْتَجِبَا مِنْهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى لا يُبْصِرُنَا وَلا يَعْرِفُنَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا ، أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ } [377]

وانظر إلى التشديد النبوي!!، فالطرفان مطالبان بغضِّ البصر، ومطالبان بعد ذلك إذا تحدثا أن يكون الكلام في معروف: ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ (32الأحزاب) والمعروف يعني الكلام في الضروريات، مثلاً إذا ذهب أحد ليقضي مصلحة من بيت أخ له، وطرق الباب، فليقف على يمين الباب أو على يساره حتى إذا فتح الباب لا يرى ما بالداخل، ويكون نظره إلى الأرض، فلا تقع عينه على التي تفتح له الباب إن كانت امرأة، ويُكلِّمها بأدب جم وبصوت عادي، ولا يسترسل في الكلام فيقول لها مثلاً: كيف حالك أو أخبارك؟ فهذا لا يجب، لأننا بهذا ندخل فيما نهى عنه الله، وفي المنطقة المحرمة التي حرَّمها الله ﷻ علينا.

حتى في التليفون إذا اتصل رجل بأحد وردت عليه زوجته أو ابنته، فلا يجب أن يسترسل معها في الكلام، ويقول لها مثلاً: هل أنت ابنته؟ في أي سنة دراسية؟ وأخبارك؟ إلخ ، هذا ليس شأنك، أنت تتكلم في الموضوع الذي تريده فقط: ﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ (32الأحزاب) في الشيء المعروف.

377 جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أم سلمة رضي الله عنها

أو أحد مع زميلة له في العمل فيتكلم معها في حدود العمل:

هاتِ هذا كذا، أو ماذا فعلت في الموضوع المكلفة به في كذا؟ هل جهزت السجل الفلاني؟ وفقط، ولكن لا يقول لها مثلاً: ماذا تفعلين مع زوجك؟ كيف يعاملك زوجك؟ وأولادك ما أخبارهم؟ أنت ما شأنك وهذه الموضوعات؟!! هذه أخبار خاصة لا يجب أن تتدخل فيها ولا أن تساهم فيها، لأن ضعاف النفوس ينتهزوا هذا الكلام، فمن الجائز أن تكون مسكينة وتقول له: أنا وزوجي غير موفقين مع بعضنا وعندنا بعض المشاكل، فينتهز هذه الفرصة ويدخل ليحل محل الرجل، ولذلك ربنا الحكيم العليم قال:﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ (2، الأحزاب .

هناك أُناسٌ مرضَى في المجتمع، وأين هذا لمرض؟

في القلوب، فينتهز الفُرصة ويدخل، فيجب أن يكون الكلام بيننا وبين بعضنا في الجامعة مثلاً عن الدروس والمحاضرات، فتقول له مثلاً: أنا أريد محاضرة كذا لو سمحت وانتهى الأمر، لكن يقول لها: اعطني رقم تليفونك، تقول له: لا، أو يقول لها: من أي بلد؟ لا تسترسل م ه، هي تريد المحاضرة وفقط.

فيكون الكلام في الضرورات إن كان في العمل أو في البيت أو في المدرسة أو في الجامعة .. يكون الكلام في المتعارف عليه فقط.

لكن أنا أسمع في المصالح كلمات بين نساءٍ أجنبيات ورجال أجانب مع بعضهم كلاماً يندى له الجبين، تصل إلى المزاح، و لمزاح محذور، وكذلك الكلمات التي لا تليق، والذي يحدث بعدها قهقهة بين الإثنين، مع أن الله ﷻ نهى عن ذلك نهياً صريحاً وقال:﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ (32 الإسراء) يعني كل الطرق التي تؤدي إلى الزنا نبتعد عنها بالكلية.

ذاهب إلى أخي لأزوره في البيت وليس هناك أحدٌ إلا زوجته، هل يُباح لي أن أدخل؟ لا، لأنني لستُ محرماً لزوجته، فأسأل: هل فلان موجود؟ إذا قالت زوجته لي: إنه غير موجود، أذهب وأمضي، ومن الجائز أن تقول لي: تفضَّل، فأقول لها: لا، سأنتظره في المسجد أو في مقهى حتى يرجع وأرسليه لي، لماذا؟ لأن النبي أغلق هذا الباب وقال:

{ لا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا }[378]

هل استثنى الحبيب أحد؟ لا، الخلوة للمحارم فقط، والمحارم يعني المحرَّم عليهم أن يتزوجوها، كأبيها وأخيها وأبي الزوج لا مانع أو عمها أو خالها، لكن أخو الزوج لا يجوز له الخلوة، فلا يدخل إلا في وجود الزوج، أو في وجود أبناء كبار بالغين، لكن إذا كانت هي وحدها في البيت فقد منع الإسلام ذلك، ومنع أن يسافر معها كذلك حتى ولو لمصلحة ضرورية إلا إذا اصطحبا معهما محرم.

378 مسند أحمد وابن حبان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أخي مسافر للسعودية مثلاً، وزوجته تعرضت لمرض لها أو لطفل ن أطفالها وتريد أن تسافر إلى بلد قريب للطبيب، فهل ينفع أن أسافر معها وحدنا؟ لا، لا بد أن يكون معها محرم من طرفها، يجوز أن يسافر معها والدي لأنه محرم.

فأمر الله ﷻ بسدِّ كل هذه الأبواب التي تؤدي إلى الزنا حرصاً على نقاء المجتمع المسلم وطهارته لأنها أخطر مصيبة تحُلُّ بالمسلمين، ويكفي فيها قول الصادق الأمين:

{ الزِّنَا يُورِثُ الْفَقْرَ } [379] وورد في بعض الأثر:

{ بَشِّرِ الْقَاتِلَ بِالْقَتْلِ، وَالزَّانِيَ بِالْفَقْرِ، وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ }

فلا بد أن نبعد عنه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ...

أما بالنسبة لزوجته فقد أحلها الله له إلا في أوقاتٍ محددة، وفي أماكن محددة، وكذلك ملك ذات اليمين التي كانت موجودة في الأزمان السالفة.

379 شعب الإيمان للبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

خطورة العادة السرية

أيضاً الحفاظ على الفرائض يقتضي أن يعلم شبابنا أن الله ﷻ حرَّم على المؤمنين أجمعين ما يسمونه بالإستمناء أو العادة السرية، لأن كثير من الشباب يلجأ إليها ويظن، أو غيره يُوهمه بأنها حلال، لكن اتفق أهل المذاهب الفقهية على أن العادة السرية حرام لأنها داخلة في هذه الآية، وداخلة في قول الله: ﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ وهي العادة السرية، أو اللواط ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ على حدود الله، وعلى حقوق الله، وعلى شرع الله جل في عُلاه، والعادة السرية يكفي فيها قول رسول الله ﷺ :

{ سَبْعَةٌ لا يَنْظُرُ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلا يَجْمَعُهُمْ مَعَ الْعَالَمِينَ ، يُدْخِلُهُمُ النَّارَ أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ إِلا أَنْ يَتُوبُوا ، إِلا أَنْ يَتُوبُوا ، إِلا أَنْ يَتُوبُوا ، فَمَنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، النَّاكِحُ يَدَهُ ، وَالْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ بِهِ ، وَالْمُدْمِنُ بِالْخَمْرِ ، وَالضَّارِبُ أَبَوَيْهِ حَتَّى يَسْتَغِيثَا ، وَالْمُؤْذِي جِيرَانَهُ حَتَّى يَلْعَنُوهُ ، وَالنَّاكِحُ حَلِيلَةَ جَارِهِ } [380]

380 شعب الإيمان للبيهقي عن أنس رضي الله عنه

أولهم الناكح يده، فهذا والعياذ بالله لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكيه حتى يدخل الجنة، وله عذابٌ أليم، هل هناك بقي شيء بعد هذا الحديث؟!! هل هناك من يقول بعد ذلك أنها حلال!! فالذين يقولون - هداهم الله - نظروا إلى أهل الغرب، وأهل الغرب لا يأتينا منهم إلا كل كرب، وقالوا: أن العلم يقول: أن الإنسان لا بد له من تصريف الفائض عن جسمه من الحيوانات المنوية وإلا سيتعب، مع أن الله جعل لنا تصريفاً طبيعياً في الاحتلام أو الاستنوام، والاحتلام أنه يشعر في النوم أنه يعاشر امرأة ويُنزل، والاستنوام أن يستيقظ من النوم ويجد نفسه قد أنزل ولا يرى مناماً ولا يشعر بشيء، وهذا يحدث حتى مع المتزوجين، إذا كان متزوجاً وذهب بعيداً عن زوجته لفترة طويلة فيحدث له نفس الأمر ... فالله جعل لنا تصريفاً طبيعياً إلهياً ربانياً ..

فلا نسمع لقول المرجفين من أهل أوروبا وأمريكا بأن هذا لا بد منه، وهذا ما يرددوه لأبنائنا في الجامعات، والنتيجة كما نراها الآن أن معظم شبابنا عندما يتزوَّج يصاب بالضعف الجنسى لا يستطيع القيام بحقوق الزوجية، فيُسرعون للسحرة والدجالين، أو للطبيب إن كانوا عقلاء فيخبرهم أن عنده ضعف جنسى أو دوالي في الخصيتين! ولا بد من إجراء عملية لكي يستطيع إقامة العلاقة الجنسية وللإنجاب! وتتعقد الأمور!! من أين أتت الأشياء؟ من هذه العادة السرية السيئة التي يمارسها شبابنا، ولذلك معظم شبابنا في هذا الزمان يحتاج إلى عملية دوالي الخصيتين، وما سبب الإصابة بذلك؟ بسبب الممارسات الغير طبيعية البدنية والعصبية عندما يعبث بذكره، ويحاول أن يمارس العادة السرية بأي كيفية ! ، ولذلك نهى الله ﷻ عنها.

فاحشة اللواط

ونهى الله أيضاً عن اللواط :

وهو إتيان الرجل للرجل، أو إتيان الرجل للمر ة من الدُبر، فقال فيه ﷺ :

{ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ، وَالْمَفْعُولَ بِهِ }[381]

الإث ن يُقتلا، لأن هذا ليس من شريعة الإسلام، وأنتم تعلمون أن قوم لوط أنزل الله عليهم العقاب بسبب هذه الجريمة، العقاب الأول بالصيحة، والعقاب الثاني أُخذوا إلى السماء السابعة ثم قُلبُوا إلى الأرض السافلة، والعقاب الثالث رجمهم الله ﷻ بالحجارة، فهذا عقاب هذه الفعلة الفاحشة المُنكرة التي نهى عنها الله ﷻ .

نسأل الله ان يحفظ شبابنا وفتياتنا أجمعين من هذه الوباءات التي انتشرت كالنار في الهشيم، وأن يحفظهم بحفظه ويجعلهم صالحين وأتقياء وبررة في الدنيا، وسُعداء مع النبيين والمرسلين يوم الدين آمين يا رب العالمين.

381 جامع الترمذي وأبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما

حفظ الأمانات

السمة الخامسة: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾ :

هذه الآية تطالبنا بحفظ الأمانة، وأهم صفة يطلبها الله ﷻ من المؤمن هي قول النبي:

{ أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ }[382]

وكان النبي ﷺ من شدة حرصه على تعليم هذا الخُلق لأمته، أنه كان قبل الهجرة لا يجد الكافرون مكاناً آمناً يستودعون فيه الشيء الثمين عندهم إلا عند رسول الله!!، مع أنهم كانوا يحاربونه!!.وعندما خرج أصحابه نهب الكفار بيوتهم وأخذوا أموالهم وأخذوا تجاراتهم وأخرجوهم بدون شيء من ممتلكاتهم، وعند خروج النبي أمر ابن عمه عليٍّ بن أبي طالب أن ينام في مكانه مع أنه سيتعرَّض للقتل، وأعطاه كشفاً بهذه الودائع وأسماء أصحابها، وأمره أن لا يترك مكة ولا يهاجر إلا قبل إعطاء كل وديعةٍ لصاحبها، فمكث الإمام عليٌّ رضي الله عنه وكرم الله وجه ثلاثة أيام، إلى أن أدَّى الودائع كلها لأهلها، ثم هاجر ليلحق بالحبيب المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه، ويكفي في هذه الصفة الطيبة أن النبي قال لنا في حديثٍ مباركٍ شـ ـف:

---

382 جامع الترمذي وأبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ }[383]

ما علامة صدق الإيمان؟

أن يكون الإنسان متخلقاً بخُلق الأمانة، إذا كان الإنسان غير أمين، فإن دينه فيه وهن، وفيه ضعف، وفيه رقة، وفيه لين، لكن لو كان إيمانه قوياً لكان أميناً، لأن من علامة صدق الإيمان أن يكون الإنسان أميناً في كل تصرفاته، وأميناً في كل وعوده، وأميناً في كل عهوده، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾ .

383 مسند أحمد وابن حبان عن أنس رضي الله عنه

المحافظة على الصلوات

السمة السادسة: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ :

وهذه قد يرى البعض أن فيها تكرار، لكن لا، ففي المرة الأولى تكلم عن الخشوع في الصلاة في هيئة الصلاة، لكن في هذه المرة تكلم عن المحافظة على أداء الصلاة في أوقاتها التي حدَّدها الله ﷻ ، لأن الله قال لنا في كتاب الله: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا ﴾ (103 النساء)

لها أوقات حددها الله ﷻ ، وقت الآذان، فمثلاً آذن الظهر فيه صلاة الظهر إلى ما قبل العصر، فهذا وقت الظهر ولكن جعل فيه وقت أول، ووقت ثاني أقل منه في الدرجة، ووقت ثالث أقل في الدرجة، فمن يُصلي في الوقت الأول غير من يُصلي قبل العصر، كيف؟ قال ﷺ ، وانتبهوا للحديث:

{ أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ }[384]

فمن صلَّى في أول الوقت يحظى بدرجة الرضوان: ﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ ﴾ (72 التوبة)

ووسط الوقت رحمة الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (71 التوبة) وآخر الوقت عفو الله، فهل من ينال درجة الرضوان كمن يكون في عفو الله ﷻ ؟!!يعفو أو لا يعفو عنه

384 سنن الدار قطني والبيهقي عن أبي محذورة القرشي رضي الله عنه

إذاً المؤمن يجب أن يحافظ على أداء الصلوات في أوقاتها لأن الله قال بذاته: ﴿ حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ (238 البقرة) والصلاة الوُسطى لم يبينها الله، ولا رسول الله لنحافظ على الصلوات كلها، بعض الأئمة قال: الفجر، وبعضهم قال: الظهر، وبعضهم قال: العصر، لكن سيدنا رسول الله لم يبينها بياناً صريحاً لنحافظ على الصلوات كلها في وقتها في جماعة.

ورثة الفردوس

الذي يحافظون على هذه الصفات الست، ما أجرهم؟ بيَّن الله عظيم الأجر والجزاء الذي جعله لمن يعمل بهذه الآيات – نسأل الله أن نكون منهم أجمعين – فقال في حقهم: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ :

ولذلك نسميهم ورثة الفردوس، والجنة لها أسماءٍ كثيرة بحسب أقسامها وأحيائها، ففيها جنة الخُلد، وفيها جنة عدن، وجنة المأوى، ودار السلام، وجنة النعيم، ودار المقامة، كل هذه أقسامٍ للجنان وكل قسمٍ له أهله، لكن لما وصف النبي ﷺ الفردوس قال:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ } [385]

إذاً فالفردوس درجات، فيه الأعلى، وفيه الأوسط، وفيه الأدنى، وهذا الفردوس تحت اله ش مباشرةً، والعرش ليس مكان، ولكن العرش موضع تجلي حضرة الرحمن بذاته لمن يُرد أن يمتعهم بالنظر إلى جمالاته.

385 صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

فالفردوس تحت العرش مباشرةً، ولذلك أراد الله ﷻ لهم متعة النظر إلى الوجه الكريم، والتي يقول فيها في الذكر الحكيم: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة) ناضرة يعني تظهر عليها نُضرة النعيم، وبهجة النعيم، وجمال النعيم الذي ادخروه في دار المقامة، فعندما يريد الله أن يمتعهم يرسل إليهم رسائل إلهية، كما ورد في الأثر: ((**من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت، عبدي اشتقتُ لرؤياك فتعالى لتزورني**)) لأن الإنسان يكون دخل في: ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ليس فيها موتٌ نهائي، فكما قال ﷺ :

{ إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ بِلا مَوْتٍ } [386]

فمن الناس من تُرسل إليه هذه الدعوة مقدار كل سنةٍ من سنين الدنيا مرة، ومنهم من تُرسل إليه هذه الدعوة بمقدار كل شهرٍ من وقت لدنيا، ومنهم من تُرسل إليه هذه الدعوة بمقدار كل أُسبوع من أيام الدنيا، ومنهم من تُرسل إليه هذه الدعوة بمقدار كل يومٍ من أيام الدنيا ... على حسب درجاتهم وقربهم من الله ﷻ ..

---

386 حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

هذا الكلام كله سيكون في جنة الفردوس، على الكثيب الأحمر، يعني كوم عالي كالمدرَّج، فمنهم من يكون له منبر من نور يجلس عليه، ومنهم من يكون له كرسي من جلال يجلس عليه، ومنهم من يكون له بساط يجلس عليه، ومنهم من يقف ! كلٌ على حسب درجته ومقامه، يكون هؤلاء على الكثيب الأحمر فوق الفردوس مباشرةً، لكي يتمتعوا بالنظر إلى وجه الله ﷻ ... والنظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى أبهى مُتع الجنة وأغلاها وأرقاها، ولذلك لا يناله إلا الكُمَّل من الرجال الذين يمنُّ الله عليهم بفضله، وينالوا هذا النوال لا بعملٍ ولا بشيء قدموه، وإنما بفضل من الله ﷻ ورحمة.

سيدخلون الجنة ويرون فيها ألوان النعيم، وألطاف حضرة الكريم، فيخافون أن يكون هذا الأمر لفترة معينة، ويخرجوا مرة ثانية، فطمأنهم الله ﷻ وقال:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴾ :

يعني من يأخذ قطعة منها فلا يُطرد منها، ومن أخذ قصراً أصبح ملكه إلى ما شاء الله، ولا أحد ينازعه فيه لأنه ملكه، لأن من ورَّثه هو خير الوارثين هو الله ﷻ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ :

خلودٌ بلا موت، يظلون شباباً على الدوام لا يكبر أحدهم في السن، ولا تظهر عليه علامات الشيخوخة، بل يظلون كما قال ﷺ :

{ لا يَبْلَى شَبَابُهُمْ } [387]

لا يظهر عليهم العجز والكبر أبداً، فيكون الكل في سن الثلاث والثلاثين سن الشباب على الدوام، فلا يأتي يومٍ يكون مثلاً أربعة وثلاثين ! لا، ولكن يظلُّ دائماً في ثلاث وثلاثين، وفي طول آدم، وفي جمال يوسف، وفي رشاقة وحيوية سيدنا محمد ﷺ .. ويظل في النعيم المقيم عند الله ﷻ لا يكلُّ ولا يملُّ ولا يصيبه يأسٌ ولا قنوط، ولكن دائماً وأبداً في تجديدٍ للنعم، وتجديدٍ للعطاءات، وتجديد للهبات من الحي الذي لا يموت ﷻ .

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل هذا الجمال، وأن يواجهنا بهذا الكمال، وأن يعيننا على التخلق بهذه الخلال، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

387 مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ (المؤمنون)

24 : المسارعون في الخيرات [388]

dddddddddddddddddd

كلنا نعمل الخير ونرغب في المسارعة إلى فعل الخيرات والتنافس في الطاعات، وعمل القربات التي تكون لنا بها منزلةً طيبةً عند الله ﷻ في الدنيا ويوم الميقات، ه ه المسارعة إلى الخيرات لا بد أن تسبقها نية طيبةٌ منا أجمعين، لأن الأعمال بالنيات كما قال ﷺ :

{ إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ } [389]

لكن الله ﷻ جعل شروطاً ومواصفاتٍ في كتاب الله لمن يسعى في الخير، ولمن يرغب في عمل البر، ولمن يريد أن يعمل أعمالاً لنفسه أو ا ومه أو لمجتمعه، ولا بد أن تنطبق هذه المواصفات لأن الذي وضعها هو الذي يتقبل منَّا الأعمال الصالحات وهو الله ﷻ .

وضع شروطاً لا بد لكل مؤمنٍ أن يعيها وأن يعرفها، وأن يحاول أن يتصف بها، وأن يعمل جاهداً على أن يجمعها كلها، سواءٌ قبل عمله للخير، أو أثناء عمله، أو بعد عمله، المهم أن يكون متجملاً بها على الدوام، إذا سقط شرطٌ منها ربما يقلّ أجره، وربما يُحرم الثواب، وربما لا ينال الأجر بالكلية لأنه خالف الشروط الإلهية القرآنية التي جعلها الله ﷻ في قرآنه الكريم.

---

388 الأقصر – الطه – مركز القاد 9 من صفر 438 هـ 1 2016م

389 البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

خشية الله

أول هذه الشروط الألهية:

أن يكون متخلقاً بخُ ق الخشية، والخشية غير الخوف، فالخوف للإنسان قد يكون معه رُعبٌ وهلع، لكن الخشية يكون معها رقَّة، ومعها شفقة، ومعها عطف، ومعها حنان، ولذلك وصف الله ﷻ العلماء الأجلاء الأتقياء بأنهم أهل خشية لله ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ ﴾ (39: الأحزاب) الخشية خوف مع استعطاف، ومع استرقاق من الله ﷻ ، هذا الخوف يجعل الإنسان يُقبل على الله ولا يبتعد عن الله جل في علاه.

ولذلك جعل الله ﷻ أول صفات الذي يفعل الخيرات الخشية لله ﷻ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ :

وهذه الصفة س ضرب لها مثلاً: الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لكنهم لمشاهدتهم عظمة الله، وجلال الله، وقدرة الله، فهم في أشد الخشية على الدوام من حضرة الله ﷻ .

أعظم الملائكة جبريل الذي اختصه الله بالنزول بالوحي والتنزيل على نبينا ﷺ وعلى المرسلين أجمعين، وهو الذي صحب النبي ﷺ في رحلته المباركة؛ رحلة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس، ورحلة المعراج إلى العرش، ثم وقف هناك وقال كما ورد: إلى ها هنا انتهى مقامي،

قال: يا أخي يا جبريل أها هنا يترك الخليل خليله؟ قال: يا محمد أنت لو تقدمت لاخترقت، وأنا لو تقدمت قدر الأنْمُلة - يعني طرف الإصبع - لاحترقت، قال: ألك حاجة؟ قال: أن يؤمنني الله ﷻ ... يعني كان خائفاً من جلال الله ومن قدرة الله ومن عظمة الله جل في عُلاه، لأنه شاهد العظمة التي لا تُحد، والقدرة التي لا يستطيع أن يسعها أحد، فكان في خشيةٍ شديدة من الله سبحانه وتعالى ، فنزل من أجله قول الله ﷻ : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ (193 الشعراء) ولذلك سأله رسول الله ﷺ كما جاء بالخبر المشهور الآخر :

{ إن الله يقول ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ فهل أصابك من هذه الرحمة؟ قال: نعم إني كنت أخشى عاقبة الأمر فأمنت بك لثناء أثنى الله علي بقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ (20-21التكوير).} [390]

فأعطاه الله ﷻ الأمان، فأصبح أميناً في الدنيا، وأميناً في الآخرة وأميناً عند الله ﷻ .

فأول صفةٍ للمؤمنين المسارعين إلى فعل الخيرات ... بعد النية الطيبة .... أن تكون عندهم خشية من جلال الله :

390 تفسير روح البيان والشفا والسيرة الحلبية وكثير من كتب التفسير

وقبل العمل يعلمون علم اليقين أن الذي يطلع على حركاتهم الظاهرة والباطنة، والذي يرى ما في السرائر، والذي يطلع على غيب الضمائر هو الله ﷻ ، وهو وحده الذي إليه المرجع وإليه المصير، وهو الذي يُثيب، ويجازي أو يُعاقب المخطئ، ولا يستطيع الناس جميعاً لو اجتمعوا أن ينفعوه بشيء إلا بإذنه، ولا يدفعوا عنه شيئاً إلا بإرادته ﷻ .

فهنا يُحرر النية في العمل أن يكون العمل لله، لا لأحدٍ سواه، وهذا هو المشهد الأول الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ... فإذا أراد أن يعمل خيراً لأحدٍ من الخلق، أو خيراً لنفرٍ من الناس، أو معروفاً لأي إنسان، كان دائماً يستحضر أن يعمل لله، وليس لهذا الإنسان، لأن الذي يتولى إثابته ومكافأته هو الله ﷻ .

ورد أن السيدة عائشة ﵂ا والسيدة فاطمة ﵂ا كانا كلتاهما قبل أن تتصدق تأتي بعطرٍ وتُعطِّر المال الذى ستخرجانه ثم ترسلانه إلى لفقير، فسُئلتا: لم تفعلا ذلك؟ قالتا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول:

{ إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ الْمُصَدَّقِ عَلَيْهِ }[391]

391 البر والصلة لابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها

فكانوا يُعطون الصدقة على أنها تقع في يد الله ﷻ ، وكانت السيدة عائشة ﵂ بالإضافة إلى ذلك تطلب ممن يحمل لها الصدقة إلى الفقير أن يحفظ ما يدعو به الفقير، لأن العادة أن الفقير إذا أعطاه أحدٌ شيئاً فإنه يدعو له، وبعد أن يعود تسأله: بم دعا؟ فيقول لها الدعاء، فتدعو للفقير بما دعا لها، فسُئلت عن السبب؟ فقالت:

دعاءٌ بدعاء حتى تسلم لنا صدقاتنا.

تخاف من دعاء الفقير حتى لا يكون أجراً لهذه الصدقة،لأنها تريد الأجر من الله ﷻ ، ولو وُجدت هذه الصفة على القائمين على المشاريع الخيرية، والجمعيات الاجتماعية، والأعمال الخيرية كلها، لغطَّت أعمال البر مجتمعنا وفاضت عنا.

فماذا نحتاج في البداية؟

الذين يخافون الله، ويخشون الله، ويعلمون أن الأمر كله بيد الله وحده لا بيد أحدٍ سواه، فإذا كان يستطيع أن يُفلت في الدنيا من الجهاز المركزي للمحاسبات، أو من الجهات الرقابية، فكيف يُفلت في الآخرة؟!! والذي يُحاسبه هو مولاه، والشهود عليه جوارحه التي فعلت، والأرض التي مشى عليها وصنع عليها، والملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

الإيمان بآيات الله

الشرط أو الصفة الثانية والتي لا غنى لأي مؤمنٍ عنها:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾:

لا بد أن يكون عنده إيماناً كاملاً بآيات الله، وآيات الله عندنا ثلاثة أصناف : آيات كتاب الله التي نزلت على رسول الله، وآيات الله ﷻ الموجودة في الآفاق: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ (190 آل عمران) وهي آياتٌ كونية كالسماوات والأرض والجبال والشمس والقمر و لبحار .. كل ما على الأرض وما فوقها وما تحتها آيات، يعني علامات بارزة تدل على قدرة الله، وعلى إعجاز صُنع الله، وعلى إبداع الله تبارك وتعالى في صنعته.

الآيات الثالثة وهي الموجودة في الإنسان، ففيك من آيات الله ما يُعجز أي إنسان – ولو لبيب – إذا تدبَّر فيه من قريب، ولذلك قال بعض الصالحين: ((تبُصرك فيما فيك يكفيك)) لو نظر الإنسان إلى آيات الله، يعني علامات قدرة التي فيك إن كانت في الوجه، أو كانت في اليدين، أو كانت في الرأس، أو كانت في البطن، أو في أي عُضوٌ من الأعضاء، علامات بارزات تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى على الدوام.

ولذلك أمر الله ﷻ المؤمنين أن يُشاهدوا هذا الفيلم الرباني الكوني، وهذا الفيلم الذاتي الإنساني، وقال في ذلك: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ (53 فصلت) أين يا رب؟

﴿ فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (53 فصلت) لا بد للإنسان أن ينظر للآيات التي في الأكوان، والآيات التي في نفسه ليعرف قدرة الله ﷻ .

كيف؟

هذه عبادة بدأ بها ﷺ صحبَه الكرام، فالرسول استمر يدعو إلى الله في مكة ثلاثة عشر عاماً، والصلاة فُرضت في العام الإثني عشر، يعني قبل الهجرة بسنة، والصيام والزكاة لم يُفرضا إلا في العام الثاني من الهجرة، فماذا كانت عبادهم في هذه السنين؟ كانت عبادهم هي عبادة التفكر، فكانوا يتفكرون في خلق الله، وفي أنفسهم، وفي آيات كتاب الله ﷻ ، ويربطوا هذه الأفكار بالله سبحانه وتعالى، فيهتدون إلى عجيب قدرة الله وغرائب صنعته.

والتفكر أكبر عبادة، لأنه عبادة الأنبياء والمرسلين، فسيدنا رسول الله ﷺ كان قبل بعثته يختلي في غار حِراء، وماذا كان يفعل؟ تحكي الروايات أنه كان يتفكَّر، فيقف أمام الغار، أو يجلس في الغار ويتفكَّر في نفسه، ويتفكَّر في خلق الله من حوله، حتى قال أهل مكة من شدة شُغله بهذا التفكير: إن محمداً عشق ربه، لماذا؟ لأنه كان مشغول البال على الدوام بهذا التفكير، هذا الفكر يقول فيه ﷺ مبيناً قدره بالنسبة للنوافل والعبادات:

{ لا عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ }[392]

لا توجد عبادة في النوافل حتى قيام الليل أو صيام النهار أو غيره تساوي عبادة التفكر، لكن منهج التفكر يكون من العرش إلى الأرض، ولا نبحث عما زاد على ذلك، فهذا مقررنا، قال فيه ﷺ :

{ تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ، وَلا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ }[393] وفي رواية أخرى:

{ تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَتَهْلِكُوا }[394]

وما أجر التفكر الذي يُثيب الله الإنسان عليه؟ قال ﷺ :

---

392 معجم الطبراني ومسند الشهاب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
393 معجم الطبراني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما
394 العظمة للأصبهاني عن أبي ذر رضي الله عنه

{ تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ }[395]

والساعة تعني اللحظة، فتساوي سنة في النوافل التي يصنعها ويفعلها الإنسان ليُرضي الله ﷻ ،

وفي رواية أخرى:

{ فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً }[396]

والتفكر هي العبادة الثانية التي لا بد منها للإنسان، لأن أهم ما يُفكر فيه؛ أن يُفكِّر في البداية ويُفكر في النهاية، ويفكر في المرجع والمآب والمصير، ويعلم علم اليقين أنه إن آجلاً أو عاجلاً ذاهبٌ إلى الله، فلا ينبغي عليه أن يخالف مولاه طرفة عينٍ ولا أقل، ولا يصنع إلا ما يُحبه ويرضاه الله سبحانه وتعالى.

---

395 الفوائد المجموعة للشوكاني

396 العظمة للأصبهاني عن أبي هريرة رضي الله عنه

إخلاص العمل لله

الصفة الثالثة: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴾ :

هل يوجد شركٌ بعد الإيمان؟! يعني إنسان مؤمن كيف يأتيه الشرك؟!

الله ﷻ يقول في القرآن: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ (106 يوسف) سُئل النبي ﷺ في ذلك، فقال ﷺ :

{ إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ }[397]

والشرك هنا أن الإنسان يصنع العمل من أجل الخلق، من أجل أن يحمدوه، ومن أجل أن يشكروه، ومن أجل أن يعظِّموه، ومن أجل أن يوقروه، ومن أجل أن يستفيد من ورائهم .. فالدافع له من العمل ليس لإرضاء الله، ولكن لإرضاء خلق الله، وهذا اسمه شركٌ عند الله ﷻ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ (110 الكهف) .

فالعبادة يجب أن تكون خالصةً لله ﷻ ، هذا ما كان يراعيه الصحابة الأولون، ومَن بعدهم من الصالحين إلى يومنا هذا، وإلى يوم الدين.

397 سنن ابن ماجة والحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

انظر إلى الإمام عليٍّ ﷺ وكرَّم الله وجهه، دعاه رجلٌ من الكفار في إحدى الغزوات إلى المبارزة، والمبارزة هي أن كل واحد يمسك بالسيف ويحاول أن يقضي على الآخر، وهي كالمصا عة الحُرة ولكن يُضاف إليها سلاح، فأخذا يتضاربان بالسيوف حتى تكسَّر سيفيهما، فماذا يفعلان بعد ذلك؟ دخلا في مصارعة حُرة، وكل واحد منهما يريد أن يوقع الآخر على الأرض، ومع ‍ ل واحدٍ منهما خِنجراً ليقتله به .. وفي النهاية رفعه الإمام عليٌّ وجلَده على الأرض، وركب عليه وأخرج الخِنجر لكي يذبحه، فبصق الرجل في وجه الإمام علي، لأنه لم يعد معه حيلة، فقام الإمام عليٌ ﷺ من عليه وتركه، فذُهل الرجل وقال له: كيف تركتني بعد أن تمكنت مني؟!! قال: كنتُ أقاتلك لله، فلما بصقت في وجهي خِفت أن أقتلك انتقاماً لنفسي وليس مرضاةً لربي ﷻ ، قال: وهل تراقبون الله تبارك وتعالى في هذه المواطن؟! قال: وفي أدقِّ منها!!.

كانوا يراقبون الله مراقبةً عتيدة في هذه المواطن بأنه لا يتبسَّم إلا لله، ولا ينطق لأحدٍ من الخلق إلا ويقصد بها رضاء الله، ولا يفعل عملاً صغيراً أو كبيراً إلا وهمه رضاء الله تبارك وتعالى، وهذا هو الإخلاص، فالإخلاص أن يكون العمل خالصاً لله ﷻ .

وحدَّد الله ﷻ قبول الأعمال في قرآنه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (5البينة) لا بد أن يؤسس المؤمن العبادة على الإخلاص، وأي عملٍ عمله المسلم ما دام قد نوى فيه مرضاة الله فيكون عبادة، كما قال النبي:

{ وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ }[398]

اللقمة التي يرفعها ويطعمها لزوجته بشرط أن تصحبها نية خالصةً سوية لله ﷻ تكون عبادة، وإذا داعب إبنه فتكون عبادة لله ﷻ ، وأي عملٍ من الأعمال تستطيع أن تُحوله من العادة إلى العبادة إذا سبقته نية خالصة، وصحبه الإخلاص هو أن يكون هذا العمل متوجهاً إلى الله ﷻ ...

إذاً ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴾ :

عني قد تطهروا من الرياء، وعقدوا النية على الإخلاص، ونحن نحتاج إلى هؤلاء المخلصين، حتى قال ﷺ في الصادقين من أهل هذا الزمان:

{ طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الدُّجَى تَنجَلِي عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ }[399]

---

398 البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه
399 شعب الإيمان للبيهقي عن ثوبان رضي الله عنه

هؤلاء هم المخلِصون أو المخلَصون، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

فصفة الإخلاص أساس في أي عملٍ من أعمال البر أو الخير كما ذكر الله ﷻ، وما أضاع الناس إلا حب الظهور، والرغبة في الشُهرة، وطلب السُمعة .. كل هذه الأمور تضيع الإنسان في دنياه، وتجعله خالياً من الحسنات في أُخراه، لأن الله يوم القيامة يقول:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ }[400]

لا يقبل الله العمل إلا إذا كان خالصاً لوجهه الكريم ﷻ .

---

400 صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

الرهبة من الله

الصفة الرابعة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ :

لما نزلت هذه الآية قالت السيدة عائشة لرسول الله:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ : لا ، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ ، وَيُصَلِّي ، وَيَتَصَدَّقُ ، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ } [401]

والوجل هنا من عدم قبول العمل، فنحن كلنا نعمل ولكن ليس مهماً العمل فقط ، ولكن المهم القبول، ولذلك قيل: **((الجاهل يهتم بالإقبال والعالم يهتم بالقبول))** الجاهل يهتم بإقبال الناس عليه وإحاطتهم به وتعظيمه وتكريمه، والعالم يهتم بالقبول عند الله ﷻ ، فيعمل المعروف ويعمل الخير ويعمل البر لخلق الله، ويفعل الطاعات لنفسه طلباً رضاة الله .. وكله خوفٌ ووجلٌ خوفٌ شديد) .. أن الله ﷻ لا يقبله ولا يتقبل عمله.

---

401 مسند أحمد والترمذي

وإلى ذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ ، كانوا كما وصفهم الله: ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ (17الذاريات) والهجوع يعني النوم الخفيف، كانوا ينامون النوم الخفيف، لماذا؟ ليحيوا الليل في طاعة الله ﷻ ، ومع ذلك كانوا ساعة السحر والتي هي قبل الفجر مباشرةً: ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ (18الذاريات) من أي شيء يستغفرون؟ من الطاعات، لأنهم خائفون من القصور والتقصير.

فالمؤمن العالى، والذي قلبه مملوء بخشية الله، والذي يطلب رضاء الله دائماً ينظر إلى العمل من كل جوانبه، ويخاف أن يُقصر فيه فلا يقبله مولاه.

ولذلك لو تصفحنا دووابن الصالحين وحياتهم تجدهم أجمعين كلهم كانوا مجمَّلين بالقصور، ورؤية النفس أنها عدمٌ أو هباءٌ، أو أنه لا يستطيع أن يقدم شيئاً قليلاً أو كثيراً، وكان ميزانهم في الأفراد ذلك الميزان ويقولون:

((من رأى نفسه فوق التراب ضل)) .

من يرى نفسه، ويسعد بنفسه، ويرى نفسه عالم أو عابد أو مجد أو مجتهد فهذا لم يفهم القضية، لأنه لو نظر نظرة بتمكين إلى المعونة التي يقدمها له الله، والقوة التي يقويه بها الله، والحول والطول اللذان يواليه بهما مولاه، فماذا له؟ ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ (5الفاتحة)

فلو لم تأت المعونة فكيف نعبده؟! لا نستطيع أن نعبده ﷻ إلا بمعونته، ولا نستطيع أن نمنع أنفسنا عن المعاصي إلا بإرادته، ولا نستطيع أن نفعل أي عملٍ إلا إذا أمدنا بحوله وقوته ﷻ .

إذا رفع المعونة والحول والطول فماذا معنا ؟!! لا نملك شيئاً نقدم به عملاً نافعاً لله إلا إذا أعاننا وقوانا الله جل في علاه، ولذلك كان الأنصار والمهاجرين يقولون:

اللهم لولا الله ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا	وثبت الأقدام إذ لاقينا

وكان الله ﷻ على الدوام يلاحظهم في هذه الأحوال، ويطهرهم من هفوات النفس.

ذهبوا في غزوة بدر وكانوا ثلاثمائة وإحدى عشر أو ثلاثة عشر رجل، على حسب الروايات، والكفار يزيدون عن الألف، ونصرهم الله، لأنهم كانوا لا يرون لأنفسهم طاقة بمحاربة هؤلاء فتضرعوا إلى الله، واستغاثوا بالله، وطلبوا العون من الله: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾

(الأنفال .

فلما دخلوا في القتال، ورأوا أنه قد قُتل من الكافرين سبعين رجلاً، فكان يقول بعضهم: أنا قد قتلتُ فلان، والآخر يقول: وأنا قتلت فلان، وبعضهم يقول: أنا أريد في الغنائم أكثر لما أبليته، والآخر يقول أنا أريد في الغنائم أكثر للعمل الفذّ الذي عملته، فقال الله لهم: ﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ ﴾ (17 الأنفال) هل أنتم عملتم شيئاً؟!!

فلماذا تذكرون أنفسكم بالفعل وتنسون الله ﷻ ؟!! وسيدنا رسول الله قبل المعركة أمسك بحفنة من الحصى ورماهم ﷺ ، وقال:

{ شَاهَتِ الْوُجُوهُ } [402]

فلم يبق وجه من وجوه الكفار إلا وأصابه في وجهه هذا الحصى، فقال الله لحضرة النبي: ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (17 الأنفال) .

فالأمر هنا يحتاج من المؤمن أن ينظر إلى توفيق الله، وإلى معونة الله، ويكون د ئماً واقفاً عند قول الله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (53 النحل) ولذلك فإن شعار الصالحين الصادقين يقول: ((إذا طَهَّر المرء قوله من ياء النسب فاعلم أنه صادقٌ مع الله ﷻ)) وما معني ياء النسب؟ أي لا يقول: هذا مني، ولا يقول: لي، ولا يقول: بفضلي، لا يقول بمعونتي،لكن ينسب هذا كله لله فيقول: هذا بفضل الله، وبمعونة الله، وبمدد الله جل في عُلاه، وبحول من الله سبحانه وتعالى فعلتُ كذا وكذا.

402 صحيح مسلم وابن حبان عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه

دائماً يبدأ الكلام بهذا، يقولون له مثلاً: محصولك ماشاء الله كثير، فكيف حصلت عليه؟ فيقول: بتوفيق الله حدث كذا وكـ ا، وبمعونة الله أجرى الله لي كذا وكذا.

فلا بد للمؤمن أن ينسب الفضل لله على الدوام، فإذا نسي فيكون قد خدعته نفسه، وفي هذا الوقت أصبح في كفَّةٍ غير طيبة، لأنه ربما تأخذه العزة بالإثم فيُعجب بنفسه، فإذا أُعجب بنفسه ورأى أنه فعل أو أنه عمل فيكون قد خرج من الد ئرة الإيمانية الكاملة للمؤمنين الصادقين الذين لا يرون الفضل إلا لرب العالمين ﷻ .

فالمؤمن دائماً يعمل الخيرات، ويسارع في الطاعات، ولكنه دائماً ينظر إلى إكرامات الله له، وتوفيق الله له، ومعونة الله ﷻ له في كل هذه الطاعات والقربات والصالحات.

إذا نسي ذلك فيُصبح على خطر عظيم، ويخاف من الله لئلا يقبله الله ﷻ ، أو يردُّه الله سبحانه وتعالى وهو لا يدري، لأن الإنسان لا يعلم إلا الظاهر، والله ﷻ يحاسبنا على الضمائر والسرائر: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾ (284البقرة) .

سابقون المقربون

إذا اتصف المؤمن بهذه الأوصاف الأربعة فيكون من رجال الله الذين يسارعون في الخيرات، ويبادرون إلى الطاعات والقربات، وهؤلاء يقول فيهم الله:

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴾ :

وما معنى سابقون؟ سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ قال في هذه الآية: سبقت لهم العناية من الله في الأزل، فوفقهم الله للعمل في هذه الحياة الدنيا.

ليعرف أن العناية السابقة هي التي وفقته في الأعمال اللاحقة، وإذا كان على هذا المنوال فإن الله ﷻ يرفع عنه كل مشقة وكل عناء وكل شدة ،لأن الله لا يكلف أي نفسٍ إلا وسعها، فيُعينه الله.

ولذلك نجد رجال الخير بمجرد أن يبدأ في مشروع تجد الخير يأتيه من كل حدبٍ وصوب، ليس ممن يطلب منهم، ولكن يأتيه من باب يقول فيه الوهاب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (37 آل عمران) وعندنا الأمثلة لا تُعد ولا تُحد في هذا المجال.

فما دام قد اتَّصف بهذه الأوصاف، وعمله يرجو به مولاه، فإن الله يُرسل له من عالم الدنيا وربما من عالم الملائكة في صورة رجال ليُعينوه على عمل هذا الخير الذي يرجو به رضا الله ﷻ .

سيدنا إبراهيم أول هؤلاء، أمره الله ﷻ أن يبني البيت المبارك هو ابنه إسماعيل فقط ولا يستعين بأحد، فصمَّم على تنفيذ أمر الله، وعقد العزم على أن يكون هذا العمل خالصاً لمولاه، فكان إسماعيل يأتي بالأحجار، وارتفع البناء، فماذا يصنع؟ سخَّر الله ﷻ له حجراً، وهو حجر المقام والذي فيه أقدام سيدنا إبراهيم الآن، هذا الحجر كان بمثابة أسانسير يتحرك بأمره، يترل إلى أن يضع عليه إسماعيل الأحجار ثم يصعد به إلى مكان البناء، فيبني ثم يترل مرة ثانية على هذا الحجر، فلا يحتاج إلى معونة من أحد، لأن معه معونة الواحد الأحد ﷻ .

ولما احتاج إلى حجرٍ يُحدد به بداية المطاف، والأحجار التي معه جاءت من لجبال القريبة وكلها متشابهة، أنزل الله له الملائكة بحجرٍ من الجنة وهو الحجر الأسعد، لكي يعلم به بداية المطاف، فكان الله ﷻ يعينه، ومع ذلك عندما انتهى من البناء هو وإسماعيل علَّمنا، فماذا كان دعاءهم؟ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ (127البقرة يريد أن يتقبل الله منهم العمل، وهذا هو الوجل، يريد القبول، مع أن الله ﷻ كان يُعينه في كل أموره، ولو نظرنا إلى المشاهير في هذا المجال تجد دائماً معونة الله لا تتخلى عنهم طرفة عين.

حتى الذي يريد أن يعبد الله ﷻ ويُخلص في العبادة، ويريد ن يتلذذ في جوف الليل في المناجاة، أو يريد أن يتلذذ بصيام أيام ليُرضي بها مولاه، إذا نوى ذلك وصدق في ذلك فإن الله يرفع عنه الكُلف - يعني المشق - فيجد في هذه الأعمال راحة، بل ربما يجد فيها لذة، بل ربما يجد فيها حلاوة فيعمل العمل الذي لا يستطيعه أي إنسان، ! نه لا يشعر بخمول ولا كسل ولا فتور ولا ضعف لأن الذي يعينه هو مولاه، وهذه أحوال الصالحين أجمعين.

لماذا كان الصالحون يديمون الجهاد في العبادات لله؟ لأنهم يتلذذون بها، لأن الله رفع عنهم الكُلفة والتعب والعنت، كانت السيدة رابعة وأمثالها تقف طوال الليل تصلي لله ، فإذا حان الفجر تقول: لم أشبع في هذه الليلة من طاعة الله ﷻ ، أتمنى أن أشبع ليلة من طاعة الله، يعني لماذا مرت الليلة سريعاً؟ لأن الله أزال عنها الكُلفة والعناء، وأصبحت تعبد الله في لذة وبهجة وسرور يُخفف عنها متاعب الجسم ومشاق الجسم، وهذا في قول الله:﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .

ثم ذكَّرنا الله بحقيقة لا بد أن نعلمها أجمعين: ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ﴾ :

المؤمن عندما يعمل العمل فالملائكة تكتب ذلك في كتاب، ثم يُنسخ من هذا الكتاب كتب: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (29الجاثية) نسخة تصعد إلى عرش الرحمن، ونسخة تبقى في كل سماءٍ من السماوات السبع، ونسخة مع الكرام الكاتبين، ونسخة إلى موقعه في الجنة .. نسخٌ كثيرة فيها صور الأعمال وروحها.

حتى يعرف المؤمن أن الله ﷻ لديه كل شيء عنه، والله سبحانه وتعالى لا يغيب عنه شيء لا قليل ولا كثير.

﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ولا يُظلم الإنسان في شيء.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المسارعين في الخيرات، وأن يوفقنا للتخلق بهذه الصفات، وأن يجعلنا جميعاً من العاملين بهذه الآيات البينات، وأن يوفقنا على الدوام لعمل القربات، واستباق الخيرات، والمسارعة في الأعمال الصالحات، وأن يجعل ذلك كله ابتغاء وجهه الكريم، وأن يحفظنا في كل أحوالنا من هفوات النفوس، ومن وساوس الشياطين، ومن الخلق والأشرار أجمعين .. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

المراجع

dddddddddddddddd

1. أسرار القرآن – السيد محمد ماضى أبوالعزائم، دار الكتاب الصوفي : ج: 1:7 .

2. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، الشيخ نعمة الله بن محمود النخجواني، دار ركابى للنشر الغورية القاهرة.

3. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة ، تحقيق أحمد عبدالله القرشي، طبع على نفقة د.حسن عباس زكى.

4. التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، د.محمد سيد طنطاوى، دار المعارف.

5. تفسير روح البيان، اسماعيل حقى البروسوى، دار الفكر.

6. تفسير الشعرواى، أخبار اليوم.

7. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفى، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

8. التفسير لصوفي للقرآن، محى الدين الطعمى، دار الروضة.

9. عرائس البيان في حقائق القرآن، روزبهان البقلى، دار الكتب العلمية ، بيروت.

10. في رحاب التفسير، عبدالحميد كشك، المكتب المصري الحديث.

11. مختصر تفسير ابن كثير، محمد على الصابونى، دار القلم.

12. حاشية الصاوى على تفسير الجلالين ، تحقيق عبدالله المنشاوى، دار الحديث، القاهرة.

13. تفسير الجلالين المحلى والسيوطي، دار التراث العربي.

14. تفسير الجيلاني، الشيخ عبدالقادر الجيلاني، مركز الجيلاني للبحوث العلمية ، اسطنبول.

15. تفسير القرآن الكريم ، د.عبدالله شحاته، دار غريب القاهرة.

16. تيسير الكريم الحنان في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدى، المكتبة الإسلامية بالقاهرة.

17. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابورى، دار الصفوة.

18. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، الحلبى، القاهرة.

19. مختصر تفسير الشعراوى، منى الهاشمى، دار المعارف.

20. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، اسماعيل حقى، اختصار محمد على الصابونى، دار القلم.

21. صفوة التفاسير، محمد على الصابونى، دار القرآن الكريم، بيروت.

22. لطائف الإشارات، الإمام القشيري، تحقيق د.إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

23. بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزبادى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامى.

24. معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية.

25. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الجمهورية.

26. أسباب النزول، الواحدى النيسابورى، دار نهر النيل، القاهرة.

27. كلمات القرآن تفسير وبيان، حسنين محمد مخلوف، دار المعارف.

28. جامع البيان في متشابه القرآن، د.أبوسريع محمد أبوسريع، دار الطباعة المحمدية.

29. موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية.

المؤلف : فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد



۞ نبذة: ولد فضيلته في **18** أكتوبر**1948**ا م، الموافق **15** من ذى الحجة **367**ا هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة **970**ا م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة **2009** م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم **224** وم رها الرئيسى **114** شارع **105** المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة، وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت **www.Fawzyabuzeid.com** وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثا ثين عام مضت، وقد تم إفتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزي .

۞ دعـــوته: - يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، - يحرص على تربية أحبه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.، - يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

۞ قائمة مؤلفات الشيخ عدد 102 كتاب في خمس عشرة سلسلة

أولاً: فى تفسير القرآن الكريم: (7)

(1) نفحات من نور القرآن (ج1)، (14) نفحات من نور القرآن (ج2) (48) أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام (2 ط)، (91) الآداب القرآنية مع خير البرية ﷺ ، (93) أسرار خلة إبراهيم عليه السلام ، (96) تفسير آيات المقربين : الجزء الأول (102) تفسير آيات المقربين : الجزء الثانى.

ثانياً: الفقه: (8)

(2) زاد الحاج والمعتمر (2 ط)، (3) مائدة المسلم بين الدين و العلم (2 ط) (ترجم إنجليزى وإندونيسى ، (52) كيف تكون داعياً على بصيرة، (54) مختصر زاد الحاج والمعتمر (2 ط)، (71) الصيام شريعة وحقيقة ، (72) إكرام الله للأموات ، (95) صيام الأتقيا ،(100) دلائل الفرح بالرحمة المهداة.

ثالثا: الحقيقة المحمدية: (11)

( ) حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (ط)، (3) إشراقات الإسراء ج1 (ط)،(22) الكمالات المحمدية (ط)، (23) الرحمة المهداة، (3) واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله ﷺ (ط) (ترجم للإنجليزية)، (5) إشراقات الإسراء ج ، (1) السراج المنير، (0) ثانى اثنين،(5) الجمال المحمدى ظاهره وباطنه،(7) تجليات المعراج،(0) شرف شهر شعبان.

رابعاً: من أعلام الصوفية: (6)

( ) الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(ط)، ( ) الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة،(1) المربى الربانى السيد أحمد البدوى، (5) شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى (ط ، (9) الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى، (7) الإمام محمد ماضى أبو العزائم، سيرة حياة.

خامساً: الدين والحياة: (7)

(6) إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام (ط)، (4) كيف يحبُّك الله (ط) (مترجم إنجليزى)، (9) كونوا قرآنا يمشى بين الناس (ط)(مترجم إنجليزى)،(0) قضايا الشباب المعاصر، (7) بنو إسرائيل ووعد الآخرة،(5) أمراض الأمة وبصيرة النبوة (2000 تنزيل)، (2) فقه الجواب (أسئلة الموقع).

سادساً: الخطب الإلهامية للمناسبات: (7)

(16) المولد النبوى، (17) شهر رجب والإسراء والمعراج،(18) شهر شعبان و ليلة الغفران، (19) شهر رمضان و عيد الفطر،(20) الحج و عيد الأضحى،(21) الهجرة ويوم عاشوراء، (5) الخطب الإلهامية مجلد: المناسبات الدينية (1 ط).

سابعاً: الخطب الإلهامية العصرية: (1) (78) الأشفية النبوية للعصر.□

ثامناً: المرأة المسلمة: (4)

( ) تربية القرآن لجيل الإيمان (2 ط) (ترجم إنجليزى)، (43) المؤمنات القانتات (ترجم إنجليزى) (2 ط)، (44) فتاوى جامعة للنساء(2 ط)، (47) الحب والجنس فى الإسلام.

تاسعاً: الطريق إلى الله: (12)

(6) طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (2 ط)(ترجم للأندونسية)،(25) طريق المحبوبين وأذواقهم، (28) المجاهدة للصفاء و المشاهدة (2 ط)،(30) علامات التوفيق لأهل التحقيق، (31) رسالة لصالحين، (32) مراقى الصالحين، (57) تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب فى يوم عاشوراء للقاوقجى (تحقيق)،(60) نوافل المقربين، (64) أحسن القول،(79) دعوة الشباب العصرية للإسلام،

(38) مجالس تزكية النفوس ج1 ،(39) مجالس تزكية النفوس ج2 ،

عاشراً: الأذكار والأوراد (7)

(3) مفاتح الفرج (6 ط) (14 مرة طباعة (ترجم إنجليزى وأندونيسى)،(15) أذكار الأبرار، (37) مختصر مفاتح الفرج (3 ط)، (38) أذكار الأبرار (صغير)(3 ط)،(40) أوراد الأخيار (تخريج وشرح)(2 ط)،(56) نيل التهانى بالورد القرآنى،(73) جامع الأذكار والأوراد.

حادى عشر: دراسات صوفية معاصرة: (16)

(10) الصوفية و الحياة المعاصرة، (11) الصفاء والأصفياء،(12) أبواب القرب ومنازل التقريب، (29) الصوفية فى القرآن والسنة (3 ط) (ترجم للإنجليزية)،(36) المنهج الصوفى والحياة العصرية، (42) الولاية والأولياء، (49) موازين الصادقين، (51) الفتح العرفانى، (53) النفس وصفها وتزكيتها، (58) سياحة العارفين،(63) منهاج الواصلين،(65) نسمات القرب، (68) العطايا الصمدانية للأصفياء،(77) شراب أهل الوصل،(83) مقامات المقربين.،(98) آداب المحبين لله.

ثانى عشر: الفتاوى: (6)

(24) فتاوى جامعة للشباب،(76) فتاوى فورية ج1 ،(30) فتاوى فورية ج2 ،(34) فتاوى فورية ج3 ، (36) فتاوى فورية ج4 ، (101) يسألونك.

ثالث عشر: أسئلة صوفية: (3)

(27) نور الجواب على أسئلة الشباب (ترجم للإنجليزية)،(69) الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية، (99) إشارات العارفين.

رابع عشر: حوارات مع الآخر: (3)

(1) سؤالات غير المسلمين، (2) حوارات الإنسان المعاصر،(4) أسئلة حرة عن الإسلام والمسلمين.

خامس عشر: شفاء الصدور: (4)

(6) علاج الرزاق لعلل الأرزاق. (2 ط)، (7) بشائر المؤمن عند الموت (3 ط)، (2) بشريات المؤمن في الآخرة،.(6) بشائر الفضل الإلهي،

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـــــــــرة
مكتبة المجلد العربي	25912524	116 شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة الجندي	25901518	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	27958215	52 شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبة جوامع الكلم	25898029	17 الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
مكتبة التوفيقية	25904175	1 عمارة الأوقاف بالحسين
بازار أنوار الحسين	01227475931	2 زقاق السويلة خلف مسجد الحسين
مكتبة العزيزية	25915224	11 ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون الجميلة	25900786	130 شارع جوهر القائد بالدراسة
مكتبة الحسينية	25902541	22 شارع المشهد الحسيني بالحسين
مكتبة القلعة	25108109	1 شارع محمد عبد خلف الأزهر
مكتبة نفيسة العلم	25104441	9 ميدان السيدة نفيسة .
المكتب المصري الحديث	23934127	عمارة اللواء 2 شارع شريف
الأديب كامل كيلانى	23961459	28 شارع البستان باب اللوق
مكتبة دار الإنسان	33350033	109 شارع التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	25756421	6 ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	24015602	طيبة 2000 شارع النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	23910994	9 شارع عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	33449139	شارع حجازي خلف نادي الترسانة
المكتبة الأزهرية للتراث	01005042797	درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم القرى	25898253	128 شارع جوهر القائد الأزهر
المكتبة الأدبية الحديثة	25934882	9 شارع الصنادقية بالأزهر
مكتبة الروضة الشريفة	26444699	1 شارع أحمد أمين مصر الجديدة

		الإســــــــــكندرية
كشك سونا	01224609082	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب الإسلامى الثقافى	01001232698	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	01114114300	56 شارع النبى دانيال محطــ مصر
مكتبة الصياد	03- 928549	ش النبي دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	03- 462539	23 المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر
الكشك الأبيض	01288343555	محطة الرم – / أحمد الأبيض
		الأقــــــــــاليم
كشك عبد الحافظ	محما --------	الزقاز – بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	055- 326020	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	040- 334651	طنـ – أمام مسجد السيد البدوى
مكتبة قربة	040- 323495	طنـ – ش سعيد والمعتصم أمام كلية التجارة
كشك التحرير	01008935182	كفر الشيخ – شارع السودان أمام السنترال، سامى أحمد عبد السلام
مكتبة صحافة الجامعة	01002285 253	المنصور – شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	01001421	المنصورة، عزبة عقل ش الهادى، عاطف وفدى
مكتبة صحافة الثانوية	01005731 550	المنصو ش الثانويا بجوار مدرسة ابن لقمان ح كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم ح محمد الأتربى	01224917 744	طلخ – منصو – بجوار مدرسـ صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	01226468090	فا – أ حمادة غزالى بربرى
كشك الصحافة	01227960409	السويس،ش الشهداء ح حسن محما خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	093- 327599	سوها – شارع احمد عرابي أمام التكوين المهنى
كشك أبو الحسن	01069518616	– أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك القر – إسنا	01008698664	القر – إسـ ش السيدة زينـ – الحاج محمد الريس
كشك حسنى بإسنا	01111491823	كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بأنحاء الجمهورية. ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل نسخة الطباعة مجانا من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com **وعلى موقع** www.askzad.com **موقع الكتاب العربى ، أوطلبها من الناشر: دار الإيمان والحياة،114 ش105 حدائق المعادي بالقاهرة،**

الفهرس

تم بحمد الله تعالى وإلى اللقاء مع الجزء الثالث إن شاء الله